

غريبه في عالمك



بقلم : رحاب طمي

غريبة في عالمك

ل

رحاب حلمي

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

<http://book-juice.com>

غريبة في عالمك

المؤلفة : رحاب حلمي

نشر في : أبريل 2016

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني



مقدمة :

مريم حمدي و يوسف جلال هما قضبي المغناطيس المتنافران في كل شيء سواء من ناحية الأصل او المجتمع أو السن أو حتى طريقة التفكير تجربهما الظروف على العيش معا تحت سقف واحد من زواج دبره جد مريم .

فكرت مريم بأن الظروف دائما ما تكون ضدها فتارة تجربها على الانتقال للعيش في مجتمع غريب تماما عنها وعن ذلك الذي وُلدت وعاشت فيه حتى مرحلة المراهقة ومن ناحية أخرى يجبرها جدها على الزواج من ذلك الشخص المشهور بقساوته ومغامراته النسائية المتعددة.

فما الحل اذن؟

هل تهرب من هذا الزواج المحكوم عليه بالفشل الى مصير آخر مجهول أم أنها ستقبل بالأمر الواقع وتعيش مع هذا الشخص وهي الغريبة عن عالمه؟

الفصل الأول :

زواج مدبر

:تمام كدة. فيه حاجة تانية؟

قال عبدالرءوف رجل الأعمال الشهير جملته وهو يوقع باسمه على أحد الأوراق أمامه على الطاولة التي كان يتصدرها. فنظر له هذا الشاب الذي يجلس على يساره بنظرة اهتمام قلقة وهو يأخذ منه الملف و يقول له :لا. كفاية كدة النهاردة . انا شايف انك تعبت . ما كنش لازم أصلا انك تنزل الشغل دلوقت خصوصا ان الدكتور قال انك محتاج لراحة تامة.

فأجابه عبد الرءوف هذا الكهل الذي قد بلغ من العمر ما يناهز الستين عاما وقد بدا عليه الارهاق: لو كنت هسمع كلام الدكاترة هفضل الفترة اللي باقية من عمري راقد ع السرير مش بتحرك ودة اللي مش هقدر استحملة.

فسأله الشاب وهو يحيط بأصابعه القويه كف عبد الرءوف المستند على الطاولة: فكرت في موضوع العملية ولا لسة؟

فتنهذ عبدالرءوف في غير ارتياح وكأنه لا يستسيغ الخوض في هذا الحديث ثم قال بصوت ساخر: العملية اللي اصلا مش مضمونة؟ وكمان لو نجحت هتزود في عمري كام يوم؟ يا يوسف يابني انا خلاص بقول ياللا حسن الختام.

تجرت نظرات يوسف وهو ينظر اليه بلوم شديد وكأنه يستنكر فكرة فقدانه لهذا الرجل الذي طالما اعتبره بديلا عن والده المتوفي وهو لم يتعد التاسعة من عمره بعد . ولذا فمنذ معرفته بعبد الرءوف الكامل التي استمرت لعشر سنوات حتى الآن تعدت علاقته به من الشراكة الى الصداقة بل انه في بعض الاوقات كان يشعر أن هذا الرجل بمثابة الأب الثاني له لذا قال له بلهجة قاسية بما بعض التهديد:سمع. الكلام دة اياك اسمعه منك تاني. والعملية هتتعمل برضاك أو غصب عنك حتى لو اضطريت اني اجرجرك لاوضه العمليات بنفسي مادام فيه امل.

علم عبد الرءوف من نظرة شريكه الشاب أنه ينوي ذلك فعلا ان اضطر اليه لذا قال له ممازحا: ايه يا يوسف؟ قلبت كدة جد مرة واحدة يعني ؟ ما تخافش ياسيدي هعمل العملية بس لما اطمن الاول على مستقبل مريم!

نظرة يوسف الحائرة جعلته يستمر في التوضيح: مريم حفيدي. انت عارف بعد وفاة والدها انا بقيت المسئول عنها وخصوصا بعد ما رجعت مصر. فانا لو عملت العملية دلوقت مش هتلاقي حد يقف معاها بعدي وهية مش هتقدر تعيش لوحدها في مجتمع كل اللي تعرفه عنه انها اخدت جنسيتها.

فقال يوسف بنبرة حاقدة: أبوها كان لازم يعمل حساب لكل دة. ازاي عمره ما فكر ان هيجي اليوم اللي ممكن يسيبها فيه لوحدها في بلد غريبة بعيدة عن أهله وأهلها اللي هما أحق الناس بتربيتها ورعايتها؟

فسأله عبد الرؤوف بنظرة مترقبة : انت لسة مش قادر تسامحه يا يوسف؟

وعندما لم يتلق جوابا قال له برجاء: سامحه يا يوسف ع الاقل اكراما ليا

لم يتمالك يوسف نفسه الى ان ابتسم لصديقه ابتسامة دافئة وهو يقول: تفكر اني هقدر اكره انسان ميت؟!!

وقد هدأت ملامح عبد الرؤوف قليلا وهو يربت على كتف يوسف ويقول: ربنا يباركلك يا بني هوة دة عشمي فيك بردو . انا كدة ارتاح بالي من الموضوع دة عقبال بقا ما ارتاح من ناحية مريم . انا متأكد ان لو سبتها لوحدها كدة اكيد التانيين هياكلوا حقها وهية مش هتقدر تعمل حاجة.

يوسف: طب وعمتها؟!!

فقال عبد الرؤوف ساخرا: وردة؟! لا دي ماشية على حسب هوى جوزها. ومش محتاج طبعا اقولك هوة بيخطط لايه.

فصمت يوسف قليلا وبدا على وجهه التفكير العميق ثم قال: طب ما تجوزها ماهر ابن عمتها وبكدة مش هيقدروا يعملوا حاجة لانها بقت مراة ابنهم بالعكس دول هما اللي هيدافعوا عنها وعن حقها.

استمر عبد الرؤوف في نبرته الساخرة: كدة بقا يبقا زي مابقولوا سلموا القط مفتاح القرار. مين قالك انهم هيحافظوا عليها اذا كان هما اصلا مش راضيين يعترفوا بيها. انا لو عملت اللي انت بتقوله دة يبقا سهلتهم الطريق عشان يوصلوا للي هما عاوزينه مش اكر

واستمر يوسف في عرض اقتراحاته مشاركة لصديقه في مشكلته: خلاص جوزها لحد بتتق فيه وفي نفس الوقت تكون شايف انه يقدر يقف في وش جوز بنتك كمال

فشرد عبدالرءوف للحظات ثم لمعت الفكرة فجأة بعقله وقال ليوسف بابتسامة هادئة ونظرة ذات مغزى معين: معاك حق يا يوسف. هوة دة فعلا الحل الوحيد. طب انت ايه رأيك بقا؟

فسأله يوسف بحذر: في ايه؟

عبدالرءوف: في انك تناسبني.

: أناسبك!؟

بدا وكأن يوسف لم يفهم المغزى من كلام شريكه في أول الأمر إلى أن بدأ يستوعب الورطة التي زج نفسه بها فاتسعت عيناه وازداد اللون الأسود بهما وكأنه الفحم وهو يقول وتلك الابتسامة التي علت وجهه لم تكن سوى للاستنكار: انت بتتهزر. اكيد ما تقصدش اللي انا فهمته

لم تتأثر ابتسامة عبدالرءوف الهادئة وهو يجيب: مفتكرش انك عندك اعتراض على نسيبي.

فضاقت عينا يوسف قليلا وهو يقول بنبرة شديدة الهدوء لدرجة تنذر بالخطر: انت عارف ان دة مش قصدي. بس ليه!؟

بعد تنهيدة طويلة نمت عن مدى ارهاق عبدالرءوف الجسماني او العقلي والجسماني على حد سواء أجاب: انت الوحيد اللي هكون مطمئن على مريم وهية معاه. وانت الوحيد اللي تقدر تقف في وش كمال و ماهر ابنه

ثم ضغط على يد يوسف برفق وهو يقول له بشبه توسل: وافق يا يوسف خليني ارتاح. اعتبرها خدمة لصديقك العجوز قبل وفاته.

سحب يوسف يده بهدوء ثم نهض وقفوا وهو يحاول ترتيب افكاره بحيث لا يجرح هذا الكهل: طب ازاي؟ وانا لا اعرفها ولا هية تعرفني؟ دة غير ان على حسب علمي هية لسة ما كملتش العشرين وزي مانت عارف انا قربت ع الخمسة وتلاتين. يعني بالنسبالها هبقا عجوز اوي.

ازدادت ابتسامة عبد الرؤوف وهو يراقب حركات صديقه المتوترة وهو لم يعتد ان يراه في هذه الحالة مما جعل من الصعب عليه الا يستخدم اسلوب الدعابة وهو يقول: ايه يا يوسف؟ انت هتخليني اكذب كلام الصحافة عنك اللي مسمياك المليونير الدونجوان ولا ايه؟ خلاص كبرت وعجزت؟

و بما ان يوسف لم يكن في حالة تسمح له بمجاراة صديقه لذا فلم يكن الا ان حدجه بنظرة غاضبة جعلته يتراجع سريعا وهو يلوح بيديه كوسيلة للدفاع جعلته يبدو اصغر كثيرا مما هو عليه في الواقع: خلاص خلاص صدقنا انك دونجوان عصرك وزمانك. بس لسة ما قلتش لحد دلوقت رايك ايه؟

بدا على يوسف وكأنه يتخبط في مجموعة من المشاعر المتناقضة الى ان حسم امره اخيرا وأخذ يفكر بصوت عال كما تعود دائما مع صديقه الكهل: ازاي بس اتجوز واحدة عاشت كل حياتها في مجتمع غريب بعادات وتقاليد مختلفة . بنت راجل خالف اوامر ابوه وراح عاش في بلد تانية واتجوز واحدة اوروبية لا يعرف اصلها ولا فصلها؟ ازاي اسلم اسمي وسمعتي لواحدة امها اتخلت عنها في لحظة عشان تعيش مع واحد صاحبها . انا اتأكد منين ان بنتها مش طالعالها؟

لم يستطع عبد الرؤوف ان يلوم يوسف على تفكيره فمن ناحية انه يلتمس له العذر فكرجل شرقي يجب ان يتأكد من سلوك واخلاق البنت الذي يعتزم الزواج بها ومن ناحية اخرى فكل مايتعلق بماضي ابنه الذي رفض الزواج من شمس عمه يوسف مخالفا قرار والده لينشب الخلاف مجددا بين عائلة سليم والتي ينتسب يوسف اليها وعائلة عبد الرؤوف الكامل ولم ينته هذا الخلاف الا حين اعترم جلال والد يوسف عقد الشراكة بينه وبين عبدالرؤوف لتعود المياه مرة اخرى لمجاريها بعد ان علم بان هذا الاخير قد قاطع ابنه من اجلهم أما بالنسبة لأمها تلك الفتاة الاوروبية التي تزوجها ابنهم فلم تكن بالامر الذي يعزز موقفه حيث طلقها بعد ثلاث سنوات من الزواج لتعيش هي وحدها مع رجل اخر اسمته صديقها ،وتولى هو امر تربية حتى بعد وفاته لم تتحمل تلك المرأة الأوروبية ابنتهما كثيرا فاضطرت تلك الشابة الصغيرة القيام بمخاطرة صغيرة حيث ارسلت تطلب مساعدة جدها الذي ارسل اليها على الفور ليخبرها بانه يرحب بها في بيته في اي وقت وكانت هي طوال تلك الشهور الثلاث التي قضتها معه سلواه الوحيدة و عزائه عن فقد ابنه المفاجيء . خرجت تنهيدة قوية من عبدالرؤوف اثر كل تلك الذكريات الاليمة وقرر ان يستمر في محاولاته لاقناع يوسف الذي يراه هو الشخص الوحيد الذي بإمكانه الاعتناء بحفيدته والحفاظ عليها وعلى اموالها لذا فقد قرر ان يرمي بورقته الاخيرة في

وجهه لعله يستطيع ان يغير رايه ولو قليلا: ماشي يا يوسف. بس ممكن اطلب منك انك تاجل قرارك في الموضوع دة لحد ما تقابل مريم الاول وتتعرف عليها؟ ارجوك.

حملت كلمة الرجاء الاخيرة في طياتها كل كلمات الرجاء والتوسل التي لم يستطع عبدالرءوف النفوه بها. والتي لم تعط يوسف اي مجال للرفض ولكنه قرر الا يعترف بالهزيمة حيث ومضت عيناه فجأة وكأنه تذكر امرا قد غاب عن عقله طوال هذا النقاش: ماشي، بس بدون الالتزام بأي وعد. دة غير اصلا انت لحد دلوقت مش متأكد من موافقتها . على حسب علمي بنت زيتها اتعودت على الاستقلالية صعب اوي توافق على جواز مدبر وما تنساش ان والدها سبق ورفض الموضوع دة قبل كدة.

بدا على عبدالرءوف الارتياح قليلا حيث انه قد لمس بعض اللين في موقف يوسف فقال: مريم مختلفة كثير عن حمدي ابني الله يرحمه وكمان ما تنساش ان ابوها هرب مني اما هية فهربت عشان تجيلي وفيه فرق كبير بين الاتنين. قولت ايه بقا؟

بدا نفاذ الصبر واضحا في نبرة يوسف الذي قد ضاق عليه الخناق من الحاح صديقه العجوز: في ايه بس؟

بدا صوت عبدالرءوف حازما فجأة لدرجة ادهشت يوسف نفسه: هتيجي تشرب القهوة في فيلتي النهاردة الساعة سبعة.

يوسف محتجا: انت كدة مش بتديني اي فرصة للتفكير.

وبدا عبدالرءوف يستخدم سلطته كأب ثان كما يعتبره يوسف حيث لايمكنه معارضته و خرج صوته قويا: يوسف هنستناك. ما تتأخرش.

الفصل الثاني :

لامفر

:مستحيل! انا مش موافقة.

خرجت كلمات الاحتجاج كالرعد من فم مريم فور ان اخبرها جدها بقراره لتزويجها من شريكه يوسف جلال ،ومع ذلك بدا صوته هادئا وهو يسألها: وايه السبب؟

تفاجأت مريم من سؤاله أو بالأصح لم تتوقع منه ان يسأل مثل هذا السؤال وهو بالتأكيد يعلم جوابه ومع ذلك قررت أن تجيب عليه ولم يكن قد هدأ انفعالها بعد: ازاي يا جدي عاوزني اوافق اني اتجوز واحد معروفش وكمان عمره اد عمري مرتين؟ ليه يا جدي عاوز تعمل فيا كدة؟

لم يرد عبدالرءوف على الفور بل تأمل في ملامحها قليلا فهي ماكانت تشبه والدها باي شكل من الاشكال فملاحظها بدت اوروبية بشكل أكثر من واضح بوجهها الدائري الصغير وبشرتها البيضاء الشاحبة وعينيها الواسعتين بلون العشب الأخضر وشعرها الأحمر الناري مما كان سيجعله يشك في حقيقة نسبها اليه الا ان قلبه كان على يقين بأن الدماء التي تجري في عروق تلك الشابة الفاتنة هي نفسها الدماء التي تجري في عروقه علاوة على تلك الصور التي كان يرسلها لها ابنه بصورة مستمرة في ذكرى ميلادها كل عام وهو يقف بجانبها، كما أنها قد ورثت عن والدها طبعه وعناده. قطع عبدالرءوف الصمت ليقول بلهجة قوية تحمل الكثير من التهديد: مريم! انتي لما بعثيلي عشان تيجي تقعدي معايا في مصر كنتي واثقة ان انا اكر واحد هكون خايف عليكى وعلى مستقبلك عشان كدة لازم تثقي في قراراتي كويس أوي. يعني لما اقولك ان يوسف هوة انسب واحد ليكي وهو الوحيد اللي هيقدر ياخذ باله منك ومن مصالحك بيقا انا صح ولازم كلامي يتنفذ.

تسلل الاحباط بداخل مريم وقد بدأت تياس من ان جدها سيهتم كثيرا باعتراضاتها: طيب يا جدو انا لسة صغيرة وكمان لسة قدامي اربع سنين كلية . غير اصلا ان الحياة هنا لسة غريبة عليا شويه. فما بالك بقا بالجواز من شخص غريب معروفش وكمان من مجتمع غريب نسبيا بالنسبالي؟

عبدالرءوف : كل دة هيتحل . المهم دلوقت انه على وصول عشان يقابلك وتتعرفوا على بعض

ثم اشار باصبعه باتجاهها محذرا:مريم ! اياكي تصغريني أدامه

مريم باستسلام: حاضر يا جدو

وهم عبدالرءوف بالذهاب وقد بدا عليه الارهاق من حدة النقاش:ياللا. اسيبك انا بقا عشان تغيري هدومك. ذهب عبد الرءوف تاركا مريم وهي تتخبط بين أفكارها فمن ناحية لا تريد ان تعصي جدها وخاصة وهي تعلم مدى خطورة حالته الصحية فهو الان بالنسبة لها قريبها الوحيد الذي يمكنها الاعتماد عليه، ومن ناحية اخرى لا تريد الزواج الان وخاصة من ذلك الشخص فهو اكبر منها بكثير كما انها لاتعلم عنه الا انه شريك جدها. وفجأة خطرت لها فكرة. فماذا ان لم يكن هذا الشخص هو ايضا لا يوافق على تلك الزيجة؟ ولكنها استبعدت ذلك الاحتمال سريعا لانه ان كان كذلك فلا يوجد ما يجبره عليها فهو رجل اعمال مرموق في سن تسمح له باتخاذ قراراته بنفسه بعقلانية. ولكن ظل الامل بداخلها من انها يمكنها ان تقنع هذا الرجل بالتخلي عن فكرة الزواج بها وبذلك سيأتي الرفض من ناحيته دون ان تغضب جدها. وقد عزمت الامر على ذلك.

في حجرة الصالون بفيلا عبدالرءوف الذي كان يجلس على أريكة مريحة وبجانبه العكاز الذي بدأ يستخدمه مؤخرا . وعلى الكرسي الذي بجواره جلس يوسف بكل ثقة وكأنه بيته تماما . بالطبع فانها ليست بالمرءة الاولى الذي يأتي فيها لزيارة عبد الرءوف في فيلته. كانا يتحدثان بشكل ودي وفي مواضيع بعيدة تماما عن العمل جعلت يوسف يبتسم بشكل ساحر يزيد من جاذبيته ورجولته الطاغية في الوقت الذي طرقت فيه مريم الباب المفتوح فقال لها عبدالرءوف :ادخلي يا مريم

دخلت مريم وقد انتابها التوتر الشديد ولكن كانت خطواتها ثابتة تقدمت منهما قليلا وقد تولى عبدالرءوف مسئولية التعارف مبتدءا بيوسف: يوسف جلال شريكى وصاحب شركة المعمار للمقاولات. اما دي بقا ياسيدي حفيدتي مريم طالبة في اولى كلية ألسن

خلال هذا التعريف كان يوسف قد نهض لتحية مضيفته وقد بدت الصدمة واضحة على ملامحه فهو قد تخيل رؤية فتاة اوروبية مدللة ترتدي ملابس عصرية تناسب الاذواق الانجليزية، ولكنه على النقيض وجد امامه فتاة رغم ملامحها الاوروبية التي لا يستطيع احد تجاهلها الا أنه وجدها فتاة متوسطة الطول و كانت محجبة وترتدي ثيابا محتشمة زادتها جمالا ووقارا مما يجعل الناظر اليها يعتقد بأنها تعدت الواحد وعشرين من عمرها. استطاع يوسف أن يخفي دهشته سريعا ولكن بعد ان لاحظتها مريم ومد لها يده ليصافحها وهو يقول بلامح هادئة: تشرفنا يا آنسة مريم

تجاهلت مريم اليد الممدودة وقالت بعفوية: الشرف ليا. بس انا اسفة ما بسلمش

رد يوسف سريعا وكأن شيئا لم يكن: عادي ولا يهملك

جلست مريم على كرسي في مقابلة يوسف وهي تقول لنفسها بغیظ: طبعاً لازم حضرتك تتفاجيء. اكيد كنت فاكر انك هتشوف واحدة صايعة لابسة مكشوف وتستعرض قدامك. ربنا يستر

ساد صمت قليلا قرر يوسف ان يقطعه وهو يتفحص مريم من أعلى رأسها الى أخمص قدميها: غريبة اوي يا انسة مريم انك بتتكلمي عربي كويس وكمان باللهجة المصرية مع ان اللي اعرفه انك عمرك ما جيتي مصر قبل ثلاث شهور

مريم بجفاء: بابا الله يرحمه كان مصر اني اتكلم معاه بالمصري طول ما حنا في البيت وكمان كان لينا أصدقاء مصريين كثير اتعودنا اننا نتكلم مع بعض بلهجتنا

:ويا ترى هوة بردو اللي اصر انك تتحجي؟

قررت مريم ان تجيب على كل اسئلته بهدوء وصدق حتى تستطيع كسبه كحليف لها وقت الحاجة: لا. دة كان قراري انا. الحقيقة في البداية كنت مسلمة بس بالاسم لكن بعد ما بدات اكبر وافهم وكنت بشوف بابا وهوة بيصلي وبسمعه وهو يقرأ القرآن حبيت فكرة اني اكون مسلمة وبدات أقرأ كثير عن الاسلام والقرآن والسنة وبدأت في حفظ سور من القرآن ولما كنت بحس براحة نفسية بعد الصلاة قررت اني احافظ عليها وكان لازم اتم كل دة بلبس الحجاب.

اختطفت نظرة سريعة ناحيته لتلمح نظرة اعجاب سريعا ما اختفت من ملامحه. في تلك اللحظة وجدت جدها ينهض وهو يقول ليوسف بارتياح: معلىش بقا يا يوسف هسيبكم شوية عشان ميعاد الدوا بتاعي

وعندما حاولت مريم الذهاب لمساعدته هز رأسه بالرفض: خليكى انتي يا مريم ،انا مش هتأخر

وبالفعل تركها جدها وحدها مع ذلك الغريب الذي وللمرة الثانية يتخطى حاجز الصمت اولا بلهجة باردة: اعتقد انه من الافضل اننا ندخل في الموضوع على طول. طبعاً انتي عارفة سبب زيارتي النهاردة. عبدالرءوف العجوز قرر انه يوفق راسين في الحلال.

قال جملته الاخيرة بابتسامة ساخرة حاولت مريم ان تتجاهلها وتتجاهل اهانتها لجدها كذلك حتى لا تثير غضبه الى ان تنتهي من خطتها لذا أجابته بهدوء يشوبه بعض القلق: اه للأسف عارفة. عشان كدة كان كويس اوي ان جدو سابنا لوحدنا. بصراحة أنا رافضة الجواز دي.

وعندما وجدت علامات الاستنكار وربما الغضب قد بدأت تتسلل الى نظراته استدركت الخطأ الذي ربما قد وقعت فيه دون ان تدري فيبدو انه غير معتاد على ان ترفضه امرأة: زي مانت كمان أكيد رافضها. بس الفرق بيني وبينك اني مش هقدر اقول كدة لجدو اما انت فأكيد هيسمع كلامك. تقدر تقوله انك حسيت اني مش فتاة احلامك وانك مش عاوز تتجوزني ولا تكمل حياتك معايا.

فقرر يوسف ان يسايرها في خطتها: ولو سألني عن السبب؟

مريم: قوله مثلا اني شكلي مش عجبك

يوسف بابتسامة خبيثة: ساعتها هيعرف اني كذاب جدا. عشان مفتكرش ان فيه راجل طبيعي ممكن ان شكلك ما يعجبوش

احمر وجهها للغاية لا تعرف ان كان من الخجل ام من الغضب: قوله ان تفكيرنا مش واحد

يوسف باستخاف: مفتكرش اني هتجوز واحدة عشان اقعد افكر معاها. صدقيني وقتي وشغلي مش هيسمحوا بكدة.

"shit" قالتها مريم لنفسها فهذا الرجل بانتقاداته وتلميحاته الجارحة يحبط مخططاتها واحدة تلو الاخرى واخيرا قالت بعصبية: خلاص. شوف انت السبب اللي يناسبك وقوله

مال يوسف قليلا للامام: انا عاوزة اسألك سؤال. ياترى انتي رافضة فكرة الجواز عموماً ولا رافضة فكرة انك تتجوزيني؟

حقيقة لقد اريكها سؤاله هكذا اعترفت مريم لنفسها واخيرا اجابت: انا معرفكش كويس. بس انا رافضة فكرة الجواز بالطريقة دي.

اوما راسة ايجابا وهو يقول بغموض: اه فهمت

حاولت مريم ان تستشف من خلال النظر الى تعبيرات وجهه ما يرمي اليه او ما يفكر به في تلك اللحظة ولكن بلا جدوى ،الى ان عاد عبد الرؤوف مرة اخرى وهو يعتذر لضيفه بلهجة مراوغة لم يفهمها سوى يوسف وكان يهم بالجلوس على الأريكة التي تفصل بين يوسف و مريم:معلش يا يوسف اعذربي لو كنت اتأخرت عليك

فاجابه يوسف بارتياح: ولا يهملك. انا اصلا اتأخرت ولازم امشي دلوقت لكن قبل ما امشي احب اطلب منك ايد الانسة مريم بشكل رسمي وانا وهي اتفقنا خلاص

صدمتها كلماته حتى انها لم تستطع ان تنفيها اما هو فأكمل لا مباليا بنظراتها الحانقة: طبعا انا موافق على كل طلباتكم شوفوا انتم عاوزين ايه وبلغوني.

عبدالرؤوف وقد ابهجه الخبر كثيرا: حقيقي يا يوسف انا كنت عارف ان المقابلة دي هتغير حاجات كثير بس بصراحة ما كنتش فاكرا انها هتكون بسرعة اوي كدة وطالما انتم اتفقنوا خلاص بيقا انا مقدرش اقول غير مبروك.

استأذن يوسف من مضيفه للرحيل فطلب عبدالرؤوف من مريم ان تقوم بتوصيل يوسف حتى باب الفيلا واعتذر لانه لم يستطع ان يقوم بذلك بنفسه. بالفعل سارت مريم بجوار ضيفها وهي تكتم غضبها بشدة الى ان خرجت من البوابة الداخلية للفيلا وعندما وطئت قدميها ارض الحديقة انفجر البركان وصاحت به بعد ان وقفت بمواجهته على بعد خطوات قليلة: انت ايه اللي عملته دة ؟ وما نفذتش اتفاننا ليه؟

يوسف بنظرة حادة قال لها برود مصطنعا التجاهل: أنا مش فاكرا انا اتفقنا على اي حاجة

مريم وقد استفدها كلامه اكثر: ومادام احنا اصلا ما اتفقناش بيقا ازاى تقول لجدو انا متفقين

يوسف: اتفقنا ان السبب الاساسي اللي يمنع جوازنا مش موجود اصلا وهو انك تكويني رافضاني لشخصي عشان كدة مفيش اي سبب تاني يمنعنا من اننا نتجوز

نظرت له مريم بتحدي وقالت باصرار واضح: لو السبب اللي انت بتقول عليه دة كان مش موجود في الاول فاسمجلي دلوقت اني اقولك ان انا مش عاوزاك انت شخصيا ولو حكمت اني اتجوز شخص جدي هوة اللي هيختاره فانا هتجوز اي حد الا سيادتك

بدا يوسف وكأنه لم يتأثر بكلامها ولم تهنز منه شعرة واحدة بسبب هذا الكره الصريح الذي اظهرته له فقال بصوت هادىء مشددا على كل كلمة يقوها: لكن جدك عمره ما هيوافق على حد غيري. عشان كدة بقولك لازم تقبلي بالامر الواقع وهوة انك هتكوني مراتي بموافقتك او غصب عنك وقريب جدا كمان لان عاداتنا كصعايدة مش هتسمح اننا نطول فترة الخطوبة. عن اذنك يا انسة مريم.

ثم تركها ورحل وقد بدا عليها الدهول التام لم تعرف بما تجيب وهو ايضا لم ينتظر لسماع ردها فقالت محدثة نفسها: يعني ايه بقا؟ معقولة يكون كلامه صح؟ يعني مفيش اي مفر؟ لا طبعا مستحيل.

الفصل الثالث :

الوعيد

دخل يوسف فيلته وهو في قمة الانسجام أحيانا يصفر وأحيانا يدندن بأغنية مبهجة. وكان المكان يسوده الظلام والهدوء وكأن لا أحد يسكنه ،توجه يوسف مباشرة ناحية السلم ولكن استوقفه صوت خشن ساخر: ما بدري يا سعادة البيه. وشرفت دلوقت ليه؟ ما كنت تبات في المكان اللي كنت فيه أحسن.

ارتسمت الابتسامة على وجه يوسف من محاولة وليد أخيه لتقليد صوت الزوجة الغاضبة فاستدار وتوجه ناحية مفتاح الاضاءة لينير المكان ويجد أخيه جالسا بارتياح على أحد الكراسي وكان يرتدي بيجاما للنوم وأكمل مستمرا في تقليد صوت الانثى رغم خشونة صوته الواضح: فكر براحتك ودور على حجة كويسة يمكن أصدقك.

فقهقه يوسف وقال له بصوت مرح: انت مفيش فايدة فيك أبدا. دة انت لو كنت مراقي يجد كنت طلقتك بالتلاتة وتسعين.

فوقف وليد وكان فرق الطول بينه وبين أخيه لا يذكر تقريبا ولكنه أكثر نحافة وبجسم رياضي أيضا يشبه يوسف بشدة ولكن ملامحه أقل قسوة وهو يقول بصوته الطبيعي : ياعم روح كدة ،انت مين اصلا ممكن توافق ترتبط بيك وانت كل يوم تبات في حزن واحدة شكل؟

فرد عليه يوسف بلهجة ساخرة: ياعم كفاية واحد بس في العيلة عايش زي الناسك، تصدق اني بدأت أخاف عليك وأشك انك.....

فقاطعه وليد بحسم: عننذك. انت عارف كويس ان اخوك راجل .بس مش لازم أثبت رجولتي بطريقتك ياعم كزانوفا

يوسف مازحا: ع الاقل أشوفك مع بنوتة حلوة كدة ماشيين ع الكورنيش وانت ايدك في ايدها

وليد: هيحصل بس في الحلال يا كبير

يوسف متفاجئا :يعني ايه يالا ؟انت اتجوزت من ورايا ولا ايه؟

وليد:ياعم يوسف بقولك لسة هيحصل.بس لما اجوز اخوية الكبير الاول اللي شكله كدة ناوي يعنس ويقعدني جنبه انا
كمان

فقال يوسف بجدية وهو يجلس على الاريسة التي كانت خلفه: اطمن يا سيدي. تقدر من بكرة تدور على بنت الحلال.
انا خلاص خطبت

بدا وليد غير مستوعبا لما قاله يوسف فجلس بجواره وسأله بلهفة: انت بتتكلم بجد؟و هية مين بقا تعيسة الحظ واللي
امها داعية عليها دي؟

يوسف:حفيدة عبدالرءوف الكامل

هتف وليد: مريم؟!

يوسف باهتمام:انت تعرفها؟

وليد:لا .سمعت عنها من ماهر .

يوسف باستهزاء:وسي ماهر دة بقا قال ايه؟

وليد:مش كثير . اللي قدرت أفهمه منه انه تقريبا كان راسم عليها لانه كان فاكرها واحدة اوروية ومدلعة وماشية على
حل شعرها . لكن بعد كدة ومن طريقة كلامه حسيت انه يا إما اتصدم يا إما انها صدته جامد

يوسف باشمزاز:أنا مش عارف انت مصاحب البني ادم دة ازاي؟

وليد: يا عم يوسف صحوية ايه؟ وهوة ماهر بتاع الكلام دة بردو؟ الموضوع بس اني بساير اموري معاه عشان الشغل
انت عارف ان شخص زي دة مش سهل لا هوة ولا ابوه ولازم اللي يتعامل معاهم تكون عنيه في وسط راسه.

فابتسم يوسف وقال بتفهم: تمام

وليد بنظرة خبيثة ذات معنى: قولي بقا انت ايه اللي عرفك على مريم دي وفيها ايه زيادة يعني عن كل اللي عرفتهم
خلاك تتخلي مرة واحدة عن قوقعة العزوية اللي كنت دافن نفسك جواها؟

حاول يوسف التهرب من الاجابة بتصنع الغضب: وانت مالك يا بارد؟ هية هتبقا مراتك انت؟

وليد: خلاص خلاص يا عم. بس على الله بقا عمك وعمتك يوافقوا

يوسف باستنكار: ودة على أساس انا لسة قاصر ومستني الاذن ولا ايه؟ جرى ايه يا وليد مانت عارف انا مش باخد
رأي حد في قراراتي

وليد: أيوة يا باشا عارف. زي مانت كمان عارف العداة اللي لسة لحد دلوقت بين العيلتين على الرغم من انهم بيحاولوا
يبينوا العكس. لسة الجراح بتنزف يا يوسف فبلاش تضغط عليها اكر

فقال يوسف بحسم وهو يهمم بالنهوض: وليد. انا خلاص عطيت كلمة لعبدالرءوف الكامل وانت عارف دة معناه ايه
كويس. يعني سواء عمك وعمتك وافقوا أو لا فأنا هتمم الجوازة دي وفي أقرب وقت كمان. ياللا بقا تصبح على خير.

وتوجه يوسف ناحية السلم ليستعد لأيام جديدة محملة بالكثير من المشاكل التي كان على علم تام بها عندما وافق على
عرض عبدالرءوف بالزواج من حفيدته تلك العنيدة وهذه كانت مشكلة اخرى قد أضافها يوسف لقائمه ولكنه قرر
تأجيل التعامل معها الى أن يتم الزواج أولا وبأي ثمن.

في جامعة القاهرة كانت مريم تجلس مع احدى صديقاتها وهن قليلات قد تعرفت عليهن أخيرا بعد أن يئست من
تكوين صداقات مع البنات الأخريات اللاتي كن يتجنبنها اما لماها وشهرة جدها وشركته فكن يعتقدن بأنها فتاة مدللة
ومغروة وصعب التعامل معها واما يتجنبنها بسبب جمالها الطاغي الذي يغطي على أي فتاة اخرى تقرب منها فكانت
بالطبع لوحدها محل اهتمام معظم الشباب الذين كانوا يحاولون التقرب منها والتودد اليها بشتى الطرق ولكنها كانت
اوقات تتجاهل ذلك واوقات اخرى تتجه للصد المباشر.

كانت حياة هي تقريبا أقرب صديقة لها تعرفت عليها مريم خلال أسرة "ملكة بأخلاقي" التي لا تضم سوى شيخات الجامعة كما يقول البعض ممن يطلقون على كل فتاة ملتزمة لقب شيخة. كانت حياة أكثر التزاما وتدينا من مريم الى جانب كونها مرحلة وسهلة المعشر استطاعت أن تغزو قلب مريم في أول لقاء بينهما وبالرغم من أنها تكبر مريم بسنتين فهي بالسنة الثالثة لكلية إعلام أما مريم فهي مازالت بالسنة الاولى بكلية الألسن الا أن علاقتهما توطدت كثيرا وخصوصا عندما علمت منها مريم أن والدها من سوهاج ومن قرية الديابات كعائلة مريم لكنها تعيش بالقاهرة مع أسرتها المكونة من والدها وهو محاسب باحدى الشركات الكبرى ووالدتها تعمل كمدرسة في إحدى المدارس الخاصة وأخيرا أخوها طالب بالثانوية العامة.

لم تستطع حياة أن تخفي دهشتها وهي تهتف: معقول! يوسف جلال الدين بنفسه طلب ايدك؟ مش قادرة أصدق.

مريم بغضب مكتوم ثائرة لكرامتها: يعني ايه يا حياة؟ وهوة أنا مش أد المقام ولا ايه؟

فتداركت حياة خطأها وهي تقول معتزرة: لا. مش قصدي طبعا يا مريم. بس أنا دائما بسمع من بابا اصله شغال في شركته ان يوسف دة العاذب المكرس يعني عمره ما فكر في الجواز. فيه ناس أصلا بتقول انه معقد.

مريم بسخرية مريرة: وقرر بقا انه يفك عقده دي على ايدي.

وضعت حياة يدها على فمها لتكتم ضحكتها الى ان تماكنت نفسها وقالت لمريم بجدية: طب وليه لا؟ مش جايز يكون فكر في الاستقرار أخيرا؟ ويمكن لما يتجوز ربنا يهديه.

مريم بوعيد: فعلا ربنا هيهديه بس بعد اللي هيشوفه مني.

حياة بقلق: انتي ناوية على ايه يا مريم؟

وقبل أن تجيب مريم تقدم شاب من الفتاتين وقال بنبرة رقيقة ونظراته مركزة على مريم: مساء الخير يا بنات. تسمحولي اقعد؟

كانت حياة هي التي قررت ان تجيب عليه بسخرية واضحة وغضب مكتوم: آه طبعا مفيش مشكلة؟ اتفضل حضرتك اقعد.

وعندما سحب الشاب الكرسي بجوارهما ليجلس عليه أكملت برود وهي تشير على الطاولة الفارغة الاخرى: بس مش هنا. عندك خمس تراييزات فاضية اختار منهم اللي تعجبك وما تخافش خلي الحساب علينا.

احمر وجه الشاب من الخجل والغضب معا وهو يتمتم مبتعدا: أنا آسف.

وبعد أن ابتعد عنهما قليلا قال في نفسه متعجبا: غريبة! هية البنت دي بقت كدة ازاي؟! معقول دي حياة بتاعة زمان؟!!

اما مريم فلم تستطع اخفاء ابتسامتها وهي تقول: معقولة يابنتي؟ ايه اللي قولتية دة؟ دة الواد وشه جاب ألوان.

حياة بلا مبالاة: سيبيك منه. قوليلي بقا ناوية تعملي ايه مع عم الدون جوان؟

وللمرة الثانية قبل أن تجيب مريم قاطعهما صوت هاتفها فنظرت الى رقم المتصل وقالت بتعجب: غريبة! رقم معروفش.

حياة: يبقا بلاش تردي عليه

مريم: لا انا هرد. ممكن يكون جدو حصله حاجة لان حالته اليومين دول مش مطمئاني.....السلام عليكم....مين

معايا؟..مين؟! انت جيت نمرتي مينين؟

أجاب يوسف وهو يجلس خلف مكتبه بثقة تامة: يعني مش نمرة تليفونك هية الحاجة اللي ممكن تصعب على يوسف جلال. ومع ذلك أنا اخدت الرقم من جدك وهوة شاف ان دة حقي باعتباري خطيبك

مريم بغضب: اولاً انت مش خطيبي، وثانياً انت مش ليك أي حقوق عليا، وثالثاً بقا ودة الأهم أحب انك تفهم كويس أوي ان دة يبقا عشم ابليس بالجنة زي ما بتقولوا لو فكرت اني في يوم هبقا مراتك.

وانهت مريم المكالمة دون سابق انذار مما أثار غضب يوسف الذي حاول التحكم فيه وهو يقبض بشدة على الهاتف ويقول متوعدا: بقا كدة يا بنت حمدي الكامل؟ بتقفلي السكة في وشي أنا؟ طب وعد مني يا مريم ان مش هيهدي بال غير لما أشوف دموع الذل في عيونك وبرود مش هرحمك حتى لو كانت دة آخر حاجة هعملها في حياتي.

الفصل الرابع :

* من الرابع؟*

وقفت مريم أمام جدها في حجرة مكتبه وهي تشتغل غضبا بينما كان عبد الرؤوف يجلس خلف المكتب في هدوء تام كعادته معها ليمتص غضبها وسألها: ممكن أعرف انتي ليه زعلانة دلوقت؟

مريم: يعني المفروض اني مش ازعل لما اعرف ان حضرتك ادبت رقمي لحد غريب؟

عبدالرؤوف: اولاً لازم تعرفي ان لو انا كنت رفضت ادي رقمك ليوسف كان هيعرف يلاقي أكثر من طريقة تانية يجيب بيها رقمك.. ثانياً يوسف ما بقاش حد غريب خلاص . دة بقا خطيبك وكلها اسبوع ويبقا جوزك.

مريم مصدومة: ايه؟! اسبوع؟! ايه الكلام اللي بتقولو دة يا جدو؟! يعني ايه؟ مش فاهمة.

عبدالرؤوف بنفس الهدوء: مانتي لو كنتي تهدي شوية كنت هقدر اقولك وافهمك كل حاجة . ممكن تقعدني بقا؟

جلست مريم امامه بجمود وقد هربت الدماء من وجهها فبدأ عبدالرؤوف الحديث: يوسف جالي المكتب النهاردة عشان يحدد معايا كل حاجة عشان يبقا الموضوع رسمي وبشكل سريع. وانا كان من رأيي اننا نعمل الشبكة يوم الخميس الجاي، لكن يوسف اقترح عليا انما تكون شبكة و كتب كتاب عشان يكون على حريته شوية في تعامله معاكي. وتقدرنا تخرجوا مع بعض زي مانتو عاوزين، لانه حس انك ممكن ترفضني حاجة زي كدة لو كان اللي بينكم مجرد خطوبة وبس مريم بتندمر: بس يا جدو دة ما ينفعش؟ احنا لسة ما نعرفش بعض كويس. فمش معقول ابدا اننا نتجوز كدة بسرعة. وكمان اسبوع دة قليل اوي مش هعرف اجهز فيه اي حاجة.

عبدالرؤوف: انتو قدامكم شهرين قبل الجواز تقدرنا نتعرفوا فيهم على بعض لحد ما تخلص السنة الدراسية وتخلصي امتحاناتك. وبعدين انتي مش هتشيلي هم اي حاجة لان يوسف هوة اللي هيجهز لكتب الكتاب واسبوع مش كثير عليه هو يقدر يعمله بكرة وبكل اللي انتي تطلبه بس لو احنا موافقين.

بدا عليها قلة الحيلة وهي تقول : طب يا جدو ع الاقل كنتم تاخذوا رأيي.

عبدالرءوف بنظرات ثابتة: وهو كان عاوز يتصل بيكي عشان يبلغك بنفسه وياخذ رأيك لكن انتي اتسرعتي وقفلتي السكة في وشه مش هوة دة اللي حصل بردو؟؟

وقبل ان تجد مريم ما ترد به على جدها أشار لها بيده واستطرد قائلا: عشان كدة تجنبا من ان الموقف دة يتكرر معاه تاني أصر على ان كتب الكتاب يكون مع الشبكة وفي اسرع وقت.

مريم وقد اوشكت على البكاء: بس يا جدو انا مش موافقة.

عبدالرءوه بنظرات لائمة أكثر من ان تكون غاضبة: وعاززة تكسري كلمتي زي ما عمل ابوكي قبل كدة؟ بس المرادي بقا يا مريم انا مش هقدر استحمل واحتمال كلمة زي دي تقضي عليا بجد

فقامت مريم سريعا وقبلت يد جدها والدموع تملأ عينيها: بعد الشر عليك يا جدو. دة انا مليش حد غيرك.

فمس عبدالرءوف على رأسها بخنان: عشان كدة يابنتي انا مش عاوز أسيبك تنبهدي من بعدي. ويوسف هو الشخص الوحيد اللي هبقا مطمئن عليك واني معاه

وفي هذه اللحظة فتح شاب الباب دون استئذان وقد كان متوسط القامة يزيد سنتيمترات قليلة عن مريم جسمه نحيف الى حد ما وذات عينين سوداوين وشفاه رقيقة قاسية وشعر مجعد ،دخل كالعاصفة ونظر الى عبدالرءوف بجدة كما لم يجرؤ أحد من قبل ويتطاير الشرار من عينيه:جدي! الكلام اللي سمعته من ماما دة حقيقي؟!

فرد عبدالرءوف وكان لم يفقد أعصابه بعد عكس مريم التي كانت تغلي من اقتحامه للمكان بهذا الشكل: وهوة ايه اللي سمعته من وردة بقا وخلاك تدخل عليا المكتب بالشكل دة يا سي ماهر؟

ماهر بغضب:انت هتجوز مريم ليوسف جلال؟

وهنا تولت مريم الرد بغضب جم: وانت مالك انت؟ افتكر دي حاجة تخصني انا وجدو وبس.

ماهر: لا يا هانم . دي حاجة تخص كل العيلة وتخصني انا على وجه التحديد.

مريم: وتخصك انت ليه بقا ان شاء الله؟

ماهر: لان انا ابن عمتهك وصله القرابة دي تخليني انا احق واحد بيكي.

مريم: دة لما تكون بتشتري حته ارض عندكم في البلد. اما انا بقا فانسانة وليا الحق اقول اه او لا على شريك حياتي .

ماهر: يعني انتي موافقة تتجوزي البني ادم اللي اسمه يوسف دة؟

فاجأها السؤال ولم تعرف بم يمكنها ان تجيب عليه فمن ناحية كانت تحاول منذ لحظات ان تقنع جدها بالعدول عن مسألة زواجها من يوسف ومن ناحية اخرى لا يمكنها ان تجيب بما يتمنى ان يسمعه ماهر ذلك الشخص الذي طالما حاولت الابتعاد عنه فهي اوقات كثيرة تخشى نظراته ولا تستسيغ حديثه معها واخيرا عقدت عزمها وقالت بتحد واضح: ايوة. انا موافقة على جوازي من يوسف وكتب كتابنا يوم الخميس الجاي وعلى فكرة انت معزوم

في فيلا يوسف جلال كان وليد يتناول عشاءه بمفرده على طاولة الطعام ،فكانت تلك احدى عاداته التي لا يستطيع ان يتخلى عنها فهو لا يحب ان يتناول طعامه خارج المنزل فلا يستسيغ تلك الوجبات السريعة التي اصبحت من أساسيات هذا العصر

مساء الخير:

تفاجأ وليد بصوت يوسف ويده تربت على كتفه وهو يهم أن يجلس على الكرسي يمينه فقال وليد مندهشا: مساء النور يا كبير. بس معقولة؟! ايه جابك بدري كدة؟ مش من عوايدك يعني.

يوسف بسخرية لم يلاحظها وليد: تقدر تقول اني حبيت أعود نفسي على حياة الزوجية والاستقرار .

فرجع وليد يده وكأنه يقوم بالدعاء: بركاتك يا ست مريم.....ايه بقا هنقول مبروك قريب؟

يوسف دون أن تتغير تعابير وجهه الجامدة: الشبكة وكتب الكتاب يوم الخميس الجاي

وليد: اوباللا. ايوة كدة..مبروك يا شقيق..بس انت مش شايف انك مستعجل شوية؟

يوسف: لازم الجوازة تتم قبل سفر عبدالرءوف زي ماهو عايز

وليد بتفهم: شريكك العجوز عاوز يضمن مستقبل حفيدته قبل ما يموت

قاطع يوسف بحدة: وليد!

وليد باعتذار بدا انه لم يقصده تماما: اسف يا عم يوسف . نسيت انك مش بتحب حد يتكلم على عبدالرءوف
بالشكل دة قدامك

هدأ يوسف قليلا ثم قال وقد عاد صوته الى طبيعته: المهم. عمته كلمتني النهاردة وقالتي انها جاية بعد يومين

وليد بتأفف: وياترى بقا هتقعد اد ايه؟

يوسف بنبرة عاتبة: تقعد زي ماهية تحب يا وليد

وليد: وطبعا هدى هتيجي معاها

يوسف: اكيد يعني مش معقول عمته هتكون هنا وتسبب بنتها في البلد يعني.. دة غير انها بتقول انها جاية اصلا عشان
بنتها هتشتري شوية حاجات من هنا.

وليد بضيق: طيب

يوسف بنظرة مراوغة: فيه ايه يا وليد؟ انا ملاحظ انك دايما بتضايق كل ما تيجي سيرة هدى.

وليد وقد ارتفعت نبرة صوته قليلا بغضب: لاني مش عارف انتو ليه مصرين تربطوني بيها وتربطوها بيا؟!

يوسف: وليه لا؟ دي بنت عمته وانت احق واحد بيها ولولا ان فرق السن بيني وبينها كبير اوي كنت اتجوزتها انا

وليد محاولا ان يكتفم غيظه: بنت عمتي واختي على عيني وعلى راسي .انما اتجوزها لا

يوسف: طب ليه؟

وليد: يا بني انت مش شايف اد ايه انها لسة عيلة؟ دي يادوب في تالته ثانوي. غير اني عمري ما حسيت بيها كواحدة ممكن تكون شريكة حياتي.

يوسف: وهوة احنا طلبنا منك انك تتجوزها النهاردة؟ ممكن تصبر سنتين او تلاثة تكون هية كبرت.

وليد بصوت قاطع: لا يا يوسف. انا مش هتجوز هدى مهما حصل، وياريت بقا بلاش نتكلم في الموضوع دة تاني.

يوسف باصرار: ماشي يا وليد، ع العموم انا بس هأجل الكلام في موضوعك دة لحد ما يتم جوازي من بنت حمدي الكامل، وبعد كدة لينا قاعدة تانية.

لم يعلق وليد على كلامه بل قرر ان يغير مجرى الحديث فسأله: اه صحيح انت بلغت الجماعة في البلد بموضوع جوازك؟

يوسف: لا مش دلوقت. وعلى فكرة حتى لما عمتهك تيجي مش عاوزها تعرف، لاني لازم اسافر البلد الاول وابلغهم بنفسي

وليد: طب ماهي لما عمتهك تيجي اكيد هتتعرف.

يوسف: لا ما تخافش انا هرتب كل حاجة

وهنا رن هاتف يوسف فاتسعت عيناه من الدهشة عندما علم بهوية المتصل، وعلى الفور رد قائلاً:
الو.....ألوووووو...مريم!....وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته....ايه مش كنتي عاوزة تردي ولا ايه؟

فأجابت مريم وهي تزرع حجرة نومها ذهابا وايابا من شدة التوتر: لا...انا بس جدو طلب مني ان ابلغك بنفسي اني موافقة يكون الشبكة وكتب الكتاب في نفس الميعاد اللي اتفقت عليه معاه.

فوضع يوسف قدما فوق الاخرى بكل ثقة وهو يقول: ومين قالك اني كنت هسمح بأي تغيير؟

وبدا على مريم ان بركان غضبها على وشك الانفجار فقد كان مزاجها شبيها بشعرها الناري الحاد وهي تقول: ع العموم انا اتصلت بيك بس لاني وعدت جدو بانني هعمل كدة

نُض يوسف من على كرسيه وهو يتعد عن آذان أخيه المتطفلة الذي كان يتابع الحوار باهتمام وقال بنبرة ساحرة لا تستطيع اي امرأة مقاومتها: على فكرة .محدث قالك قبل كدة انك بتبقي جميلة اوي وانتي خدودك حمرا سواء من الحجل او الغضب؟!!

وبشكل تلقائي وضعت مريم يدها على خدها محاولة اخفاء احمراره وكأنه بالفعل يراها:محدث قالي ولا هسمحلك انك تقولهالي بعد كدة

يوسف: على فكرة هستريجي اوي يا مريم لما تقبلي بالامر الواقع وهو ان هيبقا من حقي اقولك كل اللي انا عاوزه وفي الوقت اللي انا بردو احده لانك هتبقي مراتي يعني ملكي سواء رضيتي بكدة او لا . فياريت يكون بمزاجك بدل ما يكون غضب عنك.سلام

وهذة المرة كان ليوسف السبق في أن ينهي المكالمة فتوهجت وجنتا مريم غضبا وهي تقول بصوت عال محدثة نفسها: بقا كدة؟! طب يانا يانت يا عم يوسف.. ولما نشوف بقا مين اللي هيكسب في الاخر؟

الفصل الخامس :

" صاحب الكلمة الأخيرة "

وقفت مريم مع صديقتها حياة على درجات السلم المؤدية الى كلية الاعلام فقالت حياة بانفعال وغيظ شديد: معقولة يا مريم؟! انتي اتجننتي؟! ازاى تعملي كدة؟

مريم بضيق: ماهو البني ادم اللي اسمه ماهر دة استفذني وكمان كدة كدة جدو ما كنش هيوافق على اي اعتراض.

حياة: يعني انتي بقيتي مقتنعة بجوازك من يوسف جلال؟

مريم: مقتنعة؟! دة انتي لو سألتيني مين هو اكرت انسان بكرهه في الدنيا كلها هقولك يوسف جلال

حياة: ومع ذلك هتتجوزيه الخميس الجاي. يا فرحتي! ازغرط!

مريم: بالله عليك يا مريم انا مش ناقصة. يا تقولي كلمة عدلة يا تسكتي احسن

شعرت حياة بمحنة صديقتها فسألتهما بجدية: طيب انتي جهزتي كل حاجة؟

مريم بسخرية مريرة: اجهز ايه؟ ماهو سي يوسف هيقوم بالواجب انا كل اللي مطلوب مني اني اختار الفستان اللي هحضر بيه

حياة: طيب المفروض انا نحضر ولا لا؟

مريم: انا مش عاوزة حد يحضر غيرك يا حياة. انا بجد هبقا محتاجالك في اليوم دة. وفي نفس الوقت مش عاوزة ابقا فرجة لحد. انتي عارفة بقا جواز حفيدة عبدالرءوف الكامل من رجل الاعمال يوسف جلال اكيد مش هيعدي بالساهل. وانا مش عاوزة العيون تكون مسلطة عليا كفاية التوتر اللي هبقا فيه.

فامسكت حياة بيدها مطمئنة: ولا يهملك يا مريم. تفاءلي خير. وان شاء الله كله هيبقا تمام.

:السلام عليكم. بتتوشوشوا في ايه؟

كان ذلك الصوت الضاحك لثلاثة من صديقات مريم و حياة التي اسعفت صديقتها وتجاهلت السؤال وهي تقول
مازحة: **بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ**. سلام قولاً من رب رحيم. ودول يطلعوا الساعة كام؟

فقالت واحدة من الثلاثة: مالك يا اوختي؟ دة ولا كانك شفتي عفريت قدامك

حياة: وانتي بتقولي فيها يا سلمى . دة لو عفريت مش هيخضنا بالشكل دة؟

سلمى: طب يا ختي ما تبقاش تنسي تبخري

حياة: وهو انت فيه بخور هيقدر يصرفكم؟ دة انتو محتاجين ونش يشيلكم انتو الثلاثة ويوديكم بلاد تركب الافيال

فقالت فتاة اخرى واسمها هالة بهيام وهي تتلمس الدبلة التي في اصبعها باليد اليمنى: وابعد عن ميدو حبيبي؟ دة كان
بعد الشر يموت فيها

فقالت الثالثة بمداعبة: ياختي دة ما هيصدق انه يخلص من الشبكة السوداء دي

هالة: بقا كدة يا نورا . طب يارب يارب يارب تتخطبوا كلكم كدة في يوم واحد وافرح فيكم واطلع كل اللي بتعملوه فيا
دة على عنينكم

سلمى: تعرفي يا بت يا هالة مش انتي صاحبتني من زمان؟ بس دي اول مرة اسمعك فيها بتدعيلي . يارب ياختي اتخطب
بسرعة بقامحدث عارف المتئيل على عينه شريك حياتي المنتظر دة آخر كدة ليه؟

فغرقت الفتيات في الضحك ما عدا مريم التي بدت بعيدة كل البعد بتفكيرها عما يحدث في الواقع وقد لا حظت هالة
ذلك فسألتهما باهتمام وهي تضع يدها على كتفها لتنتشلها من عالمها الخاص: مريم . مريم . مالك؟ فيه ايه؟

مريم بتلعثنم: هه. لا ابدا مفيش

هالة: وهوة احنا اتعودنا بردو اننا نخبي على بعض؟

مريم: اخبي ايه بس؟ كل الموضوع ان جدو صحته الايام دي في النازل فتلاقوني قلقانة عليه

هالة مواسية: معلى يا مريم ان شاء الله هيبقا بخير وتطمني عليه

مريم: يارب

بت ياسلمى! انتي يا بت! الله مالك؟

كان ذلك الصوت لحياة التي لا حظت صمت صديقتها المفاجيء على غير العادة فقالت سلمى بشرود مشيرة وهي تبعد يد صديقتها عن عينيها: اوعي بقا . سيبيني اركز

فسألته هالة موبخة: تركزي في ايه يا حولة؟ هو انتي بتشوفي اصلا؟

سلمى: اركز يختي في المتبيل على عينه . شكله كدة خلاص قرر انه يبجي . وانا بقا مستقتلة.

هالة بعدم فهم: هوة اية دة؟ ما تفهمينا يا بنت.

سلمى: مانتو لو بصيتوا وراكم هتفهموا منك ليها . هوة دة حقيقي فارس احلامي

نظرت نورا الى الناحية التي تشير اليها نورا بينما كانت كل من مريم وحياة وهالة يديرون ظهورهم لذلك الاتجاه، فهتفت سلمى بصوت منخفض: يا بنت اللعيبه! هوة فيه كدة؟! ياترى مين البرنس دة؟

فنهركم حياة بشدة: جرى ايه يا بنات؟ انتو نسيتم كلامنا عن غض البصر ولا ايه؟

سلمى مؤنبة نفسها: استغفر الله العظيم . عندك حق . بس ابن الايه دة فعلا ينسي الواحد اسمه.....الله! دة جاي ناحيتنا!

فوكزتها نورا في كتفها وهي تقول: وانتي ايه عرفك؟ ويبجي ناحيتنا ليه اصلا يا شحاتة انتي؟! دة شكله كدة جاي يشوف العميد دة ان ما كنش هوة بقا العميد نفسه وشالوا ابو كرش اللي عندنا دة

لم تستطع الفتيات كتم ضحكاتهم الى ان سمعن ذلك الصوت العميق الذي قال من خلفهم: مساء الخير

توجهت انظار الفتيات الخمسة ناحية صاحب الصوت وقد علت الدهشة وجوههم جميعا بعضهم من الاعجاب وغيرهم من المفاجأة والاخر من الغضب

كانت سلمى اول من استطاع الرد بكل ما لديها من رقة: مساء النور يا فندم

اما هالة فقد كانت نبرتها اكثر حدة وهي تقول له: خير حضرتك؟ نقدر نخدمك بايه؟

توجهت نظرات يوسف ناحية مريم التي كادت ان تنفجر من الغضب وقد أعطتها حياة العذر في ذلك: لو سمحتي يا مريم عاوزك دقيقة

سألته سلمى بدهشة: مريم! انتي تعرفيه؟

تعمدت مريم تجاهل الرد على سؤال صديقتها فهي لم تستطع ايجاد اللفظ المناسب الذي تصف به علاقتها بيوسف جلال بل انها وجهت نبرة غضبها لجلال نفسه: انا مفيش بيني وبينك كلام. وبعد اذنك اتفضل بقا امشي عشان احنا عندنا محاضرات. ياللا بينا يا بنات

وبالفعل ادارت الفتيات ظهورهن ليوسف وهن على استعداد للرحيل فأمسك يوسف مريم من ذراعها وادارها اليه فهتفت به وقد صدمها ما حدث: انت مجنون؟! سيب ايدي. انت فاكر نفسك فين هنا؟

يوسف بحدة: مش هسيبها يا مريم. ولازم تنعودي اني لما اكلمك لازم تسمعي للاحر انتي فاهمة؟

وهنا تدخلت حياة لتهدئة الموقف في حين وقفت الاخريات يشاهدن ما يحدث بصمت لجهلهن بحقيقة الامر: لو سمحت يا باشمهندس بلاش مشاكل. وانتي يا مريم ممكن تسمعيه بهدوء؟ واحنا هنبقا واقفين هنا في انتظارك.

بعد نظرة القتها ناحية حياة التي هزت رأسها طالبة منها الامتثال للامر قالت ليوسف مستسلمة: اتفضل

ترك يوسف ذراعها وتوجهها ناحية سيارته التي لا تبعد عن صديقات مريم كثيرا وعندما توقفا بجوار السيارة سألته مريم وقد ارتفعت نبرة صوتها قليلا: تقدر تقولي بقا ايه هي الحاجة المهمة دي اللي تخليك تجيلي لحد الجامعة وتتصرف بالشكل دة قدام صاحباتي؟

يوسف: انا جيت هنا بعد ما استأذنت من جدك عشان اخذك معايا نروح نشترى الشبكة و الفستان بالمره، ولا نسيقي ان كتب كتابنا الخميس الجاي؟

مریم بحزن: یاریتني كنت اقدر انسى

یوسف: طب یاللا بینا

مریم: یاللا بینا علی فین؟ انت مین قالک اصلا انی ممکن اربک معاک عربیتک واروح معاک ای مکان لوحدنا؟

یوسف بنفاد صبر: مانتي اکید مش هتخلي جدک التعبان ییجی یلف معانا ع المحلات

مریم: لا طبعاً. بس انا اتفقت مع صاحبتي اننا نروح سوا . و یاریت حضرتک ما تشغلش بالک بالموضوع دة. انا و حیاة هننزل و نختار الفستان مع بعض اما بخصوص الشبكة فتقدر تجیب ای حاجة مش هتفرق معایا اصلا.

یوسف بنبرة تحذیرية: مریم! بلاش تخلیني افقد اعصابي. وساعتها هتلاقیني بركبک العربية غصب عنک وانا ولا هیهمني جامعة ولا حرس. فیاریت تسمعی الکلام من سکات

بدأت مریم بالفعل تشعر ببعض الخوف فقالت وقد تراجعت عن اصرارها قليلاً: بس انا بردو مش هروح معاک ای مکان لوحدنا

قد استفذ کلامها یوسف وقد جعله یفقد السيطرة علی نبرة صوته وهو یقول لها بانفعال: فیه ایه؟ هوة انا هخطفک؟ مریم انا اکبر من ان تصرفاتی تكون فی محل شک ای حد

ثم بدأ یهدأ تدريجياً وقال لها بعد أن احکم سيطرته علی نفسه: ع العموم خلاص. تقدری تطلبی من صاحبتک دي انها تیجی معانا لو كان دة اللي هیطمنک.

بالفعل وافقت حیاة علی الذهاب معهما بعد ان هاتفت والدها لتستأذن منه الذي لم یستطع المعارضة بالطبع لأن یوسف هو صاحب الشركة التي یعمل بها وهو یخشى غضبه ، وافق یوسف علی مضض بأن تجلس مریم بجانب صديقتها فی المقاعد الخلفية بالسيارة فلولا مظهره وأناقته لكان یبدو کالسائق لهما . توقفت السيارة أمام واحد من أشهر محلات الصاغة لتختار منه مریم الشبكة التي تریدها . دخل الثلاثة المحل ، وقد استقبل صاحبه یوسف بالحفاوة والترحاب ففكرت مریم انه ربما كان زبون دائم للمحل. فبالطبع ان دونجوانا ثریا کیوسف جلال لن یهادي صديقاته بالورود أو بالدمی

يوسف لصاحب الخل وكان يبلغ الخمسين من عمره وهو قصير وممتلىء الجسم وقد اكتسى رأسه بالشعر الرمادي:
ادوارد شوف احلى حاجة عندك ووريها للانسة خطيبي .خلي بالك دي هتبقا شبكتها

بدا على وجه ادوارد الاندهاش الممزوج بالسرور: بجد؟ الف مبروك يا يوسف بيه. مبروك يا هانم. انا هوريكي اجمل
واحدث حاجة عندي. حاجة عمرك ما هتشوفيتها في اي مكان تاني. ويوسف بيه عارف طبعا ذوقي كويس

اغتصبت مريم ابتسامه ورسمتها على شفاهها ولكنها لم تصل لعينها

وبعد ان اختارت مريم شبكتها بمساعدة صديقتها حياة توجه يوسف بسيارته الى اشهر محلات الازياء وفي الخل الثالث
الذي توجهوا اليه بعد ان ينسوا من ايجاد مبتغاهم في سابقه، قالت حياة لمريم وقد بدا عليها الارهاق: حرام عليك يا
مريم. ابوس اديكي يكون دة اخر محل ندخله بقا. انا خلاص تعبت. معقولة مش عاجبك اي حاجة في كل اللي انتي
شفتيه؟

اختطفت مريم نظرة ناحية يوسف بطرف عينها فوجدت وجهه خاليا من اي تعبير فتملكها الاحباط لانها فعلت كل
ذلك لترى ولو لمرة واحدة اي دليل على الندم لاصراره على اصطحابها بنفسه ولكن ها قد خاب املاها فقالت
لصديقتها مطمئنة: خلاص .هحاول الاقي حاجة هنا

وبعد بحث استمر الى ما يقرب النصف ساعة وقع نظرها على فستان طويل من الساتان باللون الاخضر يتخلله خيوط
ذهبية لامعة يتسع عند الركبة الى القدم بشكل يشبه ذيل السمكة ذات اكمام طويلة تتسع ايضا عند المعصم بنفس
الطريقة. وقفت مريم طويلا امام الفستان تتأمله بدقه فسألته حياة بنفاذ صبر: هه يا مريم! عاجبك دة؟ تحبي تجريبه؟

وقبل ان تجيب مريم، جاء صوت يوسف من خلفهما يقول بشكل قاطع: لا. احنا هناخد ه خلاص.

حاولت مريم ان تخفي اعجابها بالفستان وهي تقول بجدة: لا. مش عاجبني . انا هشوف واحد غيره

يوسف: شوفي اللي انتي عاوزاه يا مريم واشتري اللي تحبيه. لكن الفستان دة هو اللي هتلبسيه في كتب الكتاب.

مريم: لا طبعا: انت مش هتلبسي على مزاجك. انا مش هاخذ الفستان دة. واقولك على حاجة كمان؟ انا اصلا مش
عاجبني الخل دة ومش هشتري منه.

ابتسم يوسف لها بسخرية و اشار بيده لصاحبة المحل والتي كانت تقف على مقربة منهم فأسرعت نحوهم بلهفة موجهة
سؤالها ليوسف: هه يا يوسف بيه. خلاص قررتوا؟

فنظر يوسف بتحدي لمريم وهو يجيب على سؤال صاحبة المحل: خلاص يا مدام ناهد. احنا هناخد الفستان دة.

الفصل السادسة

ملكي

في فيلا كمال وهدان كان ماهر يجلس على احد الكراسي وهو يشتعل غضبا، وعندما سمع صوت أقدام والديه وهما
ينزلان درجات السلم، هب واقفا و استدار تجاههما وهو يقول تائرا: انتو لسة مصريين بردو انكم تروحو؟

فقالته وردة بحنان محاولة تهدئة ابنها: مانت عارف يا بني، انا مش هقدر اكسر لجدك كلمة.

فنظر ماهر الى والده يسأله: وانت كمان يا بابا مش قادر تقول لا؟

كمال وهو يحاول ان يكتفم غيظه: ولا انا يا ماهر طالما جدك مازال هو المتحكم في كل شيء

ماهر: يعني هتسيبوا مريم تتجوز يوسف دة وكل حاجة تضيع من ايدينا؟

وردة: يا بني مين قالك كدة بس؟ مفيش حاجة هتضيع ان شاء الله. جدك عمره ما بيظلم حد. تفتكر يعني ممكن يظلم
بنته؟

كمال بلهجة ساخرة: ومين قالك انه هيبقا حاسس انه بيظلمك، ماهر ممكن يكون فاكر انه بكدة بيعوض اللي اسمها
مريم دي عن اللي عمله مع ابوها.

ماهر: وطبعا الزفت اللي اسمه يوسف دة ما هيصدق، اصلا الراجل دة انا عمري ما استريحته. وقربه من جدي دة مش
طبيعي خصوصا بعد اللي عمله خالي. مش معقول يكون قرر فجأة كدة انه يتجوز بنت الراجل اللي رفض انه يتجوز
عمته زمان وينسى اللي فات. اكيد بيخطط لحاجة تانية.

فقال كمال موافقا على كلام ابنه: معاك حق يا ماهر. وكمان يوسف دة مش من النوع اللي ممكن يسبب تاره بسهولة. عشان كدة احنا لازم نخلي بالننا منه كويس اوي.

ماهر متوعدا: وانا وديني ما هفوتله جوازه من مريم دة على خير. وانا وهو والزمن طويل.

اقيم الحفل في فيلا عبدالرءوف الكامل وقد كان حفلا بسيطا كما ارادته مريم لا يضم الا اقرب الاقربين واهمهم بالطبع عبدالرءوف الذي كان وكيل العروس في عقد الزواج وكذلك الشاهدان وهما كمال زوج وردة و وليد اخو يوسف، الى جانب وردة وبعض الاصدقاء القلائل وعلى رأسهم كانت حياة التي لم تترك صديقتها منذ صباح هذا اليوم.

كانت مريم ترتدي الفستان الذي تم اختياره من قبل يوسف فهي لم تجد اي فائدة من الاعتراض وقد غطت شعرها بطرحة ذات لون ذهبي لامع أبرز لون عينيها الأخضر بوضوح. وقد أصرت مريم على الا تستخدم ايا من ادوات الزينة فهي في الحقيقة لم تكن بحاجة اليها، فبدوها وبهذا الفستان الرائع كانت تبدو كالمملكة لحظة التتويج.

اما فيما يتعلق بيوسف فكعاداته بدا في قمة الوسامة والفخامة ببدلته السوداء الانيقة التي ابرزت مدى طوله مقارنة بمريم التي وان كانت ترتدي حذائها ذات الكعب العالي فهي بالكاد تصل الى أعلى رقبته فقط مما جعلها تشعر بسيطرته وتفوقه عليها ولو قليلا

تم الانتهاء من كتابة العقد مع تقديم التهاني للعروسين والدعاء لهما بدوام السعادة، وجاءت اللحظة الحاسمة فجلس يوسف على الأريكة بجوار مريم مما جعلها تتعد عنه قليلا في ضيق، وقد لاحظ يوسف ذلك ولكنه لم يبال بالامر. وجاء وقت الشبكة فأخرج يوسف من جيبه علبة قטיפه صغيرة الحجم أخذ منها خاتم الخطوبة وكان من الألماس يتوسطه فص صغير من الزمرد الأخضر أختارته مريم ليتناسب مع لون عينيها مد يوسف يده ناحية مريم وهو يقول بصوت هادى شعرت مريم من خلاله مدى السخرية التي يحملها : ايدك يا عروسة

فمدت مريم يدها له مرغمة وعندما لمستها يده شعرت برعشة خفيفة من خشونتها ، وعندما اختلست النظر اليه لم تتلق الا ابتسامة ساخرة. وضع يوسف الخاتم في اصبعها، ثم قال لها بلهجة لم يشك أحد في صدقها: مبروك

فردت مريم بصوت خافت وهي تتجنب النظر اليه: الله يبارك فيك.

وعلا صوت الزغاريد بالمكان وتزاحم الجميع على العروسين لتقديم التهنئة ماعدا واحدة وقفت في مكان بعيد تركز على أحد الأعمدة تمتلأ عينيها بالدموع ولكنها لم تسمح لها بهجر مقلتيها ،ورغم محاولاتها المتكررة قد فشلت في رسم البسمة على شفتيها، ولكنها شعرت بوجود من يراقبها كما كانت تشعر منذ بداية الحفل ولكنها لم تهتم في بادئ الامر ، إلا أنه عندما رفعت نظرها في تلك اللحظة قد تلاقت عينيها بعينيه التي تحمل الكثير من الفضول والأسئلة ، حاولت حياة التهرب من نظرات وليد الملاحقة لها ولكنها لم تستطع ورغم بعدها النسبي عنه قد شعرت بأنها تبدو شفافة بالنسبة له وكأنه يخترقها من الداخل بالرغم من انها لاتعرفه وكذلك لم يبد عليه أنه يعرف من تكون، لم ينتشلها من ذلك الموقف سوى صوت هاتفها الذي تعالت رناته فقامت بالرد: السلام عليكم...أيوة يا بابا.....معلش بقا محستش بالوقت....اوك هاخذ تاكسي واجي حالا...أعمل ايه بقا مفيش حل قدامي غير كدة.....اوك يا بابا ...اول ما اركب التاكسي هبعث لحضرتك رسالة برقمه.....مع السلامة.

كان على حياة ان تهنئ صديقتها اولا وتخبرها برحيلها ولتفعل ذلك يجب ان تمر بذلك الغريب الذي بدأت تخشى نظراته، ترددت قليلا ولكنها اخيرا استجمعت شجاعته وذهبت لتهنئ مريم وعندما مرت به حاولت ان تتحاشى النظر اليه ولكن حدث ما لم تتوقعه حيث سمعته يقول وهو يشير لها بيده: لو سمحتي يا أنسة

ترددت حياة قليلا أتوقف أم تكمل طريقها؟ ولكنها قررت ان تنهي ذلك الامر ، فتوقفت على مسافة مناسبة منه: وهي تسأله: نعم؟ حضرتك بتكلمني؟

اقترب منها وليد قليلا مما زاد من توترها: انا اسف لتطفلي،لكن ممكن اعرف اذا كان حضرتك قريبة العروسة ولا لا؟
حياة: ودة هيفرق معاك في ايه؟

وليد بابتسامة رقيقة: يعني تقدري تقولي فضول او تعتبريها مجرد دردشة.

فقال حياة وقد ثار غضبها ولكنها حاولت خفض صوتها كي لا يسمعه غيرهما: اه. واضح بقا ان حضرتك فاضي وعائز تتسلى، اما انا بقا للأسف مش فاضية ،عن اذنك.

وتركته حياة واتجهت ناحية صديقتها فقال وليد لنفسه في تأنيب: ايه اللي انا هبنته دة؟

اقتربت حياة من مريم و قالت لها وهي تحتضن كفها: مبروك يا مريم، وربنا يتمم بخير ويسعدك، معلش بقا بابا اتصل بيا ولازم امشي دلوقت.

فقال لها مريم برجاء وهي ترفض ان تحرر يدها: طب ما تخليكي معايا النهاردة، دة بكرة الجمعة اجازة يعني

حياة: معلش بقا يا مريم، بابا اكيد مش هيوافق

مريم: اوك ولا يهملك يا حبيبي، طب هتروحي ازاى؟

حياة: عادي يعني هاخذ تاكسي

مريم باستنكار: تاكسي؟ وفي الساعة دي؟ لا طبعا... استني هخلي جدو يرن ع السواق بتاعه عشان يبجي يوصلك.

حياة مطمئنة: لا يا حبيبي مفيش داعي، انا هتصرف. وان شاء الله خير

وهنا تدخل يوسف الذي بدا وكأنه يتابع الحديث منذ بدايته رغم تظاهره بعكس ذلك: تسمحولي اتدخل بجل وسط؟

فانتهت اليه الفتاتان: انا ممكن اطلب من اخوية انه يوصلك وأكد هيكون ءأمن من التاكسي وخصوصا في ساعة زي دي؟

وقبل ان تبدي حياة اي اعتراض أشار يوسف بيده لوليد الذي اسرع على الفور تجاههما فور ان لاحظ وجود حياة وهو لم يعرف سبب ذلك الشعور الذي قد اجتاحه ناحيتها

وليد: خير يا يوسف؟

لم تصدق انها سمعت صوته فهل يعقل ان يكون هو من بين المدعويين جميعا وليد أخو يوسف الذي قال والدها عنه انه شاب جاد لا يهمله سوى عمله فقط عكس أخيه تماما لا يجري وراء النساء ولا يستجيب لنداء أي امرأة؟!

سمعت صوت يوسف وهو يقول لأخيه: وليد. لو سمحت ممكن توصل الأنسة لبيتها؟ معلش بقا طبعا مش هينفع انها تركب تاكسي في الوقت دة لوحدها.

وكأنه كان يحتاج لكل تلك المبررات، فهو لم يكن يتخيل أبدا ان الفرصة ستواتيه بتلك السرعة ليتعرف عليها أكثر، ولكنه حاول ان يخفي مدى سعادته فقال برزانة وهو ينظر ناحيتها: طبعاً يا يوسف .واكيد يعني احنا عمرنا ما هنرضى بكدة.

اسرعت حياة بالاعتراض فهي لن توافق ابدا على ان تركب وحدها مع هذا الشخص مهما حدث فقد كان هناك ما تخشاه ولكنها لا تعلم ماهيته على الرغم من انه يبدو اهلا للثقة: لالالا. انا مش عاوزة اتعب حضرتك، ومفيش داعي للقلق . عادي يعني .وهبقا اتصل بمرم اول ما هوصل عشان تظمن ايني وصلت.

وليد مداعبا: يا ستي هو انتي كدة كدة مش هتركي تاكسي؟ خلاص اعتبريني سواق تاكسي وهبقا اخذ منك الاجرة و اللي هيحكّم بيني وبينك العداد.

لم تجد حياة مخرجا اخر فقالت أخيرا بنبرة يا نسة: معلش حضرتك .أنا مش هينفع اركب معاك عربيتك

صدم وليد من كلامها قليلا ولكنه استوعب الامر واقترح اخيرا: اوك ولا يهملك، ولو كنتي مصرّة انك تركبي تاكسي ،مفيش مشكلة انا هركب معاكي واوصلك

حياة: بس انا كدة هتعب حضرتك معايا.

وليد بلهجة مرحة: لا يا ستي لا تعب ولا حاجة. انا كل اللي حارق دمي الاجرة اللي هياخذها سواق تاني، صحيح الفقري فقري من يومه.

مرم متصنعة البراءة: معلش بقا تتردلك في زبون تاني ان شاء الله. مش بيقولوا رزق الهبل ع المجانين؟

وليد:بقا كدة؟

وهنا تعالت ضحكاهم جميعا، وكانت المرة الاولى التي يتشارك فيها يوسف ومريم الضحكة،و بالفعل ركب وليد التاكسي مع حياة ولكنه بعد طلبها اضطر الى الركوب بجانب السائق بينما هي قد احتلت المقعد الخلفي بمفردها ، في الحقيقة كان لهذا الترتيب من جانب حياة سببان اولهما انها لن توافق ان تجلس بجوار رجل غريب وخصوصا في مكان مغلق والثاني لانها تحاول بقدر استطاعتها ان تتجنب الرد على اسئلة وليد التي كانت تتوقعها.

بالفعل شعر وليد ببعض الضيق لذلك ولكنه احترم رغبتها بل انها باصرارها ذلك قد جعلته يزداد اعجابا بها وبشخصيتها ، هو بالطبع قد قابل من هن اجمل كثيرا من حياة التي لم تفتقر بدورها الى الجمال حيث قد نالت منه حظا وفيرا ، لكنها تمتاز عن مثيلاتها بأمر آخر لم يستطع تحديده ربما يكون حياها الذي لم يصبح له وجودا هذه الايام الا عند القليلات ، أو لنظرة الحزن التي لا تفارق عينيها ولا يعلم أحد سرها.

وصلت سيارة التاكسي الى العمارة التي تسكن بها حياة وقد كانت في أحد الاحياء الراقية الى حد كبير وقد كان وليد اسرع من حياة في مغادرة السيارة وفتح لها الباب بطريقة مهذبة شكرته حياة عليها وعندما همت بفتح حقيبتها قال لها وليد باستنكار: اوعي تكوني ناوية تعملي اللي في بالي.

حياة: هدفح الحساب ، ما تنساش ان التاكسي دة عشاني

أخذ وليد نفسا عميقا فقد كان اسرع من أخيه في الاستجابة لنوبات الغضب ولكنه حاول الا يفعل ذلك تلك اللحظة فخرج صوته هادئا: من فضلك، اطلعي شقتك بدون نقاش

حاولت حياة الاعتراض ولكن خرج صوته أمرا بطريقة أخافتها: حالا.

ودون نقاش وجدت حياة نفسها تمثل لأمره خوفا من بطشه فهي لا تعلم عنه الكثير ولكن مما سمعته عنه انه لا يقبل اي اعتراض على أوامره

أما فيما يتعلق بالحفل فقد أنهى أخيرا وقد غادر المدعوون ولم يبق في الفيلا الى جانب العروسين سوى عبدالرءوف الذي قام بتقبيل رأس حفيدته وقد غمرته السعادة: الف مبروك يا حبيبي. وربنا يتمملك بألف خير ، انا كدة خلاص مش عاوز حاجة تاني من الدنيا

مريم وقد تجمعت الدموع بعينيها: ربنا يخليك ليا يا جدو. ولا يجرمني منك ابدأ

توجه نظر عبد الرءوف ناحية يوسف الذي كان يتابع المشهد عن قرب دون ان يبدو عليه أي تأثر: مبروك يا يوسف. خلي بالك منها. دي أغلى حاجة عندي.

يوسف مراوغا: وانا من امتي بهمل في حاجة من ممتلكتي.

استولى الغضب على مريم وقد لاحظ جدها ذلك فقال ينهر يوسف بلطف: بلاش الكلام دة يا يوسف، خد بالك حفيدتي غضبها سريع.

يوسف بمزاح ساخر: عارف. مانا اتعرضت لنوبات غضبها اكثر من مرة قبل كدة لحد ما لقيت الطريقة المناسبة للتعامل معاها.

عبدالرءوف وهو ينقل عينيه بين الاثنين بنظرة خاصة: كدة! طب اطلع منها انا بقا وأسبيكم مع بعض شوية. عن اذنكم خرج عبدالرءوف من القاعة، وعندما تأكدت مريم من مغادرة جدها وعدم تمكنه من سماعهما بدأت تصب غضبها على يوسف: ممتلكاتك؟ دة انت بتحلم، اوعى تكون فاكر ان بالعقد اللي بينا دة هتقدر تتحكم فيا. دة عمره ما هيحصل يا يوسف. انت سامعني؟ عمره ما هيحصل.

اقترب منها يوسف خطوة فتراجعت هي خطوتين للوراء، فقال لها باستهزاء: اوعى انتي اللي تكووني فاكرة ان الحياة هنا زي اوروبا. وان فيه مساواة بين الجنسين زي ما بتقولوا. اسمحيلي اني اصححك الفكرة دي انتي هنا في مصر وبقيتي متجوزة من مصري . جوازك مني يا مريم دة معناه انك بقيتي ملكي . وهتنفذي اوامري مهما كانت من غير اي اعتراض والا لازم ساعتها تكووني مستعدة للعقاب، انا عمري ما قبلت ان حد يخالف أوامري فما بالك بقا بمراي؟ اللي هية اصلا واسمحيلي للمرة الثانية اني اكررها بقت من ممتلكاتي

الفصل السادس :

وما زالت القلوب تنزف

: بقا كدة يا مريم؟ وهو احنا مش اخواتك ولا ايه؟ ولا كنا مش هنفرحلك يعني!؟

كان هذا الصوت اللائم هو صوت هالة الذي بدا عليها الضيق الشديد فقالت لها مريم معتذرة وهما تجلسان حول طاولة مع باقي صديقاتهما: معلى والله كان غصب عني، وكمان احنا عملنا الموضوع دة ع الضيق. ويا ستي حقك عليا المرادي بس ان شاء الله في الفرح اكيد لازم تكونوا موجودين وهوة انا يعني ليا مين غيركم في مصر بعد جدو! ولا انتم بقا مش هترضوا تيجوا؟

هالة : يا خبر! دة احنا نجملك على رموش عيننا . ربنا يهنكي يا مريومة يا رب ويسعدك .

مريم: تسلميلي يا حبيبي

وهنا قالت سلمى مازحة: بس تعرفي يابت يا مريم انتي وقعتي واقفة بصحيح. الواد فعلا مز أوي وشيك وابن ناس ومن ذوات الملايين . اوعدنا يارب بواحد من النوعية دي ان شالله يارب يكون من ذوات الاربعة.

فردت نورا على مزاحها بفكاهة: اهو ذوات الاربعة دي بقا هو الوحيد اللي هيليق معاكي يا سلمى

ضحكت الفتيات جميعا على ذلك ثم قالت هالة: خلاص بقا اهو بقينا اتنين في الشلة مخاطيب . تعرفوا بقا انا نفسي في ايه يا بنات؟ نفسي ان كلنا كدة يكون فرحنا في ليلة واحدة ونعمله كمان فرح جماعي ،بجد هيبقا تحفة، بس اعمل ايه بقا الست مريم واضح انها مستعجلة وهتسبقنا .وعلى العكس الست حياة اللي مقفلاها اوي وناوية تبلط في الخط

فغمزت لها مريم وهي تشير ناحية حياة بعينها: لا ماهو واضح كدة ان عقدتها هتنتفك قريب ،ونبقا نسايب

فهتفت سلمى : اوبالاء، ايه الكلام الجديد دة بقا ؟ ما تفهمينا يا ست حياة.

بدا ان حياة كانت في عالمها الخاص بعيدا عن مزاح صديقاتها ولكنها افافت على صوت هالة القلق وهي تنادي باسمها:

حياة! حياة! فيه ايه مالك؟

حياة: هه! مالي!؟

سلمى بنظرات خبيثة: احنا اللي عاوزين نفهم يا ست حياة. يا ترى الكلام اللي بتقوله مريم دة حقيقي؟

حياة باستغراب: كلام ايه؟

سلمى: قال ايه ياختي؟ شكلكم كدة انتي وهية هتبقوا نسايب قريب.

حياة بعدم فهم: نسايب! يعني ايه؟

مريم بنظرة خاصة: ما تحاوليش تخبي علينا يا مريم، كان باين اوي على البشمهندس وليد انه مهتم بيكي طول الحفلة وخصوصا اصراره انه يوصلك بنفسه.

حياة باستنكار: انتي بتقولي ايه يا مريم؟ بلاش كلام فارغ. بقا عشان الراجل قام بحركة جدعنة معايا بيقا خلاص بقا واقع في دباديبي؟

مريم: لا يا حبيبي . بس الواد كان باين عليه هيمان اوي.

فصاحت حياة في صديقتها بغضب: مريم ! لو سمحتي.

فتدخلت سلمى بروحها المرحة لتهدئة الاجواء: جرى ايه يا حياة؟ اكيد مريم مش تقصد اي حاجة غلط. ويا ستي ما تزعليش لو الواد مز فعلا زي أخوه كدة سيبه لاختك الغلابة وانا أدعيلك ربنا يسعدك دنيا واخرة. بس انتي ما تقفلهاش اوي كدة يعني و ترفضي العرسان واحد ورا الثاني عمال على بطل . قربتي تعنسي يا هبله.

ترقرقت الدموع في عيني حياة ولم تستطع الرد على صديقتها وعندما شعرت بأن الدموع كادت تحرق مقلتها تركت الجميع مبتعدة في خطى سريعة.

فنظرت حياة لسلمى وقالت لها لائمة: ليه كدة بس يا سلمى انت عارفاها حساسة زيادة عن اللزوم

فقال سلمي وبدا انها تشعر بداخلها بنوع من تأنيب الضمير: والله ما اقصد حاجة . انا كنت بهزر. ومش شايفة اني قلت حاجة غلط.

مريم وهي تم بالنهوض: طب عن اذنكم يا جماعة انا هروح اشوفها.

وبالفعل ذهبت مريم الى حيث كانت تقف حياة بعيدا وهي تحاول ان تكفكف دموعها فملست على رأسها بخنان وسألتها: فيه ايه يا حياة؟ مالك؟ معقول الكلام اللي قالته سلمي هوة اللي زعلك اوي كدة؟

حياة في محاولة يائسة منها لرسم ابتسامة على وجهها: لا ابدا. انا بس اللي افكرت حاجة كدة ضايقتني.

مريم بشك حيث بدت انها لم تقتنع بكلامها: طب خلاص انا مش هضغط عليك عشان تقولي اللي جواكي بس في اي لحظة تحسي فيها انك محتاجة لحد تتكلمي معاه هتلاقيني موجودة. صحيح انا اصغر منك، بس اكيد هفيدك.

حياة بابتسامة مصطنعة: اكيد طبعا يا مريمومة لو فيه حاجة هقولها لك على طول

مريم: ياريت يا حياة ياريت.

في فيلا يوسف جلال الذي كان يقف مع أخيه وعمته التي ترتدي جلباب أسود كباقي نساء الصعيد وبجوارها ابنتها ذات السبعة عشر عاما و بعينيها العسلية وشعرها الاسود العجري المموج وهي ترتدي على النقيض بلوزة ضيقة حمراء فاقع لونها تعلو تنورة قصيرة ذات الوان زاهية عديدة، وجه وليد سؤاله ليوسف متجاهلا كل محاولات هدى ابنة عمته للفت انتباهه اليها: وياترى يا يوسف، هتقعد كثير في البلد؟

يوسف: لا مش كثير ان شاء الله. هية كلها يومين هقضي فيهم المصلحة اللي قلتلك عليها وارجع على طول.

فقالت هادية عمتهما بلهجتها الصعيدية منتهزة الفرصة: طب ما تيجي انت كمان يا ولدي تجعدلك يومين وترجع مع اخوك.

فقلت هدى بلهفة بلهجة قاهرية قد تعلمتها فقط لارضاء وليد الذي بالطبع لم يبالي بالامر: اه والنبي يا وليد، تعالى معانا، انت اديلك زمان مش بتيجي البلد وفيه حاجات كتير عاوزة اوريهالك.

وليد معتذرا بتهذيب: معلىش بقا . خليها المرة الجاية، اصل مش هينفع انا ويوسف نسيب الشركة في نفس الوقت.

هدى: طب هتيجي امتي؟

وليد: قريب ان شاء الله. بمجرد ان يوسف يخلص المصلحة بتاعته اكيد هتيجي احنا الاتنين.

هادية وقد انتابها بعض الشك: مصلحة ايه يا ولدي اللي عم تتحدثوا عنيه؟

فتبادل كل من يوسف و وليد النظرات في صمت وريبة ثم قال يوسف لعمته: خير يا عمتي . اكيد هتعرفيها ان شاء الله بس لما اجتمع مع اعمامي الاول.

: انت بتجول ايه يا يوسف؟

كان هذا الصوت الغاضب هو صوت احد عمي يوسف واسمه حسين وكان أكبرهم وهو كما يسمونه "كبير العيلة" وقد هب واقفا فور سماعه للخبر الذي أعلنه يوسف ،اما عن هادية وأخيها الاصغر فقد صدمهما الخبر لدرجة منعهما من التعليق.

ويوسف وقد كان يجلس بكل هدوء حيث توقع ردة الفعل هذه: بقول اللي سمعته يا عمي . انا كتبت كتابي على حفيدة عبدالرءوف الكامل.

حسين: وكمان بتكررها جدامي وانت مش مكسوف؟

يوسف: واتكسف ليه يا عمي ؟ انا لا عملت حاجة عيب ولا حرام.

حسين: بس اتجوزت بنت الراجل اللي رفض انه يتجوز عمته، ناسبت الناس اللي رفضوا انهم يناسبونا.

يوسف: الراجل دة مات خلاص يا عمي . وانا مش هاخذ بنته بذنبه، وكمان المسألة دي انتهت من زمان، وما تنساش ان عبدالرءوف الكامل دلوقت بقا شريكى ومن قبل كان شريك ابويا الله يرحمه والعداوة اللي بيننا انتهت من زمان .
فنظر حسين الى هادية وسأها: وانتي ايه رأيك يا هادية في الكلام اللي بيجوله ولد اخوكي؟ يا ترى موافجة ع الجواز دة دي؟

فسبقها يوسف قبل ان تنطق بكلمة واحدة: انا اسف يا عمي. بس انا ما كنتش جيت هنا عشان اخد موافقة حد. انا خلاص زي ما قتلتم كتبت الكتاب. انا بس جيت عشان كنت عشمان ان الفرحة يتم هنا في البلد وسط عيلتي واهلي مع ان كان قدامي اني اعمله في اكبر فندق في القاهرة بس انا فضلت انكم لازم تشاركوني فرحتي لكن لو مش موافقين ببقا خلاص .

ونفض يوسف مستعدا للرحيل وقبل ان يتوجه ناحية الباب نادته هادية: يوسف! استنا يا ولدي. ودي معجولة برديك ان يكون اهلك موجودين وانت تعمل فرحك بعيد عنهم؟

يوسف: يا عمي انتو اللي مصرين تعيشوا في الماضي ومش راضيين تنسوا العداة القديم اللي بينكم وبين عيلة الكامل .
هادية: فرحك يا ولدي لازم يتعمل هنا ويكون اكبر فرح اتعمل في البلد كالاتها.

حسين: انتي بتجولي ايه يا هادية!؟

هادية بنبرة خاصة لم يفهمها غيرها: بجول اللي لازم يحصل يا خوي. دة فرح ولدنا زينة الشباب اللي كلنا كنا بنتمناه ، وعروسته الي هوة اختارها هتبجا زينة البننة ولازم نشيلها في العين وع الراس كمان.

ثم وجهت حديثها ليوسف: بس انا سمعت يا ولدي انها اتربت في اروبا يعني لا تعرف عاداتنا ولا تجاليدنا ومش بعيد كمان تكون بترطم باللنجليزي يبجا ازاى هتجدر تعيش معاها؟

يوسف بثقة: لا من الناحية دي اطمني يا عمي. مريم بتتكلم عربي زينا ويمكن احسن كمان، دة غير انها محجة ومتدينة. اما موضوع عاداتنا وتقاليدنا دة فأكيد شوية بشوية هنتعود عليه.

حسين: وانت تدرى منين بجا انها مش هتحن لأصلها وتعمل زي ما ابوها عمل في السابح وتسيبك وتهرب؟ مش
بيجولو العرج دساس؟

يوسف: لا يا عمي .هية مش ممكن تعمل كدة. وانا اصلا مش هسمحلها انها تفكر في حاجة زي دي .والا اقسم بالله
اخرها عندي حفرة اتاويها فيها

حسين: طب ليه؟ ما من الاول يا ولدي تسيبك منيه الموضوع الواعر دة.

يوسف: للأسف مش هينفع يا عمي، انا خلاص مشيت خطوة فيه ومستحيل ارجعها تاني . وكمان انا ادبت كلمة
لجدها ويستحيل اطلع صغير ادامة، بس انتو ادعولي بس

حسين مستسلما: هيبه هنجول ايه بجا بعد كدة؟ ربنا يتمملك على خير يا ولدي؟ ويا ترى نويت تعمل الفرحة ميني؟
يوسف: ان شاء الله بعد شهر

حسين: طيب على خيرة الله. والى مبروك يا ولدي

ثم مد يده للتهنئة فصافحه يوسف وكذلك فعل عمه الاصغر سليمان وهادية التي كانت تقول في نفسها وابتسامة
صفراء ترتسم على شفثيها: اخيرا يا حمدي جه الوجت اللي راح اخذ بتاري منيك. صبرك عليا يابنت حمدي الكامل.

الفصل السابع :

* ما سر اهتمامه؟*

عادت مريم الى الفيلا في وقت الغروب لتجد جدها يجلس أمام طاولة في الحديقة يتناول فنجانا من القهوة يتأمل في منظر الشمس وهي راحلة وكأنه يشبهها بعمره الذي على وشك الانتهاء. وقفت مريم للحظات تنظر الى جدها من بعيد في حزن فهي حقا تخشى أن تفقده ولا تتصور العالم من دونه خاصة بعد وفاة أبيها. كانت مريم تنوي الذهاب الى غرفتها مباشرة دون ان تقطع على جدها تأملاته ولكنها عدلت عن ذلك وقررت الذهاب اليه: السلام عليكم

قالتها مريم بصوت مرح وهي تحيط رقبة جدها بيديها وتضع قبلة حنونة على خده ،فابتسم عبدالرءوف وهو يرد: وعليكم السلام. حمدالله على سلامتكم يا مريم. عملي ايه في الامتحان؟

أجابت مريم وهي تجلس على كرسي أمامه في نشاط: الحمد لله يا جدو. زي اللي قبله. أنا ناوية ان شاء الله مش هجيب اقل من امتياز، اصلي ناوية بقا يا سيدي ابي يا اما اشتغل معيدة يا اما افتح سنتر ملابس. وطبعا توفيراً لفلوس جدو حبيبي أنا بقول ان معيدة أفضل.

فتبسم جدها ضاحكا. فهي الوحيدة التي كانت قادرة على اسعاده بشتى الطرق: يا بنت يا بكاشة انتي عارفة ان كل اللي انتي عاوزاه هعمله سواء كدة او كدة وما تنسيش كمان انك هتبقي مراة يوسف جلال يعني حنة سنتر صغير زي اللي بتتكلمي عليه أكيد مش هيبكون كتير عليك.

هربت الابتسامة من ملامح مريم عندما تذكرت هذا الامر الواقع الذي لم تستطع تغييره. انتشلها صوت جدها من هذا الحزن الذي سيطر عليها فجأة والذي قد لاحظته عبدالرءوف ولكنه قد تعمد تجاهله: على فكرة يا مريم اعلمي حسابك اننا هنسافر البلد الاسبوع الجاي.

مريم مندهشة: البلد! مش فاهمة يا جدو، ليه يعني؟ هو حصل حاجة؟

عبدالرءوف: لا. مفيش حاجة حصلت، الحقيقة انا و يوسف اتفقنا اننا نأجل الكلام في الموضوع دة معاكي حد ما تخلصي امتحانات.

جذب ذكر اسم يوسف انتباه مريم، فاسمه دائما كما تعتقد مرتبط بوقوع مصيبة لها، استطرد عبدالرءوف حديثه بعد ان حصل منها على الاهتمام الذي كان يريد: يوسف اقترح عليا اننا نعمل الفرح في البلد وانا وافقت لأن حاجة زي كدة هترد اعتبارنا في البلد بعد اللي عمله حمدي الله يرحمه وخصوصا انه هيبان لأهل البلد كلهم ان هما اللي طلبوا النسب.

مريم بضيق: بس ياجدوا ازاى يعني؟ انا لسة اصلا مش اخترت الفستان وكمان كنت ناوية اتفق مع بيوتي سنتر معروف هنا اصحابي قالوا عليه كويس دة غير القاعة اللي كنت ناوية أختارها.

عبدالرءوف: كل دة سهل ترتبيه، الفستان وقدامك اسبوع كامل تقدري تختاربه فيه، اما بالنسبة للبيوتي سنتر قوليلنا على اسمه واحنا هنتفق مع صاحبه عشان يبعثنا على البلد فريق عمل من عنده يوم الفرح. وبخصوص القاعة فأعتقد ان ملهاش لزوم وهيعجبك اوي شكل الفرح على الطريقة الصعيدي. قلتي ايه بقا؟

مريم بابتسامة مريرة: وهو انت يا جدو خيليتلي حاجة اقدر اقولها؟ ولا انت هتقبل مني اي اعتراض؟

نظر اليها عبدالرءوف بحنان: يا مريم يا بنتي انا عاوزك تثقي تماما اني عمري ما هعمل حاجة الا وفيها مصلحة، واني لو كنت شاكك ان يوسف مش هيقدر يسعدك انا عمري ما كنت هفكر ابدا اني اجوزك ليه. وانتي هتتأكدي من دة بنفسك بعد جوازكم.

فقلت مريم دون اقتناع بداخلها: ياريت ياجدو؟

في احدى المحلات الشهيرة لبيع فساتين الزفاف كانت تتجول مريم مع صديقتها حياة لاختيار فستان مناسب لترتيبه ليلة الفرح، فقلت حياة بتأفف: وبعدين معاكي يا مريم؟ انتي كدة مش هتتجوزي لا الأسبوع الجاي ولا حتى السنة الجاية، دة خامس محل ندخله وانتي ما يعجبكيش اي حاجة.

مريم: ربنا يسمع منك يا حياة والجوازة دي مش تتم اصلا.

حياة وهي تتألم لحزن أعز صديقاتها: انا حاسة بيكي يا مريم. بس مين عارف مش ممكن يوسف دة يطلع فعلا انسان كويس ويقدر يسعدك أكثر من اي حد تاني؟

مريم: انتي بتقولي ايه بس يا حياة؟ انتي مش شايقة من أولها بيعمل معايا ايه؟ على طول كلمته هية اللي ماشية ومش بيقبل بأي نقاش او اعتراض على قراراته. اذا كان بيعمل كدة وانا لسة قاعدة مع جدو فما بالك بقا لما ابقا عايشة معاه تحت سقف واحد؟

ثم عادت اليها روح التحدي وهي تكمل: لكن لو كان هو فاكر انه هيتجوز واحدة علنياها مش هتقوله غير طيب وحاضر بيقا غلطان. لأن انا بقا مش ناوية ابقا أمينة لسي يوسف زي امينة لسي السيد.

حياة: ربنا يستر . انتي ناوية على ايه يا بنت حمدي الكامل؟

مريم بغموض: ولا حاجة .المهم بقا طبعا انتي هتسافري معانا.

حياة: لا طبعا مش هينفع. بابا وماما مش هيوافقوا.

مريم بامتعاض: ليه بس . هو انتي مش ليكي اهل عايشين هناك؟

حياة: اه طبعا، انا كل اهل بابا هناك ،بس مش هينفع اقعد عند حد منهم لأن كل عيلة فيها شباب ، وطبعا بابا مش هيقبل بكدة.

مريم: طب مانتي ممكن تقعدي معايا انا وجدو في الفيلا وانتي عارفة ان انا وجدو هنبقا لوحدنا. وأكد طبعا باباكي مش هيخاف عليك من جدو يعني

حياة: مش عارفة بقا يا مريم.

مريم بتوسل: ارجوكي يا حياة، انا معرفش اي حد هناك ، وكفاية عليا ان ماما مش هتحضّر الفرح، وانتي عارفة ان مش ليا اصحاب غيرك. بليز حاولي تقنعي عمو وانا كمان هاجي معاكي واحاول اقنعهم بنفسي.

فاحتضنتها حياة وهي تحاول ان تهدأ من احساس الخوف الذي شعرت به قد انتاب مريم: حاضر يا مريم ، انا هحاول معاهم . وان شاء الله هيوافقوا ،وما تخافيش كدة بقا. ان شاء الله هيتعملك اجمل فرح في الدنيا .ورينا يسعدك يا قمر.

جلس يوسف على طاولة في حجرة بجوار مكتبه تتصل به عن طريق باب داخلي بينهما .كان يراجع بعض الاوراق مع اخيه وليد حتى انتهيا فقال يوسف بارهاق: ايه يا بني؟ مش كفاية كدة ؟

وليد مازحا:الله! مالك يا عريس؟ انت تعبت ؟ تحب نلغي الجواز دي ولا ايه؟

يوسف بضيق: ما تلم نفسك يابني. انا فعلا بالي مشغول شوية.

وليد باهتمام: خير يا صاحبي؟! ما ترمي حمولك عليا.

ربت يوسف على كتف أخيه: مش عارف يا أخي موافقة عمتهك على الجواز دي بسهولة كدة حسستني انها بتدبر حاجة وكل ما ميعاد الفرح بيقترب كل ما قلقي بيزيد. وخصوصا انها صممت ان ليلة الدخلة تتم في البيت الكبير بعد ما جهزت فيلتي اللي هناك، وطبعاً ما قدرتش اعترض احسن تحصل مشكلة تاني.

وليد مطمئناً: ياعم يعني هتعمل ايه يعني؟ سيبك سيبك ولا هتقدر على اي حاجة. ما تخافش وراك رجالة يا صاحبي.

يوسف: ربنا يعدي الفرح دة على خير

وليد: ان شاء الله ربنا هيتمم بخير وتكون ليلة من أجمل الليالي ، وبكرة تقول وليد قاهها، بس يبقا ادعيلي أحصلك في جمعته

يوسف بشك: الله الله. أول مرة يعني أشوفك مستعجل كدة. انت نويت ولا ايه؟

وليد: يعني تقدر تقول كدة اني بدأت أفكر.

يوسف مازحا: طب نقول بركاتك يا ست هدى؟

تغيرت ملامح وليد فجأة ونهض من كرسيه: يوسف انا قتلتك قبل كدة ان عمري ما هفكر في هدى غير انها اختي وبس ، لكن اكر من كدة لا .

وقف يوسف وتوجه ناحية وليد ووضع ذراعه الأيمن حول كتفه: طب يا سيدي ما تزعش اوي كدة. انت عارف ان سعادتك عندي بالدنيا كلها حتى لو هعادي عشانك كل أهلي، بس قولي بقا هي مين سعيدة الحظ دي؟
وليد: اكيد هيجي الوقت المناسب وتعرفها

يوسف: طب ما تقولي دلوقت وانا اروح اخطبها لك حالا. ومين عارف مش يمكن نتجوز في ليلة واحدة. واهو يبقا توفير بردو.

ابتسم وليد لدعابة أخيه ثم قال: لا يا سيدي انا مش مستعجل، خصوصا في موضوع زي دة، وغير اني اصلا مش عارف رأيها هي ممكن يكون ايه؟

يوسف بثقة زائدة: يا عم المهم انت تكون متأكد انك عاوزها، أما رأيها هي فمش مهم .لان مفتكرش اصلا ان فيه واحدة عاقلة تقدر ترفض شاب زيك.

وليد: ليه يعني؟

يرسف: انت مش عارف انت مين وابن مين ولا ايه؟

وليد: شوف يا عم يوسف . انا صحيح بعمل كل اللي انا عاوزة ومش بسمح ان حد يقولي لا . لكن الموضوع دة بالذات لازم يتم بالرضا من الطرفين يا صاحبي. ولا ايه؟

فرد يوسف بنبرة حزينة نجح في اخفائها عن وليد: معاك حق يا صاحبي.

وليد: طب ياللا بينا

يوسف: على فين؟

وليد: هنروح يا عم، مش ناوي تتعشى ولا ايه. واوعى تقولي انك ناوي تسهر برة؟

يوسف: لا سيدي. انا معزوم النهاردة على العشا عند عبدالرءوف الكامل.

وليد مازحا: ايوة يا سيدي بقا. مين قدك؟ هتتعشا مع العروسة.

ففتح يوسف كفه فاردا اصابعه الخمس في وجه وليد: الله اكبر. خمسة وخميسة. اهو نقم دة هو اللي مضيعنا.

وليد ضاحكا: خلاص خلاص ياعم. الله يسهلك، ياللا مع السلامة.

يوسف: طب ما تيجي معايا.

وليد: وابقا عزول؟ لا يا كبير مش موافق. وكمان الدعوة موجهة ليك انت. أما انا بقا فخلاص أخذت على أكل أم

ابراهيم

يوسف: ماشي ، ياللا سلام بقا عشان مش عاوز أتأحر.

وليد: أوك. سلام يا صاحبي.

بالفعل اجتمع يوسف مع مريم وجدها على طاولة الطعام الذي كانوا يتناولونه في صمت، وكان عبدالرءوف ينقل نظره بين الاثنين حيث كان يوسف يجلس على يمينه ومريم على يساره. قرر عبدالرءوف أن يفتح مجالا للحديث بينهما فقال ليوسف دون أن يرفع نظره عن الطبق الذي أمامه: على فكرة يا يوسف. مريم نزلت النهاردة واختارت فستان الفرح .

فتصنع يوسف الفرحة وهو ينظر الى مريم: بجد! طب جميل جدا. وان شاء الله نويتوا تسافروا امتي؟

عبدالرءوف: على حسب ما مريم تجهز. ايه رأيك يا مريم؟

فأجابت مريم وهي مغتظة من نظرات يوسف المراقبة لكل حركاتها وانفعالاتها: أنا جاهزة في أي وقت يا جدو بس لسة لما أشوف رد حياة.

يوسف: حياة! مش دي صاحبتك اللي كانت في حفلة كتب الكتاب؟

مريم: أيوة

يوسف: طب وهية ايه علاقتها بالموضوع؟ ولا انتي مستنية تاخدي الاذن منها؟

اشتعلت وجنتا مريم غضبا والتمعت عينها وكأنها تريد أن ترسل من خلالها شرارات تحرقه: لا. حضرتك انا مستنية ردها
عشان احتمال تسافر معانا.

ظهر على وجه يوسف الفضول الذي لم ترد مريم أن ترضيه، ولكن قد تولى عبدالرءوف الامر فقال موضحا ليوسف مما
أزعج مريم كثيرا: أصل يا سيدي . حياة دي تبقا أعز صاحبة عند مريم. وبما انها ما تعرفش حد في البلد، فعرضت على
حياة انها تسافر معاها عشان ما تحسش انها لوحدها وخصوصا ان اهل حياة اصلا من البلد عندنا. ماهي بنت محمود
البدرى، مانت عارفه.

يوسف مستفههما: دة مدير الحسابات عندي في الشركة؟

فرد عبدالرءوف مؤكدا: أيوة هو دة.

فسأل يوسف مريم: هوة انتي مش قلتي لمامتك على ميعاد الفرح؟

صدمها السؤال لدرجة أنها لم تستطع الرد. وكالعادة قد أجاب عبدالرءوف بالنيابة عنها: للأسف. اعتذرت.

شعرت مريم بالدموع تحرق عينيها ولكنها خشيت أن يراها يوسف فقالت وهي تضع الملعقة التي في يدها على الطاولة
بصوت جعلته يبدو ثابتا بقدر استطاعتها: الحمد لله. عن اذنكم، انا هستناكم في الصالون.

ونحضت من كرسيها محاولة الهروب ولكنه قد ضن عليها بذلك . حيث نهض هو الاخر وهو يقول: الحمد لله. خديني
معاكي .أنا كمان شبعت.

كادت مريم ان تقتله في تلك اللحظة بلهيب عينيها، ولكنه لم يلاحظ ذلك بل انشغل مع عبد الرءوف الذي قال: وانا
كمان شبعت، روحي يا مريم قولي لام شهد تجيبلنا القهوة في الصالون عقبال ما نلعب أنا ويوسف دور شطرنج. جاهز

يا بطل؟

أمسك يوسف بيد عبدالرءوف يساعده على النهوض والابتسامة تعلو وجهه وهو يقول: أنا دائما جاهز.

وبالفعل جلس ثلاثتهم في حجرة الصالون ،يوسف وعبدالرءوف يلعبان الشطرنج ومريم تجلس بجوار جدها تتابع بصمت و تركيز ولم تستطع اخفاء اعجابها بذكاء يوسف في اللعب. ظلوا هكذا فترة من الزمن عندما علا صوت الهاتف في القاعة الخارجية فقامت مريم لتجيب عليه، وغابت بعض الوقت ،وعندما عادت بدا التغيير واضحا على ملامحها،فقد كان الحزن يبدو جليا في نظرات عينيها، وكان يوسف أول من لاحظ ذلك. فسألها باهتمام: فيه ايه؟ مين الي كان على التليفون؟

فردت مريم وهي تمنع دموعها من السقوط: حياة قالت ان باباها مصمم ان مش هينفع تسافر معنا لوحدها وكمان مش هينفع تبات بعيد عنهم.

فقال عبدالرءوف مهدئا حفيدته: طب ما تزعليش يا حبيبي .انتي عارفة ان يصعب عليا اشوفك زعلانة كدة

مريم وقد اختنق صوتها بالبكاء: يا جدو اشعنى انا اللي مكتوب عليا اني اعمل فرحي ومش يكون جنبي اي حد من الناس اللي بجبهم

ففتح عبد الرءوف لها ذراعيه وقد اسرعت على الفور لتلبي دعوته حيث ارتقت في حضنه وهي تجهش بالبكاء ،فأخذ عبدالرءوف يمسح على رأسها وهو يقول: وهو انا مش كفاية يا مريم؟

مريم: ربنا يخليك ليا يا جدو. بس بابا وربنا اختاره ودي مقدرش اعترض عليها. اما بقا ماما ليه ترفض تحضر فرحي؟ كل دة يعني عشان انا رفضت اعيش في نفس العالم اللي هية عايشة فيه؟ حتى صاحبي الوحيدة .أهلها مش موافقين انها تبقا معايا؟

وقد غلبتها الدموع مرة أخرى فألجمت لسانها، أما يوسف فلأول مرة بدا أنه يتعاطف معها ، وقد اجتاحتها رغبة شديدة لأن يأخذها في حضنه ليشعرها بالأمان ، ولكنه قد قاوم تلك الرغبة لأنه يعلم ردة الفعل التي تنتظره، وقد فكر قليلا في الامر الى أن توصل للحل أخيرا فقال بهدوء وهو ينهض مستعدا للذهاب: خلاص يا مريم ، سيبيلي الموضوع دة وانا هحله.

وجهت عينيها التي أغرقتها الدموع بوجهها الشاحب اليه وهي لا تدري أتصدقه أم لا؟ وهل هذا الاهتمام الذي يبدو على وجهه هو اهتمام حقيقي أم انه من وحي خيالها؟

قال يوسف متوجها الى الخارج: عن اذنكم .

فرد عليه عبد الرؤوف بصوت ضعيف وقلب يعتصر حزن حفيدته: مع السلامة يابني .

جلست حياة بجوار مريم في الكرسي الخلفي بالسيارة التي تتوجه بهما الى سوهاج وقد أخبر عبدالرؤوف حفيدته أنه سيلحقهما في المساء بعد أن ينهي بعض الأعمال وقد أبلغها انه قد أعلم الخدم في فيلته بسوهاج بموعد وصولهما وسيكون الجميع بانتظارهما، قالت مريم لحياة وهي تشعر بسعادة بالغة ممسكة بيد صديقتها بقوة: ما تعرفيش يا حياة اد ايه فرحت اوي لما اتصلتي بيا وقولتي ان عمو وافق انك تسافري معانا، بصراحة تغيير جذري ما كنتش متوقعا.

فسألته حياة وقد علت الدهشة وجهها: ما كنتيش متوقعا؟! ليه ؟ هو يوسف ما كنتش قالك؟

لم تقل دهشة مريم عن حياة فسألته: يوسف؟! طب ويوسف ايه علاقته بالموضوع؟

حياة: ازاى بقا؟ ما هو اللي اقنع بابا انه يسمح لي باني أحضر الفرح، دة كمان عطى لبابا أجازة أسبوع عشان يكون هو وماما وأخوية كريم معايا في البلد، و مش هيكون فيه داعي اني ابات لوحدي بعيدة عنهم. وطبعا بابا ما صدق لانه بقاله أكثر من خمس سنين تقريبا مش نزل البلد، فقال اهي فرصة بالمرّة، وانا كمان انتهزت الفرصة وتحايلت على بابا لحد ما سمحلي اني اسافر معاكي في عربيتك

مريم: معقولة؟! غريبة يعني!

حياة وهي تحاول التظاهر بالضيق: اخص عليك يا مريم، بقا غريبة يعني اني اسافر معاكي في عربيتك؟!!

مريم: لا يا حبيبتي طبعا، أنا اقصد ان موقف يوسف هو اللي غريب، ايه اللي يخليه يعمل كدة ، وهو مش بيفوت أي فرصة عشان يضايقني فيها.

حياة مداعبة صديقتها: اوبابااا. يبقا شكله كدة وقع يا معلم.

مريم: يااااه. دانتي علنياك اوي، مش يوسف جلال يا ماما، هو عمره ما هيعمل كدة الا لو كان ليه مصلحة من وراه.

حياة: يا شيخة حرام عليكي. والله شكلك ظالمه.

مريم: ظالمه! مش بقول انك علنياك؟ وبكرة تقولي ان مريم قالت.

الفصل الثامن :

أنا ملاذك

كان عبدالرءوف الكامل يجلس أمام مكتب يوسف الذي جلس خلف مكتبه ويستمع الى عبدالرءوف وهو يشكره:
اللي عملته دة يابني يبين أد ايه انت انسان أصيل ويخليني متأكد أكثر ان اختياري كان في محله
فرد يوسف مبتسما: الموضوع ما يستاهلش كل دة يا عمي.

كان عبدالرءوف قد بدأ يعتاد على لقب عمي من يوسف بعد كتب كتابه على مريم فكان هذا هو اللقب الوحيد الذي
يتناسب مع الوضع الجديد، فقال عبد الرءوف بنبرة بها بعض الحزن: لا يا بني يستاهل . انت ما تعرفش مدى ارتباط
مريم بصاحبها حياة . هي تقريبا أول واحدة تتعرف عليها من أول ما جات مصر وخصوصا بعد ما فشلت محاولاتي في
التقريب بينها وبين عمتها. معرفتها بحياة فرقت معاها كتير أوي وخصوصا ان البنات فعلا كويسة ومحترمة وكان غيابها يوم
الفرح ممكن يآثر كتير على مريم.

قال يوسف محاولا تغيير دفة الحديث: المهم. هما خلاص سافروا؟

عبدالرءوف: أه وزمانهم قربوا يوصلوا . انا طلبت من مريم انها تكلمني أول ما توصل.

يوسف: طب وحضرتك؟ هتسافر امتي؟

عبدالرءوف: انا هخرج من عندك وأطلع ع المستشفى هقابل الدكتور جمال وبعدين هسافر على طول.

يوسف بقلق: انت نويت خلاص؟

عبدالرءوف: بعد الفرحة على طول ان شاء الله وأول ما اطمئن على مريم. أرجوك يا يوسف خلي بالك منها.

فوضع يوسف يده على كف عبدالرءوف ليطمئنه وهو يقول: ما تقلقش . بس انت لسة مصر ع الموضوع دة؟

فهم عبدالرءوف ما يرمي اليه يوسف فقال: دة الحل الوحيد اللي أدامي عشان أبقا مطمئن على مريم وكمان على وردة عمتها. انت عارف اني لو سبت الامور زي ما هية عايمة كدة مش بعيد أرجع والاقى كل حاجة خربت . وكمال بقا يعمل ما بداله.

يوسف: اللي تشوفه.

في تلك اللحظة سمع الاثنان طرقا على الباب فقال يوسف: ادخل

دخل وليد وقد ابتسم فور رؤيته لعبدالرءوف: أنا أسف كنت فاكرك لوحداك. ازيك يا عبد الرءوف بيه. هبقا أجيلك بعدين بقا يا يوسف.

وقبل أن يتوجه مرة أخرى ناحية الباب أوقفه صوت يوسف: استنى يا وليد. مفيش حد غريب . تقدر تقول اللي عندك.

فقال عبد الرءوف لوليد باسمًا: جرى ايه يا باشمهندس؟ مش عاوز تقعد معايا ولا ايه؟

فقال وليد محرجًا: يا خبر. ودي معقولة بردو؟ انا قلت انكم ممكن تكونوا بتتكلموا في موضوع مهم ولا حاجة.

عبدالرءوف: لا يا سيدي، أنا خلاص كنت ماشي.

وليد ضاحكا: ليه بس؟ هو زي ما بيقولوا ولا ايه. اذا حضرت الشياطين يعني؟

عبدالرءوف وهو ينهض من كرسیه: ما تقولش كدة يابني. ربنا بيارك فيكم. انا فعلا كنت ماشي دلوقت عشان عندي شوية مشاوير وبعديها سفر للبلد. أستأذن أنا بقا دلوقت واسيبكم تكملوا شغلکم.

ونَهَض عبدالرءوف من كرسیه وكذلك فعل يوسف الذي كان يستعد لمصافحته وتوديعه وهو يقول: أولك، بس ما تنساش تبقا تتصل بيا وتطمني.

فأوميء عبدالرءوف برأسه موافقا ثم غادر المكان . وعندما اطمأن يوسف أنه أصبح هو وأخوه وليد وحدهما بالملكتب، جلس يوسف على كرسیه ونظر الى أخيه مستفسرا: خير ياسي وليد؟

وليد: انا سمعت انك اديت اجازة اسبوع لاستاذ محمود البدري مدير الحسابات. مع انك عارف كويس احنا اد ايه محتاجينه في الفترة دي.

يوسف: معلش يا وليد خلي مدحت يحل محله الاسبوع دة.

وليد بقلق: ماشي. بس ممكن اعرف ايه السبب؟ يعني هو عنده ظروف للدرجادي تستدعي الاجازة دي؟

يوسف: لا يا سيدي. انا عطيته الاجازة عشان خاطر بنته.

وليد بلهفة: حياة! مالها.

لاحظ يوسف مدى اهتمام أخيه ولطفته وقرر أن يسجل ذلك في ذاكرته، ثم أجاب وليد متعمدا ان يبدي عدم اهتمامه: ملهاش يا سيدي، كل ما في الأمر ان مريم كانت عاوزة حياة تحضر معاها الفرح ولان ابوها عمره ما كان هيرافق انه يسيب بنته تسافر لوحدها فاديتله هو كمان اجازة اسبوع، ويا سيدي اهي مرة من نفسه. مانت عارف ان اديله كتير مش بياخد اجازات.

وليد بابتسامة ودون ان يدري فلت منه السؤال: يعني حياة دلوقت في البلد؟

فقال يوسف وهو يحاول أن يكتف ضحكته: اه يا سيدي. ليه كنت عاوزها في حاجة؟

أفاق وليد من شروده وعلم مدى الخطأ الذي أوقع نفسه فيه: هه، لالالا. أنا بس كنت بسأل احنا امتي هنسافر؟

يوسف متصنعا جهله بالامر: هنسافر فين وليه؟

وليد: جرى ايه يا عم يوسف؟ البلد طبعاً. هو انت مش عندك فرح هتجهزله ولا ايه؟

يوسف: انا مش هروح غير يوم الحنة . واعمامك هيقوموا بالواجب. وانت كمان لو شايف ان مش وراك شغل مهم ممكن تسافر من النهاردة ع الاقل تكون متابع معاهم وانا اكون مطمئن.

فهب وليد واقفا: طب عن اذنك بقا.

يوسف: على فين؟

وليد: ع البلد طبعاً. هو انت غيرت رأيك ولا ايه؟

يوسف: لا يا كبير. بس بيقا طمني لما توصل وبلغني بالجديد.

وليد وهو يغادر: اوك يا boss سلام

يوسف: سلام.

وبعد مغادرة وليد قال يوسف محدثاً نفسه بصوت عال نسبياً وهو يتسّم: ربنا يسعدك يا صاحبي.

في فيلا عبدالرءوف الكامل بالصعيد كانت مريم تقف مع صديقتها حياة في الصالون لاستقبال ضيوفها وهن هاديات وزوجتي أخويها وابنتها هدى فقالت مريم وهي تمد يدها لمصافحة هادية: أهلاً وسهلاً. ازي حضرتك

صافحتها هادية وهي تدقق النظر اليها من قمة رأسها الى أخمص قدميها وهي تقول لها من بين أسنانها: أهلاً بيكي يا بنيتي. نورتي البلد. انا هادية عمّة يوسف ودي سعاد مرآة أخوي حسين والثانية جميلة مرآة أخوي سليمان

صافحت مريم الامراتان ولم تغادر الابتسامة وجهها، وعندما وصلت الى هدى بدأت هادية في تقديم ابنتها وهي تقول بتفاخر: ودي بجا بنيتي هدى واللي ان شاء الله هتبعنا سلفتك.

صافحت مريم الفتاة وقد لمست منها نفس موقف والدتها العدائي وهي تقول بعدم فهم: سلفتي؟!!

هادية موضحة: ايوة، اصلها من زمان وهية مكتوبة على اسم ولد خالها وليد، وبعد ما تخلص علامها هنزفهم طوالي.

مريم: اه. الف مبروك وربنا يتمم بخير.

حاولت جميلة تهدئة الأمور بين الاثنين فسألت مريم بعد أن عادت من الخارج حيث ذهبت لتطلب لهم بعض المشروبات: الا جوليلي يا بنيتي. هية فين عمتهك؟ مش المفروض انها تكون جنبك دلوجيت؟

فردت مريم بتوتر: هية هتوصل ان شاء الله بعد يومين. اصلها مشغولة شوية. وكمان انا معايا حياة مش بتسيبني خالص تقريبا، غير ساعة او اتنين بس عشان تروح تشوف باباها ومامتها. وعمتي بقا ربنا يكون في عوننا. أكيد اول ما هتفضي هتيجي.

هادية: صحيح، ع الاجل عمك مفيش لوم عليها. اللوم كله على الام اللي سايبه بتها اكدة لوحدها يوم فرحها.

ترقرقت الدموع في عيون مريم ولم تستطع الرد، وكالعادة تولت جميلة مهمة تغيير وجهة الحديث فقالت وهي تنظر ناحية حياة: الا جوليلي يا بنيتي، مش انتي برديك بنت الاستاذ محمود البديري؟

حياة بابتسامة رقيقة: ابوة يا طنط

جميلة: بسم الله ما شاء الله. تبارك الله فيما خلج. والله كبرتي يا حياة وبيتي عروسة زي الجمر.

حياة باستحياء: متشكرة يا طنط.

لم يعجب هادية طريقة جميلة في تغيير الحديث فأعدت الكرة مرة أخرى في مضايقة مريم وسألتها: وياترى بجا يا مريم انتي طالعة حلوة اكدة لامك.

مريم باحراج: فعلا يا طنط انا فيا شبه كبير أوي من ماما.

هادية بشماتة واضحة: ع العموم يا بنيتي ماهي مش بالحلاوة برديك. انا عرفت ان ابوكي طلج امك بعد جوازهم بتلات سنين. يعني الموضوع ما كنش يستاهل انه يعادي أهله لاجل خاطرها .

مريم بصوت هادىء في محاولة مستميتة لتجنب الشجار معها: ع العموم، دة كان قسمة ونصيب يا طنط، واللي حصل حصل. وما حدش يقدر يغيره.

وقبل ان تبدأ هادية من جديد في محاولة استفزاز مريم قالت سعاد وهي تم بالوقوف: طب يا بنيتي ، نستأذن احنا بجا ، ولو احتجتي اي شيء احنا موجودين، انتي خلاص بجيتي مننا وأمرك يهمننا.

هادية بغیظ وهي تنهض بدورها: معلوم، مش هتتجوز زينة شباب عيلة سليم؟

شكرت مريم سعاد وصافحت الجميع وقامت بتوصيلهم حتى البوابة الرئيسية للفيلا، وعندما عادت كانت تغلي من الغضب فلاحظت حياة ذلك، فحاولت التخفيف عن صديقتها: معلى يا مريم، ما تنسيش بردو ان باباكي الله يرحمه رفض انه يتجوزها وفضل مامتك عليها. فعادي انها تعمل كدة واكثر.

مريم وقد هدأت قليلا: عندك حق. والحمد لله اصلا ايني مش هقعده هنا في البلد لاني كل ما بتيجي عيني في عين أي حد هنا بحس فيها بلوم وعتاب صحيح مش ليا بس حتى لو لبابا فأنا مش هقدر أستحملها.

فريتت حياة على كتفها موسية: ولا يهملك يا قمر. الزمن أكيد هينسي، وخلص انتي بجوازك من يوسف هتمحي كل اللي فات والناس مش هتفتكر غير انك مرارة يوسف جلال اللي صيته في البلد هنا ولا العمدة نفسه.. وبعدين بقولك ايه بقا؟ انا زهقت خلاص من الحبسة دي، واديلي كثير ما شفتش البلد، فايه رأيك لو نخرج ونتمشى شوية، صدقيني البلد هتعجبك أوي.

مريم: اوك، وانا موافقة، بس ثواني هستأذن من جدو الاول.

ذهبت مريم الى حجرة المكتب حيث كان جدها يجلس ويقراً في أحد الكتب سلمت مريم عليه فسألها بقلق: طمئيني يا حبيبتى، عملوا ايه الضيوف معاكي، وبالذات هادية كان ايه رد فعلها لما شافتك، معلى بقا سيبتك تقابليهم لوحدهك لان دي عادات وتقاليد احنا مش هنقدر نكسرهما. ولو عمته كانت هنا كانت بقت معاكي في موقف زي دة.

فقلت مريم وقد قررت اخفاء الحقيقة عن جدها حتى لا تزيد من قلقه: ولا يهملك يا جدو، حفيدتك قدها وقودود. والناس بصراحة كانوا كويسين اوي معايا وأنا كمان حبيبتهم أوي.

فتهد عبدالرؤف بارتياح: طب الحمد لله. طمئيني.

مريم: طب بقا يا سي جدو، أنا كنت جاية عشان استأذنك نخرج أنا وحياة شوية، اهو مننا نغير جو وكمان أتعرف على البلد، قلت ايه؟

عبدالرؤف بقلق: هتخرجوا لوحدهم؟

مريم: وفيها ايه يا جدو؟ ماهي حياة عارفة البلد حنة حنة يعني مش هنتوه.

عبدالرءوف: اوك يا حبيبتي، بس ما تتأخروش.

مريم بسعادة: حاضر يا جدو

وقبلت خد جدها ثم رحلت، وبالفعل خرجت الاثنتان وأخذتا تتجولان في القرية، وهناك بعض الناس ممن كانوا يتذكرون حياة يحيونهما وبالطبع يبدون مدى اعجابهم بجمال مريم ويندهشون فور علمهم بحقيقتها، ظلنا هكذا لوقت طويل حتى حل المساء وكانتنا تتمشيان بمحازاة ترعة محاطة بالاشجار فقالت مريم بتعب: خلاااص يا حياة، انا بجد تعبت وجعت اوي

فقالت حياة موافقة صديقتها: وانا كمان، ياللا بينا نروح.

وهما في طريقهما عائدتين سمعتا صوت منبه سيارة من بجوارهما، فتوجهت أنظار الفتاتين نحوها لتجدا انها سيارة وليد الذي قد أوقفها ونزل منها وبعد ان سلم عليهما، سأل: انتوا رايجين فين؟

فأجابت مريم: حياة كانت بتفرجني ع البلد

توجه نظره الى حياة التي كانت تتجنب نظراته بخجل: بجد؟! وياترى عجبتك؟

مريم بفرحة: اه طبعاً، عجبتي جدا، انا اصلا اول مرة ازور الريف وبصراحة عجبني شكل الخضرة والهدوء وكمان اكثر حاجة عجبني اذ ايه هنا الستات متعاونة جدا مع الرجالة تحس ان فيه نوع خاص من التفاهم بينهم مش موجود في المدينة.

حياة مؤكدة: دة حقيقي يا مريم. اصلا هنا هتلاقي المعنى الحقيقي للتعاون والمساواة بين الرجل والمرأة، كل واحد فيهم عارف واجباته قبل حقوقه ويقوم بيها على أكمل وجه.

وعندما اختلست النظر الى وليد وجدت عينيه ممتلئة بنظرات الاعجاب مما جعل خذاها يحمران خجلا، في الحقيقة كانت تلك هي المرة الاولى التي يتجاهل فيها أحدهم مريم بجمالها الطاغي لينظر الى فتاة اخرى حتى وان كانت في جمال حياة الشرقي الأخاذ، مما جعل حياة تقول لمريم بضيق: مريم! احنا مش هنمشي بقا؟

فوجهت مريم اعتذارها لوليد: طب معلش بقا يا باشمهندس. عن اذنك عشان مش عاوزين نتأخر.

وليد: طب مانا ممكن أوصلكم بالعربية بدل ما تمشوا كل دة.

فأسرعت حياة بالفرض: لالالالا. مفيش داعي اننا نتعب حضرتك، وكمان الطريق مش طويل.

وليد: اولاً مفيش تعب ولا حاجة. ثانياً ذوقيا انا مش ممكن اسبيكم ترجعوا لوحكم في الوقت دة. ثالثاً بقا ودة الأهم

ان مريم هتكون معانا دة لو كنتي يا ستي خايفة مني يعني.

حياة: ارجوك ما تفهمنيش غلط. انا ما كنتش قصدي.

وليد: ولا يهملك، حصل خير. ياللا بقا يا ستي عشا ما تتأخروش فعلا.

ركبت الفتاتان في الكرسي الخلفي بالسيارة وتولى وليد بالطبع القيادة، ظلوا هكذا في صمت الى ان قال وليد ليفتح

مجالاً للحديث: على فكرة يا مريم. يوسف قالي انه مش هيبجي غير يوم الحنة بس انا هنا مكانه، يعني اي حاجة

تحتاجيها هتلاقيني في الخدمة.

مريم: متشكرة اوي يا وليد. اكيد طبعا، انت زي اخوية الكبير.

وليد موافقاً: طبعا دة شيء يشرفني. وربنا يتملككم بخير.

مريم: ثانكس. وعقبالك.

نظر وليد الى المرأة أمامه التي كان قد وجهها ناحية حياة منذ ركوبهم السيارة ولكن حياة لم تكن قد لاحظت ذلك

، فقال وليد بسعادة ظاهرة: يارب يا مريم، ادعيلي ترضا عليا.

وقد فهمت مريم ما يرمي اليه ولكنها حاولت الا تبدي ذلك فسألته بابتسامة واسعة بمداعبة: هي مين دي يا عم

العاشق؟

وليد بشرود وهو لا يرفع نظره عن المرأة: اللي بالي فيها.

فغمزت مريم لحياة وهي تقول لوليد: طب ما تقولها يا عم مجنون ليلي انت.

بدا على وجه حياة الضيق الشديد حيث بدأت تفهم الحوار بين الاثنين فقال وليد بأسلوب جاد بعض الشيء: أكيد هيحصل يا مريم. وفي اسرع وقت ان شاء الله. بس ادعيلي انها توافق.

مريم: ومين المجنونة دي اللي ترفض واحد بيحبها بالشكل دة؟!!

وفجأة قالت حياة مقاطعة الحوار في نفاذ صبر وانزعاج: خلاص احنا وصلنا، شكرا يا باشمهندس.

وشكرته مريم هي الاخرى ودعته الى الدخول معهما لمقابلة جدها ولكنه اعتذر وأجل الزيارة لوقت آخر، ثم نزلت هي

اولا وخلفها اسرعت حياة الا ان اوقفهما صوت وليد الذي اسرع خلفهما وهو ينادي: آنسة حياة

توقفت الاثنين وادارتا وجهيهما اليه فقال وليد مترددا وهو ينظر ناحية حياة: ممكن لو سمحتي كلمتين لوحدنا؟

ترددت حياة ولكن مريم اسرعت بالرد نيابة عنها منعا للاحراج: طب ، انا هسبقك يا حياة.

ودخلت مريم الفيلا ، فبادرت حياة بسؤال وليد وقد بدا الغضب في لهجتها واضحا: نعم؟! ايه الموضوع اللي حضرتك

عاوز تكلمني فيه ولوحدنا؟ ومن امتي اصلا وانا بيني وبينك أسرار؟

وليد: طب ممكن تهدي شوية! انا اسف لو كنت سببتك اي ازعاج بس الحقيقة احنا من اول ما اتقابلنا وانا حاسس

انك مش طايقاني ومش عارف ايه السبب. هو انا عملت حاجة تضايقتك؟

حياة: حضرتك ما عملتش اي حاجة وانا بتعامل معاك طبيعي جدا ، ولو حضرتك شايف غير كدة فيبقا دي مشكلتك

انت. وعن اذنك بقا عشان وقفنا دي ما تنفعلش.

ولم تنتظر رده بل اسرعت الى الداخل فقال وليد بتمني: ياريت يا حياة تكون دي الحقيقة فعلا.

جاءت ليلة الزفاف وسط الاغاني والزغاريد وكعادة الصعادية كان الفرح منفصل العروسة تجلس وحدها مع النساء

يصفقن ويرقصن بسعادة وكانت مريم ترتدي فستانا أبيضاً طويلاً يمتاز بالبساطة والرقّة وتزين رأسها طرحة بيضاء اللون

ايضا ، ولا تضع على وجهها سوى بعض ادوات الزينة البسيطة زادتها جمالا ورونقا جعلت كل العيون مأخوذة بذلك

الجمال الذي لم يروا له مثيلا من قبل، وفي الناحية الاخرى وقف يوسف ببدلته السوداء الأنيقة وبجانبه وليد بالخارج مع الرجال وقد كان يحيي الحفل فرقة المزمار والطبل البلدي وهناك من يرقص على الحصان والجميع يهنيء العريس ويدعو له بالسعادة والذرية الصالحة.

أما عبد الرؤوف الكهل كان يجلس مع حسين وسليمان وكبار العائلتين في حجرة الضيوف وقد بدا عليهم الانسجام حيث بدأوا يتناسون الخلاف القديم. وبعد مرور وقت طويل همس وليد في أذن أخيه: جرى ايه يا عريس انت ناوي تقضي الليلة معنا ولا ايه؟ مش هتطلع لعروستك؟

فنظر يوسف في ساعته ثم قال لوليد: معاك حق.

وحيا يوسف الجميع بيديه وسط الاهتاف وطلقات النيران، ثم صعد الى حجرته، فطرق الباب وفتحه قبل أن يتلقى أي رد، وعندما دخل وأغلق الباب خلفه أسرع مريم اليه وارتمت في حضنه وهي ترتعش وقد أصابها الذعر الشديد وهي تلهث من البكاء: يوسف! الحقني يا يوسف، ابعدهم عني.

نظر يوسف الى الاتجاه الذي تشير اليه ليجد عمته هادية وعمتها وردة وكذلك جميلة وسعاد فسألهم بشك وهو يضم مريم اليه بيده اليمنى مهدئا اياها: هوة ايه اللي بيحصل بالظبط؟

فاقتربت منه هادية مما جعل مريم تختبئ خلفه: ولا حاجة يا ولد أخوي، سلامتكم.

يوسف: طب بعد اذنكم ممكن تسيبونا لوحدنا؟

هادية بغضب: كيف دة؟! والناس اللي مستنيين تحت عشان يفرحوا وجدها اللي مستني يظمن على شرف بتة هنجله ايه عاد؟

فهم يوسف ما تقصده عمته وما جعل مريم تنتفض رعبا بهذا الشكل، ففكر قليلا في كيفية التصرف في تلك المشكلة ثم قال بجدوء لعمته: طب معلش يا عمتي، اللي انتم عاوزينه دة مش ممكن يحصل.

هادية: انت بتجول ايه يا ولدي؟ انت نسيت عوايدنا ولا ايه؟ولا تكون مش واثج في عروستك.

وهنا تكلمت وردة لأول مرة فصاحت غاضبة بلهجتها الصعيدية التي تحاول تجاهلها عندما تكون في القاهرة: انتي بتجولي ايه يا هادية؟ احنا بتنا أشرف من الشرف.

هادية: ولما هية أشرف من الشرف خايفين ليه عاد؟

يوسف: عمي! كفاية لحد كدة. انا مش هقبل أي كلمة تاني عن مراتي اللي سمعتها بقت من سمعتي.

هادية بسخرية: مرتك! اللي اتولدت وعاشت عمرها كله في بلاد الخواجات واطبعت بطبعهم؟

وردة: وبعدين وياكي يا هادية؟ وياه أخرة كلامك الماسخ دة؟

هادية: ولا جبلين يا خيتي. انتم احرار. بس شوفوا بجا هتجولوا للناس ايه عاد.

يوسف: طب لو سمحتوا تنزلوا معايا دلوقت؟

وقبل ان يتحرك يوسف وجد ان مريم متشبثة به ترفض ان تتركه وهي تنظر برعب الى عيني هادية المخيفة فمسح يوسف بحنان على رأسها وهو لا يدري أيغضب من عمدته التي تسببت لها بكل ذلك القلق والخوف؟ أم يشكرها لان بسببها وللمرة الاولى تترمي مريم في حضنه وبارادتها؟ همس يوسف لمريم وهو يحتضن وجهها بكفيه: مريم. ما تخافيش ، خمس دقائق مش أكثر وهتلاقيني عندك.

مريم وقد غسلت الدموع وجهها: لا ، أرجوك ما تسبنيش لوحدي.

يوسف: مريم . انا لازم انزل عشان احل المشكلة دي، واقولك على حاجة؟ انا هقفل الباب من برة بالمفتاح وهاخذ المفتاح في جيبي ،وبكدة محدش هيقدر يدخلك وانا مش موجود. اوك؟

أومأت مريم موافقة ، فقبل يوسف رأسها ، ثم خرج بعد خروج الجميع من الحجرة وكما وعد مريم أغلق الباب بالمفتاح ووضعها بجيبه، نزل يوسف وتوجه الى المضييفة فتعجب الرجال من رؤيته ،ولكنه لم يبال بنظراتهم فنادى لعبدالرءوف و حسين عمه الكبير ، خرج الاثنان فبدأ يوسف الحديث موجها كلامه لعبدالرءوف: يا عمي ،بعد اذنك انا شايف ان مفيش داعي للي هيحصل دة طالما انا وحضرتك واثقين في مريم دة غير ان دي اصلا حاجة ما تهمش حد غيرنا.ولا انت ايه رأيك.

عبدالرءوف: والله معاك حق يا بني، انا موافق على اي حاجة هتعملها.

حسين: كيف دة؟ دي عوايدنا وتجاليدنا ولا انتم عيشتكوا في مصر خليتكم تنسوا اللي اتريننا عليه؟

يوسف: لا يا عمي احنا ما نسيناش. لكن مش اي حاجة اتعودنا عليها تبقا صح، فيه حاجات غلط ومحتاجة لتصحيح ودي اولهم.

فقال حسين بغضب: انتم احرار . اعملوا اللي على هواكم.

ثم تركهم وذهب فقال عبدالرءوف بامتنان ليوسف: انا متشكر اوي يا بني. انت مش عارف انت اد ايه عليت في نظري. بس هنقول ايه للناس دي كلها؟

يوسف: ما تقلقش يا عمي، انا ووليد هنتصرف

وبعد فترة استطاع وليد ويوسف ان يصرفا معظم المدعوين حيث لم يتبقا الى الاقارب فقط الى ان قال وليد ليوسف: خلاص بقا يا بطل. سيبلي انا الباقي وروح انت لعروستك.

يوسف وقد بدا عليه الارهاق: تسلم يا وليد. نتعبك في فرحك ان شاء الله.

وليد: ماشي يا عمنا، طب اتفضل بقا من غير مطرود احسن اقول انك بتتهرب من العروسة ولا حاجة.

يوسف: ما تحترم نفسك ياد.

وليد: ماشي يا كبير

يوسف: طب تصبح على خير

وليد: وانت من أهله يا صاحبي. وصباحية مباركة مقدما ان شاء الله.

يوسف: الله يبارك فيك.

وفعلا دخل يوسف المنزل وترك وليد ليتصرف بنفسه ، فنظر ذلك الاخير من بعيد ليلمح حياة تقف وحدها ، فتخيل انه يلحم ولكنها كانت هي بالفعل،فتوجه اليها،وعندما رآته حياة رسمت ابتسامة على شفثيها وهي تقول: أَلف مبروك يا باشمهندس وعقبالك.

وقبل ان ينتبه لكلامه وجد نفسه يقول: انا وانتي في ليلة واحدة ان شاء الله، وعندما وجد التغير في ملامحها حيث عاد مرة اخرى اليها الضيق والحزن،فقرر ان يغير الموضوع فسألها: انتي واقفة كدة ليه؟

حياة: مستتية بابا اصل بعث كريم اخوية عشان يناديله ومش عارفة اتأخروا ليه؟ خلاص دول جاين هناك اهو.

انتظرهما وليد مع حياة وكان بصحبتهم شخصاً اخر يرتدي قميصاً وبنطلوناً وعندما اقترب الثلاثة منهما قال محمود لوليد وهو يمد يده لمصافحة وليد: الف مبروك يا باشمهندس. وعقبالك.

وليد وهو يصافحه: الله يبارك فيك يا استاذ محمود. وعقبال الانسة حياة.

ثم استطرد كلامه وكأنه تذكر شيئاً اخر: وطبعاً كريم.

ثم تولى محمود مهمة التعريف بذلك الغريب: دة بقا يا باشمهندس علاء ابن اخويا خريج السنادي هو باشمهندس بردو بس تخصص هندسة ماكينات.الحقيقة انا كنت عاوز اتوسطله عند الباشمهندس يوسف عشان يشغله في الشركة.

فسلم وليد على علاء وهو يقول: انت شايف ان يوسف مش هيكون فاضي اليومين دول يبقا قدملي انا الورق وان شاء الله خير.

وهنا نظر علاء الى حياة ومد لها يده وهو يقول مبتسماً: مش معقول! حياة! ازيك .وحشاني يابنت عمي.

فمدت له حياة يدها وقد شعرت بنظرات وليد مسلطة عليهما كادت ان تحرقهما معا.

فتح يوسف الباب بالمفتاح ليجد مريم محتبنة خلف أحد الكراسي كالطفلة التي تهرب من شرب اللبن ،وعندما اطمئنت

بدخول يوسف خرجت من مخبئها وكان القلق يعلو ملامحها وهي تنظر ناحية باب الحجر المغلق فطمئنها يوسف قائلاً:
ما تخافيش. خلاص الموضوع انتهى.

بدأ الارتياح يتسلل الى ملامحها فقالت له: متشكرة. متشكرة اوي ليك يا يوسف.

فاقترب منها يوسف بخطى ثابتة وهو يقول: متشكرة على ايه؟ انتي خلاص بقيتي مراي. وحمایتك بقت مسئوليتي.
ومفيش حد في الدنيا كلها دي هيقدر يمس شعرة منك طالما انا لسة عى قيد الحياة

الفصل التاسع :

ملاك أم شيطان

فاقترب منها يوسف بخطى ثابتة وهو يقول: متشكرة على ايه؟ انتي خلاص بقيتي مراتي. وحمایتك بقت مسئوليتي. ومفیش حد في الدنيا دي كلها هيقدر يمس شعرة منك طالما انا لسة على قيد الحياة.

لم تستطع مريم الرد بل اكتفت بالنظر ناحية الأرض أما يوسف فقد وقف لحظات يتأمل مريم بملامحها الطفولية الجميلة والتي تمتاز بالبراءة جعلته يشك في أن مثل هذه الشابة قد قضت ولو يوم واحد في بلاد الغرب. ودون أن يشعر وجد نفسه يقترب منها أكثر حتى لم يعد يفصلهما سوى سنتيمترات قليلة، ثم رفع يده ليلمس خدها الناعم، فأجفلت مريم للمسته وجعلها ذلك تتراجع الى الخلف ينتابها بعض الخوف و التوتر، بدا على يوسف وكأنه متفهما لردة فعلها في البداية ولكن عندما تكرر الموقف جعله ذلك يشك في الأمر، فسألها: فيه ايه يا مريم؟ مالك؟

فسألته مريم بخوف: مالي؟

يوسف موضحا: يعني شايف اني كل ما بقرب منك بتبعدي.

تحولت نبرة مريم من الخوف الى العداة ووجهت نظراتها الى عيني يوسف مباشرة: وانت تقربلي ليه؟ وبصفتك ايه أصلا؟ فاجأه السؤال، ولكن ليس يوسف جلال هو من يقبل أن تشعر أي امرأة بعجزه أو بأنها قد تغلبت عليه فأجابه بثبات وبعيون جامدة: بصفتي اني بقيت جوزك والمفروض ان دي ليلة دخلتنا.

مريم: دة عشم ابليس بالجنة زي ما بتقولوا عندكم.

يوسف مستوضحا: قصدك ايه؟

مريم: يعني انت عمرك ما هتكون جوزي ولا انا عمري هبقا ليك.

بدا يوسف وكأنه قد تلقى منها صفعه قوية، فلم يستطع هذه المرة أن يتمالك أعصابه او ان يتجاهل نوبة الغضب الشديدة التي قد اجتاحتها فجذبها بشدة من ذراعها وكادت أن تلتصق به وهي تصرخ من الألم، ثم قال لها وهو يجز على أسنانه: انتي فاهمة كويس معنى كلامك دة ايه؟ اوعي تكوني فاكرة ان حركة الشهامة اللي عملتها معاكي من نص ساعة هتخليني اتساهل معاكي.

لم ترد مريم أن تظهر لها الخوف الذي شعرت به فقالت له متحدية: اوعي انت اللي تكون فاكرا ان عشان خاطر اللي عملته معايا اني هخضعلك وهسلملك نفسي بسهولة.

فهزها يوسف بعنف وهو يقول: انتي بتقولي ايه؟ انتي مراي. فاهمة يعني ايه مراي؟!!

مريم وهي تتجاهل آلامها: انت اللي اظاهر عليك نسيت اني اصلا اتجوزتك غصب عني. والجواز اللي بالاكراه زي جوازنا دة كأن لم يكن.

يوسف صائحا بغضب: والمأذون؟ والشهود؟ وعقد الجواز؟

مريم: باطل. طالما كان غصب عني.

يوسف: مريم! انتي كنتي تقدرتي تقولي لا.

مريم: انت كنت عارف اني ما كنتش اقدر. لأن حياة جدي تقريبا كانت متوقفة على موافقتي.

فقال يوسف والشرر يتطاير من عينيه وهو ينظر اليها: انا كل اللي أعرفه دلوقت انك مراي. وان ليا حقوق عليكي .

مريم وقد زاد الخوف بداخلها ولكنها ما زالت تنجح في اخفائه: بالغضب يا يوسف؟ هتاخديني غصب عني؟ دة لا هيحصل ولا هيكون.

فرد يوسف وقد ضاقت عيناه وهدأ صوته على نحو خطير وهو يمسخها من أعلى لأسفل بنظراته الغاضبة: لسة ما اتخلقش لحد دلوقت اللي يقدر يقف بين يوسف جلال وبين حاجة هو عاوزها. لكن للأسف يا مريم انتي طلعتي محظوظة لأن انا اللي دلوقت بقيت مش عاوزك.

ثم رماها فجأة للأمام مما جعل توازنها يختل وكادت ان تسقط على الأرض لولا انها تمسكت بمسند أقرب كرسي لها وقد انهارت عينيها وسقط منهما شلالا من الدموع.

وسمعت مريم صوته وهو يدير لها ظهره ولكنها استطاعت ان تكتشف مدى القوة التي يبذلها للتحكم في نفسه وليخرج صوته هادئا طبيعيا بتلك الطريقة المذهلة: صدقيني يا مريم، لا انتي ولا ابوكي تستحقوا مني اي شعور بالاحترام أو التقدير، ولولا جدك عبدالرءوف اللي انا مدينله بالكثير كان زمايني رميت عليك يمين الطلاق وطردتك في ساعة زي دي أدام كل الناس، لكن انا كل خوفي على الراجل المريض اللي مش هيقدر يستحمل فضيحة زي دي بعد اللي عمله أبوكي.

وفجأة نظر لها مجددا وكانت مريم تجلس على الكرسي وقد شحب وجهها كثيرا والذي اغتسل بالدموع و بدا ان جسمها ينتفض قليلا ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه فاستطرد حديثه وهو ينظر لها بجمود وأخذ يلقي بأوامره وكأنه قائدا بأحد الفرق العسكرية وهي أحد الجنود: اعلمي حسابك، احنا أدام الناس اتنين متجوزين وهنتعامل على الأساس دة لحد ما نطمئن على صحة جدك وبعد كدة هنطلق وكل واحد فينا يرجع لحياته الطبيعية . و كمان جهزي نفسك لأننا هنرجع القاهرة بكرة. انا كنت عامل حسابي اننا هنسافر اسبوعين لبنان لكن خلاص هلغي السفر لان ما بقاش فيه داعي. اتفضلني قومي اغسلي وشك وغيري هدومك في الحمام عشان تنامي. و كمان مش من مصلحتك ان حد يحس انك كنتي معيطة.

وجدها لم تحرك ساكنا فصاح بها غاضبا: اسمعي الكلام يا مريم و بلاش تستفذي، ياللا قومي اعلمي اللي قتلتك عليه. اسرعت مريم وأخذت بعض الثياب من خزانة الملابس ثم دخلت الحمام الخاص بالحجرة، وقفت مريم لبعض الوقت تستعيد كل ما حدث بينها وبين يوسف وتتخيل حياتها معه في الفترة القادمة، وترتب كيف ستتحمل ذلك الوقت بقربه وقد أصبح يحمل لها كل هذا القدر من الغضب والكره لها؟

ثم غسلت وجهها ولكنها لم تستطع ان تخفي كل اثار البكاء من عينيها، وغيرت ثياب العرس بمنامة قد اختارتها طويلا وردية اللون وارتدت فوقها روبا حريريا بنفس اللون وقد ترددت قليلا في ان ترتدي الطرحة أم تترك شعرها منسابا هكذا على كتفيها لتكون المرة الأولى التي تجعله يرى شعرها بلونه المتوهج اللامع ولكنها قد حسمت أمرها أخيرا

وارتدت الطرحة وخرجت لتجد أنه قد بدل ثيابه هو الآخر وارتدى بيجاما حريرية بنية اللون بها خطوط صفراء رفيعة، وكان يتمدد بجسمه الطويل على الأريكة فعلمت مريم أنه قد قرر أن يترك لها السرير لتنام عليه، نظر لها نظرة سريعة لم تتبين مريم أي تعبير فيها، ثم أعاد عينيه مرة أخرى ناظرا الى السقف. توجهت مريم الى السرير وكانت تتوقع أن يجافها النوم ، ولكن عكس ما توقعت تماما ففور أن وضعت رأسها على الوسادة غاصت في نوم عميق.

مريم! مريم! يا لالا قومي

في البداية ظنت مريم أنها تحلم ، ولكنها أيقنت أنه لم يكن حلما بل كان يوسف نفسه يقف بجوار السرير ويهزها برفق لتستيقظ، فسألته وهي ما تزال بين النوم واليقظة: فيه ايه؟

يوسف: فيه انك لازم تقومي دلوقت عشان تستقبلي الحريم اللي برة وجاين يباركوك.

قال كلمته الأخيرة بنبرة ساخرة أدركتها مريم وقد استيقظت تماما لتسمع صوت طرقات على الباب يصاحبها نداء متكرر: افتح يا عريس

وكذلك أصوات زغاريد تملأ المكان، قالت مريم ليوسف وهي تنهض من السرير: صباح الخير.

تجاهل يوسف التحية وقال لها بلهجة صارمة لا تقبل الجدال: ادخلي الحمام واغسلي وشك عشان تفوقي وانا هفتح الباب.

نفذت مريم ما قاله بصمت وتوجهت ناحية الحمام بينما ذهب هو ليفتح الباب فوجد عمته وعمتها وكذلك سعاد وجميلة اللتان كانتا تحملان صنيقي بهما أنواع مختلفة من الطعام الفلاحي، وفور أن رآته عمته أخذته في حضنها بسعادة وقبلته وهي تقول: مبروك يا ولد أخوي وصباحية مباركة

فرد يوسف والذي استطاع بسهولة أن يرسم معالم الفرح والسرور على وجهه: الله يباركك فيكي يا عمتي

ثم سلم على الأخريات ورد على التهاني بابتسامة واسعة، فسألته وردة: أmaal وبينها مريم؟

يوسف: مريم في الحمام

ولم يبه يوسف جملته حتى رأوا مريم تخرج من الحمام وعلى وجهها ابتسامة جاهدت كثيرا لتظهرها لهم، ثم سلمت عليهن واحتضنتها كل واحدة على حدة، وبعد أن جلس الجميع في أحد أركان الحجرة وقد كان يشبه حجرة الصالون خاصة بسبب بعده النسبي عن السرير. قال يوسف وقد تعمد أن يجلس بجوار مريم ملاصقا لها: بس ايه يا جماعة كل الأكل دة؟ مين هياكله؟

وردة: مش فطار عرايس يا ولدي؟

وكانت النظرة التي وجه يوسف ناحية مريم تحمل الكثير من السخرية واللوم جعلت مريم تبعد نظرها عنه وتساءل عمتها: وجدو يا عمتي عامل ايه دلوقت؟

وردة: والله يا بنيتي جدك سافر.

مريم: سافر! وبسرعة كدة! وكمان من غير ما يقولي!

وردة: والله يا بنيتي مانا عارفة. هو احواله اليومين دول ما تسرش واصل. و وليد أخو جوزك عدى علينا الصبح بكير فجدك ركب وياه وسافروا اتبيناتهم. وجال انه سابلي السواج عشان يوصلني بعد ما اطمن عليكى وأعاود.

مريم: غريبة أوي

ثم نظرت الى يوسف مستفسرة وهي تسأل: ايه اللي خلى جدو يسافر مع وليد؟ انت تعرف حاجة عن الموضوع دة؟

فرد يوسف وهو يضع ذراعه حول كتف مريم التي حاولت التخلص منها بطريقة لا تلفت نظر الآخرين. ولكنه شدد قبضته على ذراعها بشكل ألمها وجعلها تتوقف عن المحاولة: يمكن يا حبيبتى فيه حاجة مستعجلة في الشركة وبما ان وليد هو اللي مكاني دلوقت فأكيد جدك اتصل بيه وانفقوا انهم يسافروا مع بعض. ما تقلقيش نفسك انتي بس.

ثم وجه نظره ناحية هادية واستطرد حديثه: آه صحيح يا عمتي. انا ومريم هنسافر النهاردة.

هادية باستنكار: كيف يا ولدي؟ انتو ع الاجل لازم تجعدوا ويانا يوم ولا تتين. انا واعمامك ملحجناش نجعد وياك ولا نشيع منيك.

يوسف: معلش بقا يا عمي . انا كنت دبرت أموري اننا نساfer بكرة لبنان ولازم نكون النهاردة في القاهرة. وبعد ما نرجع ان شاء الله هنحاول نيجي يومين هنا. عشان تشبعوا منا زي مانتو عاوزين.

هادية دون اقتناع: اللي تشوفوا يا ولد أخوي

فنهضت وردة وهي تقول: طيب. نسييكم بجا عشان تفتروا وحديكم، ياللا بينا يا هادية.

فنهضت هادية وقد سبقتها كل من جميلة وسعاد واتجهوا ناحية الباب وفي اثرهم يوسف الذي قال: طب ما تقعدوا تفتروا معنا يا جماعة.

هادية: تسلم يا ولد الغالي.

وردة: ودي تيجي يا عريس؟ بس خلي بالك من مريم.

يوسف بنبرة لم تشك وردة في صدقها: مريم في عنيا.

وردة: تسلم عيونك يا حبيبي.

وبالفعل غادر الجميع وعاد يوسف ليجد مريم تقوم بترتيب ثيابهما في الحقائب فقال لها: تعالي افطري الاول وبيقا كملتي اللي بتعمليه.

فقلت مريم دون أن تنظر ناحيته: متشكرة، انا مش جعانة.

فأسرع يوسف وانتزع منها الثوب الذي كان في يدها وألقاه على السرير فصدمت مريم وسألته: ايه اللي انت بتعمله دة؟

فأمسكها يوسف من معصمها بقبضة حديدية وسحبها خلفه وهي تنن من الألم محاولة الافلات من قبضته دون فائدة الى أن ألقاها على أحد الكراسي أمام الطعام ثم قال لها آمرًا: اتفضلي كلي.

مریم بتحدی: قتلک مش جعانة. هو بالعافية يا أخي؟

یوسف: أه. بالعافية. ومن هنا ورايح يا مریم وطول مانتي في عصمتي اتعودي ان كلمتي هي اللي هتمشي برضاكي أو غصب عنك..، والا أقسم بالله هوریکي النجوم في عز الظهر ومش بعيد اني أمد ايدي عليكى وهتكون دي أول مرة أمد ايدي على واحدة ست. اتفضلي كلى.

رأت مریم أن لا فائدة من الجدال معه، فيبدو أنه مستعد لتنفيذ كل كلمة قالها مما جعل الخوف يتسلل بداخلها ولتتجنب بطشه بدأت بتناول الطعام، ثم جلس يوسف على الكرسي المقابل ليتناول طعامه هو الآخر.

كان وليد يقف في الفيلا يضع سماعة الهاتف على اذنه ويقول: أه، باسم وليد جلال.....أيوة هوأوك، وانا كلها ساعة بالكثير وأبقا عندكم. متشكر.

ثم أعاد السماعة مكانها، ونظر الى ذلك الخادم الذي كان ينزل السلم ويحمل حقيبة ثياب كبيرة، فقال له: بسرعة يا محمد، وبقا حطها في شنطة العربية.

محمد: حاضر يا سعادة البيه.

ثم فجأة وجد باب الفيلا يُفتح ليدخل كل من مریم ويوسف، وبعد أن استوعب وليد المفاجأة أسرع ناحية يوسف ليحتضنه وهو يهتف بسعادة: معقول! أهلا بالعيسان ، أمسية مباركة يا صاحبي، معلش بقا مانا ما حضرتش الصباحية.

يوسف: الله يبارك فيك يا حبيبي عقبالك.

ثم قال وليد لمریم: ألف حمدالله ع السلامة يا عروسة. بس ايه اللي رجعكم بدري كدة؟! اوعى يكون الواد دة زعلك، قوليلي وانا أخذلك حقلك على طول انا صحيح أخوه الصغير بس بقيت في نفس الوقت أخوكي الكبير.

فوكزه يوسف بلطف وهو يقول له مداعبا: ما تبطل غلبة بقا يا عم المصلح الاجتماعي، تبسمت مریم وهي تقول ردا على كلام وليد: لا يا سيدي هو مش زعلني ولا حاجة.

وليد: أمال؟

يوسف: ابدأ. مانت عارف أخوك ما يقدرش يبعد عن شغله أكثر من يومين.

وليد: اما انت بارد صحيح. طب والغلبانة دي ذنبها ايه. مش ليها حق في شهر غسل زي كل مخاليق ربنا؟!

فأسرعت مريم لتقول: لا. ماهو انا كمان هبقا مشغولة بالانشطة الصيفية اللي هتعملها الأسرة اللي انا عضوة فيها.

فضرب وليد كفا على كف وهو يقول مداعبا: والله انتوا عالم مجانين صحيح. يعني انا معقول اتجوز ومش أقضي شهر غسل ويكون كمان ثلاثين يوم بالكمال والتمام وانشالله حتى تنطبق السما على الأرض!

يوسف مازحا: طب لما نشوف يا سيدي. بكرة نقعد جنب الحيط.

فأتم وليد المثل بفكاهة: وهتسمع أحلى زينة كمان.

ونظر يوسف الى مُجَّد الذي كان يقف بالقرب منهم وبجواره الحقيبة وقال له: ازيك يا مُجَّد. عامل ايه؟

مُجَّد: الله يسلمك يا يوسف بيه. والف حمدالله ع السلامة ومبرك لسعادتك انت والست هانم وربنا يرزقكم بالخلف الصالح ان شاء الله.

يوسف: متشكر يا مُجَّد عقبال أولادك.

وعندما لمح يوسف الحقيبة سأله: شنطة مين دي؟

فتولى وليد الاجابة: دي شنطتي أنا.

يوسف: شنطتك! انت مسافر ولا ايه؟

وليد: لا يا سيدي مسافر ايه.. انا بس هروح اقعدي يومين في الاوتيل لحد ما شقتي تجهز.

يوسف بعدم فهم: اوتيل؟ وشقتك؟ يعني ايه؟ مش فاهم، انت هتسيب الفيلا ولا ايه؟

وليد: ايوة يا سيدي.

يوسف: ليه؟

وليد: هو ايه اللي ليه؟ انت نسيت انك خلاص بقيت راجل متجوز؟ يعني بقت ليك حياتك الخاصة انت ومراتك اللي ما ينفعش ان أي حد تاني يشارككم فيها.

يوسف: بس ما وصلتش انك تقعد في اوتيل.

وليد: مانا ما هبقاش مقيم فيه على طول يا عم يوسف. انا أصلي أخذت شقة في برج من بتوعنا ومستنيها لحد ما تتفرش وبعدين هنقل فيها.

يوسف بحزم: خلاص بيقا هتفضل معانا في الفيلا لحد ما شقتك تتفرش.

وكان وليد على وشك ان يبدي اعتراضه فأشار له يوسف وهو يقول: خلاص، انا مش هقبل ولا كلمة تاني.

ثم أمر مُجَّد: وانت يا مُجَّد رجع الشنطة دي مكانها.

مُجَّد: أمرك يا يوسف بيه.

وهنا نظرت مريم تجاه الهاتف وقالت: انا هتصل بجدو واطمن عليه.

واتجهت ناحية الهاتف فأوقفها صوت يوسف: استني يا مريم

فأدرات مريم وجهها اليه تسأله: فيه ايه يا يوسف؟ انا هطمن عليه بس، وهو اكيد لسة صاحي.

عندما لم يأتيها رد من يوسف ووجدته يتبادل النظرات مع وليد بدأ القلق يتسلل الى قلبها فسألتهم: هو فيه ايه؟ جدو ماله؟

يوسف: اطمني. جدك بخير بس هو مسافر.

مريم: مسافر! فين؟ وليه؟

يوسف: مسافر ألمانيا عشان يعمل العملية.

قلق، خوف، ضياع، احساس بعدم الأمان ، كل ذلك لا يستطيع أن يصف ما شعرت به مريم فور سماعها ذلك الخبر، ثم توجهت بعينها المليئة بنظرات الاتهام الى يوسف وهي تشير ناحيته باصبعها: انت كل عارف كل دة . كنت عارف وخبيت عليا. ليه يا يوسف؟ كان من حقي أعرف.

علم يوسف أنها على وشك الانهيار فأسرع لها وأخذها في حضنه يهدئها: مريم! جدك هو اللي كان عاوز كدة، هو اصلا اختار الوقت دة بالذات عشان كان فاكر انك هتبقى مشغولة وممكن ما تلاحظيش غيابه.

بدا ان مريم لم تستوعب ما قاله يوسف بل أخذت تردد: انا عاوزة اروحله. وديني ليه يا يوسف. أبوس ايدك وديني ليه. عشان خاطري. لا بلاش عشان خاطري، طب وغلاوة جدي عندك وديني ليه.

يوسف: اهدي يا مريم ، أرجوكي اهدي. هو بخير وكمان معاه فريق كامل من الدكاترة على أعلى مستوى هيهتموا بيه لحد ما يرجع بالسلامة.

مريم: انا مش ههدى غير لما أشوفه بنفسي. وديني ليه. او سييني انا اروح لوحدي، أرجوك يا يوسف انا مابقاش ليا غيره في الدنيا.

يوسف: هو أكد عليا اني مش اسمحلك تروحيه ، بس انا هتصلك بيه وأخليكي تطمني عليه بنفسك.

مريم بلهفة وتوسل وهي لا تستطيع أن توقف دموعها: طب دلوقت ،ارجوك اتصل بيه دلوقت .

يوسف: حاضر، هتصل بيه. وليد!

وعلى الفور أسرع وليد ناحية الهاتف ورفع السماعة ثم بدأ يضغط على بعض أزراره.

في فيلا كمال وهدان تكرر نفس المشهد الحزين ولكن بشكل آخر حيث انهارت وردة على الاريغة وهي تضرب بيدها على صدرها: بابا! يا حبيبي يا بابا

ثم توجهت قائلة لابنها وزوجها اللذان كانا يقفان أمامها: طب ازاى محدش يقولي؟ وانتوا كنتم فين؟

فقال كمال بجمود: احنا نفسنا عرفنا بالصدفة، وهو من امتي اصلا و عبدالرءوف الكامل بيدي سره لحد غير سي يوسف اللي مش عارف طلعلنا منين؟

فنهضت وردة لتقول لماهر: طب يالالا يا ماهر بسرعة وديني لجدك ،انا لازم ابقا معاه في ظرف زي دة.

ماهر: هتروحي بس فين يا ماما؟ هو احنا اصلا نعرف هو في أي مستشفى؟

فصاحت به وردة في غضب: معرفش اتصرف واعرفلي جدك فين؟

ماهر: طب اهدي بس وخلينا نشوف هنتصرف ازاى؟

وردة: انتو لسة هتشوفوا؟

فأحاطها ماهر بذراعيه وهو يحاول تهدئتها: طب اهدي بس . واطلعي اوضتك استريحي شوية. وسيبيننا احنا هنتصرف.

لم تستطع أن تجادله وردة ،بل انها أطاعت كلامه على الفور وتوجهت ناحية السلم لتصعد الى غرفتها.

وعندما تأكد من صعودها توجه الى والده وسأله وعينيه مليئة بالشر: قولي بقا يا بوب هنعمل ايه؟

كمال مبتسما بطريقة شيطانية: هنعمل كثير، خلاص الساحة بقت فاضية قدامنا بعد سفر عبدالرءوف ومين عارف مش ممكن ما يرجعش تاني وتبقا كل حاجة بين ادينا ومريم بقا تشرب من البحر.

ماهر: ويوسف يطلع نأبه على شونة . ويشبع بقا بيها.

كانت مريم تجلس على الأريكة تتكلم عبر الهاتف ويجوارها يجلس يوسف ومن الناحية الأخرى يقف وليد.

مريم: يعني انت بجد بخير يا جدو؟... طب وهتعامل العملية امتي؟..... بعد اسبوع؟..... طيب انا عاوزه أجيلك.... يا

جدو عروسة ايه بس؟..... انا عاوزه أطمئن عليك.... خلاص ماشي يا جدو اللي تشوفه بس هبقا اتصل بيك كل

يوم..... يوسف؟!

وتوجهت عيناها ناحية يوسف وكعادتها فشلت في قراءة تعابير وجهه وأكملت محدثة جدها: اه يا جدو، الحمد لله سعيدة جدا بس انت يا حبيبي ما تفكرش دلوقت غير في نفسك....جدو! ارجعلي بسرعة انت عارف اني مش هقدر أعيش من غيرك.....ماشي يا حبيبي هسلمك عليه.....اوك مع السلامة.

أنهت مريم المكاملة فقال لها وليد: خلاص يا ستي اطمني بنفسك انه الحمد لله بخير.

مريم بتنهيده ارتياح: الحمد لله

ثم توجهت الى يوسف لتقول له: جدو بيسلم عليك

لم يجب يوسف بل اكنفى بايماءة صغيرة من رأسه

ثم قال وليد: وانت يا عم يوسف ياللا خد مراتك واطلعوا اوضتكم أكيد بعد السفر الطويل دة والارهاق النفسي اللي عشتوه بيقا لازم تكونوا ميتين من التعب.

يوسف: معاك حق، وكمان انا هيبقا عندي شغل بدري.

وليد مستنكرا: شغل ايه يا عم يوسف اللي هيبقا بدري بس؟ طب خدلك يومين او ثلاثة تاني اجازة.

يوسف: ما ينفعش، كفاية كدة.

كان وليد يعلم ان قرارات يوسف غير قابلة التعديل فتوقف عن الجدل ولكنه اكنفى ان قال بمزاح: الله يكون في عونك يا مريم.

نفض يوسف وهو يمد يده لمريم ويقول لها: ياللا بينا يا مريم.

ترددت مريم قليلا ولكنها أمام نظرات وليد اضطرت الى ان تمد له يدها ليساعدها على النهوض وسمحت له بأن يضع يده حول كتفيها وهويقودها ناحية السلم ويقول لوليد: تصبح على خير يا وليد.

وليد: وانتو من أهل الخير.

وفور صعودهما السلم أنزل يوسف ذراعه من عليها بل انه تقدمها بخطوات واسعة ناحية الغرفة التي يفترض ان تكون غرفتهما معا، دخل الغرفة ومن بعده مريم التي استطاعت ولو في سرها ان تشهد لبراعة الشخص الذي ظهر ذوقه الرفيع في اختيار أثاث الغرفة ، ولكن عندما وقع نظرها على السرير الوحيد الذي بالحجرة مما جعلها تفكر في المشكلة الجديدة التي سيواجهانها، فمن غير المعقول أن يستمر يوسف في النوم على تلك الأريكة طوال فترة بقائهما معا، أم انه سيحبرها هي على النوم على تلك الأريكة؟ وسيكون له كل الحق لانها سبب تلك المشكلة، أم ماذا سيقدر صاحب الكلمة الأخيرة؟

وكأنه يقرأ أفكارها سمعته يقول من خلفها: اطمني يا انسة مريم مش انا الراجل اللي ممكن يسبب واحدة ست تعاني بسببه حتى لو كان بيتمنى ان دة يحصل من كل قلبه.

مريم مستفهمة: ماهو مش معقول بردو انك هتفضل تنام على الكنبه على طول. اكيد هنتعب.

يوسف ساخرا: ايه؟ خايفة عليا؟

لم تجب مريم مما جعل يوسف يستمر في كلامه وهو يتجه ناحية باب آخر في الغرفة: ع العموم ما تخافيش، دة باب الاوضة اللي جنبنا ، انا هنام فيها.

فأسرعت مريم تقول: طب ما ممكن انا.....

ولكنها قطعت جملتها فور رؤية نظرتة اللاهبة وكأنها تذكرها بأنه لن يقبل منها أي اعتراض على أوامره كما أخبرها سابقا.

مريم باستسلام: خلاص اللي تشوفه.

يوسف وهو يخرج بعض الثياب من خزانة الملابس: ع العموم زي ما قلتلك دي هتبقا اوضتك وخدي راحتك فيها بس المشكلة الوحيدة ان الاوضة الثانية مفيهاش حمام عشان كدة هبقا استعمل الحمام اللي هنا.

وقبل ان ينتظر منها اي رد قال لها: تصبحي على خير

ثم دخل الغرفة الثانية وأغلق الباب خلفه تاركاً مريم وحدها محاولة تحليل تصرفات ذلك الرجل الغامض الذي لم يستطع عقلها الصغير الوصول لماهيته حتى الآن، فأوقات يبدو لها كأنه ملاك أنزل من السماء فقط لحمايتها وتلبية رغباتها ، ومن ناحية أخرى تجده شيطاناً لا يرغب سوى بإيلاها وتعذيبها لسبب تجهله

فيا ترى من يكون يوسف جلال في تلك الشخصيتين؟

وليد: احم احم، نحن هنا، جرى ايه يا عم الدون جوان؟ ما تراعي شعورنا شوية.

أرادت مريم أن تجاري يوسف في لعبته فقالت لوليد في دعابة: نعم يا سي وليد. كمان هتستكتر عليا كلمتين حلوين؟

وليد: لا يا ستي، اولع أنا عادي يعني ولا يهملك.

فضحكت مريم وهي تقول: بعد الشر.

وهنا تحدث يوسف بنبرة جادة الى أخيه وهو يهيم بالمغادرة: طب بطل غلبة بقا، وخلص فطارك عشان ما تتأخرش ع الشركة.

فأعطى له وليد تعظيم سلام وهو يقول بنبرة حاول إكسابها شكل جاد: تمام يا فندم.

: يوسف!

توجه نظر يوسف إلى مريم صاحبة النداء متسائلا فقالت له: أنا هروح الجامعة.

يوسف بتعجب: النهاردة!

مريم: اه، حياة اتصلت بيا امبارح ولما عرفت اني رجعت كانت عاوزة تشوفني هي وباقي أصحابنا عشان يباركولي. بس هما اتكسفوا ييجوا هنا فاتفقنا اننا نتقابل في الجامعة .

يوسف: أوك، خلصي فطارك وانا هوصلك.

فأسرعت مريم تهمز رأسها في اعتراض: لالالا. ما تأخرش نفسك انت. شكلك مستعجل، أنا هاخذ تاكسي.

يوسف بنفاذ صبر: اولاً أنا مش مستعجل، ثانياً انا مش هقبل ان مرايتي تركب تاكسي.

مريم بيأس: بس أنا بجد كدة هاخرك معايا أوي وخصوصا اني لسة كمان هعدي على حياة وأخذها معايا.

جذب اسم حياه انتباه وليد الذي أسرع في إعطاء الحل البديل: خلاص يا يوسف، روح انت عشان ما تتأخرش وأنا

هوصل مريم

نظر اليه يوسف بشك للحظة ثم قال له وهو يغادر: أوك. وبيقا اعرف منها هتخلص امتي عشان ترجعها. ياللا سلام.

وليد ومريم: سلام.

تظاهر وليد بانشغاله بالطعام وهو يسأل مريم التي سكبت لنفسها كوبا من الشاي: الا قوليلي يا مريم، انتي تعرفي ايه عن حياة صاحبتك؟

مريم: عادي يعني، اسمها حياة محمود البدري. في سنة تالته كلية اعلام، باباها بيشتغل محاسب ومامتها مدرسة.....

قاطعها وليد: يا بنتي كل المعلومات دي أنا اعرفها وأكثر كمان. أنا عاوز حاجة جديدة محدش يعرفها غير صديقة قريبة منها زيك.

مريم بمزاح: طب تدفع كام.

وليد: كل اللي انتي تقولي عليه يا ستي. بس خلصي.

مريم: مش قبل ما اعرف الاول انت عاوز المعلومات دي في ايه؟

وليد: أبدا يعني. فضول مش أكثر.

مريم: عليا انا بردو؟

وليد: قصدك ايه يعني؟

مريم بمراوغة: ولا حاجة، هية بنت حلال، وعسولة أوي ، وتستاهل كل خير، وانت كمان تستاهل واحدة زيها. ولو اني يعني بكره دور الخاطبة دة، بس معلش كله عشان خاطر عيونكم ، والله في الله من غير أي حاجة.

قالت جملتها الأخيرة وهي تمد له يدها وكأنها تطلب نقودا.

فتبسم وليد، ولكن سرعان ما اختفت ابتسامته وهو يقول بضيق: بس مش عارف ليه حاسس كدة انها مش طايقاني ولا بتحب تتكلم معايا كأني قتلتها قتيل؟

مریم: لا قتیل ولا حاجة يا سيدي، هي بس اللي خجولة شوية، ومش بتتكلم مع شباب خالص، دة غير انها متدينة أوي.

ثم أشارت اليه باصبعها كعلامة تحذيرية: عشان كدة يا وليد لو كنت ناوي انك تتلاعب بيها أو بمشاعرها فياريت تبعد عنها.

وليد: يا بنتي أتلاعب بمين بس؟ والله أنا عاوز اتجوزها بس مش عاوز آخذ أي خطوة غير لما اتأكد من مشاعرها الأول. ودي مهمتك انتي بقا يا جميل.

مریم: مmmmmم، بس دي مهمة صعبة أوي بصراحة، اصل حياة دي مش من النوع دة اللي ممكن يقول كل اللي جواه كدة بسهولة. بس ولا يهملك، انا هتصرف.

وليد بسعادة: ربنا يخليكي ليا يا أحلى مرأة أخ في الدنيا.

ثم نهض من كرسيه على عجل: طب ياللا بينا بقا.

مریم: على فين؟ لسة بدري.

وليد: يا ستي، ماهو عقبال ما نوصل.

فنهضت مریم وهي تحتسي بعض القطرات من الفنجان الذي بيدها ثم تضعه على الطاولة بعجل: أولك. ياللا بينا.

دخل يوسف شركة الكامل وهو يرد على تحيات الموظفين بكل ثقة حتى أن وصل الى مكتب عبد الرؤوف الكامل فوجد هناك السكرتيرة تجلس خلف مكتبها مشغولة ببعض الأوراق: صباح الخير.

وقفت هناك وهي ترد: صباح النور يا فندم.

فسألها يوسف وهو يلقي نظرة ناحية الباب المغلق: هما جوة؟

فهمت هناء مقصده لذا أجابت: أيوة يا فندم، انا حاولت كثير أمنعهم بس مفيش فايده، ماهر بيه زعقلي وكان عاوز يطردني.

يوسف: معلىش يا هناء، انا هتصرف. المهم ما تدخليش حد علينا لحد ما اطلب منك

هناء: أمرك يا فندم

توجه يوسف ناحية الباب وفتحته، ثم أغلقه خلفه بعنف، ألقى بنظرة شاملة في الحجرة ليجد كمال وهو يجلس خلف مكتب عبد الرؤوف الكامل بكل ارتياحية و ماهر ابنه يجلس على كرسي أمامه ولكنه هب واقفا على الفور عندما سمع صوت الباب ورأى يوسف أمامه، فصاح به غاضبا: انت ازاى تدخل علينا بالشكل دة من غير استئذان؟ فين السكرتارية؟ انا أصلا غلطان ابي سمعت كلام بابا وصبرت على الزفتة اللي اسمها هناء دي. عن اذنك يا بابا أنا هروح أطردها.

وتوجه ناحية الباب عازما أمره فأوقفه يوسف ممسكا بذراعه بشدة وهو يقول بمدوء: مش لما نخلص كلامنا الأول.

أفلت ماهر ذراعه بعنف وهو يسأله: كلام ايه؟

أجاب يوسف وهو يتوجه ناحية الكرسي الذي كان يحتله ماهر ليجلس عليه، فجلس ماهر أمامه وهو ينظر الى والده وينفخ بغیظ، بادله كمال النظرات ثم سأل يوسف بضيق: لو قصدك على الشراكة اللي بين الشركتين، فكل حاجة هتمشي زي ما هي لحد ما تراجع الأوراق و الحسابات وبعد كدة ممكن نتفق معاك على سياسة جديدة نتعامل بيها.

يوسف: نتفق! هما مين دول اللي هيتفقوا؟

كمال: انا وانت طبعا.

يوسف: بصفتك ايه؟

كمال بكل تفاخر: بصفتي مدير الشركة الحالي، انت عارف طبعا ان عبدالرؤوف بيه مسافر في رحلة علاج.

يوسف: معاك ورق بالكلام دة؟

كمال: ورق ايه؟

يوسف: يعني توكيل عام مثلاً أو ع الأقل توكيل بإدارة أعماله.

فقال كمال متلجلجاً: موضوع سفره جه بسرعة وأكيد ما لحقش يعمل كل دة، بس انا جوز بنته وبما انه ملوش اولاد فطبيعي ان انا اللي امسك كل حاجة في غيابه.

فقال يوسف وهو يضع قدماً فوق الأخرى بكل ثقة: بس دة لما أكون أنا مش موجود.

ماهر باندهاش: قصدك ايه يعني؟ وانت ايه دخلك في حاجة زي كدة؟

يوسف بابتسامة مستفزة: أبداً، بس شكلك لسة ما تعرفش ان عبدالرؤف بيه عملي توكيل عام رسمي وموثق في الشهر العقاري، يعني أكيد راجل أعمال في خبرة عبدالرؤف الكامل مش ممكن يسبب أمواله وشركاته كدة من غير ما يختار حد يحل محله يكون أد المسئولية

ثم استطرد بلهجة خاصة: والاهم من كل دة انه يكون أهل للثقة.

كمال بغضب جامح: مستحيل! أكيد التوكيل دة مزور.

يوسف: تقدر بنفسك تسأل شريف حمدي المحامي وهو هياكدلك كلامي.

فقال ماهر الذي عقدت المفاجأة لسانه للحظات وهو ينهض بهجوم حاد: جدي أكيد اتجنن، واحنا هنطعن في التوكيل دة.

فقال يوسف بلا مبالاة وهو ينهض من مكانه ويتجه ناحية الكرسي الذي يجلس عليه كمال: ولحد ما دة يحصل بقا، فالكرسي دة بيقا من حقي.

فاستعد ماهر لقتال يوسف وهو يقول: نجوم السما اقربلك.

ولكن أوقفه صوت كمال الذي كان قد ترك كرسيه: ماهر! بلاش تهور، أنا هيبكون ليا تصرف تاني. ياللا بينا.

وعندما وصل الى باب المكتب أعاد نظره الى يوسف الذي كان قد جلس خلف المكتب وشرع في فتح بعض الأوراق:
بس لسة الكلام بينا ما خلص.

يوسف بنظرة سريعة: وانا في الانتظار.

وخرج الاثنان فرجع يوسف سماعة الهاتف الذي أمامه وضغط بعض الازرار، ثم قال: اطلبيلي فنجان قهوة يا هناء، بس
بسرعة، وبعدين بلغني مديرين الأقسام كلهم ان فيه اجتماع بعد نص ساعة.

جلست مريم مع صديقاتها في كافيتريا الجامعة وهي تقول متصنعة الحزن بشكل طفولي: بس انتو بجد طلعتو اندال آخر
حاجة، بقا كدة يعني مفيش ولا واحدة منكم تحضر فرحي!

هالة: معلش بقا يا مريومة مانتى اكيد مقدره الظروف. ماهو لو كنتي عملي الفرح هنا كنا أكيد هنحضر كلنا.

سلمى: بس سيبك من كل دة، انتو ليه مش قضيتوا شهر عسل يعني؟ وازاي كدة تسيبوا البيت من تاني يوم جواز،؟ دة
ايه يختي الجواز اللي ع الطريقة الحديثة دي؟

فضربتها نورا على ظهرها بخفة وهي تنهرها: وانتي مالك يا باردة؟

سلمى: الله، مش صابحتي وعاوزة أطمئن عليها!؟

مريم: ماهو يوسف بقا كان عنده شغل ضروري وما كنش ينفع اننا نساfer، دة غير ظروف جدو اللي جات فجأة دي.

هالة: ربنا يرجعهولك بألف سلامة يا حبيبتى.

مريم: يارب.

وسألته نورا بدلال: الا قوليلي بقا يا مريومة يا حبيبتى، ياترى الجواز حلو أوي كدة زي ما بيقلوا عليه؟ يعني أقول
للواد أدهم ابن عمي دة يبجي يتقدم ولا أطفشه؟

فردت هالة بالنيابة مغيظة صديقتها: لا يختي، ما تتعبيش نفسك، هو أكيد بعد ما يغير النضارة هيطفش لوحده.

ضحكت الفتيات جميعا ما عدا حياة التي لاحظتها مريم فسألته: مالك يا حياة؟ انتي لسة بردو زعلانة مني؟

هالة: زعلانة! ليه انتي عملتي اي يا مريم؟

مريم ببراءة: ولا حاجة والله، كل اللي حصل اننا اتفقنا اني هاخذ تاكسي وأعدي عليها، بس اتفاجئت بقا ان وليد أخو يوسف عرض عليا انه يوصلني وطبعا طلبت منه اننا نعدي على حياة فأول ما شافته ما كنتش راضية تركب معنا لحد ما اتحايلت عليه ومن ساعتها ومش عاوزة تكلمني وطبعا مش محتاجة أقولكم انها كانت مصدره الوش الخشب لوليد طول الطريق.

حياة بغضب مكتوم: كان لازم تقوليلي يا مريم.

مريم: والله كان غصب عني، الموضوع جه فجأة، وبعدين يا ستي انا اسفة، بكره العربية بتاعتي هتيجي من البلد، ومش نحتاج لخدمات وليد تاني، مع اني شايقة يعني انه ما عملش حاجة لكل دة. بالعكس دة كان في منتهى الذوق والأخلاق.

فسألته سلمى: هو اللي كنتم راكبين معاه دة هو وليد أخو يوسف.

مريم: أيوة يا ستي.

سلمى بمرحها المعتاد: معقول! دة زي القمر، ما تعرفيني عليه يا بت يا مريم. وليكي الأجر والثواب من عند الله بقا.

مريم وهي تنظر الى حياة بنظرة ذات معنى: كان على عيني يا سوسو، بس واضح كدة ان اختار خلاص.

وكذلك توجه نظر سلمى الى حياة وهي تقول: ماشي يا ستي، واحنا نكره يعني! ربنا يهني وليد بحياة، يوه قصدي سعيد بسعيدة.

بدا على حياة الضيق الشديد، وقالت وهي تم بالنهوض: وبعدين معاكم بقا. والله لو ما سكتوا لاسيكم وامشي.

فجذبته هالة من يدها لتعيدها الى كرسيها: استني بس يا حياة. معلش حقك عليا انا، وانتو كمان يا بنات، بلاش الكلام دة، انتو عارفين ان حياة بتزعل بسرعة. وكمان احنا عارفين انها مش بتاع حب وكلام فاضي من دة.

مريم: بس وليد قصده شريف فعلا، ومستني موافقتها عشان يروح يتقدملها.

وعندما سمعت حياة ذلك أخذت حقيبتها ونهضت في عجل وهي تغالب دموعها: طب عن اذنكم يا بنات.

هالة: راجحة فين بس يا حياة؟ احنا لحقنا نقعد مع بعض؟!

لم تجب حياة التي أسرعرت في الابتعاد عنهم، فقالت سلمى: والله مانا عارفة البت دي مالها؟ كل ما تيجي سيرة الجواز تتعصب مرة واحدة وتسيينا، ما تكونش بتحب والهو ماجاش سوا؟

فقالت مريم وهي تنهض وتغادرهم في عجل: يا شيخة اتلهي، عن اذنكم انا هروح أشوفها.

استطاعت مريم أن تلحق بحياه فأمسكت ذراعها وهي تتنفس بصعوبة: حياة! انتي يا بت، استني بس.

توقفت حياة فرأت مريم الدموع بعينها فأخذتها بحضنها وهي تمس لها: حياة حبيبي، فيه ايه بس؟ طب قوليلي ممكن أساعدك، والله ما حد هيخاف عليك أدي.

فقالت حياة وهي تشهق من البكاء: أنا هقولك كل حاجة يا مريم، لاني بجد أنا خلاص تعبت أوي.

مريم: ماشي يا حبيبي بس تغسلي وشك الاول، وبعدين نشوف مكان نقعد فيه برة الجامعة عشان نعرف نتكلم براحتنا.

فهزت مريم رأسها باستسلام كمن ليس بيده حيلة، وقد كانت كذلك بالفعل.

في مكتب يوسف بشركة الكامل وبعد انتهائه من الاجتماع الذي عقده مع رؤساء الاقسام وقد ألقى بتعليماته ثم شكر الجميع وأذن لهم بالانصراف، وبعد أن خرجوا جميعا جاءته هناء السكرتيرة لتقول له: يوسف بيه، فيه واحدة برة اسمها علياء هانم طالبة تقابل حضرتك.

فأشار لها يوسف وهو يعود الى كرسيه خلف المكتب: خليها تتفضل.

هناء: حاضر يا فندم.

وخرجت هناء لتدخل بعدها بلحظات تلك المدعوة علياء وقد بدا عليها أنها قاربت على الثلاثين ، وقد منححتها الطبيعة قدر وافر من الجمال والأنوثة التي حاولت اظهارها بكافة وسائل الزينة مع الثياب الضيقة والقصيرة. وشعرها الأسود القصير الذي صففته بأحدث التسريحات ، وأضف الى ذلك العطر الفواح الذي تضعه وفور أن رآها يوسف هب واقفا وهو يقول بابتسامته الساحرة: معقول! برنسيس علياء بنفسها تشرفني في مكثي المتواضع؟

فعقدت علياء ما بين حاجبيها قائلة وهي تجلس على الكرسي أمامه: يعني انت كنت بتسأل؟! لا وايه أقوم مرة واحدة كدة على خير جوازك.

يوسف: انتي عرفتي؟

علياء: والمفروض اني ما كنتش أعرف، عشان حضرتك تفضل تضحك عليا زي مانت عاوز. انت فاكرا ان مفيش رجالة في الدنيا غيرك؟

يوسف بنظرة ثافية بما بعض الغرور: ما بلاش الكلام دة يا علياء، انتي عارفة كويس ان لو كان غيري دة أحسن ما كنتيش هتبقي في مكثي دلوقت.

علمت علياء بأن طريقتها لن تجدي نفعا بالنسبة لارادة ذلك الرجل الحديدية، فقررت اتباع وسيلة أخرى، لذا أمالت للامام باتجاه يوسف وهي تقول له بدلال: بقا كدة يا يوسف؟ هو دى جزاءي يعني اني حبيتك ومش قادرة اتصور حياتي من غيرك؟ تقوم تعمل فيا كدة وتتجوز؟ واللي انت اتجوزتها دي تبقا أحلى مني يعني؟

أخذ يوسف نفسا عميقا قبل ان يجيب: علياء . كل اللي انا عاوزك تفهميه كويس ان الجوازة دي كانت جوازة مصلحة، يعني تقدري تسميها صفقة مش اكر.

علياء بعدم تصديق: صفقة! وعاوزني انا اصدق الكلام دة!

يوسف: تصدقي أو لا دي مشكلتك مش مشكلتي ، بس انا اللي عندي قلته.

علياء: اخص عليك يا يوسف، دة بدل ما تقولي كل سنة وانتي معايا يا حبيبتى؟ المهم بقا اوعى ما تجيش؟

يوسف متبسما: وهو انا اقدر بردو؟! اه الا قوليلي، انتي عرفتي اني هنا ازاي؟

علياء: ابدأ، بعد ما تعبت من الاتصال على موبايلك و يديني كل مرة مغلق اتصلت بشركتك فردت عليا السكرتيرة وقالتلي انك مسكت ادارة الشركة هنا لحد ما يرجع عبدالرءوف الكامل، وكانت عاوزه تحولني على اخوك. بس الحقيقة انا مش برتاحله، عايشها جد كدة ومش طالعلك خالص.

يوسف: ما يمكن دي تكون احسن حاجة فيه.

بدا ان علياء لم تفهم جملته الاخيرة، فقالت وهي تم بالرحيل: اوك يا بيبي همشي انا بقا عشان مش عاوزه اعطلك. بس اوعى تتأخر ع الحفلة؟

يوسف: اكيد.

علياء: ياللا، سلام.

يوسف: سلام.

وبعد ان غادرت علياء ،جلس يوسف مرة اخرى على كرسيه وقد بدا عليه الارهاق الشديد، ومرة أخرى يرفع سماعة الهاتف ويطلب من هناء فنجان قهوة آخر، ثم ضغط على بعض الارقام في الهاتف وانتظر الرد: وعليكم السلام....ما تقلقش كل حاجة مشت تمام....وانت الشغل عندك عامل ايه؟....تمام أوي....قولي وصلت مريم وقاللتك هتخلص امتي؟.....لالالا خلاص ما تشغلش بالك أنا هكلمها....اوك يا صاحبي سلام.

جلست مريم وحياء حول طاولة صغيرة بكافيتريا تطل على النيل في مكان بعيد نسبيا عن باقي الطاولات حيث لا يستطيع احد غيرهما سماع ما يقولانه،وعندما رأت مريم صديقتها مترددة،قالت لتستحثها على الكلام: ها، احكي لي بقا يا ستي مالك؟

فقال حياة وقد هربت الدماء من وجهها فبدت كالأموات: هقولك كل حاجة يا مريم، بس اوعديني ان اللي هقوله دة هيفضل سر بينا.

مريم: اوعدك.

بدأت حياة تسرد قصتها وقد بدا الألم واضحاً في كل كلمة تقولها وكأن ذكريات ما حدث لها تمر أمام عينيها الآن كشريط سينمائي: شوفي يا ستي، اولاً لازم تعرفي انا كنت ايه زمان؟ ما كنتش اكثر من بنت مستهترة دلوعة امها بقا، بنت جات بعد حرمان سنين من الخلفة، عمرها ما رفضتني طلب بالرغم من معارضة بابا دايماً لان كل دة كان مخالف للعادات والتقاليد اللي اترى عليها في الصعيد، ولكي أن تتخيلي بقا لبس ضيق جيب قصير ولو استبدلتها فأكيد بينطلون استرنتش او جينز، وطبعاً الحجاب دة كنت بشوفه على زمايلنا من بعيد لبعيد من غير حتى ما افكر اني اتحج زيهم ولو من باب التقليد زي ما كنت بعمل كدة مع بنات الموضة، لا وكمان كنا بنتنافس على احداث الصيحات. لحد ما دخلت الجامعة وقابلت عماد.

فسألت مريم وكانت في حالة من الدهول لما تسمعه: عماد مين؟

حياة: شاب كان في تالته كلية تجارة ابن شاعر عزالدين، رجل الاعمال المشهور. بس ايه بقا؟ دة ابنه الوحيد، يعني كان مقصيها من لبس شيك وعرييات احداث موديل وفسح وخروجات وما كنتش فيه بنت تقدر تقوله لا لما يشاورها، الحقيقة انا من اول ما شفته كنتش مستريحاله، وهو بقا من اول ما شفني وقرر انه يضميني لقائمة المعجبات بتوعه، حاول معايا مرة واتنين وتلاتة بس طبعاً ما قدرش ياخذ مني لا حق ولا باطل لحد ما اتعرفت على نعال، او بمعنى اصح هي عرفتني عليها، ياللا منها لله بقا.

مريم: ومين نعال دي كمان؟

حياة: دي بقا يا ستي كانت طالبة في سنة تالته كلية اعلام معايا، ابوها وامها مهندسين بس بيشتغلوا في قطر، وهية قاعدة هنا لوحدها مع جدتها، وطبعاً تعويضاً لبعدهم عنها، كل حاجة مجابة، وفلوس ملهاش عدد، كانت تقريبا اشيك بنت عرفتها، المهم انجذبت ليها جدا وهي كمان كانت بتتعامل معايا بود وتلقائية لحد ما بقينا اصحاب اوي، او بمعنى اصح لحد مانا افتكرت اننا بقينا اصحاب.

مریم لتحصها على الاستمرار وهي ترى صديقتها وقد اختنق صوتها على وشك البكاء:ها وبعدين؟

حياة وقد تركت العنان لدموعها: لحد ما جه اليوم وعزمتني على حفلة عيد ميلادها .والحقيقة ان بابا عمره ما كان بيوافق اني اروح حفلات. بس لانها كانت صاحبتى اوي اتحايلت على ماما لحد ما وافقت من ورا بابا طبعا اللي وقتها كان في البلد لسبب مش فاكره .

مریم وقد رقت لحال صديقتها ولكنها تريد ان تصل الى حقيقة الامر: ها وروحتي؟

بدا صوت حياة كالنحيب وهي تقول: وياريتي ما روحت.

مریم: ليه؟ ايه اللي حصل.

وجدت حياة بعض الشجاعة والقوة لا تزال لديها لتكمل: روحت شقتها اللي كانت اول مرة في حياتي ادخلها وآخر مرة، ولما مالقتش حد في الشقة غيرها استغربت لكنها قالتلي ان لسة الوقت بدري وان كلها ربع ساعة وباقي اصحابها هيجو اما جدتها بقا فقالتلي انها عند عمها لانها طبعا ست كبيرة ومش هتستحمل جو الحفلات والدوشة، واقترحت عليا تعملنا كوبايتين عصير لحد ما الباقيين ييجو ونبدأ الحفلة فوافقت. وجابت العصير وشربته وبعدها حسيت ان الدنيا بتلف بيا وبعدها، ما حسنتش بحاجة تاني.

مریم: مخدر؟

حياة: اه ما هو دة اللي عرفته بعدين،بس بعد ما ضعت.

مریم: ايه اللي حصل؟

اغمضت حياة عينها بشدة وكأنها تريد ان تمحي تلك الذكرى الاليمة منه ذكرياتها: لما صحيت لقيت نفسي كنت نائمة على سرير في اوضة نوم غريبة، والصدمة الحقيقية كانت لما شفت عماد معايا في نفس الاوضة.

فهمت مریم: في شقتها؟ كانت متفقة معاه ييجي شقتها؟

فابتسمت حياة رغما عنها من براء مريم: شقتها ايه بقا؟ دي كانت شقته هو، تقدرى تقولى انهم كانوا متفقين مع بعض عليا.

مريم: طب وبعدين انتي عملتي ايه؟

حياة: العادي ايني ثورت وزعقت وهددت ساعات وتوسلت ساعات تانية، لكن الندل هيفضل طول عمره ندل.

مريم: طب وهما راحوا فين دلوقت؟

حياة: اللي سمعته بعد كدة انهم بعد ما خلصوا جامعة هو سافر لبنان عشان يمسك فرع الشركة بتاعتهم هناك وهية سافرت تقعد مع باباها ومامتها.

مريم: طب وانتي يا حياة؟

حياة: انا ايه يعني؟ هفضل زي مانا. عرفتي انا ليه بقا برفض اي عريس يجيلي؟ عرفتي ليه بقا انا بعامل وليد بالطريقة دي؟ عشان مش عاوزاه يتعلق بيا اكثر من كدة يا مريم، لانه ما ينفعش.

مريم: طب وباباكي ومامتك مش عارفين طبعا مش كدة؟!

حياة: وانا مجنونة عشان اقولهم حاجة زي دي؟ انتي نسيتي ان بابا صعيدي؟ والله اعلم بقا ممكن رد فعله يكون ازاي؟

مريم: بس انتي ملكيش اي ذنب في اللي حصل. انتي كنتي ضحية.

حياة باستنكار: مين اللي قالك كدة؟ دة انا اللي سهلتهم كل اللي عملوه معايا. انا اللي كل تصرفاتي ولبسي كانوا بيقولوا اد ايه انا بنت مستهترة متاحة للجميع، بعدي عن ربنا وعن الحجاب خلاني قريبة اوي من الوحوش اللي بتنهش في الاعراض. تعرفي يا مريم انا بعد اللي حصلي دة اتأكدت اد ايه ان ربنا بيحبنا اوي، يعني لما بيأمرنا بحاجة او ينهينا عن حاجة تانية بيكون عشان دة في صالحنا. يعني لما امرنا بالحجاب ونهانا عن التبرج ما كنش عشان مش عاوزنا نبان حلوين او عشان نكون متخلفين ونبعد عن الموضة، لا بالعكس مع ايني شفت بنات محجة ولبسهم عسول اوي وشيك، ربنا امرنا بالتستر عشان احنا جواهر ولازم تتصان.

فضغطت مريم على يد صديقتها بحنان: عندك حق.

حياة: مريم! انا ممكن اطلب منك طلب؟

مريم: اكيد يا حبيبي أؤمري.

حياة برجاء: خلي وليد يبعد عن طريقي، فهميه ان انا مش انسانة مناسبة ليه، بالله عليك يا مريم خليه ما يفكرش فيا
لا بجلو ولا بوحش.

وقبل ان تجيب مريم طلب حياة رن هاتفها، فردت: السلام عليكم...ايوة يا يوسف انا مع حياة...لا احنا خرجنا
وروحنا كافي ع النيل....ليه؟ هو فيه حاجة؟...او ك خد العنوان.....

واخبرته مريم باسم الكافيه وعنوانه.

ثم انهدت المكالمة: ماشي مستنيك

حياة: فيه حاجة يا مريم؟

مريم بحيرة: معرفش كان المفروض ان وليد هو اللي هيبجي ويرجعني الفيلا بس يوسف اتصل وقال ان هو اللي هيبجي.
ومش عارفة ايه السبب؟ وربنا يستر بقا.

الفصل الحادي عشر :

حياة على المحك

كانت مريم تركب في السيارة بجوار يوسف في صمت تام الى ان سألته وهي تدير وجهها اليه فجأة وبعبسية دلت على مدى ما تكتمه من غضب: ممكن بقا اعرف احنا رايجين فين دلوقت؟

فرد يوسف بهدوء ودون ان يحول نظره عن الطريق أمامه: لو صبرتي شوية أكيد هتعرفي.

ثم التوى فمه بسخرية وهو يقول: ما تخافيش، أكيد مش بخطط ابني اخطفك. فياريت تهدي.

احمر وجه مريم غضبا من توبيخه المبطن، ولكنها لم تتمكن في هذه اللحظة من ان ترد له الصاع صاعين كما كانت ترغب لأن السيارة توقفت فجأة فنظرت مريم أمامها، ولفرط دهشتها رأت أنهما توقفا أمام أحد معارض السيارات، لم تستطع ان تخمن السبب ولم يترك لها يوسف الفرصة لتستفسر عن حقيقة الأمر حيث كان قد خرج من السيارة ودخل المعرض، اما هي فمن موقعها استطاعت ان ترى مدى ترحيب صاحب المعرض به، بالطبع فيوسف جلال ليس بالزبون الهين لأي تاجر، وما هي الا دقائق معدودة حتى عاد يوسف وطلب منها التزل من السيارة فوافقت مريم على مضض وفي عقلها العديد من التساؤلات. اتجه بها داخل المعرض وقدمها لصاحب المعرض ذو الابتسامة التي قد حرص على ان لا تفارق وجهه: مريم الكامل، المدام.

صاحب المعرض: اهلا وسهلا يا فندم، احنا عندنا هنا احداث الموديلات اللي اتمنى انها تعجب حضرتك، وان شاء الله مش هتخرجي من هنا الا لما تلاقي طلبك.

كانت مريم تجهل تماما عما يتحدث عنه فلم تعلم بما يمكنها ان تجيب، وبالطبع تولى يوسف ذلك فقال للرجل: ان شاء الله. ممكن بقا انا والمدام ناخذ جولة لوحدنا كدة في المعرض.

فأسرع الرجل: طبعاً يا يوسف بيه، المكان مكانك ، اتفضل حضرتك ولو احتجتني هتلاقيني في خدمتك.

يوسف: متشكر

وتركهم الرجل ورحل، فجذب يوسف مريم من يدها وكأنها طفلة يسحبها خلفه حتى وصلا الى مجموعة من السيارات الفاخرة باهظة الثمن، فأفلتت مريم يدها بعنف وهي تقول له بصوت منخفض بحيث لا يستطيع احد العمال سماعهما ولكنه كان يحمل الكثير من الغضب: سيب ايدي. ولازم تفهم اني مش هتحرك خطوة تاني غير لما اعرف احنا بنعمل ايه هنا بالظبط.

يوسف: تفتكري الناس بتروح معرض السيارات ليه؟

تجاهلت مريم السخرية اللاذعة التي يحملها كلامه وسألته: لو كنت عاوز تشتري عربية، افكر دي حاجة ما تخصنيش. وما كنش لازم تجيبني معاك.

فقال يوسف بنبرة جادة: معاكى حق. فعلا ما كنش لازم اجيبك معايا، بس انا قلت ان يمكن يكون دة حقك في انك تختاري العربية اللي المفروض هتكون بتاعتك.

مريم: بتاعتي انا!، ومين قالك اني عاوزة عربية؟ انا عندي عربيتي.

يوسف مصححا: قصدك عربية جدك اللي خلاها تحت امرك.

مريم بتحدي: جدو اشترى العربية دي مخصوص عشاني وكاتبها باسمي، يعني بقت عربيتي.

يوسف باصرار: ولو. انا مقبلش ان حد يصرف على مراتي طول ما هي شايلة اسمي حتى جدها نفسه.

مريم وقد أصرت على الاستمرار في عناده: بس انا بقا عجباني العربية اللي اشترهالي جدو، وانا مش عاوزة عربية غيرها.

يوسف: اوك، يبقا انتي حكمتي على نفسك يا مريم. وهو انك مش هتخرجي من البيت الا معايا، لان عمري ما هسمحلك انك تركي العربية دي تاني.

فعلا صوت مريم قليلا: هو انت عاوز تتحداني وخلص؟

يوسف بحزم: مريم! اولاً صوتك ما يعلاش . وثانيا انا أكبر من اني اتحداكي. فاتقي غضبي واعملي اللي بقولك عليه وانتي ساكتة.

لا تعلم ان كان ما شعرت به الآن هو الغضب أم الخوف؟ اهو الغضب من اصراره الدائم على الامتثال لاوامره حتى وان كانت رغم ارادتها؟ أم الخوف من تلك النظرات اللاهبة والمتوعدة التي رأتها في عينيه ان هي خالفت أوامره؟ ولكن ما كانت تعلمه حق العلم ،ان ذلك ليس بالوقت المناسب لعصيان اوامره. وبالفعل تجولت معه بين السيارات مرغمة الى ان وقع اختيارها على احدى السيارات ،أو بمعنى أدق لقد كان اختياره هو.فهو دائما صاحب الكلمة الأخيرة.

توجهها بعد ذلك الى مكتب صاحب المعرض وأخبره بقرارهما ثم وقع معه عقد السيارة وكتب له شيكا بالمبلغ المطلوب وقد اتفقا على موعد التسليم. شكر يوسف الرجل، ثم أخذ مريم وغادرا بسيارتهما من جديد ،ولكن تلك المرة كانت مريم على علم بوجهتهما. حيث قرر سجانها ان الوقت قد حان للعودة الى المنزل.

أما وليد الزوج المثالي لأي فتاة تحلم بالاستقرار والبيت السعيد من وجهة نظر مريم بالطبع، فكان يجلس أمام التلفاز يشاهد مباراة لكرة القدم.

يوسف: مساء الخير.

رد وليد بعد أن ألقى عليهما نظرة سريعة ليعود مرة أخرى للتركيز على المباراة التي كانت تحتل كل اهتمامه في تلك اللحظة: مساء النور. اتعشيتوا ولا لسة؟

فرد يوسف وهو يجلس بجواراة لمتابعة المباراة كذلك: انا عن نفسي ماليش نفس.

فقال مريم: وانا كمان،تصبحوا على خير.

وليد: وانتي من أهله.

وبعد أن صعدت مريم لغرفتها،فسأل وليد دون أن يبعد نظره عن التلفاز: شكلك زعلتها.

يوسف بعدم فهم: هي مين دي؟

وليد: أكيد بتكلم عن مراتك.

يوسف بدون اهتمام: اصلا كدة كدة، مفيش حد يقدر يرضي أي ست، صدقني يا صاحبي واسأل مجرب.

وجد يوسف أخيه قد ترك المباراة ليركز نظره عليه وهو يقول بلهجة مليئة بالازدراء: مجرب مع مين بقا؟ اوعى تكون تقصد الاشكال اللي كنت تعرفها؟ ياريت يا صاحبي تقدر تفرق. واياك في يوم تفكر انك تقارن مراتك بأبي واحدة تانية عرفتها قبلها. فاهمني؟

أراح يوسف ظهره الى الخلف وهو يقول بفكر شارد: مراتي!

وليد: اه مراتك يا يوسف، ولا دي نسيتهها هي كمان؟

تدارك يوسف خطأه سريعا: لا، بس لسة الكلمة جديدة على وداني. تصبح على خير.

ثم نهض يوسف وتوجه ناحية السلم، فقال وليد بصوت لا يسمعه غيره: ربنا يهديك يا يوسف وييجي اليوم وتقدر النعمة اللي في ايدك.

وفي مكان آخر بأحدى الشقق الفاخرة كان ماهر يجلس مع علياء ويحتسيان أحد انواع الخمور، فسألته علياء بجنون: قولي بقا ناوي تعمل ايه تاني؟

ماهر بابتسامة شيطانية: وهو انا كنت لسة عملت اولاني؟!

علياء: طب ما ترسيني ع الحوار وتخليني معاك في الصورة.

فهمس ماهر باذنها وهو يفرك شعرها بيده: هيحصل يا جميل. وهو انا بردو اقدر اعمل حاجة من غيرك؟!

ثم ابتعد عنها قليلا وقد تغيرت ملامحه والتمعت عيناه بالشر وهو يصر على اسنانه: وديني يا يوسف لاقرب حياتك للجحيم.

علياء: وانا معاك. عشان يبقا يشبع بالسنيورة بتاعته. ها قولي بقا.

ادار ماهر وجهه اليها: هقولك. بس ركزي اوي بقا عشان مفيش مجال للغلط.

نعود مرة اخرى الى فيلا يوسف جلال ويتكرر المشهد على طاولة الطعام حيث يجلس وليد يتناول فطاره، فدخلت عليه مريم تقول: صباح الخير.

وليد: صباح النور يا مريم، اقعدني افطري

وبالفعل جلست مريم: لا، بالهنا والشفا. انا هشرب شاي بس.

وسكبت لنفسها كوبا من الشاي، وترددت قليلا قبل ان تسأل: هو يوسف متعود انه ينزل الشغل بدري كدة؟

وليد: لا. بس الايام دي لها وضع خاص. لانه بقا المسئول عن شركة الكامل بعد التوكيل اللي عمله جدك، وطبعاً يوسف لازم يثبت انه اد المسئولية وخصوصاً بعد العك اللي كان عمله جوز عمته وابنه.

بدت الدهشة على وجهها: توكيل! هو جدو عمل ليوسف توكيل؟

وليد: انتي ما كنتيش تعرفي؟

مريم: لا.

وليد: اصل جدك يا ستي خاف ان في غيابه ممكن ان جوز عمته يضع كل حاجة، عشان كدة فكر ان يوسف هو الوحيد اللي هيقدر يقف قصاده.

مريم: تمام.

وبعد صمت لم يدم طويلاً سألتها وليد: مريم! انتي كلمتي حياة؟

تصنعت مريم الجهل فسألته: كلمتها؟ في ايه؟!!

وليد: في موضوعي طبعاً.

حاولت مريم التهرب: انت مستعجل على ايه؟ هو الجواز هيطير؟

وليد: وما استعجلش ليه بقا؟ انا والحمد لله جاهز من مجاميعه، ومش ناقصني حاجة، وهي والحمد لله في سنة تالته

دلوقت يعني كلها سنة وتخلص، يبقى هنستنا ليه بقا؟

مريم: اصل شكل حياة كدة مش بتفكر في الموضوع دة دلوقت.

وليد باصرار: يبقى جه الوقت اللي تبتدي تفكر فيه.

مريم بقلق: يعني ايه؟

وليد: يعني لو انتي مش هتقدري تخلصي الموضوع دة يا مريم، فاسمحي لي ايني اكلم باباها.

مريم: طب افرض هي مش موافقة؟!

وليد بثقة زائدة: ليه بقا؟ وهو انا فيا ايه غلط عشان ترفضني؟ ولا ما يكونش فيه في حياتها حد غيري؟ مريم! صارحيني.

هي قالتلك انها بتحب حد تاني؟

تلعثت مريم وهي تجيب: هه! حد تاني! لا طبعاً.

وليد وقد بدأت لهجته تزداد حدة: امال فيه ايه بقا؟ مالك بتقفلها ليه؟

مريم: ابدأ والله يا وليد مش بقفلها ولا حاجة. دة انت حتى اخوية وبتمنالك كل سعادة، وحياة كمان اكر من اختي

والله وبتمنالها الخير. بس دي مسألة جواز يعني مش حاجة سهلة وانتم لازم تفكروا كويس قبل ما تاخذوا اي خطوة

جادة.

فابتسم وليد وهو يعتذر: انا اسف يا مريم لاني اتعصبت عليك، بس انتي لازم تفهمي كويس اوي اني مش باخد اي

قرار في حياتي غير لما بكون واثق منه تماماً. وانا متأكد ان حياة هي انسب واحدة ليا، انتي ما تعرفيش اد ايه انا بفكر

فيها، من اول ما شفتها وهي محتلة كل تفكيري، انا فعلاً قبل ما اعرفها موضوع الجواز دة ما كنش في دماغي اصلاً،

لكن بعد ما ظهرت في حياتي وهي صورتها على طول بتطاردني، هي الانسانة الوحيدة اللي عاوز اكمل معاها بقية حياتي واللي ممكن اثق انها هتشيل اسمي وتحافظ على سمعتي كويس اوي.

شعرت مريم بالدموع تملأ عينيها، فلقد هز كلام ولید كل كيانها واحساسها، فمن ناحية شعرت بالأسف تجاه صديقتها ومن ناحية اخرى ارادت ان تبكي لحالها، فلقد كانت تتمنى ان تتزوج رجلا يرغب بها ويحبها بتلك القوة ويسمعها ذلك الكلام الذي يمكنه ان يذيب عناد اي امرأة، ولكنها قررت ان مشكلة حياة هي الآن أهم عندها وأجدر بتفكيرها، فسرحت قليلا باحثة عن حل الى ان قالت لولید الذي كان قد انهى فطاره ويحتسي الآن كوبا من الشاي على استعداد للرحيل: ولید!

ولید: نعم.

مريم: افرض مثلا انك اكتشفت ان حياة كانت على علاقة بجد غيرك، ساعتها هتعمل ايه؟ هتسيبها وتصرف نظر عن جوازك منها، ولا ممكن تسامحها ع الماضي وتبدأ معاها صفحة جديدة؟

ولید: اولاً مفتكرش ان حياة من النوع دة، خجلها وبراءتها بيقلولوا ان عمرها ما عرفت شاب قبل كدة، ويمكن دي اكر حاجة عجبايني فيها.

مريم: انا بقول افرض

ولید: ولو على سبيل الافتراض زي ما بتقولي فدة بيرجع لنوع العلاقة دي، يعني لو الحب الافلاطوني اللي بيحصل لكل المراهقين دة فكلنا مرينا بيه وعارفين انه بيبقا مجرد فترة وبينتهي ودي اكيد يعني مش حاجة هحاسبها عليها.

مريم بتردد: لا انا قصدي.....

فقاطعها ولید بعد ان القى نظرة سريعة ناحية ساعة يده فنهض على عجل: معلش بقا يا مريم، انا اتأخرت ع الشغل، بيبقا نكمل كلامنا بعدين بقا، سلام.

ثم أخذ حقيبته يده ورحل

مريم بصوت منخفض وفكر مشغول: مع السلامة.

في بيت محمود البدري كانت حياة في المطبخ مع والدتها تساعدتها في تجهيز الغداء الذي أوشك على الانتهاء، فقالت الأم "مها" حياة وهي تتذوق الأرز: سيب اللي في ايدك انتي يا حياة، وروحي غيري هدومك عشان ابوكي زمانه جاي وعلاء معاه.

فقال حياة بتذمر: علاء! وهو كل يوم يا ماما؟

فنهزتها مها بلطف: عيب يا حياة، دة ابن عمك بردو.

حياة: ايوة يا ماما، ابن عمي دة على عيني وعلى راسي، بس يكون كدة وبس.

مها: قصدك ايه يعني؟

حياة: قصدي يا ماما اني بدأت احس ان بابا بيفكر بطريقة تانية

مها: طب وفيها ايه يعني؟ وانتي تطولي اصلا؟ دة باشمهندس اد الدنيا وكمان عنده شقة قريبة مننا يعني مش هتبعدي عندي. وعلاوة على كدة دة ابن عمك واكثر واحد هيخاف عليك.

حياة: اه يا ماما، بس انا مش بفكر في الموضوع دة دلوقت.

مها: وهتفكري فيه امتي بقا يا روح ماما؟ لما تعجزي واسنانك تقع وشعرك بيبيض؟! لا يا حبيبتى انا وابوكي عاوزين نفرح بيكي بقا.

حياة: بس انا عاوزة اكمل تعليمي الأول.

مها: ومين قالك انك مش هتكملي تعليمك؟ دي كلها سنة فتنخطبوا دلوقت عقبال ما تجهزوا نفسكم تكون السنة فاتت وتكونوا كمان قربتوا من بعض اكرت.

لقد استنفذت حياة كل الحيل التي لديها، فتذكرت ان اقرب طريق للوصول هو الخط المستقيم لذا قالت: بس انا بقا يا ماما مش موافقة على علاء ابن عمي ومش هتجوزه.

وقبل ان تجد مها الفرصة للرد عليها سمعا صوت جرس الباب فقالت مها لابنتها: طب ياللا ياللا روجي البسي طرحة
عشان تفتحي الباب اكيد دة بابا وعلاء، وبعدين هيبقا لينا كلام تاني.

وأطاعت حياة الامر وهي تشعر بالاستياء وتدعو الله أن يلهمها الصواب في هذا الامر

على طاولة الطعام وقد انتهى الجميع من تناول غداءه قامت كل من مها وحياة بافراغ المائدة، اما محمود وعلاء فقد
توجها الى حجرة الصالون في انتظار القهوة التي أعدتها مها وقدمتها لهما حياة وكان علاء لا يستطيع ان يرفع عينيه
عنها، ولكنها كانت تتجاهل نظراته وهي تشعر بالحرج الشديد وعندما استأذنت لتغادر المكان متحججة انها ستساعد
والدتها في غسيل الاطباق وتنظيف المطبخ، قال لها والدها مازحا: ومن امتي النشاط دة يا حياة؟! يا ستي اقعدي معانا
شوية وماما لو كانت عاوزاكي معاها هتتايدلك.

علاء: سيبها يا عمي على راحتها، شكل كدة حياة مش عاوزة تقعد معايا انا على وجه الخصوص ولا ما تكونش
مكسوفة مني؟!

فشعرت حياة بالاحراج وقالت وهي تجلس بجوار والدها: يا خبر، ليه بس تقول كدة يا علاء؟ معقولة هتكسف من
اخوية؟!

وقعت الكلمة على كل من محمود وعلاء وقع الصدمة مما أكد شكوك حياة. ولكن استطاع علاء تدارك الموقف سريعا
وهو يقول بلهجة مرحة: بس اظاهر كدة ان معلوماتك غلط يا بنت عمي. يعني لا انتي اسمك حياة منصور ولا انا اسمي
علاء محمود، دة غير اننا مش راضعين على بعض.

ظهر الارتباك على وجه حياة وهي تقول: ما حنا مش لازم يعني نكون اخوات في الرضاعة وبس. يعني كفاية علاقة
القراة اللي بيننا وخوفك عليا . كل دة يخلينا زي الاخوات.

علاء بمراوغة: مانا ممكن اخاف عليك بردو بس من غير موضوع اننا زي الاخوات دة.

حياة بخوف: قصدك ايه يعني؟

فاتجه نظره الى عمه وهو ينهض مبتسما: بيقا اسألني عمي بقا، عن اذنك يا عمي.

فنهض محمود في اثره: ما لسة بدري يا بني.

علاء: لا . معلش بقا. مانا اكيد هاجي تاني.

ثم نظر الى حياة مودعا: سلام يا حياة.

فردت حياة بنبرة جافة وقد هربت الدماء من وجهها: مع السلامة.

خرج علاء وخلفه محمود الذي قام بتوصيله الى باب الشقة ، مما اتاح لحياة فرصة الهروب الى حجرة نومها لترتمي على السرير وهي تردد بعيون باكية: يارب استرها معايا انا عارفة اني عصيتك كتير بس انت غفور رحيم. الهي ان يكن ذنبي عظيم فعفوك يا اله الكون اعظم.

أما في شركة كمال وهدان فقد كان يجلس خلف مكتبه عندما طُرق الباب فقال دون ان يرفع عينيه عن الملف الذي أمامه: ادخل.

دخل ماهر وحيا والده الذي قال له بنظرات متشككة: عملت ايه يا ماهر؟ يا ترى سيع ولا ضيع؟

فأجاب ماهر بابتسامته الخبيثة: عيب يا بوب دة انا ابنك بردو. مُجَّد جمال مستني برة في مكتب السكرتارية.

فقال كمال متلهفا: وساييه برة ليه؟ ما تخليه يدخل.

ماهر بكل برود: اهدى يا بوب، هو مش لازم يلاحظ لهفتنا دي والا هيغلي تمنه.

فعدت الى كمال رزانتته من جديد وهو يقول مؤيدا وجهة نظر ابنه: معاك حق، المهم اتفقت معاه ولا لسة؟

ماهر: لا لسة، انا قلت اتقل ع الرز شوية.

كمال: يعني هو مستعد انه يتعاون معانا اصلا؟

ماهر: امال تفتكر ايه اللي جابه هنا؟ دة من النوع اللي بيع ابوه عشان القرش.

كمال: طب تمام كدة. دخله بقا.

ماهر: اوامرك يا بوب.

وخرج ماهر وما لبث ان عاد من جديد وبصحته رجل قد قارب على الاربعين يختلط الشيب برأسه، وما ان رأه كمال حتى قام بالترحيب به: اهلا اهلا استاذ مُجَّد. دة الشركة نورت بزيارتك.

فصافحه مُجَّد بكل احترام: منورة باصحابها يا كمال بيه.

فأشار له كمال: طب اتفضل اقعد

وبالفعل جلس مُجَّد على الكرسي امامه. وسأله كمال بابتسامة: قولي بقا تشرب ايه؟

مُجَّد بلهجة عملية: مفيش لزوم يا كمال بيه، انا بقول ندخل في الموضوع على طول.

فتبادل كمال نظرات سريعة مع ابنه الذي أوما برأسه موافقا، فقال كمال: وهو كذلك، شوف بقا يا سيدي. احنا سمعنا ان شركة الكامل داخله في مناقصة جديدة كان بيجهزها عبدالرءوف الكامل قبل سفره والمفروض ان اللي هيكملها هو يوسف جلال.

مُجَّد: معلومات حضرتك مضبوطة.

كمال: انا بقا عاوز صورة من ملف المناقصة دي.

مُجَّد: اااا، حضرتك عاوز تخسرهم المناقصة لصالح شركتك ولا يا ترى لصالح حد تاني؟

ماهر بتحذير: لا يا بطل، دي بقا ما ليكش فيها. انت كل اللي يهملك انك تجيبنا الملف وتقبض حسنتك.

مُجَّد مصححا: قصدك عمولتي يا ماهر بيه.

كمال: مش هنختلف ع المسمى.

مُحَمَّد: اكيد لا طبعا، بس انا كل خوفي اننا نختلف ع المبلغ.

كمال: ولا دي كمان افكر اننا هنختلف عليها.

مُحَمَّد: ماشي يا كمال بيه، بيقا نقول ١٠%؟

ماهر: انت مش شايف ان كدة كتير اوي.

مُحَمَّد: ما تنساش يا ماهر بيه ان لو حد كشف ان انا ورا المسألة دي هخسر وظيفتي ومش بعيد ادخل السجن كمان.

كمال: يا سيدي فال الله ولا فالك. بس خليك حنين معنا شوية، و ٥% معقولة بردو.

مُحَمَّد معترضا: بس يا كمال بيه.....

فقطعه ماهر: مش معقول يا استاذ مُحَمَّد انك هتكسر كلمة كمال بيه، وبعدين يا سيدي هنتعوض في حاجة تانية،

والجايات اكثر. قولت ايه؟

مُحَمَّد بعد تفكير سريع: خلاص اتفقنا.

نعود مرة اخرى الى فيلا يوسف جلال لنجد وليد كعادته يجلس أمام التلفاز يشاهد فيلما اجنبيا حين دخل يوسف:

مساء الخير.

رد وليد: مساء النور.

يوسف: انت سهران لحد دلوقت ليه؟

وليد: ابدأ. بما ان بكرة اجازة فقلت اسهر شوية وكمان الفيلم دة عاجبي، انت بقا كنت فين لحد دلوقت؟

فرد يوسف ببساطة: عند علياء.

وقف وليد عند سماعه للاسم وهو يسأل: مش علياء دي.....

لم ينتظره يوسف ان يكمل جملته فقال: ايوة هي، كان عيد ميلادها النهاردة وعزمتني.

فاقترب منه وليد ونظر اليه نظرة شك وهو يسأله: يوسف! انت شارب؟

يوسف بضيق: ايوة يا سيدي، وياريت بلاش تسمعي نفس الاسطوانة اللي بتسمعيها لي كل مرة، بلاش تعيش دور الزوجة الغيورة دة بقا لان المفروض اني خلاص بقيت متجاوز فعلا.

وليد: كويس انك لسة فاكرا، وياترى فاكرا بقا ان الزوجة دي ليها حقوق عليك وكان ع الاقل لازم تاخذها معاك في عيد الميلاد دة؟

يوسف: اكيد ما كانتش هتوافق كانت احتمال تدخل بقا في سكة الحلال والحرام.

وليد ساخرا: وطبعا السكة دي بعيدة عنك تماما.

فهتف يوسف بحزم: وليد! انت عارفي اني مش بحب حد يتدخل في تصرفاتي.

وليد بلطف: يا يوسف انا بجد خايف عليك، اللي انت بتعمله دة هيخليك تخسر مراتك، ودي الحاجة الوحيدة في حياتك اللي لو خسرتها مش هتقدر تعوضها تاني.

شعر يوسف بأن أخيه قد وضع الملح على جراحه ولكنه استطاع ان يخفي ذلك الألم الذي شعر به خلف ابتسامته وهو يتجه ناحية السلم: تصبح على خير يا صاحبي.

وليد: وانت من أهله.

توجه يوسف ناحية غرفة مريم وكان قد اعتاد ان يطرق الباب قبل دخوله، وعلى الرغم من انه كان متأكدا أن مريم ستكون نائمة في تلك الساعة المتأخرة الا انه طرق الباب ، ولكنه اندهش عندما سمع صوت مريم الهاديء تقول: ادخل.

ففتح يوسف الباب ثم أغلقه خلفه ليجد مريم تجلس على أحد الكراسي بجوار الهاتف مرتدية روبا للنوم وفوقه الطرحة كما اعتادت ان تكون في وجوده حيث ما زالت تعتبره رجلا غريبا عنها.

يوسف: مساء الخير.

أجابت مريم وقد بدا الارهاق في نبرة صوتها: مساء النور.

يوسف: ايه اللي مصحكي لحد دلوقت؟

مريم: جدو في العمليات و مستنية أطمئن عليه.

فقال يوسف وقد خالطه شعورا بالذنب: اه صحيح، انا كنت ناسي. المهم مفيش اي اخبار؟

بدت مريم في حالة لا تحسد عليها من شدة القلق: المفروض ان جوة من حوالي أربع ساعات، مش عارفة هما اتأخروا كدة ليه؟

فقال يوسف بلهجة واثقة أراد بها ان يطمئنها: عملية زي دي أكيد بتاخذ وقت، ما تقلقيش ان شاء الله خير، هو معاه احسن الدكاترة الالمان وكمان المصريين.

مريم: يارب.

يوسف: طيب انا هدخل اخد دش سريع وهجيلك.

مريم: لا مفيش داعي شكلك مرهق، انت روح خد دش ونام على طول وانا اول ما اطمئن على جدو هنام انا كمان.

يوسف: على فكرة يا مريم، جدك دة مهم بالنسبالي زي ما هو مهم بالنسبالك، يعني انا خايف عليه زيك بالظبط وكلامي دة مش مجرد مجاملة، ياللا انا مش هتأخر.

فهزت مريم رأسها بالموافقة دون أي رغبة منها للدخول معه في جدال، فكان كل ما يههما ويشغل تفكيرها في تلك اللحظة هو حياة جدها التي على المحك. فهي لا تشعر بالأمان الا في وجوده، هو دائما بالنسبة لها رمز الحب والأمان

والدفء الأسري الذي فقدته منذ وفاة والدها. وقد شعرت في تلك الساعات الرهيبة من الانتظار ان ليست حياة
جدها وحده هي التي على المحك بل أن حياتها هي أيضا أصبحت كذلك.

الفصل الثاني عشر :

* ما بين الجاني والضحية*

في شقة محمود البدري، وبعد أن أم أسرته في صلاة الفجر كما كان يفعل دائما، استأذن كريم وهو يتشاءب: طب عن اذنك يا بابا هروح أكمل نوم.

محمود: ماشي يا كريم، بس هبقا أصحيك تنزل معايا لصلاة الجمعة.

كريم: اوك يا بابا.

ووجه محمود ابتسامة صافية لزوجته وهو يقول لها: ما تقومي يا أم كريم تعمليلنا كوبايتين شاي من اديكي الحلوين دول.

فأسرعت حياة: خليك يا ماما، انا هقوم أعمل الشاي.

فأوقفها صوت والدها قبل أن تنهض من على سجادة الصلاة: خليك انتي يا حياة، انا عاوزك في كلمتين.

مها بابتسامة هادئة ونظرة ذات معنى لزوجها: خلاص، خليك انتي يا حياة.

وتركت مها حياة لوحدها مع محمود الذي نهض من على الأرض ليجلس على الاربكية وأشار الى ابنته: تعالي هنا يا حياة اقعدني جنبي.

فأطاعت حياة الأمر على الفور، وبعد أن جلست على الاربكية بجوار والدها قالت له وفي عقلها العديد من علامات الاستفهام: تحت أمرك يا بابا.

محمود ولم تفارق الابتسامة وجهه وقد قرر أن يسلك أقصر الطرق للوصول لهدفه: قوليلي بقا ايه رأيك في علاء ابن عمك؟

شعرت حياة بأن الدماء قد هربت من وجهها، ولكنها حاولت أن يبدو صوتها طبيعيا وهي تسأل: رأيي فيه من ناحية ايه يا بابا؟

محمود: من كل النواحي، يعني أخلاقه، تفكيره، تعليمه، كل حاجة.

لم تعلم حياة بما تجيب، ولكنها حاولت الابتسام: طب وهو انا أعرف علاء أكثر منك بردو يا بابا؟

محمود بمراوغة: والله أنا عن نفسي شايف انه انسان كويس وأخلاقه عالية وأد المسؤولية.

حياة باستسلام: خلاص يبقى هو كدة فعلا.

محمود: يعني انتي موافقة!

فسألت حياة بارتباك: موافقة! على ايه يا بابا.

محمود: على انه يبجي يخطبك.

فيما يتعلق بالمثل الشعبي الشهير "وقوع البلاء ولا انتظاره"، فهذا المثل لا ينطبق على حالة حياة في تلك اللحظة، فهي كانت تعمل دائما على تأجيل تلك اللحظة وللأبد، ولكن ها هي تأتي ولا تعلم كيف تتصرف؟ فعلاء علاوة على انه ابن عمها الا انه أيضا كما وصفه والدها شاب ممتاز تقريبا في كل شيء، ولا يمكن لأي فتاة متعقلة أن ترفضه لأي سبب آخر غير السبب الذي لا تستطيع حياة الافصاح عنه لوالديها.

رأى والدها أن صمتها قد طال فقال ليستحثها على الكلام: جرى ايه يا حياة؟ ساكتة يعني وما قولتيش رأيك! ولا زي ما يقولوا السكوت علامة الرضا.

لم تعلم أتظل متمسكة بصمتها وليظن والدها كما يشاء أم انها تفاجئه برفضها لتضع نفسها في دوامة من التحقيقات لن تنتهي؟ ولكنها في النهاية قررت أن المماطلة في هذا الامر ستكسبها بعض الوقت للتفكير السليم في كيفية الوصول الى مخرج مناسب من تلك المشكلة، لذلك تصنعت ابتسامة خفيفة على محياها وهي تجيب: لا يا بابا، بس أنا كنت عاوزة شوية وقت عشان أقدر أفكر في الموضوع دة كويس، وكمان ما تنساش ان انا لسة باقيلي سنة في الكلية عاوزة أخلصها الاول، وبعد كدة ابقا افكر براحتي في موضوع الجواز دة.

محمود: وهو انتي يا بنتي هتكوني أول ولا آخر واحدة تتجوز وهي لسة بتدرس؟ وأقرب مثال صاحبتك مريم الكامل أديها اتجوزت وهي لسة يدوب داخله تانية كلية، أما انتي فكلها سنة وتخلصي دراستك خالص، وبصراحة ابن عمك

مستعجل وأنا مش شايف أي داعي للتأجيل، وهو عاوز يتم كل حاجة قبل السنة الجديدة ما تبدأ عشان بعد كدة ما تبقاش تتحججي بالدراسة والمحاضرات، فقدامك دلوقت الاجازة كلها تقدرني تجهزي فيها نفسك.

شعرت حياة وكأنها كالعصفور الجريح المحبوس في قفص دون أدنى أمل في النجاة، وسألت بصوت يائس: انت بتقول كدة ليه يا بابا وكأني وافقت يعني؟

محمود بصوت وكأنه قد تفاجأ بكلامها: وهو انتي ممكن ترفضني؟

حياة بتردد: يعني أنا لسة هفكر.

محمود بحزم: اسمعي يا حياة انا وان كنت بعاملك بلين ومش يحاول افرض عليكى حاجة غصب عنك فأنا بردو في الاول وفي الاخر راجل صعيدي، وانا كنت بوافقك على رفضك للعرسان اللي قبل كدة لأني كنت مستني اللحظة دي عشان المفروض اصلا انك مكتوبة على اسم ابن عمك علاء من يوم ما اتولدت.

فظهرت نظرة خوف في عيني حياة: يعني ايه يا بابا؟ هتجوزني غصب عني؟

محمود: ان لازم الامر هعمل كدة. وكمان انا مش شايف اي سبب يخليني أرفض ابن عمك، وأهو قدامك شاب وميسور الحال وكمان باشمهندس اد الدنيا وشغال في الشركة اللي انا شغال فيها، يعني مستقبله مضمون ان شاء الله، تقدرني تقولي اني بقا سبب واحد يخليكي ترفضيه؟

لازت حياة مرة أخرى بالصمت وكادت الدموع تتساقط من عينيها في اللحظة التي دخلت فيها مها وهي تحمل الصينية التي عليها أكواب الشاي وتقول بصوت قلق: فيه ايه بس يا ابو كريم؟ صوتكم عالي كدة ليه؟

محمود بغضب: تعالي شوفي بنتك يا هانم؟ قال ايه مش عاجبها ابن عمها؟

حياة بصوت باك: يا بابا انا ما قولتش كدة، انا كل اللي قلته محتاجة فترة بس أفكر فيها.

فجلست مها بجوار حياة من الناحية الاخرى وأخذتها في حضنها وربتت على ظهرها وهي تقول لمحمود برفق: طب يا ابو كريم ماهو حقها بردو تفكر.

فنهض محمود وقد اشتد به الغضب: تفكر في ايه؟ هي دي حاجة محتاجة تفكير؟ كفاياكي دلع بقا يا هانم في البنت اللي مش عارف هيوديننا لحد فين، واعملوا حسابكم انتم الاتنين انا بكرة ان شاء الله هخلي علاء يتصل بوالده عشان يبجوا يتقدموا رسمي. ومش عاوز أسمع كلمة تانية في الموضوع دة.

وخرج محمود وهو في قمة غضبه، أما حياة فقد تركت العنان لدموعها وأجهشت بالبكاء ومها تحاول أن تهدئها بكل الطرق، فليس أمامها سوى ذلك في تعلم جيدا عندما يصير زوجها على أمر لن يتراجع عنه مهما حصل، ومن ناحية أخرى لا تستطيع أن تقف بجانب ابنتها المبهم.

نعود مرة أخرى الى فيلا يوسف جلال وفي غرفة مريم وقد انتهت من صلاة الفجر خلف زوجها، حيث قد أذن للفجر وهما يجلسان بجوار الهاتف في الانتظار للطمننان على جدها، وبعد أن تم لها ذلك طلبت من يوسف أن يؤمها في الصلاة، وقد فعل، وبعد التسليم وقد ارتاح قلبها بدرجة أكبر ابتسمت ليوسف تقول له: تقبل الله.

يوسف: منا ومنكم، ياللا بقا قومي نامي، افكر كدة خلاص اطمني على جدك ولازم تستريحي شوية. تصبحي على خير.

مريم: وانت من اهله.

وتنفض الاثنان وعندما توجه يوسف ناحية حجرتة سمع صوتها الرقيق يقول له: يوسف! متشكرة اوي.

أدار يوسف وجهه اليها ليسألها بدهشة: على ايه.

مريم ببراءة تخطف القلب: علشان تعبتك معايا، وانت كان باين عليك انك كنت مرهق اوي و مع ذلك أصريت انك تفضل معايا لحد ما اطمنت على جدو.

يوسف باهتمام: سبق وقولتلك ان جدك مش غالي عليكى انتي لوحدهك. انا كمان كنت عاوز اطمن عليه، هو صحيح جدك انتي بس انا عاشرتة اكثر منك. ومش عاوز اقول اني كمان ممكن اكون بحبه اكثر مانتي بتحببه.

مريم: صحيح انا عشت معاه فترة قليلة اوي، بس في الفترة دي بقا هو كل حياتي، وما بقتش قادرة اتصور اني ممكن أعيش من غيره.

فاقترب يوسف منها قليلا بجذر وهو يسألها: هو انتي دائما كدة؟

فسألته مريم وهي لم تستوعب سؤاله: كدة ازاي يعني!؟

يوسف: يعني دائما بتوقفي حياتك على شخص واحد، في الاول كان باباكي وبس ، ودلوقت جدك وبس، دة حتى ساعة الفرح حسيت انك موقفة فرحتك على وجود صاحبتك اللي اسمها حياة. ليه كدة؟

فردت حياة وقد اعتلت ابتسامة حزينة شفتاها: انت فاكر ان دة بمزاجي. دة قدرتي. يعني اي انسان بيكون عاوز انه يبقا في وسط ناس كتير بيحبوه وبيخافو عليه ويحس بالأمان في وجودهم، بس انا ظروفني كانت مختلفة، بابا و ماما انفصلوا بعد جوازهم تقريبا بتلات سنين ولان ماما كانت مشغولة بحاجات كتير غيري فبابا هو اللي تولى تربيتي لوحده، بس رباني على اني ازاي اكون مسلمة شرقية وطبعا دة خلايني تقريبا ما يكونش ليا اي أصحاب غير بابا نفسه حتى البنات الشرقيين نفسهم اللي كانوا عايشين في بريطانيا كانوا بيتأقلموا بسرعة على الحياة هناك لدرجة انهم كانوا بيعاملوني انا على اني أجنبية بعكس أصحابهم البريطانيين، حتى بعد ما بابا مات حاولت اشتغل وأفضل عايشة هناك بس للأسف الشغل لبنت مسلمة ومحجبة بالنسبالي ما كمش سهل عشان كدة فكرت اكتب لجدو جواب بس كنت مترددة اوي، كنت خايفة انه غضبه وزعله من بابا هيخليه يتجاهل جوابي، لكن عكس كل توقعاتي لقيت جدو بيرحب بوجودي معاه ولما جيت حسيت انه كان محتاجلي اوي زي مانا كنت محتاجاله ويمكن اكثر، بس مشكلتي فضلت زي ماهي لما حاولت اصاحب بنات من سني هنا لقيتهم بردو بيتجنبوني لسبب معروفش.

ثم ابتسمت ابتسامة مرحة وهي تقول: حياة مرة قالتلي بالحرف الواحد انهم بيغيروا مني بسبب شكلي الاوروي دة.

رأته ينظر اليها باهتمام وكأنه لأول مرة يراها ويريد أن يحفر لها صورة في ذاكرته فتابعته وحمرة الخجل تعلق وجهها: فمش لقيت غير حياة وشوية بنات كدة هما اللي قبلوا صداقتي ومن ساعتها بقا جدي وهما اللي بيملوا عليا حياتي هنا. يعني زي ما قتللك دة كان قدرتي وانا رضيت بيه.

عاد يوسف من شروده الى أرض الواقع وهو يقول لها بتنهيده: تصبحي على خير يا مريم.

مريم: وانت من اهله.

وبعد ان ذهب يوسف الى حجرته شعرت مريم بموجة من السعادة تجتاحها لا تعلم لها سببا ولكنها أرجعتها الى أنها قد اطمئنت الى ان حالة جدها أصبحت مستقرة و أنه قد تجاوز مرحلة الخطر، فهكذا حاولت اقناع نفسها.

في حجرة المكتب بفيلا كمال وهدان وقف ماهر يستمع الى والده الذي كان يجلس خلف مكتبه ويتحدث عبر الهاتف: ماشي يا حامد بيه، تمام كدة، بس ما تنساش نصيبي بقا. أولك، جود لأك.

ثم وضع السماعة مكانها وهو يتنهد في ارتياح فسأله ماهر: بس انا نفسي أعرف حاجة يا بوب، هو احنا ليه ما اخدناش المناقصة دي لينا؟

كمال: ما كمش ينفع، اولاً لانها أكبر من امكانياتنا، وثانياً احنا مش عاوزين نظهر في الصورة دلوقت، لازم نستنا الاول لحد ما نعرف مصير عبدالرؤف دة ايه، وامتي بقا هيموت ويريجنا؟

ماهر: هي ماما كلمته امبارح؟

كمال: ايوة يا سيدي هي كلمت المستشفى واطمنت على انه خرج من اوضة العمليات و عدى مرحلة الخطر خلاص.

ماهر بتذمر: يوووه بقا. هو هيفضل كاتم على نفسنا كدة لحد امتي؟

كمال: الخوف دلوقت ما بقاش من عبدالرؤف وبس، المشكلة دلوقت بقت أكبر من كدة، المشكلة الاساسية بقت في اللي اسمه يوسف جلال دة اللي ناوي يقفلنا زي اللقمة في الزور وخصوصا بعد جوازه من البنت اللي بيقولوا عليها بنت عمته دي.

ماهر وقد امتلأت عينيه بنظرات شيطانية: وغلاوتك عندي يا بوب ليكون طلاقهم على ايدي وفي اسرع وقت كمان.

كانت مريم تجلس أمام التلفاز بصحبة وليد الذي كان يمسك في يده أداة التحكم الخاص به "الريموت"، فقالت لها مريم
بشبه توسل: معلىش يا وليد خلي الكرتون، عشان خاطري.

فقال لها وليد بمزاح: يا بنتي كرتون ايه؟ اكبري بقا، احنا هنتفرج على فيلم، اوك؟

فظهر الحزن على وجهها الطفولي الصغير وهي تمط شفيتها بتذمر والحاح: طب نتفرج ع الكرتون الاول وبعدين نقلب
على فيلم. عشان خاطري يا وليد، عشان خاطري.

وليد: الله يكون في عونك يا يوسف.

فاتجه نظر مريم ناحية باب المكتب وهي تسأل وقد ظهر الارتباك على ملامحها: هو يوسف هيفضل قاعد في المكتب
كدة كتير؟

وليد: اصل المناقصة بتاع بكرة مهمة اوي، ويمكن تنقل شركة الكامل نقلة كبيرة عشان كدة هتلاقيه مشغول بيها حد ما
يضمن انها خلاص بقت في جيبه، وأكد هو بيراجع ورقها دلوقت.

ثم أكمل بلهجة خاصة وبشكل فكاهي: نصيبك كدة بقا انك تتجوزي راجل أعمال ناجح.

فردت مريم بلهجة مرحة على فكاهته: يبقى الله يكون في عوننا بقا اللي هنتجوزك انت كمان.

وليد بلهجة دفاعية: لا يا ستي، انا بحب ادي لكل حاجة حقها، الشغل ليه وقته والبيت ليه وقته.

مريم باعجاب: يبقى بقا نقول الله يسعدها ويهنيها اللي هتكون من حظها.

وليد بشرود واصرار: حياة يا مريم. مش هتجوز غير حياة، ومش هقبل اني أشوفها بتتجوز حد غيري.

فقال مريم و هي تحاول رسم ابتسامة رقيقة على شفيتها: ربنا يسعدكم.

ثم سمعا صوت الهاتف الخاص بمريم يرن والذي كان أمامها على المنضدة، فأمسكت به مريم وبدأت ترد: السلام
عليكم..... ايوه يا حياة ازيك..... ايه؟ مالك؟..... طب خليك معايا.

وتوجهت مريم ناحية الباب الداخلي للفيلا والمؤدي الى الحديقة و تتبعها نظرات وليد القلقة منذ أن سمع اسم حياة.
نظرات مريم و حديثها عن تأجيل تقدمه لخطبة حياة قد أدخلت الشك في قلبه.

وفي الناحية الاخرى نجد مريم تتحدث عبر الهاتف وقد ظهر الانفعال في حدة صوتها: ازاي يعني تتجوزي غصب عنك؟..... يا حبيبي والله انا حاسة بمشكلتك بس مش عارفة أعمل ايه؟..... طيب تحبي آجي لعمو وأكلمه واحاول اقنعه بانه يأجل الموضوع شوية؟..... طيب انتي شايفة ايه الحل؟..... يا حياة ارجوك اهدي شوية..... طيب شوفي انا طبعا مش هقدر أخرج دلوقت بالليل فهبقا اعدي عليكى بكرة ان شاء الله ويمكن تكون واحدة فينا قدرت تلاقي حل كويس لمشكلتك دي..... ماشي يا حبيبي..... مع ألف سلامة.

وانتهت مريم المكالمة وفكرها مشغول محاولة ايجاد اي حل مناسب لمشكلة صديقتها التي بدت وكأن لا حل لها، ثم قررت العودة الى الداخل حتى لا تثير أي شكوك فأدارت وجهها ناحية باب الفيلا ثم صرخت مذعورة.

: اهدي يا مريم، ما تخافيش، دة انا.

كان هذا صوت وليد الذي أشار لها بيديه محاول ان يطمئنها، الى أن هدأت قليلا بعد أن استوعبت المفاجأة وقالت له بصوت لاهت: حرام عليك يا وليد، انت ايه اللي موقفك هنا؟

قرر وليد ألا يبوح لها بالحقيقة التي تتمثل في أنه قد جاء خلفها ليعلم ما الأمر الذي تخفيه عنه: أبدا، انا بس اتخنقت من التليفزيون فقررت اتمشى شوية في الجنية.

مريم وهي تبتعد عنه متجهة الى الداخل: اوك، تصيح على خير بقا؟

ولكنه وبخفة قد اعترض طريقها: ارجوكي يا مريم استني شوية.

تعجبت مريم من تصرفه ونظرت اليه بتساؤل، بينما كان هو يحاول ان يرتب أفكاره ويختار الكلمات المناسبة التي يمكنه ان يستجوبها بها دون ان تشعر، ولكنه لم يكن يجذب تلك الطرق الملتوية، فهو دائما يمتاز بصراحته والتزامه فقرر ان يكون سؤاله مباشرا: هو فيه ايه يا مريم؟

مريم: فيه ايه ازاي يعني؟

وليد: فيه ايه بخصوص حياه انتي بتحاولي تخبيه عليا؟ انا من ساعة ما فاتحتك في اني متعلق بيها وعاوز اتقدملها حاسس بانك بتلفي وتدوري عليا وكأنك عاوزة تبعديني عنها، حتى دلوقت سمعت كلام كدة بينكم بيقول ان فيه مشكلة، ومشكلة جامدة كمان، فمممكن لو سمحتي اعرف هي ايه؟ مش يمكن اقدر أحلها أو ع الاقل مابقاش زي الاطرش في الزفة.

ترددت مريم قليلا في ان تخبره بالحقيقة أو ان تستمر في خداعه. فتلك هي المرة الاولى التي تجد نفسها في موقف كهذا، ولكن لتتخلص من نظراته الملحة قررت ان تقول له نصف الحقيقة، ذلك الجزء الذي لن يتسبب في جرح أحد، ولكنها لم تكن تعلم ان الذي يتنازل قليلا يمكنه أن يتنازل كثيرا: اصل حياة جالها عريس ، وباباها مصر انها تتجوزه.

رأت الصدمة على محياه، فقالت لنفسها: اتصدمت بس لما عرفت كدة، امال لو عرفت كل حاجة هتعمل ايه؟

وليد بنبرة واثقة: علاء ابن عمها، مش كدة؟

مريم: ايوة هو.

وليد: وياترى هي موافقة؟

مريم: وتفتكر انها لو كانت موافقة كان هيبقا فيه مشكلة؟ بس باباها مش قابل اي نقاش في الموضوع دة.

وليد: طب انا مستعد ان اتقدملها من بكرة، لا يا ستي من دلوقت، وأقدر اقنع باباها باي انسب ليها من اي حد تاني بس هي توافق.

مريم بارتباك واضح: مفتكرش انها هتوافق.

وليد بشك: ليه يا مريم؟ هي للدرجادي مش عاوزاني؟ طب يعني لا انا ولا ابن عمها؟ امال هي بتفكر في مين؟

مريم: حياة مش بتفكر في حد.

بدا على وليد نفاذ صبره من محاولات مريم المتكررة لمراوغته فظهر صوته حادا: مريم! مش دي كل الحقيقة. احساسني بيقولي انك محببة حاجة تانية، وانا مصر اعرف ايه هي؟

فكرت مريم كثيرا في كيفية ايجاد مخرج لتلك الورطة التي قد أوجدت نفسها بها، ولكنها لم تنجح، فكان ان استجمعت شجاعته لتقول: انا هقولك على كل حاجة، بس اوعدي ان محدش يعرف غيرك مهما كان موقفك من اللي هقوله.

وليد وقد بدأ يشعر بأن الامر خطير بالفعل كما كان يعتقد: أوعدك.

ثم شرعت مريم في سرد كل ما قصته عليها صديقتها وهي تلمح على وجه وليد تعبيرات توحى بالصدمة وعدم التصديق وقد كانت تلتمس له العذر لذلك، الى ان انهدت كلامها وظلت تنتظر ردة فعله، ولكنه بدا لها في عالم آخر، ووجدته يقول هامسا وكأنه يحدث نفسه: مش ممكن! طب ازاي؟ حياة!

رأت مريم في عينيه نظرة اتهام فاستعدت للدفاع عن صديقتها: وليد! اللي حصل دة كان غضب عنها. انت لازم تبصلها على انها مجني عليها مش جانية.

وليد باستخفاف: مجني عليها!

مريم: طبعا، انا عارفة انك مصدوم دلوقت. بس من صدمتك دي تقدر تحس هي اد ايه اتجرحت. واد ايه اللي حصل دة كان مصيبة ليها اكر من أي حد تاني.

وليد بانفعال وقد ظهر الألم في صوته: وانا المفروض مين اللي يحس بيا؟ ازاي تسييني اتعلق بيها بالشكل دة وتفضل ساكتة؟!

مريم بحذر: وانت كنت عاوزها تعمل ايه؟

شعر وليد بأن السؤال قد أجم لسانه عن الاجابة، فظل صامتا، فانتهزت مريم الفرصة لتكمل عليها تجده منه بعض اللين: وليد! صدقني حياة اتظلمت أوي وبلاش انت كمان تكمل عليها.

وليد بحدة: بس ما تقوليش اتظلمت. بنت كانت ماشية بالشكل اللي حكيتلي عنه دة وتصاحب ناس زي اللي وصفتيهم. تستاهل اي حاجة تجراها.

مريم: وهي مش بتنكر انها غلطانة. بس مش ممكن يكون دة عقابها. احنا لازم نقف جنبها.

وليد بدهشة: نقف جنبها؟ وعاوزانا نعمل ايه بقا ان شاء الله؟ انتي تقدرى تروحي لابن عمها دة وتقنعيه انها مظلومة ومجني عليها؟

مريم: انا بتكلم عنك انت يا وليد مش بتكلم عن ابن عمها. انت الانسان اللي المفروض انه بيحبها.

وليد مصححا بجدة وكأنه ينفي عن نفسه قهمة: كنت. كنت بجمها يا مريم. أيام ما كانت بالنسبالي مثال للعفة والطهارة. أيام ما كانت عالية أوي في نظري.

مريم: وهي سقطت من نظرك دلوقت؟

لجأ وليد الى الصمت مرة أخرى فاستحثته مريم على الرد: مالك يا وليد؟ سكت ليه؟ ما تجاوب.

وليد: للأسف يا مريم.

مريم: ياااااه، بسرعة كدة؟! يا وليد اذا كان ربنا بيسامحنا ويغفرلنا أخطاء بنعملها متعمدين لما بنتوب ونرجعه، انت بقا مش قادر تسامحها على غلطة حصلت غضب عنها؟ وانت بنفسك شهدت لأخلاقها وتدينها.

وليد: وانا أضمن منين ان كل دة مش مجرد ستارة بتداري بيها على عملتها؟ وليه اصلا ما تقوليش ان اللي حصل دة كان بمزاجها وانها اخترعت كل القصة دي عشان تكسب عطف اللي حواليتها مش اكرت؟

مريم: ما انت لو كنت في كامل وعيك كنت جاوبت على نفسك. تفتكر لو ظنك دة كان في محله كان ايه اللي خلاها لحد دلوقت تسكت وتخبي على اهلها؟ بلاش دي. طب لو كانت هي زي مانت بتقول ايه اللي يخليها اصلا تكشف سرها ليا وترفض انها تتجوز ابن عمها؟ مع انها كان ممكن تقبل تتجوزه وتضحك عليه بعملية كانت ممكن اي بنت تعملها عشان تضحك بيها بعد كدة ع الانسان اللي هتتجوزه..... تفتكر هي ليه ما عملتش كدة غير لانها مش عاوزة تخدع حد مع انها في ظروف أي بنت غيرها كانت فكرت في نفسها وبس من غير ما تحط في اعتبارها اي حد تاني. ما ترد عليا يا وليد.

لاذ وليد بالصمت مرة أخرى لا يعلم بما يجب فلقد تضاربت الأفكار في عقله وقد اعتصر قلبه من الألم، وما كان منه الا ان تركها ومشى بخطى سريعة الى الخارج.

فدعت مريم أن يلهمه ربه الصواب، فهي تخشى منه وعليه؛ منه لأنها قد أفشت له سر صديقتها التي قد ائتمنتها عليه وهي لاتعلم كيف ستكون ردة فعله أسببى على عهده معها ويظل السر بينهما فقط أم ان الصدمة التي تلقاها أكبر عنده من أي عهد؟ وتخشى عليه حيث تراه للمرة الأولى في حالة يرثى لها وكل كلمة ينطق بها محملة بالغضب والالم الذي يملأ كيانه بعد أن كانت قد اعتادت على مرحة ومزاحه المتواصل و ظلت تسأل نفسها أسببى وليد كما كانت تعرفه من قبل ذلك الشاب المرح الهادىء الملتزم، أم ان جراح القلب يمكنها أن تغير كثيرا من تصرفات العقل؟!!

قررت مريم في النهاية أن تدخل الفيلا وستترك الوضع على ما هو عليه حتى يجد جديد، وعندما توجهت الى مدخل الفيلا وجدت يوسف في انتظارها يقف عند المدخل عاقدا ذراعيه حول صدره وفي عينيه الكثير من التساؤلات فعلمت انها بصدد استجواب جديد ولكن من نوع آخر، ولكنها فضلت ان تتجاهل ذلك وعندما اقتربت منه قالت له بصوت حاولت ان يبدو متزنا: مساء الخير.

تجاهل يوسف تحيتها وسألها وقد بدا عليه الضيق الشديد: هو وليد ماله؟ مش متعود انه يخرج من البيت في وقت زي دة غير لما يبقا فيه حاجة مهمة.

فأجابت مريم ببساطة وهي تتجه ناحية السلم: معرفش. يبقا أسأله.

ثم توقفت في منتصف القاعة مترددة وكان يوسف قد دخل وأغلق باب الفيلا فأدارت وجهها اليه فجأة تسأله: يا يوسف تفتكر رد الفعل لراجل حب واتصدم في البنت اللي بيحبها ممكن يكون ايه؟
يوسف باقتضاب: معرفش لأنى ما جربتش.

مريم: يا ترى ايه الي ما جربتوش؟ الحب ولا جراحه؟

يوسف: ما جربتش الحب عشان بيكون نتيجته الجرح. قوليلي بقا، صاحبك حياة هي السبب؟

كانت مريم تشهد ليوسف بالذكاء الحاد، ولذا فكانت على يقين تام بأنه يعلم بشعور أخيه ناحية صديقتها، ولكنها فكرت في مراوغته: وايه علاقة حياة بوليد؟

وليد: الله أكبر، والعزة لله.

ثم توجه الى الجامع لتأدية الفريضة و قد خطر على باله قول الرسول: "أرحنا بها يا بلال"، وقد كان وليد في أمس الحاجة لتلك الراحة، فكان يريد ان يشكي بته وحرزته الى الله، لعله ينير دربه ويلهمه الصبر والسلوان.

أدى وليد صلاته، وقد شعر بأن كل الهم الذي كان يحمله فوق عاتقه أصبح يتلاشى شيئاً فشيئاً، ثم توجه عائداً الى المنزل، وما ان دخل الفيلا، حتى تفاجأ بصوت أخيه يأتيه من حجرة المكتب: وليد! كنت فين لحد دلوقت؟

توجه وليد الى حيث يقف أخوه عند باب المكتب الذي كان يبدو عليه هو الآخر انه لم يذق طعم النوم في تلك الليلة، وقال له وقد ظهر الارهاق واضحا على صوته: كنت بتمشى شوية، وسرقني الوقت لحد ما أذن الفجر عليا فقلت أصليه بالمرّة.

يوسف: وليه ما كنتش بترد ع الموبايل؟

وليد: معلىش، ما اخدتش بالي انه كان بيرن.

شعر يوسف بالقلق على أخيه فقال له برفق: مالك يا وليد؟ فيه ايه؟ باين عليك انك تعبان.

وليد: لا ابداء، يمكن بس عشان ما نمتش.

يوسف: خلاص، اطع ناملك شوية، ومش مهم تروح الشركة النهاردة أنا هبلغ السكرتارية انها تلغي مواعيدك بتاع النهاردة. بس ياريت تحاول تصحى على العصر كدة عشان تستقبل عمته وهدى لانهم اتصلوا وقالوا انهم جاينين النهاردة.

وليد بلا ادنى اهتمام: ان شاء الله.

وقبل أن يصعد الى غرفته توقف عند أولى درجات السلم والنفت مرة اخرى نحو يوسف وهو يقول بنبرة جافة لا تحمل أي تعبير: على فكرة يا يوسف، أنا خلاص نويت أسمع كلامكم وقررت اني التجوز.

الفصل الثالث عشر :

زواج تحت التهديد

في مكتب عبدالرءوف بشركة الكامل، اجتمع يوسف بكبار موظفي الشركة ليصب عليهم غضبه: دة يبقا اسمه كلام فارغ ولعب عيال. يعني ايه نخسر مناقصة زي دي؟ وازاي اللي اسمه حامد دة يقدم مميزات أفضل مننا وكمان بسعر أقل؟!

فقال مُجدَّ جمال بصوت متلجلج وقد كان أحد الموظفين الموجودين بالاجتماع: قصدك ايه يعني يا فندم؟

فرد عليه يوسف بلهجة تنذر باقتراب ثوران بركان الغضب بداخله ومشددا على كل كلمة يقولها: قصدي بالظبط اللي انت فهمته يا فندم، اصل مش معقول يعني واحد زي اللي اسمه حامد مسعود ياخذ مننا مناقصة زي دي بسهولة كدة و تحاول تقنعي ان الموضوع عادي والمنافسة كانت شريفة.

تكلم موظف آخر بحدة: يا فندم حضرتك كدة بتشكك في **staff** العمل كله.

فأشار يوسف باصبعه ناحية الجميع بنظرة اتهام لا يمكن لأحد ان يخطئها ولهجة قوية حازمة: وهتفضلوا كلكم محل شك عندي لحد ما اعرف الحقيقة ولو دة ما حصلش وعد مني انا شخصيا اني هغير ال **staff** كله. اتفضلوا على مكاتبكم.

وخرج الجميع ماعدا واحدا، فسأله يوسف بنفاذ صبر: خير يا وائل؟ فيه ايه؟

وائل: انا اسف يا فندم، بس كنت عاوز اقول لحضرتك حاجة كدة.

يوسف بعصبية: لخص يا وائل، انا مش ناقص أَلغاز.

وائل: انا شاكك في واحد معين هو اللي ممكن يكون ورا خسارتنا للمناقصة دي.

فنظر له يوسف باهتمام، ولكنه قال له بلهجة ثابتة: مفيش حاجة عندي اسمها شاكك، أدامك أد ايه عشان تقدر

تجييلي دليل على اتهامك دة؟

وائل: طب هو حضرتك مش عاوز تعرف الاول مين دة اللي انا شاكك فيه؟

يوسف بكل ثقة: مُجَّد جمال.

صدمه اطلاع يوسف على الأمر، وما صدمه أكثر هي ثقة يوسف وهو ينطق الاسم: طب مادام حضرتك عارف، ليه مش راضي تتخذ معاه اي اجراء لحد دلوقت؟

يوسف: لأني زيك شاكك، وانا مش هحاسب انسان ل مجرد الشك، وائل! انا هعتمد عليك انت في الموضوع دة. سواء كان مُجَّد جمال أو غيره، انا عاوز دليل في ايدي قبل ما عبد الرؤوف بيه يرجع. فاهم؟

وائل: فاهم يا فندم.

يوسف بلهجة تشجيعية: ربنا يقدرك. ياللا بقا اتفضل دلوقت على مكتبك.

وائل قبل أن يغادر المكتب: أمرك يا فندم.

وخرج وائل لتأتي هناء بعده تقول: اسفة يا فندم، لكن مدام علياء برة أديلها نص ساعة، أدخلها؟

يوسف بتأفف: علياء! مش وقتها خالص.

هناء: لو تحب سيادتك، ممكن أقولها ان حضرتك وراك مواعيد أو اجتماعات تانية.

يوسف: لا، دخلها، ويبقا اطلبيلي فنجان قهوة.

هناء: حاضر يا فندم.

وخرجت هناء، وما هي الا لحظات لتدخل علياء وقد سبقها عطرها الفواح، استطاع يوسف رغم الارهاق الذي يشعر

به رسم ابتسامة هادئة على شفثيه وهو يقف لها مرحبا: أهلا يا علياء ايه أخبارك؟

وبعد أن صافحته علياء وجلست على الكرسي قبالتة، قالت له معاتبة بدلال: لا يا يوسف، انا مخصماك جامد.

يوسف: طب تشربي ايه الأول؟

علياء: لا يا سيدي انا مش عاوزة أشرب حاجة. بقا أهون عليك كدة لا نتقابل ولا حتى مكالمة تليفون من يوم الحفلة؟
ايه يعني ما وحشتكش ولا انت تقلان علينا؟

يوسف: لا دة ولا دة. بس انتي شايفة بعنيكي، أنا ما بين الشركة هنا وشركتي اللي بتابع أخبارها مع وليد، الشغل مش
مخليني أخذ نفسي أصلا.

علياء بلؤم: الشغل ولا المدام؟

يوسف بضيق: لو سمحتي يا علياء تخرجي مراتي برة كلامنا.

علياء متصنعة الحزن: ودة بقا أسميه ايه يا سي يوسف؟ يعني للدرجة مش طابق سيرتها؟ ولا ما تكونش بدأت تحبها؟

خرج صوته حادا دون أدنى محاولة منه للسيطرة على نفسه: علياء! انا مش ناقصك. فما تحاوليش تستفذي النهاردة
بالذات.

فقلت علياء التي شعرت بالخوف ولكنها استطاعت أن تحصن وجهها خلف قناع الابتسامة والاهتمام المزيف: مالك
بس يا حبيبي؟ شكلك عصبي اوي النهاردة.

فهدأ يوسف قليلا وهو يعتذر لها: معلىش يا علياء. عندي مشكلة كدة في الشغل و كمان في البيت ومش قادر أركز في
حاجة تانية.

فقلت علياء وهي تم بالهوض كارهة: ولا يهك يا حبيبي. انا همشي بقا عشان أسيبك تركز بس هستنا منك تليفون
قريب. اوك؟

فأوما يوسف برأسه موافقا، ثم ودعته علياء وغادرت، ليجلس يوسف وحده محاولا السيطرة على نفسه من جديد
وترتيب أفكاره مرة أخرى.

وفي بيت محمود البدي نجد حياة تجلس على السرير بحجرة نومها والدموع تملأ عينيها تخشى السقوط ووجهها يبدو شاحبا من كثرة البكاء والارهاق وبجانبتها مها التي كانت تضع يدها حول كتفها لتهدئتها وكان يقف أمامهما محمود والذي لم يكن قد رق لحالها بعد كما فعلت والدتها ولكنه كان عنيدا لأقصى درجة وهو يرد بجملته الحاسمة: حياة! انا قلت مفيش كلام تاني في الموضوع دة. ثم انا خلاص كلمت ابن عمك وهو قالي انه هيسافر الجمعة الجاية عشان يبلغ أبوه وهيجوا الاسبوع الجاي كلهم عشان يخطبوكي رسمي.

حياة وقد ضعف صوتها كثيرا: بس يا بابا، انت ما يرضيكش اني اتجوز غصب عني.. مش كنت بتقولي ان اهم حاجة عندك هي سعادي انا وكريم، فين سعادي دي بقا وانت عاوز تجوزني واحد انا مش عاوزاه وما بجبوش!

محمود بغضب: حب ايه وكلام فارغ ايه؟ ابن عمك شاربيكي وهيكون اكثر واحد يخاف عليك، والحب الحقيقي هو اللي بييجي بعد الجواز، وأنا واثق ان علاء بأخلاقه و ذوقه هيعرف يخليكي تحبيه زي مانا واثق بالظبط انك عمرك ما هتلاقي انسان زييه.

حياة: بس يا بابا.....

محمود بشكل قاطع: مفيش بس.

ثم أكمل بنظرة مملوءة بالشك: وبعدين أنا اصلا مش مستريحلك، ورفضك دة مش طبيعي.

حياة بارتباك: قصدك ايه يعني يا بابا؟

محمود: يعني ايه اللي يخليكي ترفضني واحد زي ابن عمك علاء غير انك تكوين مشغولة بحد تاني؟

وهنا تحدثت مها لأول مرة بعتاب رقيق: ايه بس الكلام اللي بتقوله دة يا ابو كريم؟ ازاي بس تقول كدة على بنتك؟ دة احنا مربينها هي واخوها احسن تربية.

محمود: استني انتي يا مها. انا عاوز اسمع الكلام دة منها هي. ما تردي يا حياة، انتي تعرفي حد تاني؟ ولو دة حقيقي ما جاش اتقدملك ليه لحد دلوقت؟

نظرت حياة الى الأرض متهربة من نظرات والدها المتسائلة ولا تعلم بم يمكنه أن تجيب ولكن قد أعفاها جرس الباب من الرد، فتحرك محمود من مكانه ليفتح الباب ويتفاجأ بشخصية الزائر: باشمهندس وليد!

وليد بابتسامة ودودة: مساء الخير .

محمود وكان لم يستوعب المفاجأة بعد: مساء النور.

وليد بصوت مرح: ممكن أدخل؟

تدارك محمود الأمر سريعا وهو يفسح الطريق أمام وليد ليستطيع الدخول: اه طبعاً. أتفضل، أهلاً وسهلاً بيك.

وبالفعل دخل وليد وأغلق محمود الباب من خلفهما، وأشار الى احدى الغرف: اتفضل في الصالون يا باشمهندس. وبعد أن دخلا وجلس وليد سأله محمود: نجهز عشا بقا ؟

وليد: لا، مفيش داعي.

محمود: يا خبر! ازاي يعني؟ دة انت أول مرة تنورنا في بيتنا، ولا انت شايف اننا بخلا؟

وليد: لا طبعاً. انا اسف ، بس والله فعلاً مش هقدر اكل ، ولو ينفع يعني فياريت فنجان قهوة مطبوط.

محمود: عنينا يا باشمهندس. بعد اذنك.

وخرج محمود وهو في حيرة من أمره بسبب زيارة وليد المفاجأة، ولكنه قرر ألا يستعجل الامور، ثم دخل حجرة نوم حياة: ام كريم اعمليلنا اتنين قهوة مطبوط.

مها: هو مين اللي جه يا أبو كريم؟

محمود: دة الباشمهندس وليد جلال.

مها: ودة ايه اللي جابه السعادي؟

محمود: معرفش، قال يا خبر النهاردة بفلوس. ياللا قوموا بسرعة واعملوا القهوة. مش هنقعد نتسامر ونسيب الراجل قاعد لوحده.

مها: حاضر يا ابو كريم. دفايق وتكون القهوة جاهزة.

وخرج محمود لضيفه، وخلفه مها لاعداد القهوة، اما حياة فكانت في عالم آخر منذ أن سمعت اسم وليد وتعود بذاكرتها الى ظهر هذا اليوم حين قابلت مريم في أحد المطاعم وقد هربت الدماء من وجهها وهي تهتف في محاولة أن يكون صوتها منخفضا بقدر ما استطاعت: قولتيه يا مريم؟ قولتيه؟! هي دي الامانة اللي عهدتيني على انك تصونيها؟

مريم وهي تشعر بالذنب: والله يا حياة كان غضب عني، ما كنش قدامي حل تاني. وانا كنت فاكراه هيفهم ويقدر.

حياة بسخرية مريرة: هيفهم؟ ويقدر؟ انت فاكرة نفسك لسة في انجلترا يا مريم؟ فوقي بقا، انتي في مصر، والانسان اللي بتتكلمي عنه ده مش بس مصري وشرقي، لا ده كمان صعيدي. يعني لا هيفهم ولا هيقدر مادام الموضوع وصل للأعراض والشرف. وبالنسبة لواحد زي وليد ولو كان متعلق بيا زي ما كنتي بتقولي وعاوز يتجوزني، أكيد بعد اللي عرفه هيجلي كل حبه ده يتقلب لعداوة وكره، ومش بعيد يكون يفكر دلوقت ازاى يقدر ينتقم مني عشان يرضي كبرياءه.

مريم بدون اقتناع كامل بما تقول: لا يا حياة. مفتكش ان وليد يعني ممكن يكون يفكر بالطريقة دي.

حياة: مش بقولك انتي طيبة أوي.. أعمل ايه بس دلوقت انا يا ربي؟

أفاقت حياة من شرودها على صوت أمها وهي تقول لها: حياة. يا حياة. مالك يا بنتي؟

حياة: هه! فيه ايه يا ماما؟

مها: قومي يا بنتي غيري هدومك بسرعة وتعالي معايا.

حياة: أجي معاكي فين يا ماما؟

مها: تقابلي الباشمهندس وليد. هو طلب من أبوكي انك تيجي تقعدي معنا عشان الكلام اللي هيقوله يخصك.

أرادت حياة في تلك اللحظة ان تنشق الأرض وتبلعها وهي تردد بخضة: يخصني!

أما في حجرة الصالون نرى وليد يجلس مع محمود والابتسامة تملو وجهه ويتحدثون في أمور شتى الى ان سمعا طرقا خفيفا على الباب، فقال محمود: ادخلي يا أم كريم.

ودخلت مها وخلفها حياة بخطى مترددة وقالت: السلام عليكم.

رد كل من وليد ومحمود: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

محمود: اقعدي يا حياة هنا جنبي.

وجلست حياة حيث أمرها والدها وعينيها معلقة على وجه وليد لترى به تعبيراً غريباً لم تستطع تحديده، فهل تلك النظرة التي تراها في عينيه هي لوم وعتاب؟ ام عداً واحتقار؟ أم كل ذلك متجمعا في نظرة واحدة؟

افتتح محمود الحديث قائلاً: وأدي حياة جات أهى يا باشمهندس، خير بقا؟

تنحى وليد قليلاً ثم قال والابتسامة تزين حديثه: الحقيقة يا استاذ محمود أنا كنت جاي النهاردة عشان اتقدم واطلب ايد الانسة حياة.

ان قلنا ان المفاجأة قد ألجمت لسان كل من محمود ومها فهي قد شلت جميع حواس حياة بالكامل، وظلت تتساءل هل ما تسمعه حقيقة؟ هل هو بالفعل يطلب أن يتزوجها هي بعد كل ما علمه؟!

وشعر وليد بالصمت يغلف المكان فازدادت ابتسامته وهو يسأل محمود: خير يا أستاذ محمود؟ ما سمعتش ردك يعني!

فقال محمود وهو يشعر ببعض الحرج: والله يا باشمهندس وليد انا مش عارف أقولك ايه؟ طبعا طلبك دة يشرفني لكن للأسف بقا جه متأخر لأن حياة اصلا مخطوبة.

لم يبدو على وليد أنه قد تفاجأ او شعر ببعض الاحباط وهو يقول: انا عارف يا استاذ محمود ان علاء ابن عمها اتقدملها بس اللي اعرفه بردو ان حياة مش موافقة.

محمود وهو ينظر بشك الى حياة التي لم ترفع عينيه عن الارض: وياترى بقا عرفت الكلام دة منين؟

وليد: حياة حكمت لمريم ومريم هي اللي قالتلي.

محمود: طب ما تأخذنيش بقا يا باشمهندس، انت فعلا لو كنت عاوز بنتي زي ما بتقول فإيه اللي يخليك تستنا لحد دلوقت عشان تتقدملها؟

وليد: دي بقا يا استاذ محمود تبقا غلطة حياة.

التفتت اليه حياة عند ذكر اسمها وقد علت الدهشة وجهها.

أما محمود سأله: ازاى يعني؟

وليد: بصراحة أنا أول ما شفت حياة أعجبت بيها وكنت عاوز اتقدملها لكن عرفت ان حياة كانت بتخطط انها تخلص دراسة الأول عشان كدة قلت مفيش مانع لو أجلت الموضوع دة سنة كمان، لكن أول ما عرفت انها ممكن تكون لحد تاني غيري قلت مش هينفع اني أءجل أكثر من كدة.

محمود: بس دة ما يمنعش ان حضرتك بردو جيت متأحر، لأني خلاص عطيت كلمة لابن عمها ومش هينفع أرجع فيها، وانت أدري الناس بعاداتنا وتقاليدينا يا باشمهندس.

وليد: حضرتك في دي معاك حق، بس افتكرك ان لا الشرع ولا الدين بيقولوا ان البنات تتجوز غضب عنها. وافتكرك ان حضرتك أب كل اللي يهمه مصلحة ولاده وسعادتهم. وسعادة حياة مش هتكون مع ابن عمها.

محمود وقد بدأ يضيق بحديث وليد: وانت ايه عرفك بقا يا باشمهندس ان مصلحة بنتي هتكون معاك؟

فألقى وليد بنظرة ثابتة على حياة حاولت تجنبها: والله يا استاذ محمود كفاية انك تعرف ان فيه بينا نوع من التفاهم اللي ممكن يخلينا نعيش مع بعض في سعادة، وانت ممكن تسأل حياة وأعتقد انها موافقة على كلامي.

ومن نظراته شعرت حياة بأنه يتحداها ان تنكر كلامه، وبالطبع فهي لم يكن بمقدورها أن تفعل ذلك فتحلت بالصمت.

وهنا وقف وليد فجأة وهو يقول: طب استأذن أنا بقا وفي انتظار ردكم.

وقف محمود ليقوم بدوره كمضيف: ما لسة بدري يا باشمهندس

وليد: معلى بقا شكلى أصلا سهرتكم، وانا اسف للمرة الثانية ع الازعاج واني جيت من غير ميعاد.

محمود: ما تقولش كدة يا باشهندس، دة البيت بيتك، وانت تشرفنا في أي وقت.

وليد: ربنا يعزك، وان شاء الله أسمع أخبار كويسة قريب.

محمود: ربنا يقدم اللي فيه الخير.

وليد: يارب، سلام عليكم.

فردو جميعا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وخرج وليد يتبعه محمود، أما مها فانتقلت من مكانها لتجلس بجانب ابنتها التي شعرت بأن رجليها لن تستطيع أن تحملها، وقالت مها: يعني ما قولتليش يا حياة على موضوع وليد دة؟

فردت حياة شاردة وبلهجة صادقة: أنا نفسي يا ماما ما كنتش متوقعة اللي حصل دة.

كانت حياة بالفعل تقول الحقيقة فلقد كانت تتوقع من وليد رد فعل مختلف تماما عما قام به.

كنك اتجنيت عاد:

قالتها هادية بغضب وهي تقف أمام وليد بعيون لاهبة يتطاير منها الشرر في حضور ابنتها وكل من يوسف ومريم، ورد عليها وليد بحدة: عمتي لو سمحتي دي حياتي وانا حر فيها.

هادية: لا يا ولد أخوي ما انتاش حر لما يبجا الموضوع متعلج بسمعة بت عمتهك يبجا ما انتاش حر واصل.

وليد: يا عمتي الجواز مش بالغصب وهدى طول عمرها زي اختي وأكيد هتلاقي اللي أحسن مني ويقدر يسعدها.

هادية: ومين دة اللي يرضى انه يتجدملها بعد ما يعرف ان ولد خالها سابها واتجوز غيرها؟ ولا هما البننة بتوع مصر نسوكم عادتنا وتجاليدنا.

وليد: يا عمتي مفيش داعي للكلام دة ، واحنا ما نسيناش حاجة.

هادية: لا يا ولد أخوي. طب وأخوك الكبير لما عملها واتجوز بت حمدي الكامل جولنا ماشي و أهى هتبجا وريثة جدها بردك ويجعله انه يفكر فيها.

كانت مريم تستمع الى الحديث في صمت حتى حين جاءت قصة زواجها من يوسف فضلت أن تحتفظ بها لما بعد ذلك، فها هي الان قد علمت بسبب اقبال يوسف على زواجه منها رغم علمه برفضها الشديد له، أما يوسف فكانت ردة فعله عنيفه حيث هتف بصوت حاد صارم ولكن ليس بالشكل الذي كان يرضي مريم: عمتي! خرجي مريم من الموضوع. تجاهلت هادية كلام يوسف وأكملت: اما انت بجا ايش عجبك في بت البدري؟ لا هي أجمل من بت عمتهك ولا أغنى.

وليد: يا عمتي المسألة ملهاش دعوة لا بمال ولا جمال، انا وحياة متفاهمين ومن الآخر انا حتى لو مش هتجوز حياة عمري ما كنت هفكر في اني اتجوز هدى.

شعرت هدى بأنه قد داس بكل عنف على كرامتها فانهمرت الدموع من عينيها وصعدت السلام في خطوات سريعة تقترب من الجري وهي تجهش بالبكاء، أما هادية فقد كان ردها قويا وهي تقول: كدة بجا يبجا انتو جبتوا من الآخر، ومن اليوم لا انا بجيت عمتهكم ولا انتو ولاد أخوي.

ثم صعدت هادية خلف ابنتها بخطى ثابتة، لا تفكر الا في كيفية الثأر لكرامة ابنتها المجروحة.

كان يوسف مستلقيا في فراشه يقرأ في أحد الكتب الخاصة بإدارة المال والأعمال حين سمع طرقا خفيفا يأتيه من الباب الذي يفصله عن حجرة مريم، فقال دون أن يرفع عينيه عن الكتاب الذي في يده: ادخل.

ودخلت مريم بخطى مترددة تفرك في يديها ولا تعلم من أين ستبدأ حديثها، فرفع يوسف عينيه قليلا اليها وعندما لاحظ ترددها، سأها: خير يا مريم؟ فيه حاجة؟

مريم: الحقيقة انا كنت عاوزة أسألك من زمان عن حاجة كدة بس كنت مترددة.

يوسف: حاجة ايه؟

مريم وقد استجمعت كل شجاعته وهي تقول: يوسف! انت ليه تجوزني؟

بدا انه لم يتفاجأ كثير بسؤالها، بل انه أغلق الكتاب ووضعه على المنضدة بجانبه، ثم نهض من السرير واقترب منها بخطوات بطيئة وهو ينظر في عينيها بعمق وكأنه يخترق كيائها ويقول بكل ثبات: عشان فلوسك.

تفاجأت مريم من صراحته الغير متوقعة ولكنها تفاجأت أكثر حين رآته يبتسم ساخرا وهو يستطرد قائلا: مانتي هتبقي وريثة جدك، مش دة بردو اللي قالته عمي تحت؟!!

علمت مريم انه لم يكن يقصد أي كلمة مما قالها بل انه كان قد اتخذ من تهكمه وسيلة مناسبة للرد على اتهامها الغير مباشر، لذا بدأت في الاعتذار: انا اسفة يا يوسف، ما كنتش أقصد، بس انا فعلا الموضوع دة كان محيرني اوي، ولما عمك اتكلمت فيه واحنا تحت حبيت أعرف الحقيقة منك.

يوسف: حقيقة ايه اللي انتي عاوزه تعرفيها يا مريم؟

فقلت مريم وهي تتمشى في الحجرة على غير هدى فقد كانت تلك احدى عادتها حين تشعر بالتوتر: كنت عاوزه أعرف انت ليه فعلا تجوزني؟ لما كنا في البلد قولتلي انك مش هتطلقني دلوقت عشان خاطر جدو وانك بتحبه لدرجة انك ما تقدرش تتسببه في أي فضيحة، يا ترى جدو عبدالرءوف هو اللي أجبرك انك تتجوزني؟

فرد يوسف بصرامة وثقة عالية بالنفس: اللي عاوزك تفهميه كويس يا مريم ان مفيش حد في الدنيا يقدر يجبرني اني اعمل حاجة انا مش عاوزها. فاهمة؟

أومأت مريم برأسها ثم سألته مغيرة الموضوع: طب انت ايه رأيك في اللي عمله وليد؟ يعني موافق على جوازه من حياة؟ يوسف: وليد شاب عاقل يقدر يقرر بنفسه ايه اللي ينفعه وايه اللي لا، وطالما هو اختار حياة بيتقا اكيد واثق ان دي هي الوحيدة اللي هتقدر تسعده.

ثم نظر الى مريم بريبة: بس أنا فيه حاجة مش فاهمها.

مريم: ايه؟

يوسف: وليد امبارح قبل ما يخرج من الفيلا كان في حالة مش طبيعية، كان تقريبا على وشك الانهيار، واول ما رجع فاجأني بانه قرر يتجاوز حياة، انتي قولتيله ايه قبل ما يخرج؟

مريم وقد شعرت بالارتباك: هه، ولا حاجة، هو اصلا بيحب حياة من اول ما شافها بس انا قولتله امبارح انها هتتخطب لابن عمها عشان كدة كان متضايق وقرر انه ياخذ خطوة سريعة في الموضوع دة لانه كان خايف احسن تضيع من ايده، وبس. تصبح على خير بقا.

واسرعت الخطى نحو غرفتها وكأنها تحتمي بها ضد هجوم يوسف بأسئلة أكثر لا يمكنها الاجابة عنها، اما يوسف فقد وقف مسمرا في مكانه وهو يقول في نفسه ناظرا ناحية الباب الذي أغلقته مريم خلفها: يا ترى يا مريم ممكن يبجي اليوم اللي هنتقي فيها وتقوليلي كل اللي جواكي من غير خوف!؟

وعبر الهاتف كانت حياة تتحدث بكل ما تمتلك من هدوء ورزانة: ايوة يا باشمهندس عارفها..... خلاص ان شاء الله هقابلك هناك بعد نص ساعة..... مع السلامة.

ثم انتهت المكالمة فسألته مريم التي كانت تجلس بجوارها على أحد المقاعد في الكلية: انتي لسة مصره بردو ع اللي في دماغك دة يا حياة.

حياة: لازم يا مريم، انا من ساعة اللي حصل مش عارفة انام، بس ربنا يقدرني بقا و أقدر أواجه.

و في احدى الحداثق العامة تقابل كل من حياة و وليد وبعد التحية، بدأت حياة الحديث: أولا يا باشمهندس انا اسفة لو كانت مكالمتي اتسببتلك في اي ازعاج بس كان لازم نتقابل بعد اللي حصل.....

وقاطعها وليد بجزم وهو يسألها بعيون جامدة خالية من أي تعبير: ياريت من غير مقدمات ندخل في الموضوع على طول.

شعرت حياة ببعض الاحباط لهجومه الغير متوقع، ولكنها لم تفقد سيطرتها بعد وأكملت بنفس القوة التي بدأت بها كلامها: أكيد حضرتك عارف انا ليه كنت عاوزة أقابلك.

تصنع وليد الدهشة نتيجة لسؤالها: لا. مش عارف.

قررت حياة ان تجاربه في لعبته: انت ليه عاوز تتجوزني؟

ابتسم وليد وهو يقول بتهكم: سؤال غريب بصراحة ما كنتش متوقعه؟ هو ليه الواحد يفكر في الجواز؟

حياة: انت فاهم قصدي كويس يا باشمهندس، انا اقصد انت ليه عاوز تتجوزني وخصوصا بعد اللي عرفته من مريم؟

فأجاب وليد بنظرات وقحة ضايقت حياة: لأني عاوزك . وأفتكر ان الطريقة الوحيدة اللي ممكن تقربني منك هي الجواز. ولا فيه طريقة ثانية؟

شعرت حياة بالدماء تغلي في عروقها واستجمعت كل قوتها لتصفعه على خده ولكن ردة فعله كانت أسرع منها فأمسك بمعصمها، فقررت حياة أن تجرحه بكلماتها الغاضبة: انت انسان سافل ووقح، وانا اللي غلطانة ابي فكرت أجي واتكلم معاك.

أفلت وليد يدها بقوة وهو يقول لها بحدة: والله اللي مفروض يتقال عنه انه سافل ووقح هو حد غيري يا حياة، أما انا فلازم تشكريني ابي في الاول وفي الاخر فكرت في الحلال.

حياة بتحدي: بس انا بقا مش عاوزاك.

ابتسم وليد بكل ثقة وهو يقول: ما هو يانا يا بن عمك يا حياة، اختاري، ولو ان الموضوع مش محتاج تفكير كثير.

فقال حياة بشجاعة لم تكن هي نفسها تتوقع انها تتحلى بمثلها: اوعى تكون فاكر ان اللي حصلي دة ممكن يكسرني قدامك واني ممكن أوافق عليك غضب عني ، لا فوق يا باشمهندس ، انت عمرك ما هتقدر تزلي. انا هروح حالا أقول لبابا ابي مش موافقة عليك ويحصل اللي يحصل بقا.

فنظر وليد اليها وهو يقول لها محذرا: لمصلحتك ومصلحة عيلتك كلها يا حياة انك توافقني، الا بقا اذا كنتي فعلا عاوزة تجيبي العار لأهلك وتكسري ابوكي قدام كل الناس.

حياة: انت بتمسكني من ايدي اللي بتوجعني؟ انت فعلا انسان واطي.

وليد بعيون غاضبة: احفظي لسانك يا حياة، وانا بقا هستنا لما تبقي مراتي عشان أعرف أرد عليك كويس، سلام.

ثم أكمل طريقه مبتعدا عنها تاركا اياها وحدها تندب حظها بصمت.

الفصل الرابع عشر :

بوادر الغيرة

في قاعة المسرح بالجامعة، قد اجتمع أعضاء أسرة " ملكة بأخلاقي " وقد كان عددهم يقرب العشرين طالبة. كانوا يعدون للمسرحية التي سيقومون بتأديتها في حفل الاستقبال للعام الدراسي الجديد. قامت سلمى بدور المخرج وكانت رغم مرحها و دعاباتها التي لا تنتهي الا انها تمتاز بالجدية والصرامة في وقت العمل، وبعد أن انتهت من توزيع الادوار بدأت تقول بصوت منهك: بسسس كدة بقا مش فاضل غير دور البطل والبطلة، وانا شايفة ان أحسن واحدة ممكن تقوم بدور البطلة هي حياة.

تفاجأت حياة من ذلك الاختيار الغير مستحب بالنسبة لها وبدأت بالاعتراض: انا؟! لالالا، شوفولكم حد غيري ، انا منفعش.

أيدت هالة رأي سلمى وهي تقول محاولة افناع حياة بالعدول عن رفضها: بالعكس يا حياة، انا مع سلمى في رأيها ، وبصراحة الدور دة لايق عليكى جدا، دة غير انك ممثلة موهوبة فعلا، فاكرة أول سنة لما مثلتي في المسرحية اللي عملها فريق الجواله؟ كنتي فعلا ممتازه بالرغم من ان الدور كان صغير.

قالت حياة في اصرار واضح على رأيها: لا يا جماعة. دة كان زمان، اما دلوقت فانا مش هقدر أقول كلمتين على بعضهم وانا ع ال stage.

وهنا استخدمت سلمى سلطتها وهي تقول بصرامة: مفيش حاجة اسمها زمان ودلوقت. دي موهبة عندك وبتفضل معاكي في أي وقت. وبصراحة بقا أنا مش شايفة أي حد غيرك ينفع للدور دة.

أشارت حياة فجأة ناحية مريم وهي تقول: مريم عندكم أهي. هي اللي تنفع.

أجابت مريم نافية بشكل قاطع: لا يا ستي، انا كفاية عليا الديكور . ومش هعرف أوفق بين الاتنين.

وهنا كانت الكلمة الأخيرة لسلمى التي قالت بحزم: يبقا خلاص يا حياة. انتي اللي هتقومي بدور البطلة، ومفيش كلام تاني.

حياة باستسلام: خلاص بقا أمري لله.

فتنهدت سلمى بارتياح، ثم قالت: ابوة كدة خلينا نفكر بقا في المشكلة الأساسية.

هالة: هي ايه المشكلة دي؟

سلمى: مين اللي هيبقا البطل؟

فقال حياة بلهجة طفولية: مليش دعوة، انا عاوزه حسين فهمي.

فأشارت لها نورا بغيظ: ياختي اتلهي، دة انتي أخرك سليمان عيد وهنديله فلوس كمان عشان يرضى يقف قصادك.

فقالت مريم بجديّة: اسكتوا بقا شوية يا بنات، احنا فعلا في مشكلة حقيقية. احنا ما نعرفش حد من الشباب بيعرف يمثل ويقبل يكون معانا.

وهنا نظرت سلمى الى نورا مؤنبة بتهكم: مش كان المفروض بردو يا عم نجيب محفوظ انك تتم جميلك معانا وتحلي المسرحية كلها بنات بدل الورطة اللي احنا فيها دي؟

فقالت نورا وهي تحاول ان تعيظ سلمى: عليا انا بردو الكلام دة، دة انا أقطع دراعي من لغالغو ان ما كنتي عاوزه المسرحية كلها شباب.

فضربتها سلمى بخفة على ذراعها وهي تقول متوعدة: بقا كدة؟ طب اصبري عليا يا ست نورا. بكرة أطلع كل دة على عنيك في البروفات.

وهنا تحدثت زميلة لهم لائحة الجميع: يا جماعة انتو بتهزروا؟ احنا فعلا في مشكلة. لازم نفكر كويس هنجيب البطل دة مينين؟

فاقتحت حياة: طب وهو لازم يكون شاب يعني؟ ما حنا ممكن نلبس بنت لبس رجالة وهي اللي تقوم بالدور.

لم تعجب الفكرة سلمى التي قالت: مش هينفع. لانها هتتكشف اوي، والبنت دي هتبقا محل سخرية للجميع وتتقلب مسرحية هزلية.

وهنا هتفت نورا فجأة بانتصار وكأنها عثرت على كنز ثمين: وجدتها.

فوضعت سلمى يدها على أذنيها بهدف الحماية من صوت نورا العال والذي كان يمتاز بحدته: يا بنتي حرام عليك، هتضيعي طبله ودي.

فابتسمت حياة رغما عنها وهي تتطلع الى نورا لتسألها: هي ايه اللي وجدتها دي بقا يا ست نورا؟

فصاحت نورا مرة أخرى متناسية تحذير سلمى منذ قليل: البطل طبعاً.

وما كان من سلمى إلا أن ازاحتها بغيظ لتتحرك الى الناحية الأخرى وهي تقول لها متوعده: امشي من جنبي يا بت، والمره الجاية ان عليتي صوتك بالشكل دة تاني والنعمة لأضربك.

فنهزتها حياة بلطف: احنا قلنا ايه؟ مش قلنا مفيش حلفان بغير الله؟

فقالت سلمى بأسف سريعاً: اه صحيح. استغفر الله العظيم، ثم سألت نورا بسخرية واضحة: قوليلنا بقا يا ست هانم مين هو؟

فقالت نورا بطريقة مستفظة متصنعة البراءة: اه، نسيت،

فتجههم وجه سلمى وهي تستعد للانقضاض على نورا: سيبوني عليها.

فأمسكت كل من حياة ومريم بسلمى لايقافها ووضعت نورا يديها على وجهها بشكل دفاعي وهي تقول: خلاص. هقول هقول. ايه رأيكم في أستاذ خالد صلاح المعيد بتاعنا؟

خيم الصمت قليلاً على الجميع الى أن قالت سلمى: استاذ خالد؟ واشمعنا يعني.

أخذت نورا توضح لهم أسباب اختيارها وهي تقول بشكل عملي: أولاً المفروض ان فيه أغنيتين في المسرحية واستاذ خالد لما غنى في حفلة السنة اللي فاتت كان صوته رائع وكلنا متفقين على كدة، وثانياً مفتكرش ان فيه أي اختلاف على انه انسان كويس ومحترم ودي المواصفات اللي احنا عاوزينها في الشاب اللي هيشغل معنا.

فقال حياة وقد بدا عليها الاقتناع: طب وانتي ايه عرفك انه ممكن يوافق؟ وكمان مش شرط انه عشان صوته حلو وبيغني بيقا كمان بيعرف يمثل.

تولت سلمى الرد على كلام حياة: انا من رأيي اننا نعرض عليه الموضوع الاول ونشوف رأيه وبعدين أي حاجة ثانية ممكن تتحل.

هالة: ومين بقا اللي هتكلمه؟

فنظرت كل طالبة الى زميلتها في حيرة أما سلمى فأجابت ببساطة: ودي محتاجة سؤال؟ صاحبة الفكرة طبعاً. الانسة نورا.

فأسرعت نورا بالاحتجاج: انا؟ لالالالا. مش ممكن طبعاً، خلي مريم هي اللي تكلمه.

مريم مستفسرة: واشمنا انا بقي؟

نورا: عشان انتي يا مريم مفيش أي راجل يقدر يرفضك طلب سواء كان طالب أو دكتور. دة كفاية العيون الدبلي دول.

مريم: لا يا ستي أنا اصلاً معروفوش.

وهنا أرادت حياة أن توقع سلمى في الفخ كما عملت هي منذ قليل وهي تتمثل البراءة: والله انا من رأيي ان دي أصلاً مهمة المخرج.

فاتجهت الانظار ناحية سلمى التي تعلقت عيناها بوجه سلمى وكانت تتقد نارا وهي تسمع تأييد الجميع لرأي حياة التي أخرجت لها لسانها لتغيظها أكثر.

وما كان من سلمى الا ان استسلمت لرأي الجميع: ماشي . خلاص، انا هكلمه بكرة ان شاء الله.

وهنا نظرت سلمى الى ساعة يدها، ثم قالت: طب يا جماعة همشي انا بقا عشان اتأخرت.

فقالَت مريم هي الأخرى: وانا كمان ، نشوفكم بكرة بقا بإذن الله.

وكان لابد للمخرج بأن يلقي بتعليماته الأخيرة لذلك قالت سلمى: اوك يا بنات، يبقى التجمع هيكون بكرة ان شاء الله الساعة تسعة الصبح، ومش عاوزة أي تأخير.

فأجاب الجميع: أوك يا boss.

وذهبت كل منهما الى منزلها، وكالعادة قد ركبت حياة في سيارة مريم لتقوم بتوصيلها، وما ان اقتربت من البناية حتى لحت سيارة زوجها وسيارة وليد تصطفان بين السيارات، فعلت الدهشة وجهها وهي تتساءل: ايه اللي جاب عربية يوسف و وليد هنا؟ معقول يكونوا عندكم يا حياة؟

فقالَت حياة في شك: جايز، تعالي نشوفهم، وأهو بالمرّة تسلمي على ماما دي بتسأل عليكى كثير أوي.

فقالَت مريم موافقة: وهي كمان وحشتني أوي، ثم قالت للسائق: استناني شوية يا عم توفيق.

فهز توفيق رأسه وهو يقول: اوامرك يا ست هانم.

ثم صعدت حياة الى شقتها وهي بصحبة مريم، و ضغطت حياة على جرس الباب وهي تأبى ان ترفع يدها من على الجرس، فظهرت مها بالداخل وهي تتجه ناحية الباب متضايقة من صوت الجرس الذي يرن دون انقطاع: حاضر حاضر، ما تشيل ايدك عن الجرس ياللي برة.

وما ان فتحت الباب حتى طبعت حياة قبلة سريعة على خدها وهي تقول بمرح: السلام عليكم، ازيك يا ست الكل.

فردت مها بغيظ: والله كان قلبي حاسس انك انتي اللي بترني الجرس، اصل مفيش حد بيعمل امور العيال دي غيرك.

فتصنعت حياة الحزن وهي تقول: بقا كدة يا ست ماما؟ طب الله يسامحك.

مها: يارب ياختي.

وهمت مها ان تغلق الباب خلف حياة التي منعتها سريعا وهي تقول: استني يا ماما، مريم برة.

ثم خرجت سريعا لتسحب مريم من يدها فرحبت بها مها كثيرا ، ثم تساءلت حياة وهي تهمس بالقرب من اذن مها وعينيها تتجه ناحية حجرة الصالون المغلقة وتستمع الى اصوات الرجال المنخفضة التي تنبعث منها: الا قوليلي يا ماما هو احنا عندنا ضيوف؟

فردت مها: ايوة يا ستي دة الباشمهندس وليد و أخوه الباشمهندس يوسف جاين يتفقوا مع باباكي على الشبكة والمؤخر والفرح وكل حاجة.

ظهرت مسحة حزن على وجه حياة سريعا ما استطاعت اخفائها وهي تسأل والدتها بابتسامة باهتة: طيب احنا ممكن ندخلهم ولا لا؟

مها: معرفش، بس خبطي ع الباب شوفي باباكي ممكن يسمحلك ولا لا عقبال مانا أعمل القهوة.
حياة: اوك يا ماما.

ثم سحبت مريم من يدها مرة اخرى وطرقت باب الصالون فجاءها صوت والدها من الداخل: ادخلي يا أم كريم.
فتحت حياة الباب وهي تقول بشكل فكاهي: طب ولو أخت كريم؟ تدخل ولا لا؟

فافتت ثغر محمود بابتسامة حانية: تعالي يا حياة.

حياة: السلام عليكم.

فرد الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

محمود: ادخلي يا حياة. عاوزك.

حياة: بس انا معايا ضيفة يا بابا.

محمود: اهلا وسهلا بالضيفة، خلاص خديها وادخلو اوضتك.

حياة وهي تشير الى يوسف: بس هي عاوزة تقابل الباشمهندس.

فنظر لها يوسف مستفهما فابتسمت حياة باستحياء وخرجت سريعا وسرعان ما عادت وهي تدفع مريم أمامها، التي شعرت بالحمرة تغزو وجهها وهي تقول بنبرة منخفضة: السلام عليكم.

الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

محمود: اهلا وسهلا يا بنتي اتفضلي.

وقد وفرت حياة حيرة الاختيار على مريم حيث جلست على الكرسي الوحيد الفارغ بالحجرة مما أرغم مريم على الجلوس بجوار يوسف الذي رمقها بنظرة جانبية وهو يسألها: خير يا مريم؟ فيه حاجة حصلت؟

اضطربت مريم كثير وهي تقول بنبرة دفاعية: لا ابدأ، دة انا كنت بوصل حياة فشفت عربيتك وعربية وليد تحت فتوقنا انكم هنا وحياة اصرت اني اطلع معاها.

فسأل وليد بعد ان القى نظرة سريعة الى ساعة يده ثم رفع عينيه ناحية حياة: وكنتو فين لحد دلوقت؟

ولأنها رأت نظرة اتهام في عينيه آثرت حياة الصمت حتى لا تخرج عن شعورها وترد على اتهامه بكلام جرح سيدخل الشكوك في نفس والدها، لذا تولت مريم الرد بالنيابة عنها: احنا كنا في الجامعة أصلنا بنجهاز مسرحية هنقدمها في حفلة بداية السنة الجديدة ان شاء الله وحياة هتكون البطلة فيها.

وليد بشكل ساخر لم يدركه سوى مريم وحياة: ممثلة؟ اراهن انك هتنجحي و بتفوق كمان.

وهنا سأل يوسف مريم وهو يمسك يدها بخنان: وانتي بقا يا حبيبي ايه الدور اللي هتعمليه؟

هزتها كلمة حبيبة التي خرجت من فمه وشعرت بقشعريرة خفيفة اثر لمستته ولكنه أخرجت نفسها سريعا من تلك الحالة وعزت تلك الأفعال لوجود أناس معهم بنفس الحجرة وقد كانت تعلم ان يوسف حريص بدرجة كبيرة على الشكل الاجتماعي و تهدج صوتها وهي تجيب وتسحب يدها برفق من يده: لا، انا مش بعرف أمثل انا هتولى مسئولية الديكور اصلي أعرف شوية حاجات كدة خاصة بالموضوع دة اتعلمتها من ماما ماهي مهندسة ديكور.

رأت تقطية صغيرة تعلق جبينه وهو يقول: اه، عارف.

وهنا تحدث محمود أخيرا ليسأل وليد: فيه حاجة تانية كنت عاوز تقولها يا باشمهندس؟

وليد: أيوة، انا كنت عاوز احدد ميعاد الفرح، وكنت حابب أخليه بعد أسبوعين.

وقعت المفاجأة عليها وكأنها صفة تلقته على خدها هكذا شعرت حياة جراء طلب وليد المفاجيء، ولكن والدها هو الذي تحدث ليقول وقد بدت عليه الدهشة أيضا من ذلك الاستعجال الذي لا يدري له سببا: بسرعة كدة! بس احنا مش هنلحق نجهز حاجة يا باشمهندس.

وليد: يا عمي انا مش عاوز اي حاجة، انا شقتي كلها اسبوع وهستلمها متشعبة ومفروشة ومش ناقصها أي حاجة، وكدة كدة كنت ناوي انقل فيها بعد ما تخلص وبما اني خلاص خطبت فنفسى اول مرة ادخل الشقة تكون معايا مراتي، قلت ايه بقا؟

و هذه المرة كان الرد من نصيب مها التي دخلت للتو وهي تحمل صينية عليها المشروبات: ودة يصح بردو يا باشمهندس؟ ازاي بنتنا تدخل من غير ما نجهزها؟

وبعد ان قدمت المشروبات سريعا وقفت لها حياة لتجلس مكانها بينما جلست حياة بجانبها على مسند الكرسي، وردا على سؤالها قال وليد: مانا زي ما قلت لعمي اني شقتي جاهزة وأول ما استلمها هديكم مفتاح ليها تروحوها ولو فيه حاجة مش عجبتكم قولولي وانا أغيرها.

مها: بس يا باشمهندس دي أصول وابو كريم من أول ما حياة اتولدت وهو ببشيل فلوس لجهازها وبنحلم باليوم اللي هنشورها فيه، يبقا ازاي بقا اللي انت بتقوله دة؟

وليد: حضرتك مفيش اي مشكلة خالص، الفلوس اللي انتو كنتو شايلينها للجهاز حطوها في البنك باسمها وهتبقا هي هي وانا عن نفسي هحطلها خمسين ألف جنيه مهر باسمها في البنك وهنشترى بزيمهم شبكة. الحقيقة انا عارف انه مبلغ قليل أوي بس انا رغم اصرار يوسف قررت اني أبدأ حياتي بنفسى بعيد عن الميراث اللي سابه بابا الله يرحمه لينا.

محمود: الله يرحمه يا بني.

ثم نظر الى حياة: وانتي ايه رأيك يا حياة؟

شعرت حياة بأن وليد يحاول ان يشتريها بأمواله لذلك يرفض أن يساهم أهلها في تجهيزات الزواج. وأخذت تتذكر تلك المواقف التي جمعتهما سويا قبل علمه بحقيقة ماضيها وتذكرت كيف كان يكن لها كل ود واحترام حتى عندما كان ينظر اليها كانت نظراته خجولة وان كانت مملوءة بالشوق، اين تلك النظرات مما تراه الان في عينيه من احتقار و جرأة وعبث؟ فهل هي حقا سقطت من عينيه؟ اذن فلم يصر على زواجه منها وبتلك السرعة؟

نعم لقد تذكرت الآن ما قاله لها منذ يومين في الحديقة فإنه يريد لها ولا يبالي بالطريقة التي سيستخدمها للحصول عليها حتى وان كانت الزواج.

أفاقت حياة على صوت أبيها: حياة؟ مالك يا بنتي ساكنة ليه؟ انتي ايه رأيك في الكلام اللي قاله الباشمهندس؟

حياة وقد ظهر على وجهها قلة الحيلة: اللي تشوفو يا بابا.

فقال محمود: اذا كان كدة بيقا ماشي يا باشمهندس.

وليد: كدة بيقا مش فاضل غير حاجة واحدة.

محمود: ايه هي يا ترى؟

وليد: الفرح ، انا هعمله في أي قاعة هنا انتو تختاروها، بصراحة كان نفسي يتعمل في البلد لكن نظرا لبعض الخلافات العائلية هنعمله هنا.

فقال محمود موافقا على كلامه: انا بردو كنت هقولك كدة يا باشمهندس، احنا كمان مش عاوزين الفرح يتم في البلد، وخصوصا اننا رفضنا ابن عمها ودة هيخلي العيلة كلها ضدنا.

وليد: بيقا نقرأ الفاتحة دلوقت يا عمي وبكرة ان شاء الله هاخذ حياة ومدام مها عشان نشترى الشبكة.

محمود: ماشي يا بني اللي تشوفه. نقرأ الفاتحة.

وارتفعت الأيدي لقراءة الفاتحة على خوف وأمل يتصارعان في قلب حياة، خوف من حياتها مع وليد وكيفية معاملته لها بعد الزواج وهو لا يستطيع نسيان ما حدث لها، وأمل في أنه من الممكن أن يأتي الذي ستتغير فيه وجهة نظره ويعلم أنها لم تكن سوى ضحية قد كانت فريسة لوحوش لا تعرف للرحمة معنى.

جلست مريم على السرير بغرفة نومها وهي تقرأ في أحد الكتب الخاصة بالديكور بجانب سيناريو المسرحية التي من المفترض ان تقوم باعداد الديكور لها، وتدون بعض الملاحظات. وبينما هي على تلك الحال سمعت صوتا عميقا وكأنه يأتي من بعيد: مريم.

فنظت أماما لثمة فاجيء بيوسف أمامها يرتدي بيجاما للنوم، فشهقت مفروعة حيث كانت تتوقع أنه في تلك الساعة يغط في النوم، فاقترب منها يوسف يحتضنها وهو يقول لها برفق: انا يوسف يا مريم اهدي.

وبعد أن زالت عنها تأثير المفاجأة دفعته بعيدا عنها بعنف وكأن حشرة سامة لدغتها، ثم وضعت الطرحة على شعرها وهي تصيح في وجهه وقد اشتعل وجهها غضبا: انت ازاى تدخل عليا الاوضة كدة من غير استئذان؟

فنهض يوسف من مكانه وهو يجيب على سؤالها عاقدا ذراعيه على صدره ببرودة أعصاب حسدته مريم عليها: اولاً انا مش محتاج أخذ اذن وانا بدخل اوضة مفيهاش حد غير مراتي، ثانيا انا خبطت الباب أكثر من مرة بس واضح جدا انك كنتي مشغولة لدرجة انك مسمعتيش الباب وهو بيخبط.

مريم: انا فعلا كنت مشغولة شوية، بس انت كنت عاوز ايه؟

يوسف: كنت عاوز أبلغك ان جدك اتصل بيا وقالي انه هيجي بكرة ان شاء الله يكمل علاجه هنا.

شعرت مريم بالسعادة تغمرها وهي تقفز من مكانها بحركات طفولية كان يستمتع يوسف وهو يشاهدها تقوم بها، وتردد: بجد؟ الحمد لله. الحمد لله.

ثم توقفت لتسأله: طب هو قالك هيجي امتي عشان اروح استقبله في المطار؟

يوسف: حوالي الساعة خمسة العصر، فبعد ما تخلصي اللي وراكي في الكلية عدي عليا في الشركة وانا هاخذك معايا.
بس اعملي حسابك ان جدك هيزل من الطائرة وهينقلوه للمستشفى في عربية اسعاف مجهزة لانه لسة محتاج راحة
وعلاج كثير.

مريم: المهم انه هيبقا معايا وقريب مني.

يوسف: طيب أسيبك انا بقا تكلمي اللي بتعمليه ولو هتسمعي نصيحتي فالاحسن انك تنامي دلوقت عشان بكرة
اليوم هيبقا طويل عليك.

بالفعل كانت مريم تشعر ببعض التعب لذا وافقت سريعا على كلامه: معاك حق، تصبح على خير.

وكان يوسف يستعد للمغادرة ولكنه توقف فجأة وكأنه تذكر امر آخر فاقترب من مريم قليلا ليسألها: مريم! هو انتي ليه
بتلبسي الحجاب في وجودي؟ هو حرام ان الراجل يشوف شعر مراته؟

فأجابت مريم بحدة لم تكن تقصدها: بس انا مش مراتك يا يوسف ولا نسيت؟

بدا ان كلامها قد أعاظه كثيرا لذا قطع المسافة التي تفصلهما في خطوة واحدة الا ان أصبح ملاصقا له تقريبا وهو
يمسكها من كتفيها بعنف ويقول بلهجة غاضبة: لو انتي ما بقتيش مراتي لحد دلوقت يا مريم، فدة لان انا عاوز كدة،
وبلاش تستفذيي أحسن أغير رأيي وكمان انا من النهاردة مش عاوز اشوفك لابسة الطرحة طول ما احنا لوحدنا.

ثم نزع الطرحة من فوق شعرها بقوة، وأخذ يبعثر شعرها بيديه وسألها وقد لان صوته كثيرا: مفهوم؟

لم تستطع مريم أن ترد سوى بإيماءة بسيطة من رأسها وكما مسكها فجأة فقد تركها فجأة وغادر الحجر، فشعرت مريم
بأنفاسها تتقطع وتتساءل هل ما تشعر به في تلك اللحظة هو الخوف أم الغضب أم احساس غريب لم تختبره من قبل؟

نذهب مرة أخرى الى مسرح الجامعة لنجد الفريق يجتمع برفقة الاستاذ خالد صلاح وقد كان شابا في الخامسة والعشرين
من عمره وسيما وملابسه أنيقة ويبدو عليه الوفاق، كان جميع الطلبة يقدرونه ويكونون له كل احترام لتبسطه دائما في

المعاملة معهم، فقال خالد متذمرا بعض الشيء: اوك يا جماعة خلاص موافق بس فين الأغاني بقا اللي هتكون في المسرحية؟

فأشارت سلمى الى هالة وهي تقول: الاغاني بتكتبها هالة دلوقت، وان شاء الله هنستلمها خلال يومين، بس لازم نبدأ بروفات من بكرة وتكون حضرتك قريت السيناريو كويس.

خالد: اتفقنا، بس بلاش حضرتك دي لاني المفروض ايني خلاص بقيت واحد من فريق العمل يعني زي زيكم لا دة كمان انتي المخرج يعني لو هيبقا فيه بينا القاب يبقا انا بقا اللي المفروض اقولك حضرتك، ولا ايه؟

فابتسمت سلمى وقد توردت وجنتيها وهي تجيب: لا خلاص ، مفيش حضرتك تاني.

وهنا سألت مريم مقاطعة الحوار: طب يا جماعة هو المفروض اننا نخلص امتي النهاردة؟

فأجابت سلمى بغيظ: الساعة ستة يا مريم.

مريم معتذرة: طب معلش بقا انا مضطرة امشي دلوقت عشان جدو هيبجي النهاردة.

حياة: حمدالله على سلامته يا مريم.

مريم: الله يسلمك.

سلمى: اوك يا مريم تقدري تمشي بس يبقا طمنينا بالتليفون أول ما يوصل بالسلامة.

مريم: ان شاء الله.

ثم نظرت الى حياة بأسف: معلش بقا يا حياة، مش هقدر أوصلك النهاردة.

حياة: ولا يهملك يا مريم، انا اصلا وليد هيروح البيت يجيب ماما وبابا ويعدوا عليا.

مريم: اوك يا حبيبي، سلام.

ثم غادرت المسرح واستقلت سيارتها وأمرت السائق بأن يوصلها لشركة الكامل، وحين وصلت السيارة المكان المحدد ترجلت مريم من السيارة وطلبت من السائق أن يرحل وأخبرته أنها ستعود مع يوسف في سيارته كما اتفقت معه في وقت سابق. دخلت مريم الشركة وهي تشعر ببعض الرهبة فكانت تلك هي المرة الأولى التي تأتي فيها الى هذا المكان حيث كانت لا تستهوى هذا المجال بما يمتاز به من صنعة وتكلف ووجوه تبسم لتغلف قلوبا يملؤها الحقد و العداوة.

وسألت في مكتب الاستقبال عن مكتب جدها الذي أصبح الآن مكتب يوسف جلال فأرشدتها الموظفة للطريق اليه، توجهت مريم ناحية المكتب بخطوات قلقه حتى وصلت الى مكتب السكرتيرة التي وجدته فارغا، فاحتارت في أمرها أنتظر السكرتيرة أم تدخل مباشرة الى مكتب يوسف؟ وقد عقدت العزم أخيرا فبعد طريقة خفيفة لم تنتظر أي رد عليها دفعت الباب لتجد مشهدا لم تتوقعه جعلها قد تسمرت في مكانها للحظات، فهي لم تجد يوسف بمفرده بل كانت برفقته علياء تلك الفاتنة الجميلة وهما الاثنان يقفان أمام مكتبه على مقربة من بعض وكانت علياء تمسك برباطة عنقه بدلال مدعية انها تقوم بتعديلها.

وعندما وقع نظر يوسف على مريم ابتعد قليلا عن علياء و بالرغم من انه من المفترض ان يتوقع تلك الزيارة ولكن قد فاجأه التوقيت على ما يبدو وهو يقول لمريم: مريم! اهلا وسهلا، اتفضلي واقفة عندك ليه؟

فدخلت مريم متجهمة الوجه: انا اسفة لو كنت جيت في وقت مش مناسب.

يوسف: لا ابدا ، اسمحيلي اعرفكم ببعض. مدام علياء زبونة عندنا في الشركة وصديقة قديمة، ودي بقا مريم مراتي.

صافحتها علياء ببرود: اهلا مدام مريم، انا سعيدة اني شفتك وتشرفت جدا بمعرفتك.

مريم بتهديب مصطنع: الشرف ليا يا فندم.

ونظرت علياء ناحية يوسف وهي تقول ل بدلال وإغراء واضح: مراتك حلوة أوي يا يوسف، وشكلنا كدة هنبقا أصحاب بس معلش بقا انا مضطرة امشي دلوقت عشان عندي مواعيد مهمة.

ثم نظرت الى مريم بابتسامة صفراء: بس أكيد هنتقابل تاني.

مريم بابتسامة جاهدت كثيرا لاطهارها: ان شاء الله.

واتجهت علياء ناحية الباب وخلفها يوسف ليقوم بتوديعها الى خارج مكتبه تاركا مريم تغلي من الغيظ. أهي نظرات علياء الوقحة السبب في ذلك الضيق الذي تشعر به الان؟ ام لعلمها بأن تلك الفاتنة قد انزعجت لدى رؤيتها لمريم فكان الشعور متبادلا؟ أم أنها.....

الفصل الخامس عشر :

عادة ما تنتهي الابتسامة بدمعة

"أحيانا يغار الرجل على امرأة تحبه حتى لو لم يكن يحبها ، وتغار المرأة على رجل يحبها حتى لو لم تكن تحبه"

مقولة قرأتها مريم ذات مرة وهي تتصفح الانترنت، ولكنها الآن وهي تجلس بجوار يوسف في سيارته وهما في الطريق الى المطار لاستقبال جدها تتساءل ما اذا كانت تلك المقولة تنطبق على حالتها الآن. فهي وان كانت على حسب زعمها لم تقع في حب زوجها الا انها قد شعرت بالغيرة حين رآته في ذلك الوضع مع تلك الفاتنة السمراء.

: ما تقلقش يا مريم، جدك بخير وان شاء الله هيبقا أحسن.

انتهت مريم من شرودها على كلام يوسف، وقد شعرت بالارتياح حين ظن ان صمتها ذلك يعود الى مجرد تفكيرها في جدها وقلقلها على حالته، فقالت وهي تتجنب النظر اليه: ان شاء الله.

توقفت سيارة وليد جلال أمام محل المجوهرات الذي نصحه يوسف بالذهاب إليه لشراء الشبكة بما انه خبير بتلك الأمور فخاتم أو أسورة من احدى المعادن والأحجار الكريمة هي أقل هدية من الممكن أن يقدمها رجل كيوسف جلال لاحدى صديقاته. خرج وليد من السيارة وبصحبه حياة و والديها ودخلوا المحل فاستقبلهم صاحب المحل وأخذ يعرض عليهم ما تطلبه مها، أما حياة فكانت توافق على كل ما تختاره والدتها بصمت ودون أن تبدي برغبة حقيقية في مشاركتها الاختيار وهي تشعر بنظرات وليد مسلطة عليها ولا تعلم كيف يمكن أن تتجنبها؟

وبعد أن انتهت مها من عملها بدأ الصائغ في وزن ما انتقته وأبلغهم بالثمن فسأله وليد: انتو بتقبلوا

credit

?card

فاعتذر منه صاحب المحل بتهذيب: للأسف يا فندم احنا مش بنقبل credit غير من زباين المحل منعا لأي مشاكل.

وليد بضيق: أنا وليد جلال أخو يوسف جلال سليم.

كان لذكر اسم يوسف وقع السحر على اذن صاحب المحل حيث بدأ يقدم أسفه واعتذاراته: أهلا وسهلا يا وليد بيه، انا اسف جدا لاني ما عرفتش حضرتك من الاول. فعلا يوسف بيه بلغني بزيارة حضرتك النهاردة الصبح. شوف حضرتك الطريقة اللي تحب تدفع بيها ايه؟ او خلي الحساب علينا خالص.

وليد: متشكر.

وأخرج وليد بطاقة الانتماء خاصته وأعطائها للصائغ، وبعد انتهاء اجراءات الدفع، سلمه الرجل الشبكة مع كلمات التهناني المعهودة في تلك المناسبات.

وفور خروجهم وحين عادوا الى السيارة قدم العلبة القטיפية لحياة وهو يقول لها بلهجة متهكمة: مبروك يا عروسة.

وعندما رأى علامات التردد على وجهها ونظرات الحذر في عينيها سأها: ايه؟ مش عاوزة تاخدي شبكتك.

وهنا تدخلت مها بابتسامة واسعة وهي تأخذ العلبة من يد وليد: ودة اسمه كلام يا وليد يا بني؟ هي بس أكيد مكسوفة حبتين. مبروك عليكم.

أشاح وليد بوجهه بعيدا عن حياة ورد على ابتسامة مها بمثلها: الله يبارك في حضرتك.

محمود وقد امتازت لهجته بروح الفكاهة: ياللا بقا يا باشمهندس، مش هترجعنا البيت ولا ايه؟ ولا نقضيتها موتورجل؟

وليد: لا طبعا. ازاي؟ بس بعد اذنك يا عمي انا عاوزكم تقبلوا عزومتي الأول ع العشا.

محمود: وليه بس التكاليف يا بني؟ ما احنا نروح البيت وحياة وأمها يجهنولنا لقمة كويسة.

وليد: معلش بقا يا عمي، صحيح الأكل البيتي مفيش أحلى منه، بس المناسبة تستحق الاحتفال، وانا شايف ان مدام مها موافقة على اقتراحي.

ثم غمز الى مها بشكل متآمر جعل مها تضحك وهي تقول لمحمود: خلاص بقا يا أبو كريم خلينا نفرح العرسان.

محمود: بس كريم قاعد لوحده وانتي عارفة انه مش بيعرف يسلق بيضة بنفسه.

وليد: ما تشيلش هم يا عمي. احنا هعدي على شقتكم الاول ناخذ كريم وبعدين نطلع على أي مطعم نختاروه.

محمود: خلاص اللي تشوفه يابني.

افتح وليد باب السيارة الخلفي لخطيبته وحماته: طب اتفضلوا.

دخلت حياة السيارة وهي تفكر في كيفية مرور تلك الساعات الاضافية وهي بصحبة وليد، فحتى بالرغم من وجود باقي أفراد اسرتها معها الا انه دائما ما يحرص على الا تشعر الا بوجوده هو وحده.

وفي احدى المستشفيات نجد عبدالرؤف الكامل مستلقيا على السرير ويضع يده على خد مريم التي تجلس بجواره ويقول لها بصوت ضعيف: وانتي عاملة ايه يا مريم؟ طمني عليكي.

فقلت مريم وهي تقبل يده وبعيون دامعة: انا الحمد لله بخير يا جدو بس انت وحشتني اوي.

عبدالرؤف: وانتي كمان وحشتيني يا بنتي.

فتدخل يوسف الذي كان يقف على مقربة منهما بلهجة مرحة لم تعنادها مريم: انت عاوز تقنعي انك كنت بتفكر فينا وحوالك كل الممرضات الالمان اللي سمعت عنهم؟ دة كفاية صوتهم يا راجل اللي كنت بسمعه في التليفون وانا بتصل عشان اطمن عليك.

فابتسم عبدالرؤف ابتسامة واهنة: هتفضل زي مانت يا يوسف مش هتتغير ابدأ. ازاي تفكر في واحدة تاني وانت معاك القمر دة؟ يعني عيون خضرة وشعر أحمر، انت عاوز ايه تاني؟

فتقدم يوسف منهما، ولدهشة مريم العارمة وجدته يحتضنها من الخلف ويقبل خدها وهو يقول بصوت حنون: عندك حق يا عمي. ربنا يخليها لي.

وبالطبع لم تحاول مريم الابتعاد عنه في وجود جدها، ولكنها انتهزت الفرصة حين قال عبدالرؤف: طب ياللو بقا روحوا بيتكم وسيبوني ارتاح شوية.

فنهضت مريم ومالت قليلا ناحية جدتها لتطبع قبلة رقيقة على جبينه: طب يا حبيبي مش عاوز اي حاجة؟

عبدالرءوف: تسلميلي يا مريم. بس هي عمته ما تعرفش اني هاجي من المانيا النهاردة؟

مريم: مش عارفة والله يا جدو.

ولكن كانت الاجابة المربحة التي أرادها عبدالرءوف مع يوسف: ما تقلقش يا عمي، ان شاء الله انا هلاقي اي طريقة أوصلها بيها الخبر.

فنظر اليه عبد الرءوف بامتنان: ربنا يبارك فيك يا يوسف.

وعندما كانا في السيارة في طريقهما الى الفيلا كما كانت تتوقع مريم سألته: انت كنت تقصد ايه بالكلام اللي قلته لجدو؟

فوجه اليها يوسف نظرة خاصة: اي كلام بالظبط؟ مانا قلت حاجات كتير.

علمت مريم بالضبط الام يلمح، ولكنها ادعت التجاهل وهي تقول: الكلام الخاص بطنط وردة طبعا. هو ايه اللي ممكن يمنعنا من اننا نعرفها ان جدو رجع؟

يوسف: حاجات كتير يا مريم. بس ما تشغليش بالك انتي.

ارتفعت نبرة صوتها قليلا: يعني ايه ما اشغليش بالي؟ انا لازم أعرف ايه اللي بيحصل بالظبط.

نجح يوسف في الاحتفاظ بهدوءه وهو يقول لها: مشاكل في الشغل يا مريم بينا وبين جوز عمته وصلت انه يقولي بانه خلاص قطع علاقته هو وابنه ومراته بعيلتنا ومش هيسمح لحد فينا انه يشوف عمته او يتصل بيها.

فسألت مريم وكان عقلها ما زال يحاول ان يستوعب ذلك الخبر: طب وعمته؟ تعرف الكلام دة؟

يوسف: ما اعتقدش، بس حتى لو عرفت، مفيش في ايدها حاجة تعملها.

مريم: يعني ايه مفيش في ايدها حاجة؟ يعني هي ممكن تقاطعنا فعلا لو جوزها طلب دة منها؟

يوسف: يعني عاوزاها تقاطع جوزها وابنها عشان خاطرنا؟ يا مريم كمال وهدان لما قال اللي قاله دة كان متأكد مليون في المية ان عمك مش هتقدر تعارضه.

مريم بنبرة يملؤها الحزن: طب وجدو؟ يعرف الموضوع دة؟

يوسف: أكيد.

مريم: يا عيني يا جدو. وهو في حالته دي؟

فابتسم يوسف قليلا لمواساتها: لا ما تقلقيش. مش جدك اللي ممكن تكسره أي صدمة، عبدالرءوف الكامل طول عمره أسد، والاسد بيفضل أسد حتى لو عجز.

فنظرت مريم الى الطريق أمامها ثم سألته فجأة: احنا رايجين فين؟ مش المفروض اننا نروح؟

يوسف مراوغا: هو انا مش قتللك امبارح ان النهاردة عندك يوم طويل؟!

مريم: اه، بس انا مش فاهمة قصدك ايه؟

فقال يوسف بغموض: بعد شوية هتفهمني.

جلس الجميع أمام طاولة كبيرة للطعام في أحد المطاعم الفاخرة وهم يستمتعون بوجبتهم، ماعدا حياة التي أجبرت نفسها على تناول الطعام حتى لا تجذب إليها الأنظار وكانت تلك حجتها أيضا للعزوف عن الدخول في الحوار الدائر بين الباقين، ولكنها كانت تشعر مع كل لقمة تضعها في فمها أنها تكاد تختنق وهي تشعر بنظرات وليد مركزة عليها، لقد ابدأ لها وكأنه يتلذذ كثيرا برؤيتها تتعذب.

: السلام عليكم.

كان هذا الصوت المرح هو صوت يوسف الذي تفاجأ الجميع بلا استثناء بحضوره هو وزوجته، وكاد وليد و محمود أن يقفان للترحيب به بعد أن ردا السلام، الا ان يوسف قد منعهما بإشارة من يده وهو يقول: محدش يقوم، كل في مكانه. لا سلام على الطعام.

ثم سحب كرسيها بجوار حياة لتجلس عليه مريم وجلس هو بجانب زوجته من الجانب الآخر، فسلمت مريم سريعا على حياة وهي تقول لها بسعادة تغمرها محتضنة يديها، فكانت تلك هي صديقتها المقربة: ألف ألف مبروك يا حياة.

فظهرت الابتسامة على وجه حياة للمرة الأولى منذ أن وصلت هذا المطعم: الله يبارك فيكي يا مريم، بس مش انتي قلتي ان جدك جاي النهاردة وكنتي هتروحي المطار عشان تقابليه؟

مريم: ايوة يا ستي والحمد لله اطمنت عليه وهو دلوقت في المستشفى.

حياة بلهجة صادقة: حمدالله على سلامته وان شاء الله ربنا يتم شفاه على خير.

مريم: يارب.

وليد وهو لايزال يستوعب المفاجأة محدثا يوسف: بس انت ما قولتليش انك جاي يعني.

فتظاهر يوسف بالاحراج: اه، شكلك بتطرديني يا صاحبي، لو عاوزني أمشي قول من غير مقدمات.

وليد لائما: يوسف!

يوسف: يابني انت أناني كدة ليه؟ يعني انت عاوز تفرح لوحدهك؟ انا قلت أجيب مريم ونحتفل كلنا.

بدت الحيرة على وجه وليد: نحتفل؟! بايه؟

يوسف: هتعرف دلوقت.

وأشار يوسف برأسه لأحد العاملين بالمطعم وقد بادله ذلك الشاب الاشارة، وفجأة انطلقت الأنوار، ثم ظهرت أضواء خافتة، وصوت ذلك الشاب يقول في الميكروفون: النهاردة يوم متميز للمحل، لأننا بنحتفل بخطوبة وكتب كتاب الباشمهندس وليد جلال على كريمة الاستاذ محمود البدري الأنسة حياة.

اختفت ابتسامتها فجأة وهي تسمع لقب آنسة وتنظر الى ناحية وليد، ولكنها حمدت ربها لوجود ذلك الظلام حولهما والذي قد حجب عنها تعابير وجهه التي كانت تخشاها.

وبعد أن أنهى الشاب كلماته المهنتة وصفق الجميع، دخل شيخ وقور الهيئة يرتدي الجبة والقفطان وفي يده دفتر كبير يقول بابتسامة هادئة: السلام عليكم.

فأجاب جميع الحاضرين بالمطعم: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وأسرع يوسف لاستقباله وأجلسه بين محمود و وليد، والشيخ بيتسم قائلاً: بالرفاق والبنين ان شاء الله.

فنظر وليد الى يوسف والدهشة تملو وجهه: ايه دة يا يوسف؟ احنا متفقين ان الشبكة وكتب الكتاب والدخلة في يوم واحد.

يوسف مداعبا: لا يا سيدي انت في الموضوع دة بالذات ما تضمنش، أخاف لييجي وقتها وتهرب من الفرح. وبعدين بيقولوا خير البر عاجله احنا نكتب الكتاب دلوقت عشان يبقا كلبشناك والدخلة زي ما تفقنا بعد اسبوعين، وايه رأيك كمان اننا نعمل تصويت؟

ثم وجه كلامه للجميع: انتوا مش موافقين معايا بردوا اننا نكتب الكتاب دلوقت.

فأجاب الجميع بصوت واحد: موافقين.

يوسف وهو ينظر الى وليد مجددا: شفت بقا. موافقة بالاجماع، ياللا يا سيدنا الشيخ انت مش عاوز تشتغل ولا ايه؟ الراجل عاوز يكمل نص دينه، ولا انت عاوزه يتجه الى الرذيلة؟

فضحك الجميع على دعابته وشرع المأذون في القيام باجراءات الزواج: بطاقتك يا عريس، وبطاقتك يا ابو العروسة.

فسلم كل من وليد ومحمود بطاقته الشخصية للمأذون الذي قال: فين الشهود؟

يوسف مازحا: ايه يا سيدنا الشيخ؟ دة انت حتى في مطعم اختار الشاهد اللي يعجبك وانا الثاني.

المأذون: طيب على بكرة الله، ايدك يا سيد وليد، ايدك يا سيد محمود.

وبدا المأذون بكلاماته المحببة لدى الجميع وأخذ وليد ومحمود يرددان ما يمليه عليهما وسط الزغاريد من بعض الزبائن والتهنئة التي تنهال على أهل العروس والعريس.

وبعد أن انتهى كل ذلك ومغادرة المأذون مع الدعاء للزوجين بدوام السعادة وأن يرزقان بالخلف الصالح.

جاء أحد العمال يدفع أمامه طاولة صغيرة عليها تورتة تحمل صورة لكل من وليد وحياء تفاعلاً بها البعض ولكنها بالطبع نالت إعجاب كل من بالقاعة.

فنظر وليد الى يوسف بامتنان: بقا عشان كدة، رشحتلي المطعم دة بالذات؟ متشكر أوي يا يوسف.

فاحتضن يوسف أخيه بسعادة لم يستطع التعبير عنها بالكلمات، ولكنها اختصرها بقوله: وهو أنا ليا غيرك أفرحله؟ ألف مبروك يا صاحبي.

وكان التصفيق الحار هو التعليق الوحيد على ذلك المشهد الذي قد انماه يوسف وهو يدفعه بعيدا عنه بخفة دمه التي فاجأت مريم كثيرا: ايه يا عم الجو الأخوي دة؟ ياللا بقا لبس مراتك الشبكة وبعدين قطعولنا التورتة اصلي انا خلاص تقريبا مت من الجوع.

وليد: بعد الشر عليك يا صاحبي.

ثم توجه وليد سريعا نحو حياة التي كانت الى الان مذهولة من تلك الاحداث السريعة التي توالى عليها خلال الساعات الأخيرة، أخذ وليد العلبة القטיפية من يد مها وفتحها، وقد مدت حياة له يدها تلقائيا وهي تتحاشى النظر اليه لتتنظر الى الارض، ثم جاء الدور عليها وقد أعطها دبلته ، فرفعت حياة نظرها اليه لترى في عينيه تعبير لم تفهمه ولم تحاول ان تفسره ، ولكنها أخذت منه الدبلة ووضعتها في اصبعه في أسرع وقت أمكنها ذلك.

وفور انتهائها من ذلك سمعت صوته الساخر يقول لها: مبروك يا مدام وليد.

فرددت بصوت خافت: الله يبارك فيك.

وبعد تقطيع التورتة جلس كل في مكانه يتسامرون ، ولكن قطع عليهم الحديث حضور طفلين؛ ولد و بنت، في سن التاسعة تقريبا بدا من كثرة الشبه بينهما أنهما توأمان، وكان كل منهما يمسك بزهرة حمراء في يده، فقدمت البنت الصغيرة زهرتها حياة وهي تقول بلهجتها الطفولية البريئة: مبروك يا طنط.

فقبلت حياة منها الوردة ثم قبلتها في خدها: الله يبارك فيكي يا حبيبي عقبالك بقا.

وهنا تدمر وليد بطريقة طفولية محاولا تقليد الطفلة: ومفيش واحدة بقا عشان عمو؟ ماهو انا بردو العريس.

الطفلة: لا، ماهو كل واحد فيكم يمسكها شوية بقا.

وليد مدعيا الحزن: بقا كدة؟ طب انا بقا هاخذ الوردة من أخوكي ، وأهو راجل زي بردو.

ثم نظر الى الطفل وهو يسأله: مش الوردة دي بردو عشاني؟

فأجاب الطفل وهو يتحرك ناحية مريم: لا، الوردة دي عشان طنط الحلوة دي.

وليد وهو يضع يده على عينيه: ياااااااا الكسفة.

أخذت مريم منه الوردة وهي تقول له باسمه: بس انا مش العروسة.

الطفل: مانا عارف، بس انتي جميلة أوي يا طنط، والمس قالتلنا في المدرسة ان الوردة رمز الجمال، يعني انتي شبه الوردة عشان كدة انا اديتهاالك.

وبالفعل تورد خدي مريم من الخجل وهي تتمتم: ميرسي يا حبيبي.

وهنا كان دور يوسف في التذمر بعد أن عاد الطفلان الى والديهما: شكلي كدة هبدأ أغير.

فنظرت له مريم بحيرة وعدم فهم، فأكمل يوسف بنبرة ساحرة: انتي مش ملاحظة ان دي تاني مرة النهاردة حد يشهدلك بالجمال؟!!

صمتت مريم من شدة الخجل وهي تشعر بكل العيون التي على طاولة مسلطة عليها، وقد زادت حيرتها في أمر يوسف، فإن كان الجميع يرونها جميلة كما يقول فلم لا يرى هو ذلك؟ أم انه من كثرة الجميلات التي مررن في حياته لم يعد يستطيع أن يفرق بين الجمال الحقيقي والمزيف!؟

و في السيارة وهما عائدان الى المنزل، تناست مريم كل وقارها وتحفظها وهي تقول وتكاد تطير من الفرح: اليوم النهاردة كان حلو أوي، ميرسي أوي يا يوسف.

يوسف بنبرة رقيقة: بجد انبسطي؟

مريم: طبعاً، انت باللي عملته دة ، دخلت السعادة لقلوبنا كلنا.

يوسف بنبرة سمعتها مريم بالكاد: مش كلكم.

مريم: ليه بتقول كدة؟

يوسف: أنا أدري انسان بأخوية يا مريم، وبالرغم من كل محاولاته عشان يخبي اللي جواه قدامنا، بس انا قدرت الاحظ ان سعادته كانت ناقصة.

مريم بارتباك: تفتكر مثلاً انه يكون حس انه اتسرع شوية؟

يوسف نافياً: لا. مش دة اللي أقصده، وليد طول عمره واثق من قراراته. دة غير انه فعلاً بيحب حياة.

مريم: ودي بقا عرفتها ازاى؟

يوسف: مش بقولك انه أخوية وانا ادري الناس بيه، ثم كمان الانسان اللي بيحب بتظهر لمعة معينة كدة في عينه لما بيشفوف اللي بيحبه واللمعة دي انا شفتها في عينين وليد وخصوصاً النهاردة.

فسألته مريم وهي تحاول ان تظهر عدم مبالاتها بالأمر وهو ما كان عكس الواقع تماماً: انت بتتكلم وكأنك جربت الحب دة قبل كدة.

فرد عليها يوسف بابتسامة مريرة: وانتي بتسأليني وكأني انسان ملوش قلب.

أرادت مريم الاحتجاج، ولكن قاطعها صوته الحازم: خلاص وصلنا.

فترجل يوسف من السيارة تاركا إياها غير مباليا بأمر مريم التي مازالت جالسة بداخلها، وكأنه مرة واحدة قد تناسى كل قواعد الذوق التي كان يتبعها أمام الناس. فنزلت مريم من السيارة واتبعته الى الداخل لتجده على وشك الصعود الى غرفته فأوقفه صوتها: يوسف، انا أسفة.

يوسف وهو ينظر اليها مندهشا: على ايه؟

مريم: يعني شكلي كدة تعديت حدودي في الكلام معاك، وما كنش ينفع اني أتدخل في خصوصياتك وأسألك سؤال زي دة.

فعدل يوسف عن قراره في الصعود الى غرفته، وغير وجهته ناحية مريم: وهو يسألها: مريم! انتي عندك كام سنة؟

عدم توقعها للسؤال أجم لسانها عن الرد. فظلت تحملق فيه بدهشة، فأعاد يوسف على مسامعها السؤال مرة ثانية: ايه انتي ما سمعتينش؟ بقولك عندك كام سنة.

مريم بتلقائية: حوالي ١٩ سنة. ليه؟

يوسف وهو يقترب منها أكثر: يعني تقريبا انا عمري أد عمرك مرتين، عشان كدة بتمنى انك ما تكونيش بتعامليني كأب، لأني يا مريم أنا عمري ما هفكر اني أكون أب ليكي.

مريم وهي تبتلع ريقها بصعوبة: انا عمري ما فكرت فيك كأب.

فأكمل يوسف بنبرة حزينة: ولا حتى كزوج، مش كدة؟ ودة بقا يا مريم اللي مخليني اسأل انا ابقا ايه بالنسبالك؟

لم تعرف مريم بم تجيب؟ فانها لم تتوقف لحظة لتسأل نفسها هذا السؤال، لذلك كانت تحتاج الى أن تنفرد بنفسها قليلا لتحلل علاقتها بيوسف، وعندما طال صمتها، ابتعد يوسف عنها سريعا وهو يستأنف الصعود ناحية حجرة نومه ويقول لها بلهجة جامدة: تصبحي على خير.

وفي تلك اللحظة شعرت مريم بالدموع الحارة التي تتساقط من عينيها بدون أن تعلم لها سبب.

أما في الجهة الأخرى وبعد ان قام وليد بتوصيل أهل عروسه الى شقتهم استأذن من محمود أنه سيأخذ حياة في جولة بسيارته لبعض الوقت، فوافق محمود بشرط ان يعيدها الى المنزل سريعا وألا يبقها في الخارج لوقت متأخر.

وبعد ان وصلا الى كونيشت النيل قرر وليد ان يترجلان من السيارة ويتمشيان قليلا متعللا بأن انتعاش الجو تسمح بذلك، فوافقت حياة بصمت، وبينما وهما يتمشيان جنبا الى جنب دون أن يتفوه أي منهما بكلمة، توقف وليد فجأة وهو يستند على سور الكورنيش بمكان شبه خال ناظرا الى الأفق، ووقفت حياة تراقبه لفترة طويلة ظنت أن لا نهاية لها، الى ان أتاها صوته العميق دون أن ينظر اليها: اسمه ايه يا حياة؟

حياة وهي تحاول ان تتأكد من أنها قد سمعته جيدا: نعم!

فأعاد وليد السؤال بنبرة أقوى: بقولك اسمه ايه؟

فسألته حياة وكانت لم تعرف عنمن يتحدث: هو مين دة؟

وليد: اللي.....

ثم توقف للحظات وكأنه يبحث عن التعبير المناسب لما يقصده، الا ان قرر ان يصوغ سؤاله بشكل آخر: مريم لما قالتلي ع الحقيقة تقريبا قالتلي كل حاجة بس ما قالتش اسم الشخص دة ايه؟

أخيرا فهمت حياة مقصده وشعرت بأنها على وشك البكاء وهي تسأله: ودة يهملك في ايه؟

فأدار لها وليد وجهه وكأنه يستغرب سؤالها: والمفروض ان دي حاجة ما تهمنيش؟!!

حياة بثبات لم تشعر به داخلها: لا ما تهملكش.

لا تعلم من أين أنتها الشجاعة لتنفوه بتلك الكلمات، وأن تتحداه بذلك الشكل؟ وكما توقعت تماما، فهذا هو يغلي أمامها من الغضب ونظراته تنذر بالخطر بشكل أروع حياة ولكنها حاولت أن تتماسك أمامه ، فقال لها : اظاهر يا هانم انك نسييتي انك خلاص بقيتي مرايتي، وأي حاجة تخصك يبقا تخصني انا كمان.

حياة بيأس: يا وليد محدش أجبرك انك تتجوزني، كنت تقدر ترفض ساعتها، لكن مش كل لحظة تفكرني فيها باللي حصل، انت ليه مش عاوز تصدق ان دة والله العظيم حصل غصب عني؟ وان كان أهون عليا اني أموت ولا اني أسلم نفسي وشرفي لواحد غريب.

وليد مصرا بالحاح: طب قوليلي هو مين؟

حياة: ليه طيب؟ ودة هيفرق معاك في ايه؟

وليد: هيفرق كثير يا حياة. ع الاقل هرتاح.

حياة: انت بتكذب على نفسك يا وليد ولا عليا؟ انت فاكر انك لو عرفت هو مين كدة هترتاح؟ لا يا وليد صدقني دة عمره ما هيربحك.

وليد بجدة: يعني انتي مصرة انك ما تقوليش على اسمه؟

حياة: ايوة يا وليد، مش هقولك، وممكن نرجع بقا عشان انا اتأخرت وبابا ممكن يتضايق.

وليد مكرها: ماشي يا حياة ياللا بينا.

ولكنه قبل أن يتحركا خطوة واحدة قال لها بنبرة مملوءة بالعزيمة والاصرار: بس انا بردو هعرفه يا حياة . منك أو من غيرك. انتي سامعة، هعرفه.

لم ترد حياة ولكنها قد سبقته سائرة باتجاه السيارة وقد سمعته يأتي خلفها الى ان استطاع سريعا وبخطواته العريضة أن يلحق بها ويسير بجانبها ولكنها لم تلتفت اليه. ثم ركبا في السيارة و كأن على رؤوسهم الطير. وليد لا يفكر الا في كيفية الوصول الى الحقيقة الكاملة التي تحاول حياة ان تخفيها عنه، اما هي فلم تجد كلاما آخر يمكن ان تقوله في هذا الموقف وكأن كل ما يمكن أن يقال قد اختصره في ذلك الحديث القصير، ولكنها تتساءل لماذا يصر وليد على معرفة ذلك

الشخص؟ ما الذي سيحدثه من وراء ذلك؟ أم ان هذا السؤال لم يكن أكثر من وسيلة من احدى الوسائل التي يستخدمها دائما بهدف اهانتها؟ ظلت تفكر في ذلك الأمر طوال الطريق حتى انها لم تشعر بأنهما قد وصلا الى البناية التي تحتوي على شقتها الى ان توقفت السيارة.

فانتبهت حياة من شرودها وعندما همت بمغادرة السيارة أخرج من جيب سترته منديلا ناولها اياه: خدي امسحي دموعك.

فتحسست حياة خديها لتجد آثار الدموع التي لم تكن تشعر بها أثناء الطريق، فأخذت منه المنديل وشرعت بتجفيف خديها من الدموع، لتسمعه يقول وكأنه يكمل جملته التي بدأها: وياريت كمان تبتسمي عشان ما ينفعش أهلك يشوفوكي معيطة كدة. لان ساعتها الله أعلم ممكن يفكروا فيا ازاى؟ وانا مش عاوز حد يتهمني بجريمة عملها حد غيري.

من ضمن كل الاهدات التي تلقتها منه حياة كانت هذه هي الأكثر ايلاما، والتي لم تستطع تحملها على عكس غيرها، فاندفعت خارج السيارة وهي تجهش بالبكاء مسرعة ناحية بنايتها وهي تتحسر على تلك اللحظات التي قضتها بصحبته في المطعم والابتسامات التي كانت تتسلل الى فمها أحيانا والتي تتبدل الآن بالدموع.

الفصل السادس عشر :

حيرة العشاق

يقال دائما " لا ينام الا خالي البال"، أقر أبطالنا الأربعة بصدق تلك المقولة هذه الليلة حيث لم يغمض لأي منهم جفن أبدا حتى آذان الفجر ولكن كما يقولون "فكل يغني على ليلاه"، ففيما يتعلق بمريم فقد جافاها النوم وهي تفكر في مدى تطور علاقتها بالنسبة ليوسف؟ على الأقل بالنسبة لشعورها هي، فلقد بدأت تشتاق لكلماته، تترقب ابتسامته، بل انما أصبحت تحن لسخريته مهما كانت لاذعة. ولكنها تساءلت هل هي بالفعل على استعداد لتقبله كزوج لها؟ وماذا عنه هو؟ انما تعرف تمام المعرفة ان رجلا كيوسف جلال من الصعب عليه أن يكشف عن شعوره الحقيقي ، بل فلنقل أنهم يمكنه أن يعتقد أن تلك الأحاسيس والمشاعر نقاط ضعف يجب ألا يعلمها أحد غيره، ولكن خطر في ذهنها صورة تلك المدعوة علياء وهي تتمايل وتتدلل أمام زوجها دون أن يبدي أي نفور منها وهذا ما جعلها تتخيله ذلك الدون جوان الذي سمعت عنه قبل الزواج والذي يبدو انه لا يشعر بالنفور الا منها هي وحدها "زوجته".

أما عن يوسف جلال الذي كان يجلس في سريره يقرأ في أحد الكتب كعادته الا ان هذه المرة لم يستوعب عقله كلمة مما قرأ، فلماذا تحتل تفكيره بتلك الطريقة التي لم يعتادها مع أي امرأة؟ انه بالفعل قد عرف الكثير من النساء، ولكن لم تستطع أي منهن أن تحتل تفكيره كما تفعل هي الآن ويمكننا القول انه قد أدمن كل حركاتها الطفولية، و قد أصبح يرغبها بشدة على قدر رفضها له، ولكنه يجهل الطريق للوصول إليها. فبالرغم من انما زوجته الا انه لم يعتد ان يلاحق امرأة مهما كان تعلقه بها وخصوصا وهو متأكد من انما لن تستجيب له. اذن فالحل الوحيد أمامه الآن هو ان يتناسى وجودها بالقرب منه ويستكمل حياته كما كانت قبل ظهورها.

وإذا ذهبنا الى وليد نجد انه ليس بأفضل حالا منهما، فبعد أن خاصم النوم عينيه قد هجر فراشه وخرج الى الشرفة لعل نسيم الليل يسكره فيغلبه النوم، ولكن حينما وقعت عيناه على ضوء القمر الذي كان في طور البدر في تلك الليلة، ليرى وجهها وقد ارتسم على صفحته ولكنه كان وجهها حزينا بعينين تملؤهما الدموع تنظر اليه بألم وكأنها تعاتبه، نعم تعاتبه! وهو يعلم ان لها الحق لذلك، فلقد كان قاسيا معها لأبعد الحدود، ولكنه لا يستطيع أن يتراجع عن القرار الذي قد اتخذه، لذا أصر أن يستمع إلى أحكام العقل وسيلغي دور القلب إلى أن يأتي حينه.

أما هي فلم تجد سواه معين على شدائدها، لذا فبعد أن قامت ليها ظلت جالسة على سجادة الصلاة تناجي ربها ودموعها تسبقها بدون توقف وهي تتذكر كل كلمة جارحة خرجت في حقها من بين شفثيه: إلهي إن يكن ذنبي عظيم فعفوك يا إله الكون أعظم. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. يارب أنا عارفة اني عصيتك كثير وإن كان دة عقابك ليا على معصيتي فأنا راضية بيه و أنا لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه. ربي اني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه.

وفي ظهيرة اليوم التالي يدخل يوسف غرفة سكرتيرة مكتبه وفور رؤيتها له وقفت احتراماً وهي تقول بلهجة ترحيبية: أهلاً وسهلاً يا يوسف بيه، حمدالله على سلامة حضرتك.

يوسف: الله يسلمك يا مي. هو وليد جوة.

مي: ايوة يا فندم، وليد بيه في مكتبه.

يوسف: لوحده ولا معاه حد؟

مي: لا يا فندم. وليد بيه لوحده.

يوسف: طيب انا هدخله دلوقت بس مش عاوز حد يقاطعنا.

مي: امرك يا فندم.

وتوجه يوسف ناحية باب المكتب ليدخل وقد أغلق الباب خلفه: السلام عليكم.

فرد وليد وهو ينهض سريعاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. يوسف بيه! يا مرحباً يا مرحباً.

وابتعد عن كرسيه قليلاً وهو يشير إلى أخيه: اتفضل يا كبير، أخيراً المكتب هينور بصاحبه.

فوضع يوسف يده على كتفه وهو يتعد به عن المكتب: سيك من الكلام دة بس عشان أنا عاوز أتكلم معاك في موضوع مهم.

ثم جلس الاثنان في أحد أركان المكتب وقد كان يشبه بأثاثه الفاخر الاستراحة حين يقرر صاحب المكتب الابتعاد قليلا عن جو العمل، فسأل وليد وقد بدا عليه القلق: خير يا يوسف؟ موضوع ايه اللي انت عاوز تكلمني فيه؟ قلقتني.

يوسف: الحقيقة الموضوع خاص بمسألة جوازك من حياة.

وليد: ماله؟

يوسف: انت مقتنع بالجوازة دي؟

فتبسم وليد قليلا وهو يحاول أن يسبر أغوار أخيه: مش فاهم. وأنا لو مش مقتنع تفتكر كنت هستنا لحد ما نكتب الكتاب؟

يوسف: يعني انت مش حاسس انك اتسرعت شوية؟ أو ايني ورطتك امبارح؟ صحيح انا كنت بتمنى اللحظة دي من زمان وكان نفسي أفرح بيك، بس مش عارف فيه حاجة كدة مش مطمئاني.

وليد : حاجة؟! حاجة ايه؟ و منين وصلك الاحساس دة.

يوسف: منك انت وحياة، مش عارف ليه ما كنتش حاسس بالفرحة اللي المفروض أشوفها في عيون اتنين على أبواب حياة جديدة.

ثم سأل وليد فجأة وعينيه مليئة بالشك: وليد! هو انت حصل بينك وبين حياة حاجة؟

وليد: مش فاهم قصدك، حاجة ايه؟

يوسف: يعني حاجة تكون هية اللي أجبرتك انك تتجوز حياة. فلو كان دة حصل فعلا، فانت مش مضطر انك تتمم الجوازة وكفاية أوي انك كتبت الكتاب.

فانتفض وليد فور سماعه لاثام أخيه ، ونهض وهو يشعر بالغضب: ايه اللي انت بتقوله دة يا يوسف ؟ انت ازاي تفكر بالشكل دة؟ معقول تكون بتشك ان انا أغلط غلطة زي دي؟

ثم أكمل بجمود: حياة كمان أشرف من انك تفكر فيها كدة، وبتهيئلي ان كفاية اوي انها بقت مرارة أخوك عشان تستاهل احترامك.

فنهض يوسف هو الآخر ليربت على كتف أخيه مهدئا اياه باعتذار: أنا اسف يا وليد. ما كنتش أقصد. وألف مبروك يا صاحبي ، وربنا يسعدك.

وليد: ع العموم حصل خير. وعلى فكرة انت قاعد هنا لحد امتي؟

يوسف وهو يقبل تغيير أخيه للموضوع بصدر رحب: لا انا مش هقعده، انا بس كنت جاي عشان أقولك اني خلاص اتفقت مع منسقة حفلات كويسة عشان تبدأ شغلها في التجهيز ليوم الفرح، ولا انت غيرت رأيك وناوي تعمله في قاعة أو فندق معين؟ وكمان عاوز اعرف انتو ناويين تقضوا شهر العسل فين؟

وليد: لا يا يوسف، انا خلاص موافق انه يتعمل في الفيلا، وكمان اتفقت مع استاذ محمود على كدة.

يوسف: طب على بركة الله، وشهر العسل بقا، هتعملوا فيه ايه؟

وليد بارتباك: لا احنا مش هنعمل شهر عسل.

فنظر اليه يوسف متعجبا: مش هتعملوا شهر عسل! ازاى يعني؟

وليد: زي الناس، انا اتفقت مع حياة على كدة.

يوسف: وهي وافقت؟

وليد: طبعا، انت نسيت المسرحية اللي بيحضرولها في الجامعة؟ فاحنا لو سافرنا هي مش هتعرف تكمل البروفات، وانا كمان عندي شغل كثير مش عاوزة يتعطل.

يوسف مازحا: امال فين نصايحك ليا زمان؟ وشهر العسل اللي تلاتين يوم؟ وتأنيبك ليا عشان ما سافرتش انا ومريم؟

وليد بمرح وهو يحاول ان يداري الحزن بداخله: ابدا يا سيدي، كل دة لسة موجود. بس مش وقته وانت شايف ان كل حاجة جات بسرعة واحنا ما كناش مستعدين يعني، بس بعد ما نخلص اللي ورانا ان شاء الله هنقضي شهر غسل من اول وجديد.

يوسف بغير اقتناع: اللي تشوفوه. المهم بقا انت كنت بتسأل ليه اذا كنت هقعد في الشركة ولا لا؟

وليد: اصل أنا كلها ساعة وهمشي.

يوسف متعجبا: هتمشي تروح فين؟

وليد: كنت هاخذ حياة ونزل نشترني فستان الفرحة وبعدين نروح الشقة عشان نشوف اذا كان ناقصها حاجة ولا لا؟ بس للأسف قبل مانت ما تدخل بخمس دقائق تقريبا كلمني الباشمهندس معتز وكان بيقول ان فيه مشكلة عنده في المشروع وقال لي انه لازم بييجي يكلمني فيها دلوقت وكلها نص ساعة ويوصل، بس ممكن كلامي معاه ياخذ وقت.

يوسف: طب خلاص، روح انت مشوارك وانا هستناه وهشوف ايه الموضوع وهبقا اتابع الشغل في شركة الكامل بالتليفون.

وليد: اوك، شكرا يا كبير.

يوسف مداعبا: طب ياللا ياد امشي من هنا عشان الستات دول ما يكرهوش اد ان الراجل يخليهم يستنوا.

وليد: طبعا بقا. مانت خبير في الأمور العاطفية دي. ياللا سلام.

وقبل أن يغادر التفت مرة أخرى ناحية يوسف يسأله: يوسف! هو احنا مش المفروض بردو نعزم اعمامك على الفرحة؟

يوسف: هو دة المفروض فعلا عشان كدة انا هروحلهم بنفسي بكرة.

وليد: وانا هاجي معاك.

يوسف: لا لا، بلاش انت، احنا عاوزين نهدبها مش نشعللها، وعمتك طبعا مش هتسكت وممكن وجودك يزود المشكلة.

وليد: طب وان مقدرتش تفنعمهم. هيحصل ايه؟

يوسف بعد تفكير قليل: ساعتها بقا بيقا هما حرين. ويبقا احنا كمان عملنا اللي علينا.

وليد مندهشا: هو انا ليه مش حاسس انك زعلان؟

فاقترب منه يوسف و احتضن وجهه بكفيه وهو ينظر اليه بعمق ويقول بنبرة صادقة: عشان لما يكون الموضوع متعلق بمصلحتك وسعادتك بيقا كل الدنيا بالنسبالي تهون.

وليد بامتنان: ربنا ما يجرمني منك يا صاحبي.

وفي سيارة وليد نجده يجلس خلف مقود السيارة ويجواره حياة وقد بدا ان الاثنان لا يرغبان في الدخول في أي حديث، فبادرت مريم وقد كانت تجلس وحدها في المقعد الخلفي: ميرسي أوي يا وليد ، واسفة لاني أخرتكم. معلش بقا ماهي طنط مها هي اللي اصرت اني اروح معاكم عشان هي ما كانتش فاضية، وانا ما كنتش ينفع ان النهاردة يعدي من غير ما اطمن على جدو.

وليد: ما تقوليش كدة يا مريم، عبدالرءوف بيه عزيز علينا كلنا، وانا كمان كنت عاوز اطمن عليه، والحمد لله انه بخير.

مريم: بس انا مستغربة اوي من الحراسة اللي برة اوضته دي، هو مين اللي جابها وليه؟

وليد: دي اللي جابها يوسف. ومدرين في أحسن شركة حراسة.

مريم: طب ليه؟ هو فيه خطر على حياة جدو؟

وليد بابتسامة مرحة: لا طبعا، كل الموضوع ان عبدالرءوف الكامل رجل أعمال ليه وضعه واسمه وموضوع الحراسة دة مش أكثر من مجرد prestige منظر يعني زي كل رجال الأعمال.

مريم وكانت لاتزال تشعر ببعض القلق: انت متأكد ان مفيش أكثر من كدة؟

وليد مطمئنا: طبعاً يا مريم. أكيد متأكد، اطمني انتي بس ومتشغليش بالك كثير.

مريم: اوك. طب هنروح فين دلوقت بقا؟

وليد: زي ما تحبوا. شوفوا انتو عاوزين تبدأوا بايه؟ تحبوا نروح نشوف الفستان الاول ولا تشوفوا الشقة الاول؟

مريم بمرواغة وهي تنظر ناحية حياة: والله الرأي رأي العروسة، في الفترة دي يابني المفروض ان لا رأي يعلو على رأيها. وأهي عندك أهي اسألها.

فسأل وليد حياة ببرود وقد زال عنه مرحة: تحبي تروحي فين يا حياة؟

فأجابت حياة وهي تنظر من نافذة السيارة بجوارها منذ أن ركبت بجواره: اللي تشوفوه.

وبعد أن تم الاتفاق بين وليد ومريم على ان يشتروا فستان الفرح أولاً ثم يتوجهون الى شقته مباشرة، توقف وليد أمام إحدى محلات الأزياء التي أشارت عليه مريم به، وكان نفس المحل الذي اشترت منه فستان الخطوبة ثم فستان الزفاف بصحبة حياة، وعندما دخل ثلاثتهم المحل ورأىهم صاحبتهم تعرفت على مريم مباشرة وتوجهت اليهم مرحبة: اهلا اهلا مريم هانم، نورتي المحل.

مريم بتهذيب: منور بصاحبته يا مدام ناهد

ناهد: طب تعرفي انا كان قلبي حاسس انك هتيجي تاني وقريب كمان، قوليلي بقا مناسبة ايه المرادي؟

فقالت مريم وهي تشير باتجاه حياة: لا المرادي احنا جاينين عشان حياة مش عشاني. فرحها بعد أقل من اسبوعين، وعاوزينلها فستان فرح كويس.

فتحولت ناهد الى حياة وقد زادت ابتسامتها: ألف ألف مبروك. وربنا يتمم بخير، وان شاء الله تلاقي عندنا حاجة تعجبك يا انسة حياة.

فردت حياة بابتسامة هادئة: الله يبارك فيكي.

ثم نظرت ناهد الى وليد بحيرة: وحضرتك بقا العريس مش كدة.

فاكتفى وليد بجز رأسه قليلا مؤكدا على كلامها. فاستأنفت ناهد وقد زادت حيرتها: بس مش عارفة الحقيقة انا شفت حضرتك فين قبل كدة؟

وتولت مريم الرد وهي تعرفها بشكل أوضح على وليد: ماهو دة الباشمهندس وليد جلال أخو يوسف جلال جوزي.

ناهد: اااا. عشان كدة فيه شبه كبير ما بينكم. أهلا وسهلا بحضرتك. مبروك يا فندم وان شاء الله بالرفاق والبنين. وحققي انت عرفت تختار. فعلا عروسة زي القمر

فرد وليد بكلمة واحدة عبرت عن عدم رغبته في المزيد من الحديث: متشكر.

فتداركت مريم الامر سريعا حرصا منها على مشاعر تلك السيدة التي بدا عليها الاستياء من جفاء معاملة وليد: جرى ايه بقا يا مدام ناهد؟ انتي مش هتورينا الفساتين ولا ايه؟ ولا انتي مش عندك حاجات جديدة؟

وبالطبع كان حرصها على عملها كفيلا بنسيانها أي أهانة قد تتعرض لها من أي عميل وخصوصا ان كان في مكانة وليد جلال، فعادت اليها ابتسامتها من جديد وهي تقول: بالعكس مانتي عارفة بقا يا مدام مريم احنا الجديد كله عندنا، واتفصلوا وانتو تشوفوا بنفسكم.

مريم: طب تعالى معانا يا وليد.

وليد: لا انا هستناكم هنا لحد ما تخلصوا.

لم تلح مريم كثيرا في هذا الطلب حتى لا تتسبب في احراج أحد: اوك، واحنا كمان مش هنتأخر.

وبعد ان ابتعدوا عنه قليلا قالت ناهد هامسة: هو الباشمهندس ماله؟ انا شايقة انه متضايق.

مريم: لا ابدأ. بس انتي عارفة بقا ان الرجالة مش بيحبوا المشاوير دي.

وبعد انتظار دام ما يقرب من النصف ساعة، عادت مريم لتجد وليد جالسا على أحد الكراسي وهو يغطي وجهه بين كفيه. مما جعل مريم تشعر بالألم من أجله: وليد!

فنظر اليها وليد وقد رأت الحزن بعينيه وهو يسألها بصوت مهموم: ايوة يا مريم! خلصتوا؟

مريم: تقريبا، فيه فستان عجب حياة وهي بتقيسه دلوقت. مش هتيجي عشان تشوفه؟

كان لصمته أبلغ المعاني، فجلست مريم بجواره وقد رقت لحاله فحاولت التخفيف عنه: وليد! انا عارفة انك مجروح اوي، بس هي والله مجروحة أكثر منك. لكن انتو الاتنين لازم تحافظوا ع الشكليات. وكفاية ابي أقولك ان مدام ناهد شكت في موضوعكم، يبقىا ليه بس نخلي نفسنا عرضة للقليل والقال؟

وليد: يعني عاوزاني أعمل ايه يا مريم؟

مريم: ع الاقل تيجي معايا دلوقت واحنا بنختار الفستان.

وليد وهو ينهض معها: حاضر.

وأخذته مريم الى حجرة تبديل الثياب ، وعندما رآها خالية تساءل: امال هما فين؟

مدام ناهد راحت مع واحدة جات نادتلها عشان تقريبا عندها مشكلة مع واحد من الزباين، اما حياة جوة في البروفة.

وبينما كانت تشير الى أحد الأبواب المغلقة تفاجأ وليد بأنه يفتح لتخرج منه حياة وهي تردي الفستان الأبيض الجميل المطرز بأكمامه الطويلة وتنورته الواسعة التي جعلتها تبدو كالفراشة بحجمها الصغير وخفة حركاتها التي توشك أن تجعلها تطير من فوق الأرض. خرجت وهي تبدو في قمة السعادة وتقول ممتدحة نفسها: ايه رأيك بقا يا مريم؟ انا طول عمري بليق في اللون.....

لم تكن جملتها هي الوحيدة التي انقطعت لدى رؤيته، بل أيضا لقد ماتت الابتسامة على شفيتها. وكعادته معها أراد ألا يفوت الفرصة ليصفعها من جديد بكلماته الجارحة وسخريته اللاذعة ليكمل عوضا عنها: الأبيض!؟

شعرت حياة بغصة تكاد تخنقها والدموع تتجمع في مقلتيها فانسحبت بشكل تلقائي الى الورا لتعود من جديد الى الغرفة التي خرجت منها للتو وتغلق الباب خلفها وكأنها تحتمي به.

مريم وهي تعاتبه: ليه كدة بس يا وليد؟

وليد بانفعال قليلا: انا ما قولتش حاجة غلط. وبعدين هي مش كل كلمة هقولها تفسرها على مزاجها، دي بتدلع يا مريم. ولما تخصص دلها بقا. يبقا بلغوني عشان نمشي.

ثم غادر الحجرة وقلبه يعتصر ألما، لا يعلم لم يقول دائما هذا الكلام الذي يتسبب في جرحه هو قبل أن يجرحها به؟

ومر بقية اليوم دون أحداث تذكر وفي اليوم التالي نرى هدى مستلقية في فراشها تحتضن الوسادة وهي تجهش بالبكاء، فدخلت عليها هادية لتجلس بجانبها تمسح على شعرها : معلىش يا بنيتي، بكرة تتجوزي سيد سيده.

فقالت هدى من بين دموعها : يعني هما مش مكفيهم اللي عملوه، لا وكمان جاين يعزمونا على فرحه؟ دة على اساس يعني اننا هنروح نهي ونبارك؟

هادية بنظرة شيطانية: ومين جال اننا مش هنروح يا بنيتي؟

هدى بصدمة: ايه، انتي بتجوليه دة يا اماي. بجا عاوزاني أروح أباركله عشان سابني وفضل بت البدي عليا؟

هادية: انا جولت اكدة بردك؟ احنا صحيح هنروح. بس عشان نتشفا مش نبارك ونهي.

هدى بعدم فهم: نتشفا! ازاى يعني؟

هادية بايضاح: هجولك يا بنيتي. بس لاول لازم نتأكد من ان عيلة البدي لسة مجاطعين ولدهم محمود.

هدى بتأكيد: ماهما فعلا لسة مجاطعينه، وهو اللي عمله دة يتنسي اكدة ببساطة اياك؟ دة حتى الباشمهندس علاء

بيجولوا انه جه وجعد اهنا ، ويبدور على شغل جريب من البلد بعد ما ساب شغله حدا يوسف ولد خالي لما عرف ان

بت عمه هنتجوز اخوه. ما جولتليش بجا. ناوية على ايه؟

هادية: هتعرفي، بس روحي جيبي ورجة و جلم واكتبي اللي راح أجولك عليه.

وجاءت ليلة الزفاف، وفي حجرة نوم وليد نجده مع أخيه يوسف الذي وقف يعدل له البدلة ورباطة العنق الخاصة به. فقال له وليد مازحا وهو يحاول ان يدفعه عنه برفق: يا عم اوعى بقا، مانا طول عمري بربطها لوحدي وانت ولا بتعبر أهلي.

يوسف: يا سيدي الليلة تختلف. انت عرييييييس.

وليد: وايه يعني!؟

يوسف بضيق: بس ياد، انت ايه فهمك انت في الكلام دة؟ بس المهم انك تشرفنا بقا الليلة وانت شكلك قفل كدة.

فرغ وليد كتفيه قليلا بثقة: اخوك طول عمره راجل يابني، ودايما مشرفك.

فدفعه يوسف بلطف وهو يقول له بغیظ: طب ياللا خلص بسرعة. وانا هتصل بمريم واشوف هما خلصوا ولا لسة؟

وليد: والله مريم دي خسارة في جتتك.

فقال يوسف وهو يميل على السرير ليلتقط هاتفه: يابني يعني انت اللي تستاهل واحدة زي حياة؟

وليد: سيبك سيبك، احنا اصلا اتنين ملهمش زي، ويا بخت مدامتنا بينا.

يوسف: مدامتنا! انت بتجيب الكلام دة منين؟

وليد وهو ينظر في المرأة ليتأكد من هندامه: التليفزيون يا ابيه يدق كل الأبواب.

يوسف وهو يضغط على بعض ازرار هاتفه: الله يخربيت التليفزيون اللي مضيعكم.

فتبسم وليد وهو ينظر الى صورة أخيه في المرأة وقد وضع الهاتف على أذنه ويقول: وعليكم السلام، ايوة يا

مريم.....اه احنا خلاص خلصنا.....وانتو كمان قربتوا تخلصوا؟..... اوك ع العموم احنا كلها نص ساعة

ونكون عندكم.....ماشي سلام.

وأهى يوسف المكالمة ليقول لأخيه: ياللا يا عم بقا.

وليد متذمرا: يا بني انت مش بتقول انهم لسة ما خلصوش؟ يبقا ليه الاستعجال؟

فقال يوسف وهو يضرب كفا بكف: والله لسة غشيم زي مانا قلت من الاول. يا بني انت اللي المفروض تكون مستعجل، وكمان انت نسيت نصيحتي ليك؟ مش قولتلك الستات ما يبجوش يستنوا؟ كدة هتخليها تاخذ عنك فكرة وحشة من أول يوم. افهموها بقا.

فضحك وليد وهو يضع ذراعه على كتف أخيه: طب ياللا بينا يا عم الدون جوان.

وخرج الأخوان من الحجرة لا يعلمان ما تخبئه لهما تلك الليلة

وفي احدى الغرف بمركز التجميل نجد أخصائية التجميل تضع اللمسات الأخيرة من الزينة للعروسة التي حرصت على أن تبدو في غاية البساطة بتعليمات من حياة نفسها فأعطاهما ذلك وجها ملائكيا يخطف الأنظار، فقالت سلمى وهي ترفع يدها الى السماء حين انتهت الاخصائية من عملها: عباااا لنا يا رب.

فنهزتها هالة بضربة خفيفة على ظهرها: انتي يا بت انتي هتفضلي متسربعة كدة ع الجواز لحد امتي، اهي سربعتك دي هي اللي بتطفش منك العرسان.

سلمى بغیظ: طب بس انتي يا ام حميدة، طبعا مانتي خلاص ضامنة حبيب القلب ومكلبشاه بالدبلة، الرك والباقي بقا ع الغلابة اللي زينا.

هالة: انتي غلابة انتي؟ دة انتي يتفاتلك بلاد يا شيخة، الله يكون في عونك اللي هيتهدف في عقله ويتقدملك. أكيد امه دعت عليه في يوم مطرة.

سلمى وهي تدعي الحزن: طب الله يسامحك. دة انا حتى جوهرة بس مش لاقية اللي يكتشفني.

فضحك الجميع ، وبينما وهن على تلك الحالة جاءت نورا مسرعة وهي تصيح بصوتها الحاد: العريس جه، العريس جه، العريس جه.

الى أن اقتربت من سلمى وهي تردد جملتها، مما جعل سلمى تغتاظ كثيرا وهي تقول لها: يا بنتي ارحمي أهلي بقا. هتجوز انا ازاي دلوقت وانا ودي ضاعت بسببك؟

ثم توجهت الى حياة التي قد خلى وجهها من الحياة وهي تشبث بيد مريم وترفض أن تتركها: ياللا بقا يا جميل، العروسة للعريس وانا هجري مع المتاعيس دول.

شعرت مريم بيد حياة التي أصبحت كالثج فأنخت اليها لتهمس في اذنيها لعلها تستطيع أن تزيل عنها ذلك الخوف والقلق: اهدي يا حياة، مفيش داعي للقلق دة كله، وليد مش ممكن يأذيكي.

في الحقيقة لم تعلم حياة ان كان كلام مريم قد طمأنها أم انها ازدادت قلقا؟ ولكن ما كانت على يقين منه أن قدميها لن يحملانها حتى تقف لاستقباله، وبدا ان مريم قد قرأت أفكاره ودون أن يفطن أحد لذلك قد استطاعت أن تساعدها على الوقوف وحياة تنظر اليها بامتنان. الى أن دخل وليد بصحبة يوسف، وما ان رآها بالفستان الأبيض والحجاب الذي من نفس اللون حتى توقف في مكانه يتأملها بتمهل من رأسها الذي يعلوه تاجا جعلها تبدو كالأميرة مرورا بباقة الورد البيضاء التي قد أعطتها لها مريم وقد بدا انها هي التي تصفي مزيدا من الجمال على الزهور وليس العكس وكانت تمسك الباقة بيد وتشبث بمريم باليد الأخرى وكأنها درع الأمان بالنسبة لها ،وقد بدأ صراع يدور بداخله بين القلب والعقل لا يعلم الى من سيستسلم فيهما؟

وقد ايقظه صوت أخيه وهو يميل عليه قليلا ويقول له هامسا وهو يصر على أسنانه: ما تتحرك يا لوح، الله يخرب بيتك هتكسفنا.

فاقترب منها بخطى ثابتة، و في كل خطوة كان يخطوها نحوها تشعر هي بأنها تبعده عنها لأميال حتى لم يعد يفصلهما شيء وفي ترقب من الجميع، لم يرض وليد أن يخيب ظن الحاضرين: فأخذ وجهها بين كفيه ومال نحوها ليطلع قبلة رقيقة على جبينها ويقول لها بنبرة رقيقة كانت قد افتقدتها معه منذ مدة طويلة: مبروك.

شعرت بأنه قد تم تخديرها كليا فلم تستطع الرد سوى بهزة خفيفة من رأسها، وتعالى الزغاريد من صديقاتها مصاحبة بالتهاني والتصفيق، وعندما جاءت اللحظة ليضع يدها في ذراعه. حاولت مريم سحب يدها برفق الا ان حياة زادت من

تمسكها بها، وقد لاحظ وليد ذلك فأراد معالجة الأمر بفكاهة: جرى ايه يا ست مريم؟ ما تسيب عروستي. وانت يا عم يوسف، ما تيجي تاخذ مراتك وتحلوا عن سمايا بقا.

فاستجاب يوسف لفكاهته ورد عليه وهو يقترب من مريم ويحتضنها بذراعه: انت ياللا ما ليكش دعوة بمدامتي، انت بقا ليك مدامتك وانت حر معاها بقا، اما انا بقا فهاخد مراتي ونروح مشوار كدة ع السريع وهنبقا نحصلكم بعدين.

وأخيرا استطاعت مريم ان تخلص يدها ليأخذ وليد مكانها ويضع يد حياة في ذراعه، فسألت مريم بدهشة: هو احنا مش هنروح معاها؟

يوسف وقد بدا انه قد نسي العهد الذي كان قد قطعه على نفسه بأن يتجاهل وجودها معه: لا يا قمر، احنا هنروح مشوار سريع كدة الأول، وبعدين بيقا نحصلهم هناك.

مريم: مشوار ايه في الوقت دة؟

يوسف بنظرة غامضة: هتعرفي بعدين.

الفصل السابع عشر :

و حين يندلع الحب

أقيم حفل الزفاف في حديقة الفيلا كما كان متفق عليه وقد كان بالطبع على قدر كبير من الاستعدادات والفخامة ومسرح العروسين هو أيضا يمتاز رغم بساطته بالجمال والزينة عالية الأناقة والبهاء، كما حضره كبار الشخصيات بالدولة وكبار رجال الأعمال الى جانب أسرة حياة وصديقاتها. ويجبي الحفل بعض الفرق والمطربين المشاهير .

وفي مكان ما بالحديقة وقفت مها بجوار زوجها تتأمل في كل شيء حولها بانبهار و ذهول وهي تقول لمحمد: شايف يا أبو كريم العز والأهبة.

محمد برزانه: قولي ما شاء الله يا أم كريم.

أم كريم بتبرم: اخص عليك يا يا أبو كريم. انت فاكربي بحسد ولا ايه؟ ربنا يزيدهم ويباركلهم. ماهو في الاول وفي الاخر بنتنا هتتمتع في العز دة معاهم .مش هتبقا واحدة منهم؟

محمد: ادعيها ربنا يسعدها مع جوزها. احنا مش عاوزين أكثر من كدة انشالله حتى تعيش معاه في كوخ وكمان ما تنسيش ان وليد مقرر انه يبدأ حياته بنفسه بعيد عن أخوه.

فقلت مها بامتعاض: يا خوية انا مش عارفة هو بيعمل كدة ليه؟ ماهو المفروض انه بردو ليه في المال دة زي اخوه يعني معقول برضه هيسيب حقه بالشكل دة؟

محمد بايضاح: يا ستي هو مش هيسيب حقه ولا حاجة وكمان الباشمهندس يوسف مش ممكن ياكل حق أخوه اللي هو اصلا أعز انسان على قلبه. بس وليد عاوز يثبت نفسه وشخصيته حاسس ان كل اللي حواليه دة من تعب يوسف وكفاحه ودة حقيقي لان أبوهم الله يرحمه مات وكانو لسة صغيرين والشركة كمان كانت لسة في بدايتها فالباشمهندس يوسف بقا بمساعدة عبدالرءوف الكامل ليه هو اللي وصلها للمكانة اللي هي فيها دلوقت. ووليد بقا عاوز يبدأ من الصفر زي ما اخوه تقريبا عمل عشان كدة حتى في الشركة مصر انه يقبض مرتب عادي زي كل الموظفين.

مها: ربنا يوفقه يا خوية عشان يقدر يسعد البنت ويهنيها.

محمود: يا ام كريم من امتي والسعادة في الفلوس يعني؟ سعادة بنتنا الحقيقية هتكون في حب جوزها ليها ودة اللي انا شايفة في عينيه عشان كدة انا مطمئن على حياة.

وفي الناحية الأخرى نجد صديقات حياة تقفن معا جنبنا الى جنب يتحدثون بمرح، فقالت هالة وهي تنظر الى الدبلة في يدها اليمنى: وانتي بقا امتي هتتنقلي للايد الثانية؟ انا خلاص حسيت اني خللت في الخطوبة دي حتى مريم وحياتة اللي اتخطبوا بعدي اتجوزوا قبلي.

نورا: طب ما تقولي لحبيب القلب يشد حيله شوية؟

هالة: لسة ياختي الشقة مش هتخلص الا بعد سنة تقريبا.

فقال سلمى بغيظ: صحيح الناس دي لا حمد ولا شكرانية. احمدي ربنا يا هبله انك عرفتي تكلبشي واحد وخلص. اما الجواز دة بقا يبجي في وقته. الرك والباقي عليا انا والغلبانة دي.

فتصنعت نورا البكاء: اهىء اهىء اهىء. ما تفكرنيش ياختي، و خيلنا نحزن في صمت.

ثم نظرت الى سلمى بتآمر: بقولك ايه يا بنت يا سلمى ما تيجي ياختي ندورلنا على عريسين وسط الناس النضيصة دي.

سلمى: وانتي بقا فاكرة ان الناس النضيصة دي هتبص ليكي يا معفنة انتي؟

نورا بتذمر: انتي كدة يا سلمى دايمًا بتحبطيني.

سلمى: أحبطك! طب اتفرجي ياختي وانتي ساكتة.

أما عند مسرح العروس نجد البسمة المزيفة القناع الذي يخفي وراءه الكثير من الألام والقلوب الدامية، فكان كل من وليد وحياتة في عالم منفصل عن الآخر؛ حياة لا تفكر الا في كيفية العلاقة التي ستكون بينها وبين زوجها والى الحد الذي سيصل اليه انتقامه منها والى متى يمكنها ان ان تتحمل اهاناته وجرحه لها؟ وهل يمكنها أن تأمل بأن الأوضاع بينهما

ستتحسن في أحد الأيام؟ أو في حالة استحالة ذلك هل سيطلق سراحها أم انه سيظل يتلذذ بتعذيبها وإيلاهما إلى مالا نهاية؟

وبجوارها يجلس وليد، وخلف تلك الابتسامة الجامدة يمكننا أن نرى الصراع المحتد بداخله، فمن ناحية عقله يصر على إن يكمل خطته التي بدأ بتنفيذها بالفعل مهما كان الألم الناتج عن ذلك، ومن ناحية أخرى فقلبه يتعذب كلما رآها تتألم و عندما يرى دموعها التي تنهمر كالشلال من بين جفونها يشعر بأنها كالكسكين البارد الذي يمزق فؤاده قطعا صغيرة دون رحمة. ولكن لا مفر من ذلك.

جاء أعمام وليد لتهنئته، حسين ثم سليمان الى أن جاء دور هادية وكانت ابنتها هدى تقف بجوارها ونظراتها تقيم مريم باحتقار لا يخفى على أحد، اما هادية فكانت أبرع من ابنتها في التمثيل، حيث استطاعت أن ترسم ابتسامة كبيرة على وجهها وهي تصافح وليد الذي كان قد وقف احتراما وتقدير لأعمامه: ألف مبروك يا ولدي، وربنا يسعدك ويهنيك، ويرزجك بالخلف الصالح ان شاء الله.

يمكننا ان نقول أن وليد قد خدع أيضا بتلك الابتسامة المزيفة، فأجابها وقد شعت الفرحه من عينيه: الله يبارك فيكي يا عمتي، وعقبال هدى.

وكانت هدى أسرع من أمها في الرد باقتضاب: لا. انا هكمل تعليمي الاول.

وليد: اكيد طبعا ربنا يوفقك.

ثم تقدمت هادية من حياة وهي تبذل جهدا كبيرا لضبط أعصابها، فصافحتها وهي تقول بتأني وتشدد على كل كلمة تنفوه بها: مبروك يا عروسة.

تجاهلت حياة اللهجة الساخرة التي تحدثت بها هادية، وردت بابتسامة مهذبة: الله يبارك في حضرتك.

وفور ابتعادهما، نظرت حياة إلى وليد لأول مرة منذ أن وصلا الى الفيلا لتقول بلهجة طبيعية وتلقائية: عمتهك مش بتحبني ولا كمان بنتها. وطبعا ليهم حق.

وليد: مش فاهم.

حياة: انا عرفت انك كنت المفروض تتجوز هدى، عمته قاتلتني دة في فرح مريم ويوسف، وطبعاً انا في نظرها دلوقت واحدة خطفت عريس بنتها.

ثم سألته فجأة، وكأنها تذكرت أمر هام: هو انت صحيح ليه ما اتجوزت؟

فابتسم وليد وامتألت عيناه بنظرات استطاع ان يجعلها مليئة برغبة جامحة تلتهمها النهما: لاني زي ما قتلتك قبل كدة. انا عاوزك انتي. وبصراحة انا مش من نوع الرجالة اللي ممكن يتجوزوا اتنين لارضاء رغباتهم، انا ست واحدة بس تكفيني. وانتي الست دي.

أخجلها رده الصريح، بل الوقح وهذا أقل وصف استطاعت أن تجده حياة مناسباً لكلامه، فقررت أن تعود لصمتها من جديد فيبدو أن هذا هو الدرع الوحيد الذي سيجنبها اهاناته المتكررة.

ونعود مرة اخرى الى محمود و مها التي قالت باستياء: شايف يا ابو محمود. شايف عيلة سليم جاين يباركو لابنهم ازاى؟ يعني حتى الزعل اللي بينهم ما قدرش يمنعمهم انهم يقفوا جنب ابنهم في ليلة زي دي. اما احنا فحسرة علينا مفيش حد من عيلة العروسة غيرنا احنا. واهلك مفيش حد منهم رضي يعبرنا.

محمود محاولاً اخفاء حزنه بقدر استطاعته: خلاص بقا يا ام كريم، واللي حصل حصل.

مها: بس انا صعبان عليا اوي البنت شايف فرحتها ناقصة ازاى؟ كأنها يا عيني حاسة ان هي السبب في اللي بيحصل دة. عشان كدة تلاقيها بتقهجر جواها.

محمود بانفعال بسيط: ان شاء الله كل حاجة تتحل قريب. وكل اللي حصل دة يتنسي وترجع الهية لمجاريها. المهم دلوقت سعادة بنتنا وليلتها اللي بندعي ربنا انها تتم على خير.

مها: يارب يا خوية يارب.

وفجأة التفتت مها الى البوابة الرئيسية، فهتفت وهي توجه زوجها الى حيث تنظر: بص، بص يا ابو كريم مين جه دلوقت؟

فتطلع محمود الى حيث اشارت، وكانت المفاجأة الكبرى بالنسبة له حيث رأى أخاه منصور وبرفته ابنه علاء وبعض رجال العائلة منهم من يرتدي الزي القاهري من قميص وبنطلون وأغلبهم يرتدي الزي الصعيدي المعروف من الجلباب والعباءة والعممة. وكأن الحياة عادت له من جديد حيث ظهرت السعادة على ملامحه وهو يقول لزوجته: مش قولتلك يا ام كريم؟ كل هيتنسي في أقرب وقت.

ثم ذهب لاستقبال رجال العائلة بخطى سريعة الى أن اقترب منهم وهو يفتح يديه على مصراعيهما لاحتضان أخيه الذي استسلم لعناقه دون أي استجابة من ناحيته: اهلا اهلا يا خوي. انا كنت خابر بردك انك مش ممكن تسبب أخوك لصغير في ظرف زي دة، ايوة طبعا امال ايه، ماهي حياة بردك بتكم ويهمكم سعادتها ولازم تفرحوها أكثر مني كمان. تعالى يا خوي وانتو يا رجالة باركوا لبتكم و جوزها.

تعقبه الرجال في صمت ينذر بالشر، ولكن جعلته فرحته العارمة يغفل عن ذلك. فاتجه بهم الى حيث يجلس وليد وحياة، فوقف وليد لتحية الضيوف بابتسامته الالية التي ارتسمت على وجهه فور رؤيتهم. وقام محمود بدوره في تعريف كل منهما للأخر مبتدءا بوليد: الباشمهندس وليد عريس بنتي.

ثم أشار بيده الى منصور وهو يكمل: ودة منصور أخوي الكبير وعم حياة.

فمد وليد يده ناحية منصور بغرض مصافحته وهو يقول بكل تهذيب: اهلا اهلا يا عمي. شرفتنا.

فتجاهل منصور اليد الممدودة اليه وهو يرد ببرود قاتل يخفي وراءه غضب جامح: وانت فضحتنا يا ياشمهندس.

اصابت الدهشة كل من محمود ووليد وكذلك حياة، وكان وليد هو أول من استطاع الرد: فضحتكم؟! يعني ايه؟ مش فاهم.

وبدا محمود منفعلًا وهو يسأل بصوت منقطع من فرط الدهشة: ايه الكلام الي انت بتجوله دة يا منصور؟

منصور: اسأل الباشمهندس ولا اسأل بتك.

وليد وهو يحاول الا يفقد اعصابه: يسألنا عن ايه؟

منصور بعينين تقدحان الشرر: يسألكم ع السبب اللي يخلي بته تسيب ولد عمها وتتجوز غيره. وعن السبب اللي يخليكم تعجلوا بجوازكم، لا وكم ان تعملوه هنا بعيد عن البلد، خايفين من ايه يا باشمهندس؟ خايفين لسركم ينكشف؟

بدأ محمود بالفعل يفقد أعصابه: منصور! ما تجولنا جصدك ايه عاد من غير لف ودوران؟

فأشار منصور اللي ابنه الذي يقف بجواره: جوهم يا علاء يا ولدي، الناس في البلد كالاتها بتجول ايه عن بت عمك وولد سليم؟ جوهم انهم بيحاولوا ان بتنا غلظت مع ولد سليم وعشان اكدة عجلوا بجوازهم عشان يتجنبوا الفضيحة.

وصل محمود الى قمة غضبه لدرجه انه أمسك أخيه من كتفيه وهزه بعنف وهو يصرخ في وجهه: جطع لسان اللي يجيب سيرة بقي بحاجة عفشة. حتى لو كنت انت يا ولد ابوي.

وهنا تحدث علاء بنبرة حاقدة وعدوانية: خلاص يا عمي. تعالي اجطع لسان كل الناس اللي في البلد حدانا، يمكن تجدر تخرسهم.

فقال محمود بحدة وثقة تامة: ابوة هخرسهم كلاتهم، وهبتلهم ان بقي، بت محمود البديري أشرف من بت أي حد منيهم.

علاء ساخرا: يعني هتعمل ايه مثلا يا عمي؟

فنظر محمود بعيون جامدة الى وليد: معلش يا وليد يا ولدي، احنا لازم نأجل الفرح و نعمل الدخلة في البلد عندنا.

شعر وليد بالخوف الذي استولى على حياة حتى دون أن ينظر اليها، ولكنه لم يجد أمامه ما يستطيع أن يطمئنها به، فقرر أن يخوض التحدي وهو على علم مسبق بخسارته، ولكنه لم ييأس من المحاولة: ايه الكلام اللي انت بتقوله دة يا عمي؟ احنا خلاص عملنا الفرح هنا واللي كان كان، وحياتة بقت مراقي ومحدث ليه عندنا اي حاجة.

محمود: لا يا بني دة شرف بنتي. وانا لازم اردلها كرامتها أدام كل البلد.

منصور: بييجا تسافروا الليلة معانا، والدخلة تتعمل بكرة.

وليد محتجا بقوة: وانا مش موافق، وهاخذ مراقي دلوقت ونروح على شقتنا.

وأمسك بيد حياة وساعدها على النهوض ولكن قبل ان يتحركا، اعترض علاء طريقهما وبصحبتهم رجلان أخران ذات أجسام ممتلئة وكل منهما يمسك بيده عصا ضخمة، وهو يقول ببغض و تهديد صريح: مش بالبساطة دي يا باشمهندس، دة كلام رجالة ولازم يتنفذ، واللي اتفجنا عليه هيحصل، دة شرف ولازم يتصان.

فتسمر وليد في مكانه وهو يشعر بأصابع حياة تكاد تنغرس في ذراعه من شدة خوفها وقلقها مما يمكن أن يحدث. اما هو فحاول ان يركز تفكيره في هذا الوضع الذي وجد نفسه فيه باحثا عن أي تسوية مرضية يمكن ان تخرجه من تلك الورطة بأقل الخسائر.

وعلى مقربة منهما نجد ابتسامة هادية الكريهة تملو وجهها وهي تقول لابنتها التي كانت تراقب الموقف بصمت: شفقي بجا مش جولتلك ان الفرحة راح يتجلب جنازة؟

هدى باستخفاف: وايه يعني؟ ماهم برديك هيعملوا الدخلة في البلد ويكتشفوا انها بت بنوت، وكأنك يا ابو زيد ما غزيت.

هادية بنظرة خبيثة: بيجا ما انتيش شايفة خضة ولد خالك هو وعروسته اول ما عرفوا انهم هيسافروا البلد وكنهم خايفين ليتكشف سترهم.

هدى بدهشة وعدم تصديق: جصدك انهم.....

فوضعت هادية اصبعها على فمها وهي تقول لابنتها بهمس: هسس، ما تكمليش لحد يوعالنا وخلينا نتفرج من بعيد.

وفي مكان بعيد نسبيا عن كل المدعوين الذين يراقبون ما يحدث في صمت ، وقفت هالة ونورا تنظران الى سلمى التي كانت تضغط بعض الازرار في هاتفها الجوال بيد مرتعشة، وهما يستحاثانها على الاسراع، فقالت نورا باستنكار: معقول اللي بيحصل دة، مش العادات دي المفروض انها خلصت من زمان.

هالة: خلصت عندنا احنا بس وكمان مش في كل المناطق، اما الصعيد بقا فتمسكين بيها الى أقصى حد، ما تيللا يا سالمى بقا.

سلمى بحنق: بيديني غير متاح شكل الشبكة مش حلوة.

هالة: حاولي مرة واثنين وثلاثة، بسرعة قبل ما تحصل كارثة.

جلست مريم بجوار يوسف في سيارته في الكرسي الأمامي، حيث كان الكرسي الخلفي يحتله كل من عبدالرءوف الكامل وابنته وردة التي كانت تمسك بيد أبيها اليمنى وهي تقبلها بحنان: ألف حمدالله على سلامتكم يا بابا. معقول تكون وصلت البلد من أكثر من اسبوعين وانا معرفش غير النهاردة؟

فربت عبدالرءوف على كتفها برقة واشفاق: معلش يا بنتي، للظروف أحكام.

وردة: أحكام دي ايه بس اللي تبعدني عنك بالشكل دة؟ بس اللوم مش عليك، اللوم والحق على يوسف ومريم، كان لازم يبلغوني اول ما وصلت بالسلامة.

عبدالرءوف: لا يا بنتي، هما ما لهومش ذنب، جوزك وعمايله هما السبب، كان مانع اي حد من انه يتصل بيكي. فأول ما يوسف عرف انه مسافر رتب كل حاجة عشان يجيبك المستشفى.

وردة: طب وكمال يعمل كدة ليه؟

عبدالرءوف: هيجي الوقت وتعرفي كل حاجة، عشان ساعتها ما تلومنيش على اللي هعمله فيه.

وردة وهي تقبل يده مرة اخرى برجاء: ابوس ايدك يا بابا، ابوس ايدك. لو كان كمال غلط في اي حاجة يبقا بلاش تاخذ ابني بذنبه.

فمسح عبدالرءوف على رأسها بحنان: ربنا يقدم اللي فيه الخير يا بنتي.

فأدارت مريم وجهها اليهما وهي تسأل جدتها بعتاب رقيق: بس انت يا جدو كان لازم تقولي بميعاد خروجك من المستشفى عشان كنت أبقا معاك من اول اليوم.

فظهرت ابتسامة رقيقة على محياه وهو يقول: فكرت انا ويوسف اننا نعملها لك مفاجأة.

مريم بسعادة: أجمل مفاجأة بالدنيا يا جدو، ربنا يخليك لينا وما يجرمنا منك ابدا.

عبدالرءوف: ولا يجرمني انا كمان منكم.

ثم سمعت مريم صوت جرس هاتفها الضعيف يتصاعد من حقيبتها، ففتحت الحقيبة وأخرجت الهاتف وما ان رأت اسم المتصل زادت ابتسامتها وهي تقول ليوسف: شكلنا كدة اتأخرنا، وصاحباتي بيرنوا عليا.

يوسف: طب ردي على صاحبتك وقوليلها ان كلها ربع ساعة ونكون عندهم.

فتحت مريم المكالمة وهي تقول مازحة: السلام عليكم، ايه يا سلمى يا رخرة؟ انتو دايم كدة لايصين من غيري؟

ثم تجهم وجهها وهي تقول بانزعاج وقلق: ايه؟ بتقولي ايه؟.....طب يا بنتي اهدي شوية وفهميني بالراحة.....يووووووه ما تهدي بقا. مش فاهمة منك حاجة.

فنظر اليها يوسف بقلق: فيه ايه؟

مريم وهي لا تزال تضع الهاتف على اذنها: مش عارفة، مش قادرة افهم منها حاجة، كل اللي سمعته انهم عاوزين ياخدوا حياة ووليد.....

وفور سماع اسم أخيه تبدلت ملامحه من الارتياح الى القلق والانزعاج ومد يده الى مريم آمرا: هاتي الموبايل.

فأطاعته مريم على الفور دون نقاش وبدأ هو يتحدث عبر الهاتف: ايوة يا انسة سلمى، ياريت بالراحة كدة وفهميني ايه اللي بيحصل عندك بالظبط؟

ثم أخذ يستمع اليها بصمت ووجهه لا ينم عن أي تعبير حقيقي يكشف ما بداخله، الى ان قال أخيرا بلهجة متزنة: طب خلاص، انا كدة فهمت، اوك كلها ربع ساعة ونبقا عندكم ان شاء الله، مع السلامة.

وبعد ان أنهى المكالمة بدأ يضغط بعض أزرار الهاتف لاجراء مكالمة أخرى فسألته مريم في قلق: فيه ايه يا يوسف.

يوسف بهدوء: ثواني لو سمحتي يا مريم.

ثم وضع الهاتف على أذنه في انتظار ردا من الجانب الأخر، وبعد لحظات قليلة بدأ يتحدث: ايوة يا مدحت انا يوسف جلال. بقولك عندك كام جارد فري في الشركة؟.....طب تمام، ياريت تبعتهملي كلهم ع الفيلا خلال ربع

ساعة،.....هقولك بعدين يا سيدي.....لا انا برة بس عاوز اوصل الفيلا الاقيهم هناك.....تمام اوي.....مع السلامة.

شعرت مريم بأن هناك أمر خطير فكررت سؤالها: هو فيه ايه يا يوسف؟

يوسف دون أن يفقد هدوئه: خير ان شاء الله.

لم تطمئن مريم للهجته وكانت تشعر بداخلها أن الأمر ليس هين كما يحاول يوسف تصويره لها، كما ان قلبها كان يحدثها بأن صديقتها في خطر.

ونعود مرة أخرى لنجد أن الوضع تأزم كثيرا، وتعالى الأصوات، ومن بينهم صوت منصور: ماهو بمزاجكم أو غضب عنكم اللي اتفجنا عليه هو اللي هيحصل برضاك او من غيره.

وليد بغضب وكانت حياة لا تزال تتشبث بذراعه: ازاى يعني؟ هي سايبه؟ اللي هيقترب من مراتي مش هيكفيني فيه عمره.

علاء بتحدي: اكده؟ طب يا ولد سليم احنا هناخدنا ودلوجيت ، وأعلى ما في خيلك اركبه.

وتقدم علاء منهما ينوي الشر ولكن قبل أن يصل اليهما سمع الجميع صوت طلقة نارية ينبعث من الخلف. فجمد كل في مكانه ، ثم ظهر يوسف وهو يشق الصفوف وصولا اليهم وفي يده سلاح صغير، وعندما وصل اليهم سألمهم بنظرة ثابتة: ممكن حد يفهمني ايه اللي بيحصل هنا بالظبط ؟

وكان علاء هو الذي تولى الرد عليه بصوت حانق: احنا هناخد حياة وجوزها ونتم فرحهم في البلد عندينا.

نظر اليه يوسف باحتقار: انا بكلم الرجالة مش العيال.

فاحمر وجه علاء غضبا وهو يستعد للانقضاض على يوسف: انت بتجول ايه؟ انت مش عارف بتكلم مين؟

فتجاهل يوسف كلامه ونظر الى منصور يسأله: فيه ايه يا حج منصور؟

منصور: فيه ان بجا راسنا في الطين خلاص يا باشمهندس، ومش هنعرف نرفع راسنا جدام الناس غير لما الباشمهندس وليد ينفذ طلبنا.

فألقى يوسف نظرة سريعة الى وليد فرأى في عينيه نظرات الاعتراض. فعلم أن الأمر خطير بالفعل، ففكر سريعاً ثم قال للجميع: طيب ممكن لو سمحتوا ندخل جوة عشان نتكلم براحتنا.

علاء بانفعال: مفيش كلام غير عندنا في البلد يا باشمهندس.

وأكد منصور على كلام ابنه: ولدي عندي حج. نساfer لاول ونتفاهم هناك في بلدنا.

يوسف بحزم: مادام كدة بقا؟ بيقا معلش، لا انا ولا أخوية ولا مراته هنتحرك من هنا خطوة واحدة.

علاء: هية بالعافية اياك؟

يوسف: سميا زي ما تسمياها.

فأمر علاء باقي الرجال: بجا أكدة؟ طب ياللا يا رجاله هاتوهم وياللا بيينا نعاود ع البلد.

وقبل ان يتحرك أحد من مكانه تعالت صوت طلقات النيران من كل جانب، فالتجهت الانظار لمصدر الصوت ليجدوا مجموعة من الحراس ذات الأجسام الضخمة وكل منهم يمسك سلاحاً نارياً بيده ويحيطون بكل الموجودين، فنظر يوسف الى علاء ومنصور بابتسامة ساخرة وهو يقول بلهجة تهديد مبطن: انا بقول نتفاهم هنا الاول وبعدين بيقا نشوف هنعمل ايه

جلس يوسف مع محمود في حجرة الصالون برفقة منصور و علاء وبعض الرجال الاخرين ، وكان الجدال قد احتد كثيراً، فقال يوسف ولم يتخل عن هدوئه بعد: مين اللي طلغ الاشاعة دي؟

علاء بانفعال: هو دة كل اللي هامك يا باشمهندس؟ ومش همك كل اللي اتجال؟

يوسف مؤنبا: ودة كان المفروض هو اللي يهكم بردو باعتبار ان حياة بنتكم وانتو اولى الناس للدفاع عنها وعن سمعتها. واي حد يقول كلمة في حقها كان لازم تقطعوله لسانه وما تسمحوش ان الكلام دة يوصل لغيره.

منصور: وادي الكلام وصل للبلد كلاتها والحل الوحيد دلوجيت انهم يبجوا معنا والدخلة تتم في البلد عشان تتقطع كل الالسنه من نفسها. و الا بعد اكده سيرتها هتكون لبانة في وسط الخلع من كبيرهم لصغيرهم. جوت ايه يا باشهندس؟

فقال يوسف بجدية وصرامة: طيب اسمعوا آخر الكلام اللي عندي بقا. الفرح خلاص هيتهم هنا زي ما اتفقنا من الاول و من اللحظة اللي فيها وليد كتب كتابه على حياة وهي خلاص بقت مراته يعني بقت واحدة مننا، من عيلة سليم واللي هيقول كلمة واحدة في حقها كأنه اتعدى عليا أنا شخصيا وساعتها بقا مش هيكفيني دمه هو لوحده، لا دة هيبقا بحر دم هيقرق هو وكل عيلته فيه.

ثم جال بعينيه في وجوه جميع الحاضرين ليرى تأثير كلماته عليهم، وبعدها استأنف حديثه بنظرة محذرة: فيه حد عنده كلمة تاني عاوز يقولها؟

وعندما لم يتلق ردا من أحد، نهض قائلا وهو يهيم بالرحيل: طب عن اذنكم بقا لان ورايا معازيم معرفتش ارحب بيهم كويس، وطبع لو حابين تحضروا معنا الفرح فدة أكيد شيء يشرفنا. ياللا بينا يا استاذ محمود عشان تحضر زفة بنتك. ثم تركهم وخلفه محمود وهم ينظرون بعضهم لبعض في ذهول وقد أجمتهم كلماته.

فور خروجهما توجهت اليهما كل من مها و مريم وقد أسرعتا بها بالسؤال: خير يا جماعة؟ وصلتوا لايه؟

يوسف: اطمني حضرتك، كل شيء خلاص انتهى وياريت تخليكي مع بنتك تطمئنيها.

فنقلت مها نظرها الى محمود في تساؤل فهز لها رأسه موافقا وهو يضع ذراعه حول كتفها: ياللا بينا ام كريم نطمئن على بنتنا.

ثم توجهتا الى مسرح العروس تاركين يوسف ومريم وحدهما ينظران لبعضهما في صمت، وكانت نظرات يوسف محبة وهو يتأملها بشغف، مما جعل خدي مريم تتوردان من الخجل وهي تسأله: انت بتبصلي كدة ليه؟ هو انا فيا حاجة غريبة؟

يوسف بصوت حالم قد اخترق كل دفاعات مريم: انتي جميلة أوي يا مريم.

وقبل أن تقوم مريم بالرد وقد ارتسمت ابتسامة ساحرة على شفيتها سمعا الاثنان صوت انثوي ناعم يقول بدلال: أخيرا لقيتك يا يوسف؟ على فكرة بقا انا مخصمك، ازاي يا وحش ما تعزمنيش على فرح أخوك.

وجد الاثنان علياء تقترب منهما بخطوات متمايلة بها بعض الاغراء ثم وضعت يدها في ذراع يوسف بتملك وهي تكمل: بس ولا يهملك، انا قلت انك اكيد نسيت، عشان كدة جيت لوحدي، ماهو البيت بيتي بردو.

وقفت مريم واجمة وقد ماتت الابتسامة على وجهها.

الفصل الثامن عشر :

الزوج العاذب

فتح وليد باب شفته، وقد أفسح الطريق لحياة لكي تسبقه إليها، فدخلت حياة بخطى مترددة، بل لولا دخوله خلفها وإغلاقه للباب سريعا كان من الممكن أن تتراجع وتفر هاربة الى بيتها حيث أسرتها الصغيرة التي تشعر بينها بالأمان وهو ما تفتقده بالفعل في تلك اللحظة. أجالت حياة بعينها في أنحاء الشقة الواسعة فتلك أول مرة تطؤها قدميها، لأنها رفضت أن تفعل ذلك في اليوم الذي اختارت فيه فستان الزفاف بعد كلمات وليد المهينة لها. فوجدتها الآن تمتاز بالذوق الرفيع في كل شيء سواء من تناسق الألوان أو فخامة الأثاث وتوزيعه الدقيق في مختلف أنحاء الشقة بحيث يوضح مدى اتساعها وجمالها. ظلت حياة تتأمل محتويات الحجرة بدقة وإعجاب واضحين أبعدها للحظات عن الواقع الذي تعيشه، حتى انتفضت على صوت يهمس في أذنها من الخلف: عجبتك الشقة؟

ابتعدت حياة عنه قليلا وهي تواجهه لتجيب على سؤاله بنبرة تمت أن تبدو طبيعية: أه، جميلة ورقيقة أوي. ربنا يجعلها فتحة خير عليك ان شاء الله.

صحح لها وليد مشددا: علينا، ولا انتي نسيتي انك مراتي؟

هزتها الكلمة بقوة من الداخل وهو ما حاولت ألا تظهره له، ولكن بدا أن لا شيء يمكنه أن يخفي عن تلك النظرات المتفحصة، أو أن عينيها كانت صادقة اللي أبعده الحدود، حيث سمعته يسألها بنظرات مسددة الى عينيها مباشرة: ايه؟ خائفة؟

وعندما وجدها تغرق في صمت دون أي أمل في الرد، قال: بس ياريت ما يكونش مني.

وعندما اقترب منها وأمسك بيدها شعرت برعشة تسري في كل أنحاء جسمها، ثم قال وهو يسحبها خلفه برفق: تعالي أفرجك على باقي الشقة.

وقادها الى حجرة الصالون ثم الى حجرة الطعام التي تحتوي على طاولة متوسطة الحجم يحيط بها العديد من الكراسي ثم المطبخ وبعده الى حجرة نوم صغيرة وأنيقة أخبرها بأنه قد أعدها للضيوف ممن تحكم الظروف لبييتوا عندهم ليلة أو أكثر، وأخيرا أدخلها حجرة النوم الرئيسية ذات السرير العريض وخزانة الملابس الكبيرة والتسريحة التي تشغل تقريبا منتصف الحائط، كما أنها تضم أريكة وزوجين من الكراسي ذات المساند المريحة.

اذن فهل جاء وقت تسديد الدين؟ وما ان خطرت على بالها تلك الفكرة حتى ارتعش جسمها تلقائيا، وقد لاحظ وليد ذلك وهو الذي كان يسد منفذ الباب بجسمه الطويل ويستند على الباب بمرفقه فسألها وهو يقترب قليلا منها: ايه؟ بردانة؟

لم يكن سؤالاً عادياً، بل كان فيه من السخرية ما جعل الدموع تتجمع في مقلتيها، فهي تعلم حق العلم أنه مدرك تماما لسبب ارتعاشها ولكن سؤاله كان فقط لاستفذاها وكأن رؤيته لها تتألم سببا أساسيا يكمل به سعادته التي تسببت هي نفسها في انقاصها، ولكن هل ستستسلم له ليذيقها مزيدا من العذاب لن يمكنها تحمله؟

ولكنه ظل ينظر اليها طويلا بصمت فزاد من ارتباكها لذا قررت ان تبدأ بالحديث فمهما كانت كلماته لاذعة فهي أرحم بكثير من ذلك الصمت المطبق الذي يكاد يخنقها، فقالت له وهي تتجنب النظر اليه: على فكرة، انا متشكرة أوي يا باشمهندس.

وكالعادة يقوم بالتصحيح لها: وليد، انا اسمي وليد، مفتكش يعني ان فيه واحدة بتنادي جوزها وتقوله يا باشمهندس. لكن متشكرة على ايه؟

حياة وهي تبتلع ريقها بصعوبة: على اللي عملته معايا النهاردة، الحقيقة انت طلعت شهم لدرجة ما كنتش متخيلاها، واحد زيك ما كنتش قبل على نفسه اتهام زي دة، وكان ممكن يريح نفسه من أي جدل ويقول الحقيقة.

وليد بلهجة موضوعية: وتفتكري ساعتها اني كنت هبقا محط احترام اي حد؟

حياة: ع الاقل ما كنتش هتبقا مضطر انك تحاول تثبت براءتك من تهمة انت مليكش يد فيها.

وليد ونظرة مثبت الى عينيها: مش انا اللي أعمل كدة يا حياة، ولو كنت انا الشخص اللي انتي متصوراه دة كان ايه اللي يجبرني اني اتجوزك؟

فسارعت حياة بالنفي: لا انا أسفة. انا ما كنش قصدي كدة. انا كنت أقصد.....

فقاطعها وليد باشارة صارمة من يده وهو يقول: ما يهمنيش أعرف كان قصدك ايه؟ وبعدين أكيد احنا مش هنقضي الليلة كلها في شرح أمور انتهت خلاص.

ثم أشار بيده الى باب آخر بالغرفة وهو يكمل: دة الحمام، ادخلي وغيري هدومك.

وعندما لمس تردددها ووجددها تنظر اليه بارتياب، فسألها ساخرا: ايه؟ مالك؟ ناوية تنامي بالفستان ولا ايه؟

لم ينتظر ردها بل توجه الى خزانة الملابس وهو يقول بلا مبالاة: ع العموم براحتك.

فتح خزانة الملابس وأخرج بعض الثياب الخاصة به وحملها بيديه وهو يتوجه الى خارج الحجرة وعندما مر بحياة القى اليها نظرة سريعة وهو يقول: تصبحي على خير.

راقبتة حياة بذهول يغلق الباب خلفه بهدوء وهي لا تصدق ما يحدث. فهل هو حقا قد ترك لها الحجرة؟ لقد قال لها قبل أن يغادر: تصبحي على خير، فهل ذلك يعني أنه قد نوى أن ينام في مكان آخر؟ انها حقا لم تستطع أن تستوعب الأمر برمته، لقد أخبرها قبل الزواج بأنه يريددها، وقد أكدت لها عينيه ذلك بما فيهما من رغبة. اذن فلم تصرف معها على هذا النحو؟ لم هذا العزوف المفاجيء الذي لم تتوقعه منه؟ فهل كان كل ذلك مجرد تمثيل؟ اذن فما الهدف الذي يسعى اليه من وراء ذلك؟ سؤال لن تجيب عنه سوى الأيام.

جلست مريم وهي تغلق احدى علب الأدوية بجوار جددها الذي كان مستلقيا على السرير وتقول له: بالشفاء ان شاء الله يا جدو.

عبد الرؤوف: متشكر أوي يا بنتي، تعبتك معايا. بس جوزك بقا هو اللي أصر اني اجي أقعد معاكم الفترة دي. ويوسف لما بيصر على حاجة ما حدش بيقدر يراجعه حتى أنا.

مريم وهي تقبل جبينه: اوعى تقول كدة تاني يا حبيبي، ربنا يخليك ليا يارب ويقومك لنا بالسلامة. وكمان كان مين غيري يقدر ياخذ باله منك؟

عبد الرؤوف: كنا نجيب أي ممرضة من المستشفى وخلص.

مريم بلهجة مشاكسة: اه، قول كدة بقا؟

عبد الرؤوف بعدم فهم: أقول ايه؟

مريم: قول انك اتعودت على شغل الممرضات داخلين خارجين عليك، ومين عارف؟ ما ممكن تكون عنيك زاغت على واحدة فيهم، وقررت انك تتخلي عن حياة العزوبية.

ابتسم عبد الرؤوف بضعف: الله يجازيكي يا مريم ، وهو انا وش كدة بردو؟

مريم: وليه لا بقا يا سي جدو؟ وهو انت كبرت بقا يعني ولا كبرت؟ طب ايه رأيك بقا ان انا فعلا بفكر أجوزك بدل مانت قاعد لوحك كدة. دة انا حتى لقيتلك العروسة. واحدة صاحبتني. سلمى مانت عارفها. هي صحيح مجنونة حبتين بس طيبة وهتموت على اي عريس والسلام.

فضحك عبد الرؤوف وشعرت مريم بالسعادة لانها كانت السبب في تلك الضحكة الصافية من أعز انسان عليها، ثم سمعته يقول لها: طب ياللا روحي نامي بقا ، انتي زمانك تعبانة اوي، يوسف قالي انك تقريبا من اول اليوم وانتي واقفة على رجليكي، الا صحيح، هو لسة ما جاش من برة؟

فأجابت مريم بضيق: لا لسة يا جدو. من ساعة ما خرج يوصل اللي اسمها علياء دي وهو لسة ما رجعتش.

لمح عبد الرؤوف الغيرة بعينها فزادت ابتسامته وهو يقول: معلش. اكيد فيه حاجة عطلته في الطريق.

فقلت مريم وهي لا تشعر بأن صوتها قد احتد ونبرته قد امتلأت بالغيظ: أو يمكن تكون الست هانم عزمت عليه انه يقعد معها شوية فهو طبعاً مقدرش يقولها لا.

وهنا لم يستطع عبدالرءوف أن يكتفم ضحكته. فاغتاضت مريم كثيراً وازادت عينها اتساعاً وهي تقول غضباً: ممكن اعرف انت بتضحك على ايه يا جدو؟

تمالك عبدالرءوف نفسه وهو يقول محاولاً تهدئتها: طب انتي متعصبة ليه بس دلوقت؟ يعني كنتي عاوزاه يشوفها في الحالة اللي هي كانت فيها دي، وهي مش قادرة تقف على رجليها ، ويسيبها كدة تروح لوحدها؟ مريم متهكمة: لا طبعاً ازاى؟ وهو ما بيفتوتوش اي واجب.

عبدالرءوف: يا بنتي حرام عليكى، ما تظلميش الرجل، ما انتي كنتي شايفها بنفسك.

مريم وهي تستمر في تهكمها: اه شفتها، يا عيني كانت بتطوح هنا وهناك وما كنتش قادرة تسند نفسها من الزفت اللي كانت شارباه.

ثم سمعا صوت سيارة تتوقف في الأسفل بحديقة الفيلا. فقال عبد الرءوف لمريم: جوزك جه، يالا بقا قومي وروحي اوضتكم.

ثم أشار نحوها باصبعه محذراً: واوعاكي يا مريم تكلميه في الموضوع دة او حتى تحاولي تتخانقي معاه، الرجالة اللي زي يوسف ما بيحبوش حد يحاسبهم وخصوصاً لو كانت مراته.

مريم بدون اهتمام وكأن الامر لا يعنيهها: وانا هكلمه ليه يعني؟ وانا مالي؟ يعمل اللي يعجبه ولا يهمني.

ثم أمالت رأسها نحوه وقبلت جبينه بقبلة حانية: تصبح على خير يا جدو.

فرد عبدالرءوف لها القبلة على خدها وهو يقول: وانتي من أهله يا مريم.

ثم تركته مريم وغادرت الحجرة وهي تغلق الباب خلفها، فابتسم عبدالرءوف وهو يعيد الكلمات التي قالتها بسخرية: يعمل اللي يعجبه ولا يهمني؟! ما ابقاش انا عبد الرءوف الكامل لو الليلة دي ما انتهتس بخناقة. والله يكون في عونك بقا يا يوسف. جرب نار الغيرة من اللي بتحبك بقا.

دخلت مريم حجرتها لتجد يوسف يخلع الجاكيت الخاص به ويلقيه على احد الكراسي باهمال وهو يخرج صفيرا متناغما من بين شفثيه. وقد كانت عيناه تنطق بالسعادة العارمة جعلت مريم تغلي غضبا وهي تشعر بحاجة ماسة الى البكاء وتقول له: ما لسة بدري. كل دة كنت بتوصلها؟

تلقاها يوسف بابتسامة واسعة: طب قولي مساء الخير الأول، جدك خلاص نام؟

شعرت مريم ببعض المراوغة في سؤاله، فسألته: وكلامك دة بقا اسميه ايه؟ هروب مثلا؟

لم يبد عليه انه على الاستعداد للدخول في اي جدال. فأغمض عينيه قليلا وكأنه يحاول السيطرة على أعصابه ليخرج صوته هادئا مصحوبا بابتسامة رقيقة: هروب! هروب من ايه يا مريم؟

مريم: من سؤالي.

غلبته روح الدعابة وهو يقول متصنعا النسيان: سؤال ايه؟ مش فاكتر.

مريم بعصبية وغضب: كنت فين كل دة يا يوسف؟

حاول يوسف ان يمنع الابتسامة من الظهور على شفثيه حيث بدا انه يتلذذ كثيرا برؤيتها على تلك الحال وقرر ان يستمر في مراوغته لها، وهو يقول بجدية مصطنعة: مانتي عارفة كنت بوصل علياء لانها ما كنتش تقدر تسوق وهي في الحالة دي، وما كنتش ينفع اني أخليها تركب تاكسي لوحدها.

مريم: اه، انا عارفة كدة كويس بس كمان ما كنتش اعرف ان بيتها بعيد اوي كدة للدرجة اللي تخليك تتأخر أوي بالشكل دة.

فور سماعه لكلامها انفجر ضاحكا وكأنها قد ألقته عليه باحدى النكات، مما جعلها تنظر اليه مشدوهة بنظرات فارغة لا تدري ان كان يضحك فعلا أو انه يسخر منها؟ ولم يتركها يوسف تنتظر كثيرا حيث قطع ضحكته فجأة ليسألها: انتي متأكدة من اللي بتقوليه دة؟

مريم وقد اهتزت ثقتها بنفسها كثيرا مما جعل كلماتها تخرج مشوشة ولا تحمل أي معنى حقيقي: ايوة طبعا متأكدة. فاقرب منها يوسف كثيرا وهو يؤكد على كل كلمة يقولها دون أن يجيد بنظره عنها: يعني انتي مستعدة انك تديني حقوقي زي ما بتطالبيني بحقوقك؟

سألت مريم نفسها ان كانت قد فهمت سؤاله بشكل صحيح، حتى توصلت بالفعل الى المعنى الحقيقي وراء كلماته مما جعلها تحمق فيه بعينين متسعيتين من شدة الذهول عاجزة عن الرد، و هو أيضا عندما رأى تأثير كلماته عليها لم ينتظر ردها بل قال لها منها حديثه بلهجة جادة تقرب الى الهمس: نصيحة مني يا مريم ما تحاوليش تدخلي في أي جدال معايا لانك أكيد هتطلعي منه خسراة، تصبحي على خير.

ثم اتجه الى حجرته وأغلق الباب بعنف ليكون صوت الباب هو الوسيلة التي أفقتها من دهشتها، ولتقر بأنه على حق.

في صباح اليوم التالي وقد تعدت الساعة العاشرة، استيقظت حياة من نومها وهي تنظر حولها بدهشة جاهلة بمكان تواجدها، وما هي الا لحظات حتى استعادت أحداث الأمس لتعلم أنها الآن في شقة زوجها الذي يبنذها ولكنه لا يزال متمسكا بوجودها معه.

بعد ان نهضت حياة من الفراش و أعادت ترتيب سريرها ، ذهبت الى الحمام لتغتسل وتبدل ثيابها، ثم فتحت باب الحجرة بحذر تتلفت يمينا ويسارا تتلمس وجوده في أي مكان، ولكن يبدو انه لا يزال نائما، فقررت أن تذهب الى المطبخ لاعداد الفطور فهي حقا تشعر بالجوع الشديد كما أنها لا تريد أن تكون أول فكرة يكونها عنها في بداية حياتهما الزوجية أنها كسولة، وبخطوات ثابتة توجهت الى المطبخ الذي لاتزال صورته مطبوعة في ذاكرتها حتى الان. وما ان خطت أولى خطواتها داخل الحجرة حتى تراجعت مرة أخرى خطوة للخلف وهي تكتم صرختها، بالطبع فهي لم تتوقع

أنه قد سبقها الى المطبخ وقد أعد فطاره بنفسه، وهو الآن يجلس أمام الطاولة الصغيرة التي بالمطبخ ويتناول الفطار، وما إن أحس بدهشتها لرؤيته، رفع حاجبه في تساؤل: اللي أعرفه انهم في الأوقات دي بيقولوا صباح الخير.

ابتلعت حياة ريقها وهي تتغلب على صدمتها سريعا وقالت: صباح الخير، انا اسفة ما كنتش فاكرة انك صحيت.

فقال وليد بعد أن ارتشف بعضا من كوب اللبن أمامه: انا متعود دايماني أصحى بدري عشان أفطر الاول قبل ما اروح الشغل في ميعادي.

فسألته حياة وهي تجلس أمامه في توجس: وانت هتروح الشغل دلوقت؟

بدا أنه كان في انتظار سؤالها ليرد عليها بسخريته اللاذعة ولكنها كانت قد اعتادت عليها: أولا المفروض ان دة يوم الصباحية وهيبقا شكلنا احنا الاتنين وحش اوي لو نزلت الشغل النهاردة، وثانيا المفروض ان مامتك هتجيلك النهاردة فهتقوليلها ايه بقا لما تسألك فين جوزك؟ ثالثا أنا المفروض اني ببقا موجود في مكتي الساعة تسعة بالطبط والساعة دلوقت حداشر .

فقالت حياة بابتسامة مترددة: على العموم انا اسفة لاني اتأخرت في النوم فما عملتنيش الفطار.

وليد بجمود: حصل خير، بس ياريت ما تتكرش تاني، لاني متعود اني لما اصحى بلاقي الفطار جاهز دة غير اني مش بحب اكل برة.

فهزت حياة رأسها في موافقة وهي تقول باستكانة: ان شاء الله مش هتتكرر تاني.

فقال لها وليد في لهجة آمرة أقرب منها للطلب: فيه أكل في التلاجة فلو جعانة قومي جهزي لنفسك حاجة تاكليها.

وبالرغم من أنها تكاد تتضور جوعا الا أنها شعرت بالخجل الشديد لتعترف بذلك، فقررت ألا تفعل لتقول نافية: لا انا مش جعانة دلوقت.

فنظر اليها وليد متشككا ثم قال لها بلهجة حازمة وهو يستند بمرفقيه على الطاولة: بصي يا حياة، احنا مش هنقعده مع بعض مجرد يوم او اتنين، احنا متجوزين وبما ان مش في نيتي اني اطلق في يوم من الايام دة معناه اننا هنعيش مع بعض

مدى الحياة ان شاء الله، يعني مفيش داعي لانك تحسي بالاحراج قدامي، لان دي مش هتكون اول ولا اخر مرة ناكل فيها مع بعض، ياللا اتفضلي حضري لنفسك الفطار وتعالى افطري معايا.

علمت حياة بأنه لن يفيد الجدال معه، لذا نهضت لتنفيذ الأمر وكانت قد فقدت شهيتها بالفعل.

وفي غرفة نوم عبدالرءوف كانت تجلس مريم مرة أخرى بجواره وتسقيه بعض الحساء بيديها في اللحظة التي طرق فيها يوسف باب الحجرة المفتوح ثم تقدم الى الداخل وهو يقول: صباح الخير.

رد الاثنان معا: صباح النور.

وابتسم له عبدالرءوف وهو يقول له مداعبا: نموسيتك كحلي ياسي يوسف، الساعة في ايدك كام دلوقت؟

يوسف بعد أن نظر الى ساعة يده سريعا: الساعة حذاشر وربع.

عبدالرءوف مؤنبا: بدمتك مش مكسوف تقولها؟ دة انت لو كنت موظف عندي كنت زماي طردتك من زمان قبل ما الشركة تضيع.

يوسف مبتسما: طب الحمد لله ابي مش موظف عندك. ثم ان مفيش حاجة مستعجلة تستاهل ابي اروح بدري عشانها، كل الشغل ماشي تمام اظمن.

عبدالرءوف بثقة تامة: ومين قال ابي بشك في ادارتك؟ انا عارف ان كل الموظفين بيعملوك ألف حساب في غيابك قبل حضورك. بس قولي عملت ايه في موضوع مُجد جمال؟

يوسف بغموض: طلع هو.

عبدالرءوف: وناوي تعمل معاه ايه؟ هتطرده؟

يوسف بابتسامة واسعة: هبقا عيبط لو عملت كدة، باستمراره معنا هستفيد منه أكثر.

عبدالرءوف: طب وكمال، ايه آخر أخباره؟

يوسف: لسة مسافر، وسمعت انه بيتفق على صفقة كبيرة، بس لسة معاملها مش واضحة.

عبدالرءوف: طب خلي بالك بقا.

فأوما يوسف برأسه وهو يرى نظرات مريم المتسائلة تنتقل بينه وبين جدها، لذلك قرر الهائها بأمر آخر فاستأنف الحديث بلهجة أكثر مرحا: ياللا بقا عاوزين حاجة؟ اصل صاحب الشركة شكله ناويلي على نية، وباين عليا هطرده قريب. امتي بقا وليد يرجع للشغل تاني؟ والله الواد دة كان مريخي. كان هو في ناحية وانا في ناحية، دلوقت حاسس اني مشتت.

عبدالرءوف مازحا: يا أخي حرام عليك، سيبه يتهنى بعروسته شوية، ولا انت عاوزه يقلدك ويسيب عروسته في شهر العسل عشان ينزل الشغل؟

يوسف: لالالالا، هو اصلا ناوي من نفسه انه يقلدني، قالي انه بالكثير أوي ثلاث ايام ويرجع الشركة. عشان كمان مراته تروح كليتها.

عبدالرءوف ساخرا: انا مش عارف ايه عرسان اليومين دول اللي يا خوية يزهبوا من الجواز والعروسة بعد يوم او اتنين!

نظر يوسف الى مريم نظرة ذات معنى وهو يجيب على عبدالرءوف بتهكمه: معلش بقا يا عمي، الايام اداونا كثير. ياللا بقا سلام عليكم.

وقبل أن يغادر الحجره ناداه عبدالرءوف: يوسف! طب مادام انت رايح الشركة ماتاخذ مريم في طريقك توديتها الجامعة، بدل ما كل واحد منكم يمشي لوحده.

كانت مريم تلوم عبدالرءوف في سرها لاقتراحه هذا الأمر وحاولت التملص من ذلك الموقف وهي تقول متحججة: لا يا جدو شكل يوسف مستعجل وانا هعطله.

عبدالرءوف بالحاح: ولا مستعجل ولا حاجة. مش شايفاه قايم الساعة كام؟ وكمان انتو تقريبا طريقكم واحد دة غير انك جاهزة للخروج، يعني مفيش عطلة ولا حاجة.

مریم بتبرم: بس یا جدو انا مش ممكن امشي قبل ما تخلص فطارك واديك العلاج.

عبدالرءوف سادا أمامها كل منافذ الهروب: انا يا ستي الحمد لله خلاص شبعت، اما بالنسبة للعلاج اهو جنبي وهاخده بنفسي. ياللا ياللا ما تتحججيش بيا.

لم تر مریم أمامها سبيل آخر سوى الاستجابة لطلب جدها فقالت بانخزام أمام عيني يوسف التي تتبعانها في ترقب: أمرک يا جدو.

ثم نهضت مرغمة لتضع الصينية التي في يدها على طاولة صغيرة في احدى زوايا الحجرة، وقالت لعبدالرءوف: طب انا مش هتأخر عليك، هشوفهم بس وصلوا لايه في المسرحية واذا كانوا محتاجين مني حاجة ولا لا، وبعدين هاجي على طول، وانت لو احتجت اي حاجة في غياي رن الجرس اللي عندك وام ابراهيم هتطلعلك انا منبهة عليها.

فابتسم عبدالرءوف من دور الأم الذي تحاول مریم ان تؤديه أمامه رغم صغر سنها وهو يقول مطيعا: حاضر يا مریم، بس على فكرة بقا انا خلاص كبرت وأقدر اعتمد على نفسي كويس اوي.

فطبعت مریم قبلة سريعة على وجنته: ربنا يخليك ليا ويديك الصحة يا حبيب قلبي. ياللا بقا مش عاوز حاجة؟

فهز عبدالرءوف رأسه بالنفي: مع ألف سلامة.

وأفسح يوسف لها المجال لتتقدمه بخطوة، ثم خرج الاثنان معا

وفي شقة علياء كانت تجلس وهي تستشيط غضبا، و ماهر يحاول تهدئتها: ما خلاص بقا يا لولا . اللي حصل حصل.

علياء وهي تشير باصبعها الى نفسها بتفاخر: بقا انا علياء القوصي يبجي عليا اليوم اللي يرفضني فيه واحد زي يوسف جلال، لا وعشان مين؟ عشان بنت مفعوسة لا راحت ولا جات.

ماهر بعقلانية: ما تنساش بردو ان البنت اللي انتي بتقولي عليها دي تبقا مراته.

علياء: طب وديني ليكون طلاقهم على ايدي وقريب اوي كمان، وبكرة تشوف يا سي يوسف.

ماهر: هيحصل يا علياء. وغلاوتك عندي ليحصل، بس كل حاجة هتيجي في وقتها.

فنهضت علياء فجأة وقالت وهي لاتزال تشتعل غضبا: انا هالين عليا أروح للي اسمها مريم دي دلوقت واديلها الكارت الميموري اللي معايا .

ماهر محذرا: لا اوعي، دة مش وقته، الكارت دة لو ظهر في ميعاد غير ميعاده مش هيكون ليه التأثير اللي احنا عاوزينه.

علياء صائحة: مانا كمان مش قادرة اقف كدة واتفرج وانا ساكتة، وكل ما افتكر شكله وهو بيرفضني احس بنار قايدة جوايا، ومش هيطفيها الا لما انتقم لكرامتي.

ماهر: استني بس لما بابا يرجع من السفر، ونتفق على كل حاجة.

علياء: طب وباباك هيرجع امتي؟

ماهر: كلها اسبوع كتير ويخلص الصفقة اللي معاه ويرجع على طول. وبعدها بقا نبتدي اللعب اللي على اصوله.

علياء: طب وانا نصيبي كام من الصفقة الجديدة دي؟

ماهر وهو يمسك يدها ليجلسها بجواره وهو بيتسم: انا كلي ليكي ياروح قلبي، وكل اللي تؤمري بيه هتاخديه. بس انتي شدي حيلك معنا.

علياء: من غير ما تقول، وهو فيه حد بردو بيكره المكسب؟

ثم ادارت جسمها على غفله لتنظر اليه متسائلة: الا قولي صحيح، انت حقيقي ناوي تتجوز مريم دي بعد ما تطلق من يوسف؟

ماهر: طبعا، امال انا بعمل كل دة ليه؟

علياء بتذمر: انا مش عارفة البنت دي عاملة فيكم ايه مخلياكم انتو كلكم بتجروا وراها؟

ماهر مبتسما بخبث: عاملة فينا كثير، كفاية ميراثها من ثروة جدي عبد الرؤوف الكامل، عرفتي بقا احنا بنجري وراها ليه؟

علياء بتشكك: يعني انت قصدك ان يوسف متمسك بيها عشان طمعان في نصيبها من الميراث؟

ماهر بثقة: طبعا يا بنتي، زيادة الخير خيرين. هو عاوز يضم شركة عبدالرؤوف لشركته وياكل هو السوق كله لوحده بدون اي منازع. وكمان كفاية التسجيل اللي معاكي هو أفضل دليل على صحة كلامي. امال انتي كنتي فاكرة ايه؟

علياء بصوت سارح وكأنها تحدث نفسها و لكن بصوت مسموع: مش عارفة، بس لو صحيح يوسف زي مانت بتقول كدة يبقى ليه عمل معايا اللي عمله امبارح؟ وكأنه كان واحد تاني غير يوسف اللي اعرفه. زي ما يكون اتبدل تماما.

الفصل التاسع عشر :

رجل بكل الأمزجة

"فشلت جميع محاولاتي

في أن أفسر موقفني

فشلت جميع محاولاتي

مازلت تتهميني

كأني هوائي المزاج ، وnergسي

في جميع تصرفاتي

مازلت تعتبريني

كقطار نصف الليل .. أنسى دائما

أسماء ركابي ، ووجه زائرتي

فهوأي غيب

والنساء لدي محض مصادفات

مازلت تعتقدين .. أن رسائلي

عمل روائي .. واشعاري

شريط مغامرات

وبأنني استعمل اجمل صاحباتي

جسراً إلى مجدي .. ومجد مؤلفاتي

مازلتي تحتجني أني لا احبك

كالنساء الأخريات"

..... نزار قباني

كان كالأسد الجريح يزرع مكتبه ذهابا وإيابا، حسنا فهو بالفعل يعترف بأنه قد أخطأ، ولكنه لم يفعل ذلك إلا لإغاثتها فقط، مجرد أن يرى ماذا يكمن خلف هذا القناع الجليدي الذي ترتديه؟ ولكنه لم يتصور أن يفلت الزمام من يده بهذا الشكل، فلقد استطاعت أن تجرحه دون أن تدري، هي المرأة الوحيدة التي استطاع كلامها أن يغزو قلبه بتلك الطريقة العنيفة، فلقد تدرّب كثيرا على غيرة النساء حتى اكتسب منها مناعة لا بأس بها، ولكن مع مريم كان الأمر مختلفا تماما، وقد حاول أن يعزي ذلك الأمر الى اتهامها المبطن له بالخيانة، ولكنه قرر يوسف ان يكون صريحا مع نفسه أكثر من ذلك، لذا لقد اعترف وان كان امام نفسه فقط بأن ما ازعجه هو علمه بأنها لم تهتم الا بكرامتها ووضعها الاجتماعي وكأنه لأول مرة في حياته يخسر نزالا مع امرأة ، ولكنها لن تكون النهاية يا ابنة الكامل. فهي جولة واحدة من جولات عدة أعدك بأنني سأكون فيها الراح بلا منازع.

سمع طرقات على الباب، أعادته الى الواقع، فجلس على كرسيه خلف المكتب وقد عقد العزم أن يولي كل اهتمامه لعمله: ادخل.

فدخلت السكرتيرة مي وتمسك بيدها ورقة لفتت انتباه يوسف، فرفع نظرة عينيه الى مي بتساؤل: فيه ايه يا مي؟

قدمت مي له الورقة وهي تقول: دة فاكس لحضرتك لسة واصل حالا من لبنان.

أخذ منها الفاكس. وقال لها: طب روحي انتي دلوقت يا مي واطلبيلي فنجان قهوة.

مي: امرك يا فندم.

وبعد ان خرجت السكرتيرة ، القى نظرة الى الفاكس يقرأه، وما ان انتهى وضعه أمامه على المكتب وهو يقول محدثا نفسه: ياترى بتخطط لايه يا كمال؟

جلست مريم على أحد الكراسي بجوار سرير جدها تسيطر عليها دهشتها وهي تسأل: ممرضة؟! بس انا ازاى ما كنتش عندي خبر بالموضوع دة قبل كدة.

جدها باسمها: انا كمان ما كنتش اعرف غير لما جات هنا بعد ما مشيتوا بجوالي نص ساعة وقالتي ان الدكتور عزت هو اللي بعثها بناء على طلب يوسف جوزك.

ففكرت مريم محتارة في أمر ذلك الرجل. فكيف له أن يهتم بأمر الجميع بهذا الشكل في وقت واحد؟ وبالرغم من خلافهما مساء أمس، وكذلك الصمت الرهيب الذي غرقا فيه خلال توصيله لها بسيارته في هذا الصباح، الا انه لم ينسَ أمر جدها، وقام بتدبير ممرضة لتهتم بشئونه في غيابها. لقد أصبح يشكل بالنسبة لها لغزا كبيرا يصعب عليها حله. وفي تلك اللحظة التي كانت تفكر فيه رأته وكأنه يتجسد من أفكارها الى الواقع يسد فتحة الباب بجسمه العريض فارع الطول، ولم تتأكد من انه حقيقة الا عندما سمعت صوته يقول موجها حديثه لجدها وهو يتقدم الى الداخل بلهجته المرحية التي أصبحت واثقة من أنه يستخدمها مع الجميع سواها: عال عال، واضح ان صحتك اتحسنت اول ما شفت الممرضة الجديدة.

تزين ثغر عبدالرءوف بابتسامة هادئة: الله يجازيك يا يوسف. بس تعالى هنا، انت ليه اصلا ما قولتليش موضوع الممرضة دي قبل ما تبعثها؟

يوسف: ما جتتش فرصة، انا لسة اصلا مكلم دكتور عزت النهاردة وانا في الشركة. بس بدمتك مش احسن بردو؟

فهز عبدالرءوف رأسه: مفيش فايذة فيك.

وانتبه الجميع لصوت الطرقات الخفيفة على باب الحجرة المفتوح فاتجهت الانظار لتلك الشابة السمراء ذات الشعر الكستنائي الطويل والملامح الهادئة وهي تقول بصوتها الناعم ذات اللهجة الوقورة والتي تمتاز بالحزم تلك الصفة التي تغلب على معظم الممرضات: ميعاد الحقنة يا عبدالرءوف بيه.

فقال لها عبدالرءوف باذعان: أمري لله، ادخلي يا رحمة.

فاقتربت منه رحمة وأخذت تعد الحقنة، وخلال ذلك وبعد تقييم سريع لمظهرها، قال يوسف بابتسامة مداعبة: على فكرة يا آنسة رحمة، انا شكلي كدة هطلب من دكتور عزت انه بيعت حد غيرك.

كادت أن تسقط من يدها الحقنة وهي تسأل وقد فاجأها كلامه للغاية: ليه يا فندم؟ هو انا صدر مني حاجة غلط لا قدر الله؟

يوسف: لا، بس وجودك مع عمي فترة طويلة دة في حد ذاته خطر، مين عارف؟ مش ممكن يعجبه الوضع ويقرر انه يفضل عيان على طول؟ ياريتي انا اللي كنت مكانه.

فضحك كل من عبدالرءوف ورحمة، اما مريم فقد ظلت ملامحها جامدة وهي ترمقه بنظرات مليئة بالسخط كانت تفيض مما بداخلها من غضب.

فقال رحمة، وقد عادت الجدية الى ملامحها من جديد: طب ممكن لو سمحتوا تخرجوا برة بقا؟

يوسف: أولك يا ستي، ياللا بينا يا مريم بقينا بنطرد.

وعندما خرجا وقد سبقته مريم الى غرفتها، وفور دخوله سمعها تقول ساخرة، وهي تجلس أمام المرآة تحاول الانشغال بسحب الدبابيس من طرحتها حتى لا تبدي اي اهتمام حقيقي: طب ما كنت تاخذ رقمها بالمرّة.

فسألها يوسف مجرد ان يتأكد من ان الحديث موجهها اليه: تقصدي مين؟

مريم: قصدي رحمة اللي انت كنت عايز تعيا مكان جدي عشان هي تهتم بيك.

حاول يوسف مشاكستها قليلا: لا مانا نسيت أقولك ان دكتور عزت عطاني رقمها عشان كنت هتصل بيها لو اتأخرت.

يبدو ان هذا الشخص دائما يبرز أسوأ ما في طباعها، ولكنها حاولت ضبط انفعالها وهي تبتسم ابتسامة صفراء، وقد انتهت من التخلص من طرحتها وأخذت تحرر شعرها الناري وهي تسأله باستهزاء: طب وياترى بقا ناوي تتصل بيها امتى؟

قرر يوسف مسيارتها في شكوكها دون محاولة منه لنفيها: أكيد لو احتجناها هنضطر نتصل بيها.

نفضت من مكانها لتتجه الى خزانة ثيابها وهي تشعر بغضب شديد وتحاول بكل جهدها ألا تبدي ذلك وهي تقول متهكمة: قصدك لو انت احتجتها.

فبدا الأمر بالنسبة له مسليا للغاية وثرغره يعلوه الابتسامة وهو يعقد ذراعيه حول صدره بتحدي: معناه ايه كلامك دة؟ ويا ترى أقدر اعتبره غيرة؟

توترت شفتها وهي لا تدري بما تجيب، و تحاول ان تشغل نفسها بالعبث بثيابها دون هدف لتجنب مواجهته وهي تقول بنبرة مرتبكة على غير ما أرادت: غيرة؟ من مين؟ وعلى مين أصلا؟

رد يوسف بلهجة واثقة دائما ما حسدته عليها لأن ذلك هو ما تفتقره في معظم مواقفها معه ومن ضمنهم ذلك الموقف الذي زجت بنفسها فيه دون أي حساب لما قد ينتج عنه: عليا مثلا

فوجدت لسانها دون أن تدري ينطق بتلقائية ليزيد المشكلة تعقيدا: عليك انت؟! ليه؟

وما ان نطقت بتلك الكلمات التي بدا ان يوسف قد اعتبرها جرحا لكرامته وربما انقاصا من رجولته لتجده وقد جذبها من ذراعها فجأة بقوة وعنق لتصبح في مواجهته وملاصقة له وقد كتمت صرختها التي كادت تنطلق من هول المفاجأة وكذلك الألم الذي شعرت به يغذو ذراعها نتيجة لأصابعه الممسكة بها وتكاد تنغرز فيه، مما جعلها تقول له وهي غير واعية تماما: انت مجنون؟

فهز رأسه نافيا وهو يقول بهدوء تام متأملا ملامحها بكل دقة وبطء: لا يا مريم، انا مش مجنون. انا جوزك ودي الحقيقة اللي انتي بتحاولي تتجاهليها فياريت بلاش تستفذي عشان ما تخليش أعمل حاجة ممكن نندم عليها احنا الاتنين.

تقاربهما هذه الدرجة المخيفة والتي لم تتوقعها جعلها ثابتة في مكانها لا تقوَ على الحراك إلى جانب أنها لم تستوعب جزءا كبيرا من كلامه، ولقد لاحظ هو أيضا ذلك فلم يشأ أن يفسد على كل منهما تلك اللحظة الفريدة التي يشعران فيها بالانسجام معا، وقد بدا انهما في عالم خاص بهما يفصهما عن كل ما حولهما، ودون أن يشعر رفع يده ليلمس خدها بظهر يده في مداعبة رقيقة وهو ينظر في عينيها بعمق دون أدنى مقاومة منها، وعندما طال الصمت بينهما، خرج صوته الأجش وهو يقول: مريم! انا.....

لم يتم جملة حيث قطعها طرقات متواصلة على الباب لتخرجهما من عالمهما وتعيدهما الى الواقع من جديد لتبتعد مريم عنه فجأة وكأنها قد أدركت أخيرا ما كان يحدث، ثم سمعته يتمتم بكلمات سريعة غاضبة استوعبت بعضها وقد فهمت منها أنه يشتم ذلك الطارق في داخله، وعندما لاحظ اصرار هذا الشخص سأل بصوت عال ينم عما يعتمر بداخله من غضب: مين؟

فجاءها صوت رحمة ذات النغمة المبحوحة: انا رحمة يا فندم.

وعندما لاحظ تصلب جسمها وهي تنظر اليه بعينين عاتبتين قرر بأنه من المحتمل أن يطرد تلك الفتاة ان لم يكن الأمر الذي جاءت من أجله على قدر كبير من الأهمية لتقاطعهما في تلك اللحظة بالذات، فذهب ليفتح الباب وحاول أن يبدو صوته لبقا بقدر الامكان: خير يا رحمة؟ فيه ايه؟

رحمة معتذرة: انا اسفة جدا يا فندم، بس عبدالرءوف بيه عاوز حضرتك ومدام مريم في اوضته دلوقت.

يوسف: اوك، روحي انتي، وانا هبلغ مريم ونروحله.

رحمة: أمرك يا فندم.

ورحلت رحمة، ثم أغلق يوسف الباب وهو لا يفكر في شيء سوى كيفية تصليح علاقته بزوجته ليتكرر ذلك التقارب الذي كان بينهما منذ لحظات وقد أفسده كل من عبدالرءوف ورحمة.

وفي غرفة عبدالرءوف الذي كان يجلس تقريبا في سريره ويريح ظهره الى الخلف عندما دخلت عليه مريم مسرعة وقد احتضنته بلهفة وتقول: جدو! مالك يا حبيبي؟

وكأنها تحتمي بحضنه اما من يوسف الذي جاء بعدها على تمهل وإما من تلك المشاعر التي اكتشفتها فجأة عندما كان يحتضنها يوسف منذ قليل، مشاعر لم تكن تعلم بوجودها من قبل كما لم تعلم أيضا سبب ظهورها الآن فقط.

تفاجيء عبدالرءوف من تصرفها وابتسم فجأة وهو يحاول طمئننتها: فيه ايه يا مريم؟ انا كويس يا حبيبي؟ انتي اللي مالك؟

ابتعدت عنه مريم قليلا ولعدم قدرتها بالطبع على اخباره بالحقيقة، فحاولت ان تراوغ بعض الشيء: ابدا يا حبيبي، انا بس لما رحمة جات وقالتلنا انك عاوزنا، اتخضيت عليك. خير يا حبيبي كنت عاوزنا في ايه؟

تطلع عبدالرءوف الى يوسف الذي كان يقف بعيدا بعض الشيء: ما تقرب يا يوسف. واقف بعيد كدة ليه؟

فاقترب يوسف وقد اختار أن يجلس بجوار مريم التي شعر بتشنجها فور لمستته لها، فقال عبدالرءوف الذي لم تكن تخفى عليه تلك الأمور، ولكنه لم يشأ أن يتدخل في الأمور ليس من حق شخص آخر سوى مريم ويوسف التدخل فيها، ولكنها حفيدته وهو ابن أعز أصدقائه، بل كان يعتبره ابنا قد عوضه الله به عن ابنه الحقيقي، لذا كان يحاول بطريقة غير مباشرة اذابة الحواجز التي بينهما لينعما بالسعادة التي يتمناها لهما من كل قلبه، و من أجل هذا الغرض قال بلهجة تنم عن البراءة التامة: والله يا ولاد أنا بدأت أحس اني عبء عليكم.....

وقبل أن يكمل قاطعته مريم لائمة: اخص عليك يا جدو، ازاي تقول كدة.

عبدالرءوف: اصلي يا بنتي من ساعة ماجيت وقعدت معاكم هنا حسيت اني ربطكم معايا. ودة بردو ما يرضيش ربنا يعني حابسين نفسكم معايا لا بتخرجوا ولا بتشموا هوا. غير يدوب بتنزلوا الا للجامعة أو الشغل.

مريم بمداعبة: وهو احنا كنا اشتكينالك بردو بقا سي جدو؟

أما يوسف الذي يعرفه حق المعرفة فلم تكن لتتطوي عليه تلك الحيلة ولكنه قرر أن يلتزم الصمت ليرى مالذي يبغيه صديقه من تلك اللعبة والتي بدا انها بالفعل قد جاءت على هواه هو أيضا. فاستمر عبدالرءوف باقناع حفيدته بوجهة

نظرة: يا بنتي ما تنساش بردو انكم لسة عرسان جداد، ودة حقكم، دة غير ان جوزك اصلا مش واخذ على الحبسة دي، وفيها ايه يعني لما تخرجوا وتتفسحوا شوية مع بعض؟

مريم بدلال: ازاى بس نخرج نتفسح ونسيبك هنا لوحك يا جدو؟

عبدالرءوف: يا حبيبي انا كويس والحمد لله، وكمان معايا رحمة وام ابراهيم، ومجرد ساعتين يعني هتقضوهم برة مش هيبقوا مشكلة.

كانت مريم بالطبع تميل الى الخروج ليس لسبب سوى أنها تريد تأجيل وجودها مع يوسف وحدهما مرة أخرى فأزعنت لطلبه دون ابداء اللهفة التي بداخلها: خلاص اللي تشوفه يا جدو.

فنظر عبدالرءوف الى يوسف الذي لم يرفع عينيه عن مريم بل اكتفى فقط بمراقبة تعبيرات وجهها المختلفة: وانت يا يوسف، ايه رأيك؟

يوسف: انا معنديش مانع طالما مريم موافقة.

فتنهذ عبدالرءوف بارتياح: تمام، انا حجزتلكم بالتليفون تراييزة في مطعم هيعجبكم اوي، بس لازم تكونوا هناك الساعة سبعة يعني يدوب تلحقوا تجهزوا.

فابتسم يوسف وهو يضع ذراعا حول مريم ويضمها اليه بعفوية توحى لأي شخص يراها للوهلة الاولي بأنهما عاشقين مغرم كل منهما بالآخر: شفتي يا حبيبي، يعني عمي ما كنش بياخذ رأينا ولا حاجة، دة كان مخطط ومرتب وبيبلغنا عشان ننفذ.

اغتصبت مريم ابتسامة لترد عليه بما وهي تصارع ذلك الشعور الغريب الذي أصبح يغمرها كلما اقتربت منه.

وفي المطعم الذي أخبرهما به عبدالرءوف استقبلهما النادل بحفاوة وتمهيد بالغين، فعميل كيوسف جلال فخر لكل مكان يدخله، أرشدهما النادل الى الطاولة التي حجزت خصيصا لهما وقد كانت معزولة بعض الشيء في ركن يبعد قليلا

عن بقية الطاومات وتثيره إضاءة خفيفة تضفي عليه مزيدا من الخصوصية والجو الرومانسي، وبعد ان اختارا من قائمة الطعام ما يفضلانه وطلبا كوين من العصير قبل تناول العشاء، تركهما النادل.

فنظرت مريم الى كل ما يحيط بهما باعجاب، وقالت باطراء: فعلا جدو كان عنده حق لما قال ان المكان هيعجبنا.

يوسف مبتسما: جدك من يوم ما عرفته وهو دائما عنده حق.

مريم مشاكسة: طبعا مانت تعرف جدو من زمان.

فقهقه يوسف بصوت خافت، ثم رد عليها ردا أغاظها: تقريبا من قبل مانتي ما تتولدي.

وعندما وجد ملاحظها تتبدل ويبدو عليها الغضب فأكمل بلهجة جادة تقريبا: عاوزه توصلي لايه يا مريم؟ عاوزاني أعترف اني راجل عجوز؟ يمكن معاكي حق تقريبا، أصل انا طول عمري بسمع ان الواحدة ممكن تتجوز صديق باباها، لكن دي أول مرة أشوف واحدة بنتجوز صديق جدها.

مريم بلهجة صادقة: اللي زيك يا يوسف عمره ما هيعجز.

يوسف وقد استطاع أن يخفي نظرة الألم السريعة التي ظهرت في عينيه: بس بردو ما تقدريش تنكري فرق السن الكبير اللي بيننا.

مريم: تصدق ان أنا عمري ما حسيت بفرق السن دة من يوم ما عرفتك، صحيح لما جدو كلمني عنك تصورتك راجل كبير وبكرش.

ثم اتجهت عينها الى شعره: وشعرك كله أبيض أو ع الاقل معظمه، يعني زي كل رجال الاعمال اللي دائما بنشوفهم في التليفزيون.

جعلته بيتسم رغما عنه وهو يقول: انا بجد آسف لاني خيبت ظنك وما طلعتش زيهم.

فبادلته مريم الابتسامة في حين كان يضع النادل أمامهم العصير، وبعد ان رحل سأل يوسف: قوليلي بقا حسيتي بايه بعد ما شوفتيني مختلف عن الصورة اللي كانت في دماغك؟

مريم بعد ان ارتشف قليلا من كوبها: اتصدمت طبعاً ، واتغظت أوي بصراحة لاني كنت بانبة امال كبيرة ع الموضوع دة، كان نفسي الاقي فيك اي عيب أقنع بيه جدي عشان اقدر ارفضك، وخصوصاً لما حسيت انك انت كمان كنت واخذ عني فكرة معينة مش كويسة.

يوسف موافقا: فعلاً، بس أنا بردو معذور بعد ما عرفت انك كنتي عايشة لحد فترة قريبة في بلد أجنبية لها عادات وتقاليد مختلفة تماماً عن عاداتنا وتقاليدنا، لكن قوليلي بقا حياتك هناك كانت عاملة ازاى؟

لم يعجبها تماماً طريقته في تغيير الموضوع الى جانب اصراره دائماً على اختراق عالمها بينما لا يسمح لها هي بذلك، ولكنها أحببت تلك اللحظة من المصارحة التي تحدث بينهما، ومهما حدث فقد قررت الا تضع نهايتها بيدها لذا عازمت على ان تجيب سؤاله بكل مصداقية: طبعاً حياتي هناك مش كانت سهلة اوي وخصوصاً بعد ما ارتديت الحجاب اللي طبعاً كانت ماما رافضاه تماماً زي ما كانت رافضة حاجات كتير كنت بعملها و حاجات أكثر كنت مش بحب اعملها.

يوسف: زي ان يكون ليكي **boy friend** مثلاً؟

شعرت مريم باحراج شديد من صراحته المفاجئة لها حيث بدا وكأنه يقرأ أفكارها: اه، كانت اوقات تتضايق لما تلاقيني برفض صداقة الاولاد، الحقيقة مش هي لوحدها كل زمائلي كانوا بيعتبروني شادة.

ثم نظرت اليه بطرف عينيها لترى وقع كلماتها عليه وعندما رأت بعض العبوس على وجهه سألته بحذر: هو انا قولت حاجة زعلتك؟

فأضاءت الابتسامة وجهه وهو يجيب: تفتكري اني ممكن ازعل وانا بسمع اني أول راجل في حياة مراتي؟

فأقلت لسألتها دون أن تدري: بالنسبة لتاريخك النسائي دة يخليني أشك.

وضعت يدها على فمها وهي لا تدري لما تفوهت بتلك الكلمات التي بدا انها لم تهز فيه شعرة واحدة وهو يقول بهدوء: شوفي يا مريم، انا مش هضحك عليكى واقولك اني كنت عايش قبلك حياة الرهبان يعني، صحيح مر بحياتي بعض الستات بس مش بالشكل اللي الصحافة بتتكلم عنه.

مريم: أمال بأي شكل؟

للمرة الثانية يفلت لسانها بكلمات لم تكن لتتطرق بها في ظروف أخرى، ولكنها وجدته يتلقى سؤالها بصدر رحب: يعني انا عمري ما كنت دون جوان زي ما يقولوا، لان كل الستات اللي كنت أعرفهم كانت بتجمع بيني وبينهم المصلحة في الاول وفي الاخر وهما كانوا عارفين كدة كويس.

مريم: حتى علياء؟

يوسف: واشمعنا علياء بالذات؟

حاولت مريم أن تركز انتباهها على كوب العصير بيدها حتى لا يزيد توترها وهي تقول: يعني ، يمكن عشان هي دي الوحيدة اللي اتعرفت عليها، وواضح كمان ان علاقتك بيها لسة مستمرة لحد دلوقت.

احتضن يوسف بكفه يدها التي تركز على الطاولة، ثم وضع أصابع اليد الأخرى تحت ذقنها ليرفع وجهها اليه برفق وهو يهمس اليها تقريبا: لو كنتي تقصدي الليلة اللي وصلتها فيها فهتصدقيني لو قولتلك اني دخلتها شقتها ومشيت على طول؟

مريم: أمال ايه اللي أخرك كل دة؟

يوسف: كان فيه كمين في الطريق وطبعاً ما كنش ينفع أكسره عشان ارجع بدري واتجنب الاستجواب اللي كان في انتظاري... ايه؟ مصدقاني ولا لا؟

كيف لها أن تكذبه ونظرات الصدق تشع من عينيه وتخرق قلبها؟ لذا أومأت برأسها موافقة بابتسمة أسرته، ولكنه عاد الى وضعه الطبيعي عندما لمح النادل يقترب منهما حاملا أطباق العشاء إلى أن انتهى من وضعه أمامهما على الطاولة. وأمسك يوسف بالشوكة والسكينة مستعدا لتناول طعامه ويقول: على فكرة يا مريم الاكل في المطعم دة لذيذ جدا، يعني حتى لو مكنتيش جعانه، فريحتة نفسها هتجوعك.

مريم مازحة وهي تتناول بدورها الشوكة والسكينة: يعني المفروض اني أشمه الاول قبل ما اكل؟

فتبسم يوسف بمرح ظاهر، وكان كل منهما يسعد بتلك اللحظات التي يقضيها في هذا المكان وقد ذابت معظم الحواجز التي بينهما، ولكن الى متى سيستمر ذلك الصفاء؟ جاءت الاجابة على هذا السؤال سريعة جدا عندما سمعا صوتا ذكوريا مهذبا يقول: مساء الخير.

تطلعت أنظارهما الى صاحب هذا الصوت، فهتفت مريم بصوت خافت من دهشتها: أستاذ خالد؟

أما يوسف فبعد أن ألقى نظرة سريعة الى تعابير وجهها نظر الى خالد وقال بطريقة لبقة: مساء النور. أي خدمة؟

خالد وقد أربكه هذا الاستقبال الغير مرحب على الاطلاق: لا أبد، انا بس حببت أطمئن على مدام مريم، لانها مشت النهاردة وكان شكلها تعبان شوية، ولما شفتها قصدي شفتكم هنا في المطعم قوت أسلم عليكم، وانا اسف لو كنت تسببت في أي ازعاج.

وكان سؤال يوسف الصريح: مين حضرتك؟

فتولت مريم مهمة التعارف وهي تشعر بنظرات يوسف الحادة مصوبة الى كل منهما: أستاذ خالد صلاح معيد في كلية إعلام وهو البطل ادم حياة في المسرحية اللي بنحضرها.

ثم أشارت إلى يوسف: يوسف جلال جوزي، رجل أعمال.

فمد خالد يده لمصافحته بابتسامة واسعة: أكيد طبعا يوسف بيه غني عن التعريف.

فصافحه يوسف ببرود: تشرفنا يا استاذ خالد. اتفضل اتعشى معانا.

رفض خالد عرضه بتهذيب وهو يشير إلى طاولة تبعد عنهما قليلا وتجلس عليها شابة تقريبا تقريبا أكبر من مريم بسنتين أو ثلاث: متشكر أوي يا فندم ومرة تانية ان شاء الله، ومعلش بقا أستأذن عشان معايا أختي، وألف سلامة عليكمي للمرة الثانية يا مدام مريم. ويأريت بقا نشوفك بكرة في البروفا ان شاء الله، عن اذنكم.

اكتفت مريم بابتسامة باهتة وإيماءة بسيطة من رأسها وهي تتوقع استجوابا من زوجها فور رحيله، ولكن عكس ما توقعت فلم يعلق يوسف بشيء ولكن قد اختفى سحر تلك اللحظات التي عاشها سويا قبل ظهور خالد المفاجيء،

وقد أكمل يوسف تناول وجبته بصمت أما هي فقد أجبرت نفسها على تناول القليل من الطعام حيث أنها قد فقدت شهيتها ولم تعلم ما السبب؟

عادا الى الفيلا وقد سبقته مريم الى حجرتها بخطوات واسعة فيما يشبه العدو فقد شعرت بغضب مكبوت بداخله بحاجة الى من يشعل فتيله، وسرعان ما لحق بها، ولقد صدقت تكهناتها حيث أغلق الباب خلفه بعنف وجاءها صوته الهادر يسألها: اسمعي يا مريم انا استنيت لحد ما نرجع بيتنا بس عشان ما اعملش مشاكل في مكان عام، بس دة مش معناه اني موافق على اللي حصل. فمممكن تقوليلي بقا مين خالد صلاح دة وايه علاقتك بيه بالظبط؟

الآن فهمت لم لم يعلق على الامر في حينه، فشعرت بالغضب يتسلل اليها بسبب اتهامه غير الصريح، وردت بعنف ثائرة لكرامتها: علاقة ايه اللي انت بتتكلم عليها دي؟ أستاذ خالد دة زي ما قولتلك بالظبط في المطعم هو معيد في كلية اعلام وبطل المسرحية اللي انا بصمم الديكور بتاعها.

لم تهدأ ثورته بعد ولكن قد انخفضت نبرة صوته قليلا: ودة بقا يديله الحق انه اول ما يشوفك في مكان يبجي يسلم عليك؟

مريم: لا طبعا مش للدرجة، هي كل الحكاية اني النهاردة واحنا شغالين حسيت اني تعبانة شوية، فاستأذنت منهم وروحت بدري ، عشان كدة هو أول ما شافني في المطعم كان من الذوق طبعا انه يبجي ويطنم عليا. وأفتكر انه لو كانت نيته حاجة تانية ما كنش جه وهو شايفك قاعد معايا. ودة أكبر دليل على حسن نيته. وبعدين الموضوع ما كنش يستاهل كل اللي انت عملته دة.

خرج صوته باردا بشكل مخيف: ماشي يا مريم، بس اسمعي آخر الكلام بقا، أنا مش عاوز أسمع انك اتكلمتي مع الشخص دة مرة تانية. مفهوم؟

مريم: يعني ايه بقا؟ انت ناسي أصلا اننا بنشتغل مع بعض في مكان واحد؟ يعني الطبيعي انه ممكن يكلمني وأكد هرد عليه.

يوسف بلهجة حاسمة: يبقا تسيبي المسرحية دي خالص.

لم تصدق مريم ما سمعته أذنيها، بل انها لم تتوقع منه هذا التحكم المفرط في حياتها، لذا لم تستطع اخفاء غضبها: يعني ايه بقا؟ انت اصلا مش ليك الحق انك تطلب مني حاجة زي كدة.

يوسف: اظاهر يا مريم اني لازم أفكر كل شوية انك مراتي وليا كل الحقوق عليك.

مريم بتحد ظاهر: وان رفضت؟

يوسف وقد رفض الهزيمة بعنف وهو يرد لها التحدي بنظرة جليدية: انتي أذكي من انك تعانديني يا مريم. واللي قولت عليه هو اللي هيحصل بإرادتك أو غضب عنك.

كانت مريم على يقين بأنه بالفعل يستطيع ارغامها على كل ما يريد ف هو من ذلك النوع الذي لا يقبل التحدي وهذا ما يقر به بعض رجال الأعمال الذين يوقعهم حظهم في التعامل معه. ولكنها مثله ترفض الاعتراف بالهزيمة بسهولة فقالت: يعني ايه بقا؟ ناوي تحبسني مثلا؟

يوسف: لو دي كانت الوسيلة الوحيدة قدامي مش هتردد اني اعملها يا مريم.

ثم تركها في حالة من الذهول الشديد ودخل حجرتة.

قاسي، عنيف، همجي، تلك هي الألفاظ التي أطلقتها عليه من خلال ذلك الموقف وقد ندمت على اللحظات القليلة التي كانت تصفه فيها باللطف والحنان والسحر.

وذات صباح، جلس كل من وليد و حياة أمام مائدة الطعام لتناول وجبة الفطار، وقد كان وليد يرتدي ثيابا للخروج استعدادا لمغادرة المنزل، فبدت حياة مترددة قليلا وهي تقول: وليد.

لم يرد عليها وليد، بل انه لم يلق لها بالا على الاطلاق، فاستمرت وقد شعرت بثقتها تتزعزع بسبب تجاهله المتعمد لها: انا كنت عاوزه ارواح الكلية النهاردة. البت سلمى عمالة ترن عليا عشان انزل للبروفات وبتقول اننا كدة مش هنقدر نقدم المسرحية في ميعادها.

ثم صمتت قليلا لترى ردة فعله، ولكنه لم يرفع نظره عن الطبق الذي أمامه، بل لم يبد عليه اطلاقا بأنه قد سمع حديثها، فحاولت أن تعيد ما قالته مرة أخرى بنبرة أعلى: وليد، انا بقولك.....

قاطعها صوته الهاديء: انا سمعت كويس اللي انتي قولتيه، ع العموم معنديش مانع بشرط انك ترجعي بدري.

حياة بإذعان: حاضر.

وليد وقد بدأ ينظر اليها وان كانت نظراته لاتزال باردة الا انها أفضل من تجاهله: هتنزلي امتي؟

حياة: بعد مانت ماتنزل على طول هغير هدومي وأتصل بمريم عشان تعدي عليا.

فقال وليد بلهجة آمرة أكثر منها اقتراح: وليه تخلي مريم تقطع المسافة دي كلها هنا وبعدين تروح الجامعة؟ انا بقول ان من الافضل اني أوصلك في طريقي، وتقدري تدخلي تعيري هدومك عقبال ما اخلص فطار.

حياة: بس انت كدة ممكن تتأخر. وانت قولتلي انك مش بتحب تتأخر على مواعيد الشغل.

وليد بغموض: لا، النهاردة الوضع مختلف، لاني مش هروح الشغل كموظف.

حياة مستوضحة: يعني ايه؟

وليد: هتعرفي بعدين، ياللا بقا عشان انتي ما تتأخريش.

لم تنزعج من لهجته الأمرة فلقد اعتادت عليها خلال الايام القليلة التي قضتها معه تحت سقف واحد وقد ظل خلالها باردا متحفظا قاسيا في معظم الأوقات، كما انها وبخت نفسها كثيرا على سذاجتها التي جعلتها تعتقد أنه من الممكن أن يشركها في أمر يتعلق به، فهي ليس لها الحق تماما في التدخل في شئون حياته أما هو فله الحق كل الحق في التحكم في كل حياتها.

الفصل العشرون :

* عودة الماضي *

دخل وليد مكتب أخية الذي كان يجلس على كرسيه يطالع بعض الاوراق، فلفت وليد انتباهه مازحا: مش محتاج أي مساعدة ولا قررت انك خلاص هستغنى عن خدماتي؟

فهب يوسف واقفا مظهرا مدى سعادته برؤية أخيه الصغير وتقدم نحوه يدفعه الشوق والحنين فاتحا ذراعيه: وليد بيه، مش معقول؟! وحشتني يا غالي.

فبادله وليد العناق وقد كان بالفعل يشتناق الى حضن أخيه كثيرا ولكنه فضل العتاب بلهجة مرحة وهو يدفعه بعيدا عنه بلطف: يا عم اوعى كدة. دة انت حتى ما كلفتش خاطرک واتصلت تسأل عليا ولو مرة واحدة.

ظهرت الجدية على وجه يوسف ولكنها كانت مبطنة بروح الفكاهة: معلش بقا يا صاحبي أصلي خفت ع الرصيد وانت عارف بقا اخوك كارت مش خط.

وليد محذرا: يوسف! انت هتعملهم عليا ولا ايه؟ انا بتكلم بجد.

يوسف: اتصل بيك فين يابني؟ انت نسيت؟ انت عريس واكيد ما كنتش فاضي للكلام دة. دة غير مراتك اللي ممكن ساعتها تخليك تتبرى مني، الا قولي صحيح ، هي عاملة ايه؟

ثم غمز له بنظرة خاصة وهو يدفعه بكتفه قليلا: وانت عامل ايه معاها؟

ورغم انه كان قد أعد بعض الردود الخاصة لتلك الاسئلة الا انه شعر ببعض التوتر في صوته وهو يجيب: الحمد لله، احنا بخير.

وبالطبع فهو يستطيع أن يخدع الجميع بابتسامته الكاذبة وسعادته الزائفة إلا شخصا واحدا وهو يوسف جلال الذي لم تنطلي عليه تلك الحيلة، ولكنه قرر ألا يتدخل في الأمر الا اذا طلب منه ذلك. فألقى نظرة سريعة الى ساعة يده،

واكتسى وجهه بالجدية وهو يقول بصوت أراده أن يكون صارما: طيب قولي بقا انت ايه اللي اخرك؟ ولا الجواز علمك الكسل؟

وليد وهو يمسك بيد أخيه ليجلسه بجواره: طب تعالى بس اقعد عشان انا عاوزة اكلمك في موضوع مهم.

يوسف وهو يجلس بجوار أخيه: دة انت مش جاي عشان الشغل بقا.

وليد: ما هو الموضوع اللي انا هكلمك فيه دة هو موضوع شغل بردو.

يوسف مازحا: شكلك كدة عاوز زيادة في المرتب طبعا بقا يا سيدي مانت بقيت رب اسرة. ع العموم اطمئن انا عملت حساب الموضوع دة.

وليد جادا: لا يا يوسف، انا كنت عاوز أستقيل من الشغل.

يوسف مندهشا: تستقيل! ازاي يعني؟ طب ليه؟

وليد: مانا يا عم يوسف مش هفضل حابس نفسي في وظيفة ومرتب طول العمر.

يوسف: مانت اللي كنت عاوز كدة. مانا ياما عرضت عليك تمسك معايا الادارة وانت كنت دائما بترفض. ع العموم احنا لسة فيها، والشركة شركتك زي ما هي شركتي ودة حقك يا بني.

وليد: يا يوسف انت فهمتني غلط. انا بفكر في حاجة تانية، بصراحة كدة انا عاوز افتح شركة لوحدي، وكنت جاي أخذ رأيك في الموضوع.

يوسف بعد لحظات من التفكير: تشتغل لوحدهك؟! امممممم، انت فكرت كويس في الموضوع دة؟

وليد: مانت عارف يا يوسف ايني بفكر فيه من زمان.

يوسف: اه بس ما كنتش عارف انه هيحصل بسرعة كدة.

وليد ببعض الاحباط: لو انت عاوزني اجله مفيش مشكلة.

فربت يوسف على كتفه بتشجيع: لا يا صاحبي، اعمل انت بس دراسة جدوى وشوف هتبدأ امتي؟

وليد بحماس زائد: انا اليومين اللي فاتوا دول كنت بعمل دراسة الجدوى وخلصتها تقريبا وناوي ان شاء الله أبدأ في أقرب وقت.

يوسف مداعبا: عملت دراسة الجدوى في اليوم اللي فاتوا؟

ثم أكمل ساخرا: وهي العروسة فتحت نفسك ع الشغل بالشكل دة؟!!

أدرك وليد الخطأ الذي أوقع نفسه فيه، وقد لام نفسه كثيرا على ذلك فهو يعلم جيدا أن أخيه لا يفوته شاردة أو واردة، لذا حاول تدارك الأمر سريعا فاغتصب ابتسامه وهو يقول: وبعدين معاك يا يوسف. انت مفيش كلمة بتعدي عليك أبدا من غير ما تعلق عليها؟

يوسف بجدية ونظرات معاتبة: دة لأنها اول مرة تكذب عليا فيها يا صاحبي.

بدا ان وليد لم يدرك ما يقصده أخوه فسأله مستوضحا: وانا كنت كدبت عليك في ايه يا يوسف؟

يوسف بنظرة خاصة: يعني انت مش عارف؟

وليد بصدق: لا مش عارف، طب قولي انت يمكن أكون مش واخذ بالي.

فأمال يوسف ناحيته قليلا و وقرر أن يكون سؤاله مباشرة بدلا من تلك المراوغة العقيمة التي لم يعتادها مع أخيه: انت

ليه لما سألتك قبل جوازك اذا كان فيه حاجة حصلت بينك وبين حياة أنكرت؟

وليد: لان دي هي الحقيقة، ماكنش فيه حاجة حصلت بيني وبينها قبل الجواز.

ثم أكمل يقول لنفسه بألم: ولا بعد الجوز.

بدا ان يوسف لم يكتف بهذا الرد، بل انه لم يقتنع به على الاطلاق لذا أكمل استجوابه: أمال ليه كان كل اللي حصل

دة في ليلة الدخلة؟ انت عارف لو كان أهلها صمموا ع اللي هما عاوزينه ماكنش حد هيقدر يمنعهم ولا انا شخصا.

وامتلاً صوته بنبرات العتاب واللوم وهو يستطرد: ليه يا وليد؟ مادام كنت ناوي تتجوزها من البداية يبقى ليه تستعجل وتحط نفسك في موضع شبهة؟

شعر وليد بأن كل كلمة يقولها يوسف وكأنها سكين بارد يمزقه إربا، أو كأنها الملح الذي وضع على جراحه ليزيد من آلامه، ولأنه لم يستطع أن يتحمل نظرات الاتهام في عينيه فاندفع مدافعا عن نفسه بصوت أجش: هتصدقني يا يوسف لو قولتلك اني بريء م التهمة دي؟ واني والله ما لمست حياة قبل الجواز؟

يوسف: امال مين؟

صدمه السؤال ولم يستطع ان يرد عليه، فقال يوسف ليستحته على الكلام: شوف يا وليد، انا مش بس أخوك الكبير دة انا كمان اللي مريك، يعني انا ادري واحد بيك، وانت من ساعة ما قررت انك تتجوز حياة وانا شاكك ان فيك حاجة غلط، يمكن صحيح تكون بتحبها بس انا ما شفتش في عنيك فرحة العاشق الولهان اللي صبر ونال. وليد! انت أخوية، وحياة بقت خلاص مراتك، يعني سمعتها عندي بقت من سمعتك وانا هقدر أحافظ ع الاتنين.

لم يجد وليد مفر من الرد على أخيه الذي لن يهدأ الا اذا علم الحقيقة كاملة كما انه كان في حاجة اللي دعم أخيه في هذا الشأن.

فاستجمع كل شجاعته وهو يقول: انا هقولك على كل حاجة يا يوسف لاني بجد بقيت محتاجلك اوي وما بقتش عارف اعمل ايه ولا اتصرف ازاى؟

يوسف: قول وانا سامعك.

وأخذ وليد يسرد على أخيه كل قصته مع حياة بالاضافة الى ما علمه من مريم الى ان انتهى وهو يقول بتهيئة كبيرة تدل على ما يعانیه من الم و حيرة: هو دة كل اللي حصل.

تعاطف يوسف مع أخيه وهو يتخيل ما يحملة على عاتقه من هم صعب على أي انسان ان يتحملة، فسأله بثبات وقد قرر التزام الموضوعية في تعامله مع هذا الأمر: وناوي على ايه؟

وليد: مش عارف.

يوسف: أهم حاجة انك تكون واثق ان مراتك ضحية ومالهش أي ذنب في اللي حصل، ولازم تتصرف معاها ع
الاساس دة. وتعيش حياتك بقا. دي بقت مراتك خلاص

فأوماً وليد برأسه قليلا وهو يقول بعموض: ان شاء الله.

يوسف بتشكك: مش عارف ليه حاسس ان في دماغك حاجة تانية ومش عاوز تقولها.

وليد بتأكيد: بصراحة كدة اه، انا كنت محتاج مساعدتك في حاجة كدة هتوفر عليا كتير.

يوسف: حاجة ايه؟

هقولك بس مش دلوقت، انا كل اللي يهمني دلوقت اني افتح الشركة الاول وبعد دراسة الجدوى فاتضح اني هحتاج ع
الاقل خمسة مليون جنيه كبداية، عشان كدة فانا كنت عاوزك تشتري نصيبي في الشركة و لو مش فيه سيولة كافية
تغطي نصيبي فممكن تديني الخمسة مليون دلوقت وبعدين تديلي باقي المبلغ على دفعات. او زي ما تحب.

فسأله يوسف بعيون غاضبة: انت عاوز تنفصل عني للأبد بقا.

فسارع وليد الى النفي: لا طبعا انا ما كنش قصدي كدة، انا بس كنت.....

فقاطعه يوسف بحسم: خلاص يا وليد، بس انا عاوز اقولك حاجة مهمة لازم تحطها حلقة في ودنك، احنا ما ينفعش
ننفصل عن بعض لاننا ملناش غير بعض، وطول ما احنا سوى هنبقا أقوياء ومحدش هيقدر يتغلب علينا، لكن لو كل
واحد فينا مشي في سكة لوحده فهبيقا سهل أوي لاي راجل اعمال تاني انه يكسر شوكتنا، فاهمني يا صاحبي؟

وليد باذعان: فاهمك يا يوسف.

يوسف:اوك، بيقا من بكرة ان شاء الله هتلاقي المبلغ موجود في حسابك بالبنك، واي مبلغ تاني هتحتاجه قولي عليه من
غير ما تتردد، فيه حاجة كمان كنت عاوز أطلبها منك.

وليد: ايه؟

يوسف: انا عاوز الشركة بتاعتك تكون قريبة من هنا، عشان خبر زي دة ممكن يهز السوق ويعرفوا ان حجم تعاملتنا كبير.

وليد: مفيش اي مشكلة بس فين المكان اللي ممكن ينفع؟

يوسف: فيه فيللا قريبة من هنا صاحبها عارضها للبيع بحوالي مليون ونص تقدر تشتريها وبشوية ديكور بسيط ممكن تتحول لشركة.

وليد: تمام أوي كدة ودة ممكن يوفري في التكاليف كمان. دة غير ان الموقع هنا ممتاز.

يوسف: اوك، يبقى من بكرة ان شاء الله هتصل بصاحب الفيلا .

وليد بحماس: وليه من بكرة يا عم يوسف، ما خير البر عاجله ونروح النهاردة.

يوسف موافقا: أوك، انا هخلي مي تحبلي رقمه وهتصل بيه وأحدد معاه ميعاد.

وليد: اوك يا صاحبي، ويبقا اتصل بيا وبلغني بالجديد.

يوسف: ان شاء الله. وفيه طلب كمان ياريت تنفذه.

وليد: طلب ايه؟ عينيا يا كبير.

يوسف: انت هتفضل في مركزك بالشركة هنا لحد ما تخلص اجراءات شركتك او ع الاقل لحد ما نلاقي حد تاني ممكن يقوم بشغلك.

وليد: طبعا يا يوسف من غير ما تقول.

يوسف بابتسامة عريضة وهو يمد يده الى وليد: يبقا اتفقنا يا صاحبي.

فصافحه وليد بحرارة كعلامة للاتفاق: احنا عمرنا ما اختلافنا يا كبير، ويارب دايم ما نختلف.

بعد ان استقبلها الجميع بالحفاوة والترحاب سألتها هالة بمشاكسة: بس ايه دة؟ دة انتي طلعتي جبارة على كدة، ازاي قدرتي تقنعي جوزك انك تنزلي تالت يوم جواز.

حياة بابتسامة مزيفة وهي تخفي مدى الالم الذي يعتصر به قلبها: لا، ماهو انا ووليد كنا متفقين على كدة من الاول. وهو كمان نزل الشغل من النهاردة.

سلمى بصرامة: طب ياللا بقا يا حياة وبلاش تضيع وقت اكثر من كدة، كفاية الايام اللي فاتت.

حياة بانصياع لاوامر صديقتها المخرجة: اوك وأنا جاهزة.

ثم تلفتت حولها وسألت: امال فين البنت مريم؟ وكمان استاذ خالد مش ظاهر ليه؟

سلمى: استاذ خالد استأذن انه هيتأخر النهاردة يعني شوية كدة وهييجي ان شاء الله، اما مريم فاتصلت بيا وقالتي انها مش هتقدر تيجي دة غير انها طلبت مني اني اسمحلها تنفذ الشغل المطلوب منها في البيت. وابقا اروحلها عشان اشوفه.

حياة مندهشة: غريبة اوي! وما قالتش ايه السبب؟

سلمى: حاولت اني افهم منها لكن واضح انها ما كنتش حابة تقول اي حاجة، عشان كدة مش رضيت اضغط عليها ووافقت على اقتراحها.

حياة: واضح ان الامر ما يطمنش. ع العموم بعد ما نخلص هبقا اعدي عليها ان شاء الله وافهم منها ايه اللي بيحصل.

سلمى: اوك، وبيقا طمنينا بردو اصلها تعبت شوية امبارح ويمكن دة السبب اللي خلاها ما عرفتش تيجي، وقوليلها ان شاء الله اني هعدي عليها بكرة.

وهنا دخل خالد ملقيا التحية بلهجة مرحة ومشددا على كل كلمة بها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فرد الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم وجه كلامه الى سلمى: اولاً انا اسف ع التأخير.

سلمى: مفيش داعي للاعتذار، حصل خير

وأكمل ناظرا تجاه حياة: وثانيا، حمدالله ع السلامة يا مدام حياة، والف مبروك ولو انها جات متأخرة شوية.

حياة بابتسامه هادئة: الله يبارك فيك.

سلمى موجهة اوامرها للجميع: اوك. بما اننا اكتملنا دلوقت فنقدر بقا نبدأ شغلنا، احنا هنبدأ الاول بالمشاهد اللي فيها حياة عشان نعوض اللي فات.

فسأل خالد بعد ان أجال بنظره في القاعة: امال فين مريم؟

سلمى: اتصلت وقالت انها مش هتيجي، اظاهر كدة انها لسة تعبانة.

فقال خالد في نفسه محفيا دهشته امام الجميع: معقول يكون غيابها بسبب الموقف بتاع امبارح؟

وبالفعل زارت حياة صديقتها في الفيلا للاطمئنان عليها ولتستفسر منها عن سبب غيابها وبعد الحاح كبير اضطرت ان تقص مريم عليها كل ما حصل ابتداء من لقائهما هي وزوجها بخالد صلاح في المطعم المنتهية بقرارا زوجها الحاسم بعدم زهابها الى المسرح مجددا.

وبعد ان انتهت وعلى غير ما توقعت تماما وبدلا من الاندهاش أو المواساة رأت صديقتها تضحك بشكل اغاظها كثيرا فسألتها: ممكن اعرف بقا حضرتك بتضحكي على ايه دلوقت؟

حياة: مانتي لو كنتي بتفهمني كويس يا عبيطة كان زمانك بتضحكي معايا.

مريم بحيرة: اضحك على ايه؟ هو فيه حاجة من اللي انا قولتها تضحك؟

حياة: طبعا، دي تضحك وتضحك، وتخليكي أسعد واحدة في الدنيا كمان.

مريم: يعني ايه بقا؟ ما بقتش فاهماكي يا حياة.

حياة موضحة: أفهمك انا، تفتكري يوسف جوزك، عمل كدة ليه؟ وأكيد يعني قراره دة ما كنش من فراغ.

مريم بغيظ: استبداد بعيد عنك، اهو عاوز يفرض سيطرته وخلاص زي ما هو كمان عارف اني مش هقدر اعارضه ع الاقل اليومين دول بسبب وجود جدو هنا.

حياة: مش بقولك عبيطة

فرفعت مريم يدها مهددة: بت انتي، اتلمي احسن اضربك، وفهميني كدة بالراحة انتي تقصدي ايه؟ وشايفة يعني ليه يوسف بيعمل معايا كدة؟

حياة بصوت حالم: عشان بيغير يا جميل.

تفاجأت مريم من الكلمة ورددها بدون وعي: بيغير!

ثم اسعدت الفكرة سريعا وهي تقول: انتي بتقولي ايه؟ لا طبعا مش صح، وهو ايه يعني اللي يخليه يغير؟ يا بنتي اللي بيغير على حد دة بيقا اكيد بيحبه ويوسف جلال ما يعرفش الكلمة دي، يعني مش موجودة في قاموس تعاملاته.

حياة باستنكار: ليه بقا؟ هو مش راجل زي كل الرجالة ولا ايه؟!

مريم: راجل اه، بس مش زي كل الرجالة.

حياة: يعني ايه بقا؟ فهميني يا أم العريف.

مريم ساخرة: افهمك ايه اذا كنت انا اصلا مش فاهمة، المهم سيبك مني انا بقا وقوليلي وليد عامل معاكي ايه؟

أجابت حياة بألم وقد اختفت الابتسامة من وجهها: وليد! اهو دة بقا اللي انا فعلا ما بقتش فاهماه.

مريم: يعني ايه؟ بيعاملك وحش؟

حياة: لا وحش ولا حلو، هو تقريبا اصلا بيتجنب اي تعامل معايا.

مريم: ازاي بقا؟ مش المفروض انكم متجوزين وعاشين مع بعض في شقة واحدة؟

حياة: اهو زي مانتي بتقولي كدة المفروض.

مريم بعدم فهم: يعني ايه؟

حياة: يعني زي ما قولتلك، من ساعة ما تجوزنا وهو بينام في اوضة وان في اوضة تانية وكل اللي بينا السلام عليكم و صباح الخير ومساء الخير، وهو معظم الوقت حابس نفسه في اوضة المكتب بيشتغل، وتقريبا كلامه معايا بالقطارة او تقدر تقولي انه منعدم يعني مجرد بيرد على كلامي باختصار، واكثر من كدة مفيش.

مريم بحيرة: بس تصرفه دة مناقض تماما للي قاهولك قبل الجواز لما سألتيه عن سبب اصراره للجواز منك.

حياة: ماهو دة اللي محيرني فعلا يا مريم. انا بجد ما بقتش فاهمة حاجة.

فوضعت مريم يدها على ذراع حياة تواسيها: معلش يا حياة، هو اكيد لسة مجروح. بس ان شاء الله مع الوقت هيتعود على وجودك معاه وينسى كل اللي حصل، وتبدأوا مع بعض صفحة جديدة.

حياة: وانتي بقا امتي هتبدأي مع يوسف صفحة جديدة؟

مريم: لا انا ويوسف متفقين من الاول، ان حياتنا مع بعض هتنتهي بمجرد ان جدو يخف تماما ويرجع زي الاول عشان الصدمة ما يكونش ليها تأثير كبير على صحته.

حياة بخضة: يعني هتطلقوا؟

مريم بألم محاولة اخفاه وراء ابتسامة لم تستطع ان تخدع بها صديقتها: ايوة دة كان اتفاننا.

فقالت لها حياة بغيط وهي تميل نحوها: طب عيني في عينك كدة.

مريم وهي تتعد عنها بضيق: اوعي يا رخمة و كمان انا عيني بتوجعني.

حياة مغيظة اياها وقد تأكدت من صحة ظنونها: على ماما يا ماما؟

وفي منزل العائلة بسوهاج وتحديدًا في حجرة النوم الخاصة بهدى، نجد هادية تجلس على سرير ابنتها وهي تقول رافضة بشكل قاطع: انا جولت لا يعني لا .

فجلست هدى بجوارها وهي تتوسل في محاولة لاقناعها: ليه بس يا اماي؟ انتي يرضيكي يعني اني مستجلبى يضيع اكدة؟ هادية: لا ما يرضنيش. وكمان ما يرضنيش اني اسبيك تعيشي لخالك في مصر. حتى اخوالك مش هيوافجوا على اكدة. فأوشكت هدى على البكاء وهي تقول: يعني اعمل ايه بس ياربي؟ وهو كان بيدي بردك اللي حصل دة؟ ما هو مكتب التنسيج هو اللي حولني على جامعة القاهرة. وانا لازم اروح عشان اكمل تعليمي، ومش هينفع واصل اني اروح واعاود في نفس اليوم وعشان اكدة لازم افضل هناك لحد ما الدراسة ما تخلص، وكمان انا مش هكون لخالى ، انا هكون معايا زملائي المغتربات.

هادية وهي تصر على اعتراضها: بردك هيبجا اسمكم بنات وعايشين لخالهم. ومفيش حد هياخد باله منيكم.

وبدأت دموعها تتساقط وهي تجهش بالبكاء: يعني اعمل ايه عاد؟ انا مجدرش اهمل دراستي واصل. وانتي ما يرضكيش ان حد يجول على بنتك انها جاهلة وما كملتش تعليمها.

هادية: جطع لسان اللي يجول اكدة.

ثم استطردت وقد بدأت تلين قليلا: بس انا بردك يا بنيتي مش هجدر اجنع اخوالك بكدة. انتي عارفاهم زين. عمرهم ما هيجبلوا بكدة واصل.

فكرت هدى سريعا الى ان لمعت عيناها فجأة وهي تقول: انا عندي الحل اللي هيخلي اخوالي يجبلوا اني اروح مصر ويكونوا مطمنين عليا كمان.

وفي مكان اخر، بفيلا واسعة ذات أثاث فخم نجد رجل الأعمال شاكر عزالدين يقف عاقدا ذراعيه حول صدره وهو يتابع المشهد بين زوجته وابنه في صمت، فلقد كانت الام تعانق ولدها بحرارة وشوق وهي تردد كلمات مثل: عمادا! ابني، وحشتني اوي اوي يا حبيبي، وانت عامل ايه؟ وخاسس اوي كدة ليه يا حبيبي؟ انت ما كنتش بتاكل ولا ايه؟

فتبسم عماد وهو يهم بالرد ولكن كان والده اسرع منه: خاسس ايه يا مديحة؟ ما ترحمي الواد بقا، اكيد راجع من السفر تعبان. خليه يطلع يستريح شوية.

مديحة وهي ما زالت تتشبث بذراع ابنها وكأنها تخشى ان يهرب من بين يديها: اسيبه ازاى؟ انا لسة ما شبعتش منه، دة كأنه كان غايب عني من عشر سنين.

عماد متبسما من مبالغة والدته: ياااه عشر سنين ايه بس يا ماما؟ دول كلهم سنتين وانا جيت هنا من حوالي سنة تقريبا قضيت معاكم العيد وانتي كمان زورتيني في لبنان مرتين، آخر مرة كانت من حوالي خمس شهور

مديحة: ادريك قولت بلسانك، يعني بقالي اكثر من خمس شهور ما شفتكش فيهم، يبقا ليا حق بقا انك توحشني ولا لا؟ فأوما عماد برأسه موافقا: طبعا ليكي حق يا ست الكل، بس مش ليكي حق خالص في انك تسيبي نعال واقفة لوحدها كدة من غير حتى ما تسلمي عليها.

وأخيرا تذكرت مديحة زوجة ابنها التي انشغلت عنها في ذروة ترحيبها بقرة عينها_ولدها الوحيد_فاتجهت عينها ناحية تلك الفتاة الطويلة التي ترتدي ثيابا ضيقة وتسرح شعرها بطريقة عصرية علاوة على كمية المساحيق الكبيرة التي استخدمتها لتزين بها وجهها وابتسامة صفراء تعلقو ثغرها، فمدت لها مديحة يدا لمصافحتها: اهلا وسهلا بيكي يا بنتي، معلش بقا، انشغلت عنك، اصلك ما تعرفيش الواد دة كان واحشني اد ايه؟

وشعرت مديحة بأصابع باردة تصافحها وهي تستمع لذلك الصوت الرنان الذي يقول لها بجمود: ولا يهملك يا طنط، مانا صاحبة بيت بردو.

صدمها الرد، ولكنها تداركت ذلك سريعا وهي تقول بابتسامة مرتبكة: طبعا طبعا يا بنتي البيت بيتك، مانتي خلاص بقبتي واحدة مننا.

فاقتربت نّمال من زوجها وهي تسأله بدلال: طب يا حبيبي مش هنطلع اوضتنا بقا، انا بجد تعبت اوي من السفر وعاوزة استريح.

مديحة: طيب مش هنتعشوا الاول؟

نّمال: لا يا طنط انا عاملة رجيم.

مديحة بتهكم لم يلاحظه احد: وانت يا عماد هنتعشا ولا عامل رجيم بردو؟

عماد: لا يا ماما معلىش انا هطلع مع نّمال، انا اصلا اكلت في الطيارة. تصبحو على خير.

مديحة: اللي يريحك يا بني، وانت من أهله.

ووضع وليد ذراعه حول خصر زوجته واتجه بها الى الدور الثاني، وعندما تأكدت مديحة من صعودهما وعدم سماعهما لها اقتربت من زوجها وهي تقول بضيق: مش عارفة ليه يا شاكر انا قلبي مش مستريح للبننت مرأة ابنك دي؟

شاكر مبتسما بمشاكسة: اه، هو احنا ابتدينا الغيرة بقا ولا ايه؟

مديحة: غيرة ايه؟ انتي فاكريني بهزر؟

شاكر: يا حبيبي، ابنك لو كان اتجوز اي واحدة غيرها كنتي بردو مش هستريجيلها، لانها في نظرك هتكون واحدة ست جات خطفت منك ابنك الوحيد.

مديحة نافية: لا يا شاكر، انت عارفي انا كنت بحلم باليوم اللي الاقي فيه عماد متجوز وعاش حياة مستقرة، بس البننت دي مش مضبوطة.

شاكر: يبقا ملناش دعوة، ابنك هو اللي اختارها وهو اللي يتحمل نتيجة اختياره، ومين عارف، ما جايز كل شكوكك دي تطلع مش صحيحة ويبقا هي دي فعلا البننت اللي هتقدر تسعده.

فقال مديحة بتمني: يارب يكون كلامك دة صح، وانا هكون عاوزه ايه يعني من الدنيا غير اني اشوف ابني مبسوط ومتهني مع مراته، واشوف ولاده بيحجروا ويتنططوا ادم عينيا.

ثم قالت وهي تهم بالذهاب: لما اروح بقا اقول لسعدية تجهز العشا لينا احنا الاتنين.

فقال شاكر مازحا وهو يحاول ان يقلد صوت نعال: لا خليه لواحد بس اصل انا عامل رجيم.

فتبسمت زوجته ردا على مزاحه، وهي تتجه ناحية المطبخ بسعادة تغمرها وهي تحمد ربها على عودة ولدها من جديد بعد غياب طويل حتى وان كانت في صحبته زوجة كنهال.

الفصل الحادي والعشرون :

حليف جديد وعدو آخر

كان يوسف يجلس على الأريكة في قاعة الاستقبال بفيلته وبجواره زوجته مريم وبصحبتهما عمته هادية وابنتها، فقال يوسف بلهجة ودودة: ودي محتاجة سؤال بردو يا عمتي؟ أكيد يعني هدى تقدر تشرفنا في أي وقت ولحد ماهي ما تحب.

هادية : والله يا ولدي أنا ما كنت هوافج أبدا على اكدة لولا الظروف.

يوسف معاتبا برفة: ليه بس يا عمتي؟ وهي هتتعد عند حد غريب؟ مانا بردو في الاول وفي الاخر ابن خالها وهدى طول عمرها زي أختي الصغيرة، ولا ايه؟

ثم نظر الى هدى وسألها بابتسامة ودودة: قوليلي بقا يا هدى انتي قبلتي في كلية ايه؟

هدى باندفاع وهي تقول بشيء من الغرور: قبلت في الكلية اللي انا اخترتها. كلية إعلام.

مريم باندهاش قليل: واشمعى يعني اعلام؟

هدى بنظرة تحدي: وليه يعني مش اعلام؟ ولا اللي دخلوا اعلام يعني يبقوا احسن مننا؟

فهمت مريم الام تشير تلك الفتاة فتداركت الأمر سريعا وهي تقول بابتسامة دافئة محاولة امتصاص غضبها: لا طبعا يا حبيبتى، دة انا حتى متوقعالك من دلوقت انك هتبقى اعلامية شاطرة وزى القمر.

فردت هدى على ابتسامتها بابتسامة باردة وتقول بلهجة مقتطبة: متشكرة.

وهنا قال يوسف محاولا تلطيف الجو قليلا محدثا زوجته: طب لو سمحتي يا مريم، قولي لام ابراهيم تجهلنا العشا.

احتجت هادية برفق وهي تتشاءب: يجعل بيتك عمران بكل خير يا ولدي، بس انا مليش نفس واصل وكمان مجدراش أجمعد أكثر من اكدة، عن اذنكم بجا انا رايحة انعس في اوضتي عشان اجدر اجوم الصبح بكير وأعاود على البلد.

وبالفعل نهضت هادية لتتوجه الى حجرتها وكذلك فعلت ابنتها، فقال يوسف وهو يقترب منها: بس معقول هتمشي بسرعة كدة؟ طب ما تخليكي قاعدة معنا يومين او ثلاثة كمان.

هادية: مانت خابر يا ولدي اني ما برتاحش غير في بيتي.

يوسف موافقا: خلاص اللي تشوفيه.

هادية وهي تضع يدها على كتفه في حنان: مش هوصيك عاد على بت عمك. دي امانة في رجبتك يا ولدي.

يوسف مطمئنا: ما تخافيش يا عمي، هدى في عينيا الاتنين.

هادية: تسلم عيونك يا ولدي. ياللا تصبحوا على خير بجا.

مريم ويوسف: وانتي من اهل الخير.

وصعدت هادية الدرج وبرفقتها ابنتها هدى، ثم نظر يوسف الى زوجته التي جلست مكانها مرة أخرى، فقال لها باقتطاب: طيب انا هدخل المكتب عشان عندي شغل لازم اخلصه.

مريم: اوك، طيب تحب أعملك حاجة تشريها؟

يوسف: ياريت فنجان قهوة.

مريم: ماشي، خمس دقائق ويكون عندك.

وتوجهت مريم ناحية المطبخ لتعد القهوة، اما يوسف فتوجه الى مكتبه لانجاز أعماله.

كانت حياة تقف في المطبخ تغسل بعض الأطباق بعد تناول العشاء بصحبة وليد، وبعد أن أنهت عملها ولأنها لم تكن تشعر برغبة في النوم وخصوصا في هذا الوقت المبكر لذا قررت أن تشغل نفسها قليلا في ترتيب وتنظيف مطبخها وقد استغرق منها ذلك بالفعل بعض الوقت، ولكن مازال الوقت مبكرا. فكرت حياة في أنه لم يعد لديها سوى خيارين فإما

ان تخرج لتجلس برفقة وليد الذي كان يشاهد التلفاز كعادته دائما كل مساء وفي تلك الحالة يجب أن تكون مستعدة تماما لسماع تعليقاته المريرة أو أن تكون قادرة على تحمل تجاهله الذي لا يطاق، وإما أن تتوجه إلى غرفتها لتجلس بمفردها وتصبح عرضة لتلك الذكريات الأليمة التي كانت تراودها منذ ذلك الحادث، ولكنها حسمت أمرها أخيرا لتختار أهون الأمرين فأعدت كوين من النسكافيه وتوجهت إلى حيث جلس وليد، ولكنها وجدت أن التلفاز كان مغلقا و وليد كان مشغولا في قراءة شيء ما، وعندما دقت النظر وجدت أنه لم يكن سوى سيناريو المسرحية التي تقوم بتمثيل دور البطلة بها، وضعت حياة الصينية التي كانت تحملها على المنضدة الصغيرة التي أمام وليد و هي تقول ببعض الحذر وخوفا من أن يصدها كعادته: انا عملتلك كوباية نسكافيه معايا.

ولكنه لم يرفع نظره عن السيناريو الذي في يده واكتفي بقول كلمة واحدة: شكرا.

فأخذت حياة الكوب الخاص بها ثم جلست على كرسي بجوار الأريكة التي كان يجلس عليها وليد وهي تنظر اليه بتوجس، فبدا أنه قد أعطى كل تركيزه لهذا السيناريو، فهل حاز على اعجابه بالفعل؟ وقررت أن يكون ذلك هو محور نقاشهما فرما يكون هذا الموضوع هو نقطة التقائهما، لذا سألته ببعض الشجاعة التي قد تحلت بها ولكن بصوت ضعيف: عجبتك؟

يبدو انه لم يسمعها ، فكررت السؤال بنبرة أعلى: بقولك المسرحية عجبتك؟

رفع وليد نظره عن الورق الذي في يده لينظر الى حياة وكأنه لم ينتبه لوجودها الا في هذه اللحظة، ثم أغلق السيناريو و وضعه على المنضدة بجوار الصينية التي أخذ منها كوب النسكافيه وارتشف بعضا منه، وعندما بدأت حياة تئأس في احتمالية رده على سؤالها ،قال أخيرا: هو مين اللي بيقوم بدور البطل؟

حياة: معيد عندنا في الكلية اسمه خالد صلاح.

وليد: بس انتي ما قولتليش قبل كدة ان هيكون معاكم راجل في المسرحية.

حياة وقد أربكها كلامه: احنا اصلا ما جتش اي فرصة قبل كدة عشان نتكلم فيها عن المسرحية. لكن زي مانت شايف هو راجل واحد والمفروض انه البطل بس بالاسم بس لان مفيش رجالة غيره في المسرحية لكنه بيظهر ثلاث

مشاهد كل واحد فيهم ما بيزيدش عن خمس دقائق دة غير ان التلات مشاهد دول دايمًا بيكون معانا فيهم البنات سواء وهما صغيرين او وهما كبار.

فأوماً وليد برأسه متفههما: ع العموم السيناريو مش بطل مع ان القصة خيالية و صعب انها تحصل في الواقع.

حياة: ليه يعني؟

وليد: أصل صعب أوي أصدق ان ممكن تكون فيه ست زي وسام البطلة، يعني مش قادر اتصور ان النوع دة لسة موجود، الست المكافحة اللي بتعيش على ذكرى جوزها المتوفي لحد ما بتري بناقها التلاتة وتطلعهم زي ما كانوا بيتمنوا هما الاتنين. على حسب علمي ان النوع دة انقرض خلاص.

حياة: اسمحلي اقولك انك غلطان، لان لو الواحدة فعلا كانت بتحب جوزها فبتفضل مخلصه لذكراه حتى بعد وفاته.

وليد مكررا كلماتها بسخرية ظاهرة: لو بتحب جوزها، ودة بقا معناه اني مستثنى من القاعدة دي؟

فوجئت حياة بسؤاله ولم تدرِ بم يمكنها ان تجيب فلزمت الصمت، ثم احتست كمية كبيرة من النسكافية مرة واحدة لتتجنب نظراته المهاجمة، وقررت أن تغير دفة الحديث فسألته: هو انت ليه ما بقتش بتروح شغلك بدري زي ما قولتلي قبل كدة؟

شعرت حياة بالندم من القائها لهذا السؤال وما زاد من شعورها ذلك تلك الفترة المليئة بالصمت عقب سؤالها مما جعلها تقول باعتذار وخجل شديد: انا اسفة؟

وليد مندهشا: اسفة! على ايه؟

حياة: عشان واضح اني اتعديت حدودي للمرة الثانية وسألت عن حاجة ما تخصنيش.

وليد بنظرات باردة: يمكن يكون عندك حق، لكن مفيش حاجة تستدعي السرية، لان دلوقت او بعدين مسيرك تعرفي، انا حاليا بفتح شركة خاصة بيا، واحنا دلوقت في مرحلة اعداد المقر ودة مش مستدعي اني اكون هناك طول الوقت مجرد متابعة من وقت للتاني وطبعا ساعات بروح الشركة الرئيسية أتابع مع يوسف لحد ما يشوف حد يحل محلي.

حياة بابتسامة هادئة: الف مبروك وربنا يجعلها فتحة خير عليك ان شاء الله.

وليد وهو يصحح لها مشددا على كلمته: علينا.

لم تفهم حياة مقصده في البداية الا أن قال لها موضحا: المفروض انك مراقي واننا اسرة واحدة، وأنا مش هفضل على طول أفكرك بدة؟ المفروض انك خلاص اتعودتي على كدة.

فأومات حياة برأسها موافقة، ثم نهضت وهي تقول: طب عن اذنك انا هدخل انام عشان اقدر اقوم الصبح بدري لأن سلمى دقيقة اوي في موضوع الحضور بدري دة، تصبح على خير.

وليد: وانتي من أهله.

غفت مريم على الأريكة التي كانت تجلس عليها، في حين كان يوسف لا يزال في مكتبه يعمل الى أن رن جرس الباب فأفاقت من غفوتها على صوته، ونظرت الى الساعة المعلقة بالحائط لتجدها قد قاربت على الواحدة صباحا، وبالطبع كان جميع الخدم يغرقون في سبات عميق، لذا كان عليها هي ان تنهض لتفتح الباب وهي تتساءل عن عساه يأتي في تلك الساعة المتأخرة، وما ان فتحت الباب حتى تفاجأت بعمتها تقف أمامها بعينين دامعتين فخرجت من فمها الكلمات دون ان تدري: عمتو! مش معقول.

فقالته وردة بصوت باكي: جرى ايه يا مريم، مش هتقوليلي ادخلي؟

فأسرعت مريم تقول وقد تنحت جانبا لتفسح لها مجالا للدخول: لا طبعا ازاى يا عمتو؟ اتفضلي.

فتقدمت وردة الى الداخل بخطى متثاقلة، وبعد ان اغلقت مريم الباب أشارت الى وردة بيدها: اتفضلي يا عمتو.

وفي تلك اللحظة خرج يوسف من المكتب ليتفاجأ بدوره هو الآخر لوجود وردة في ذلك الوقت ولكن ردة فعله كانت مختلفة فقد رحب بضيفته بكل ود: عمتي! اهلا و سهلا بيكي.

فقلت وردة موجهة حديثها لابنة أخيها وزوجها وهي تشعر بالحرج الشديد: انا اسفة اني جيت في وقت متأخر زي دة، بس انا عارفة ان بابا قاعد هنا وان الفيلا بتاعته أدليها فترة مقفولة.

وكان يوسف أسرع من مريم في الرد: حضرتك البيت بيتك، وممكن تيجي في أي وقت. بس هو حضرتك جاية لوحدك؟ وردة بصوت متحشرج وقد تألأت الدموع في عينيها: كمال لما رجع من السفر وعرف اني قابلت بابا وكمان جيت معاه هنا زعقلي ولما حاولت ارد عليه طردني من البيت، وماهر لسة ما رجعتش من برة، دة انا حتى جيت في تاكسي.

فقال يوسف بعيون متحجرة وغضب مكتوم: تاكسي لوحدك و في ساعة زي دي؟ دة كدة بقا كمال وهدان زودها اوي.

ثم نظر الى مريم ليقول لها وقد هدأت حدة صوته قليلا: مريم! خدي عمتك وطلعها فوق عشان تستريح شوية، جدك زمانه في سابع نومة وما ينفعتش نصحيه دلوقت.

مريم: حاضر.

ثم اقتربت مريم من عمتها وهي تحيط كتفيها بذراعه في محاولة بسيطة منها لمواساتها: تعالي معايا يا عمتو.

ثم صعدتا الى الدور الاعلى، و عاد يوسف الى مكتبه مرة أخرى.

في فيلا كمال وهدان كان وجه ماهر يحمر غضبا وهو يمسك بهاتفه الخلوي ويحاول أن يتصل بأحدهم ولكن يبدو ان هذا الشخص لا يجيب مما جعله يهتف في وجه كمال الذي كان يجلس على كرسيه خلف المكتب بكل هدوء: ازاي بس يا بابا تسيبها تمشي لوحدها في ساعة زي دي؟

كمال: معرفش بقا أهو اللي حصل، خرجت عن شعوري وهي كمان استفذتني

ماهر: الله أعلم بقا هي راحت فين دلوقت او حصلها ايه؟ تليفونها مقفول وكمان عند جدي محدش بيرد واكيد يعني هي مش ممكن تكون راحت البلد دلوقت.

كمال: تلاقيها راحت عند يوسف جلال، هي عارفة ان جدك قاعد عنده.

ماهر: انا مش معايا رقم يوسف، بس اكيد هلاقيه في الدليل هروح اشوفه.

ثم خرج سريعا دون ان ينتظر اي تعليق من والده.

كان يوسف لا يزال جالسا في مكتبه يطالع بعض الاوراق حين رن جرس الهاتف، فرجع السماعه ورد قائلا:
الو.....ايوة انا يوسف جلال.

ثم تبدلت ملامح وجهه فجأة ليحل محل الهدوء الغضب وهو يقول: ايوة يا ماهر....تفتكر ان من الشهامة اللي والدك عمله دة؟.....ايوة هي لسة واصلة من شوية.....لا تلاقيها نايمه دلوقت تقدر تتصل بيها بكرة.....أكيد طبعا تقدر تشرف في أي وقت.....اوك مستنيك بكرة.....مع السلامة.

وانهى يوسف المكالمه ليعيد السماعه مكانها مرة أخرى، وقد أخذ يفكر قليلا وقد ظهرت الحيرة على وجهه وهو يقول
محدثا نفسه: يا ترى ناوي على ايه يا كمال انت وابنك؟

ارتقت وردة في حضن والدها وهي تجهش بالبكاء فأخذ عبد الرؤوف يطيب خاطرها بكلماته الحنونة حيث كان قلبه
يتمزق لبكاء ابنته، ووقفت مريم بجوارهما وهي تربت على كتف عمتهما عليها تخفف من حزنهما: خلاص بقا يا عمته، ان
شاء الله كل حاجة هتتصلح.

وسمعوا طرقا على الباب فقالت مريم للطارق: ادخل.

دخل يوسف بابتسامته المشرقة الكفيلة باذابة أي حزن: صباح الخير.

فرد الجميع: صباح النور.

وقال عبدالرءوف بلهجة مرحة: معلش بقا يا يوسف ع الازعاج دة، وواضح كدة ان احنا هنزحملك الفيلا.

يوسف بنظرة لائمة: انا هعمل حساب انك لسة مريض ومش هينفع أحاسبك على كلامك دة دلوقت بس انت عارف كويس انه عيبة في حقي.

عبدالرءوف معتذرا: في دي بقا عندك حق، معلش بقا يا سيدي انا مريض و شكلي بخرف.

وردة: بعد الشر عليك يا بابا، بس انا بعد اذنك شايفة اننا لازم نمشي بقا ونرجع الفيلا وانا هكلم الشغالين عشان يروحوا ينضفوها الاول.

فقال يوسف بلهجته الحاسمة التي لا تقبل أي نقاش بعدها: عمي لسة ادامة ع الاقل يومين لحد ما يقدر يقوم من السرير، يعني مش هينفع يسبب هنا دلوقت.

وردة: خلاص هروح انا الفيلا وابقا اجي كل يوم اطمن عليه.

يوسف: ومين قال لحضرتك ان انا او عمي عبدالرءوف هنسمحلك بانك تروحي تقعدني هناك لوحدك؟ حضرتك هتقعدني هنا معزة مكرمة لحد ما الدكتور يسمح لعمي بالحركة ، وبعد كدة لو هو قرر انه يرجع فيلته يبقا تروحي معاه.

فقلت وردة بتردد وهي تشعر بالحجل الشديد: بس يابني.....

فقاطعها يوسف: مفيش بس.

وأكدت مريم على كلامه محاولة اقناع عمتها ولكن ببعض اللين: ارجوكي يا عمتي وافقي دة انا من ساعة ما جيت مصر وانا مش عارفة اقعد معاكي فيبقا دي فرصة بقا.

فامتلت وردة لرأي الاغلبية: خلاص اللي تشوفوه، بس انا مش جايبة معايا اي هدوم، فهروح اجيب الهدوم اللي كنت سايباها عند بابا.

يوسف: اوك، و مريم تروح مع حضرتك عشان تساعدك وفيه عربية هنا هتكون تحت أمرك في اي وقت.

فنظرت اليه وردة بامتنان: متشكرة اوي يا يوسف.

يوسف: على ايه بس؟ دة أقل واجب.

ثم قال وكأنه تذكر امر ما: أه على فكرة، ماهر اتصل بيا امبارح عشان يسأل على حضرتك لانه لقي موبايك مقفول وكمان اتصل بفيلا عمي فمحدث رد عليه طبعاً، وانا طمنتته ان حضرتك موجودة هنا فقالي انه هيجي النهاردة عشان يطمن عليكى بنفسه.

ثم نظر يوسف الى زوجته، وقال: ما تنسيش عملي حسابته النهاردة ع الغدا معانا يا مريم، وانا كمان هعزم وليد وانتي بيقا كلمي حياة عشان نتلم كلنا.

مريم مندهشة: بس انت عمرك ما جيت ع الغدا.

فابتسم يوسف وهو يلمس خدها بخنان ويقول لها قبل ان يغادر: تقدرى تقولي ان وحشني اكل البيت وخصوصاً بقا لما يكون من ايد مراتي.

وكما اقترب فجأة ابتعد عنها فجأة: عن اذنكم بقا. سلام.

فردو عليه: مع السلامة.

فقال عبدالرءوف وقد اكتست نبرته بروح الدعابة وهو يغمز لابنته مشيراً الى مريم التي كانت لا تزال تقف مشدوهة وعينيها معلقة على الباب بعد خروجه: قال وحشه أكل البيت قال؟

فبادلته ابنته الابتسام بينما كانت مريم في عالم آخر وتشعر وكأنها في حلم جميل لا تريد أن تصحو منه.

كانت الشمس تميل الى الغروب، وأشعتها التي قد اكتسبت اللون الأحمر تملأ المكان لتضفي عليه مزيداً من السحر والجمال والرومانسية. وكانت هدى تجلس في حديقة الفيلا تحت المظلة وهي تلاعب قطة صغيرة حين سمعت صوتاً مازحاً يأتي من خلفها يقول: خلي بالك عشان ممكن تخربشك.

نظرت هدى الى صاحب الصوت ليظهر ماهر ببشرته الداكنه وابتسامته الصادقة لأول مرة والمشاكسة في نفس الوقت و التي منحته الكثير من الجاذبية، كانت هدى سترد عليه بلهجة قاسية ان كان ظهر في وقت آخر لكن يبدو ان عامل الجو والمكان قد أكسبتها هي أيضا بعض الهدنة مع نفسها ومع الغير جعلها تتخلى قليلا عن طبعها الحاد، لتجيب بابتسامة هادئة وهي تتلمس شعر القطة في رقة: لا ما تخافش دي صاحبتى من أكثر من ساعتين، دة انا حتى لسة مأكلاها من شوية.

ماهر: مش بيقولوا بردو ان القطط بتاكل وتنكر؟

فضحكت هدى بصوت ساحر وهي تقول: لا، اكيد ساعتها ما شافوش بوسي.

ماهر: انتي سميتها بوسي؟

فقال هدى وقد نهضت من مكانها حاملة القطة وهي ترفعها أمامه : ايه رأيك مش اسم حلو؟ وكمان لايق عليها مش كدة؟

فداعب ماهر رأس القطة: حقيقي لا يق جدا، بس ممكن أعرف بقا اسمة صاحبة بوسي؟

وفجأة تذكرت هدى بأن هذا الشخص لا يزال غريبا عنها ولا تعلم لماذا تبسطت معه في الحديث الى هذا الحد؟ فقطبت جبينها سريعا و هي تسأله: حضرتك اللي مين؟ وازاي تدخل كدة من غير استئذان؟

تفاجيء ماهر قليلا بسرعة تغير مزاجها ولكنه قد أرجع ذلك الى حادثة سنها فقد بدت له كطالبة مدرسة مشاغبة ويبدو ان هذا هو ما جذبها لها فور رؤيتها عندما دخل الفيلا ووجدها تلعب مع قطتها تحت المظلة فظل واقفا بعيدا يراقبها في صمت ، الى ان قادته قدميه رغما عنه ليقاطع ذلك المشهد البريء، وجدها تنتظر ردا على سؤالها، فقال لها وكان لم يتخل بعد عن ابتسامته: انا ماهر كمال ابن عمة مريم مرارة يوسف جلال صاحب الفيلا، ممكن بقا أعرف الانسة تطلع مين؟

هدى بلهجة جادة لا تلبق بسنها كما تصور ماهر مما جعله يبتسم: انا الانسة هدى عبدالعظيم، بنت عمة يوسف جلال نفسه صاحب الفيلا.

فهتف ماهر: معقول؟! دة احنا طلعا قرايب بقا.

فصححت هدى له بتكشيرة صغيرة: نسايب مش قرايب.

فوافق ماهر على الفور فقط لامتنصاص غضبها الذي كان على وشك الانفجار: ماشي يا ستي، نسايب ولا تزعلي.

قوليلي بقا هو يوسف وماما جوة؟

هدى: مامتك جوة، بس يوسف لسة ما جاش.

ماهر: طيب باعتبارك قريبة صاحب الفيلا تسمحي لي ادخل؟ وعلى فكرة انا استأذنت من يوسف قبل ما اجي.

هدى وهي تحاول ان تقوم بدور سيدة المنزل والمضييفة: طبعاً يا فندم، اتفضل.

وتوجهت هدى الى داخل الفيلا ويتبعها ماهر.

وقفت مريم في مطبخ الفيلا تساعد ام ابراهيم في اعداد الطعام ويرفقتهما حياة التي حضرت فور مكاملة صديقتها لها،

فقالت مريم وهي تشعر بالضجر حيث لم تكن من هواة فن الطبخ بل لقد أجزمت حياة منذ دخولهما المطبخ بأنها فاشلة

تماماً في ذلك الأمر: انا مش عارفة ليه يعني ما جنباش أكل من برة بدل كل التعب دة؟

فافتت ثغرها ام ابراهيم بابتسامة رزينة وهي تقول: وهو أكل برة يا بنتي هيبقا أحسن من أكل البيت؟

ثم غمزت الى حياة وهي تكمل: وكمان مادام الباشمهندس وليد هيتغدى هنا بيبقا مش هيعجبه أكل برة لانه دايماً بيبحب

أكل البيت.

مريم بغيط: بقا كدة ، بيبقا الله يكون في عونك فعلاً يا حياة، أكيد مقضية كل حياتك في المطبخ.

فتبست حياة وهي تقول بنبرة صادقة: وايه يعني؟ يا بنتي المطبخ دة مملكة الست، وكمان بيقولوا ان اقرب طريق لقلب

جوزك معدته يا هبله.

مریم مازحة: كدة ببقا ام ابراهيم قاعدة ومتربعة في قلب جوزها.

فضحكت ام ابراهيم وحياء التي قالت لصديقتها وهي تدفعها بعيدا بكتفها: عقبالك يا فالحة.

مریم محتجة: لا يا ستي، انا معدة جوزي واخدة على أكل برة.

حياة: يحتى وهو كان لقي أكل جوة وقال لا. ماهو شايف الست هانم بتاعته زي خيبتها، طيب حاولي انتي بس كدة تعمليها وتفاجئيه انك انتي اللي طابخة، وهتلاقيه بعد كدة هو اللي يبصر انه ياكل في البيت على طول.

مریم وهي ترم شفيتها بتبرم: بس انا مش بعرف أطبخ.

حياة: ببقا لازم تتعلمي يا ماما.

مریم: واتعلم ليه؟ ماهو الخير والبركة في ام ابراهيم بقا.

فقالت ام ابراهيم مؤيدة لكلام حياة: ست حياء عندها حق، انتي لازم تتعلمي، افرضي يعني ان انا ما كنتش موجودة، وانك مش لاقية حد يعملك الاكل، ساعتها بقا هتتصرفي ازاي؟

فردت مریم سريعا دون تفكير: هطلب دليفري من برة.

فنظرت اليها كل من ام ابراهيم و حياء بيأس، وقالت حياة لام ابراهيم: سيبك منها يا ام ابراهيم، دي مفيش فائدة فيها. على راي الدكاترة حالة ميئوس منها.

مریم بتأفف: طب وهو احنا مش المفروض اننا خلصنا بقا؟

فقالت حياة وهي تم بغسل يديها: اه خلاص، كل حاجة كدة ناقصة ع الفرن.

مریم بسعادة غامرة كالطفل الذي قد انهى واجبه: اخيرا، طب ياللا بقا عشان نغير هدومنا.

حياة مويحة: بابنتي اصبري شوية بقا لما الاكل يطيب.

فقلت لهما ام ابراهيم وهي ترى تكشيرة مريم التي عادت الى وجهها من جديد: لا ، كفاية عليكم كدة يا ست حياة،
روحوا انتو اجهزوا وانا هخلي بالي من الصواني.

فشكرتها حياة وهي تدفع صديقتها الى الخارج: قدامي يا مغلاني.

فتبسمت ام ابراهيم وهي تقر في نفسها بأن تلك السيدة الشابة هي بالفعل أنسب زوجة للمهندس يوسف جلال،
فبصغر سنها و خفتها تستطيع أن تخرجه من القوقعة التي قد حبس نفسه فيها، وان تفتح له نافذة جديدة للحياة
يستطيع أن يطل منها على عالم من المشاعر كان قد أنكر وجوده منذ زمن بعيد.

اجتمع كمال بعماد في مكتبه وقد كان الاجتماع سرىا للغاية كما نبه على سكرتيرته بألا تسمح لأي شخص مهما كانت
هويته بأن يقاطعهما.

فقال كمال: وانت بقا يا عماد ناوي تقعد في مصر كثير؟

عماد: لسة مش عارف، انا فيه شوية مشاكل في الشركة هنا لسة هحلها، واول ما تخلص هرجع تاني على مقر الشركة
في لبنان.

كمال وهو يخفض صوته قليلا خوفا من ان يصل صوته لابعد من المكان الذي يجلسان فيه: طب والبضاعة هتوصل
امتى؟

عماد: هي زمانها دلوقت في الطريق، يعني كلها يومين ثلاثة وتوصل. بس انت تجهز باقي الحساب.

كمال: وهو انا كلت عليك حاجة قبل كدة؟ وكمان اللي هيشيل موجود وجاهز للدفع، هو دة أول تعامل بيننا ولا ايه
يا عماد؟

عماد: لا، بس المرادي البضاعة أغلى، وانت عارف ان انا مجرد وسيط وعدنان مش سهل بردو.

كمال: عارف، وما تخافش اتفاقنا زي ماهو، شهر بالكثير من يوم وصول البضاعة وهتلاقي باقي المبلغ عندكم. يعني لو البضاعة زي اللي انا شفتها في لبنان دي فزبونها جاهز ومستعد يدفع اي مبلغ.

عماد: طيب تمام اوي كدة.

ثم أكمل بنظرة ماكرة: ما قولتليش بقا انت عملت ايه مع حمك العزيز؟

فأطبق كمال شفتيه في غضب شديد وهو يقول: الراجل دة يا اخي مش عارف اعمله ايه أكثر من كدة؟ لا مرض بيأثر فيه ولا اغتيال نافع معاه، لغاية ما خلاص بدأت أحس انه هيدفنا احنا كلنا وبردو هيفضل هو عايش، لا وبقا أقوى كمان بمساعدة سي يوسف جلال دة هو واخوه.

عماد: مين يوسف جلال دة؟

دة نسيبه الجديد يا سيدي اللي اتجوز البنت الاوروبية دي اللي بيقول عليها حفيدته.

عماد وقد شرد قليلا بفكره: يوسف جلال! مش دة صاحب شركة المعمار؟ دة صيته مسمع جامد.

كمال بضيق: ابوة هو يا سيدي.

عماد: بس مين اخوه دة؟ انا ما اسمعش ان ليه أخ.

كمال: اهو بكرة مسيرك تسمع، ماهو هيبقا هو كمان صاحب شركة.

عماد: طيب ما تشوفلنا معاهم اي مصلحة.

كمال: لا يا سيدي، دول بقا ملهوش اي سكة ممكن تدخلهم منها.

عماد بنظرة متأمرة: طيب تراهني؟

كمال بجذر: على ايه؟

عماد: على اني ممكن أميلك يوسف دة هو واخوه من على الارض.

كمال بابتسامة شيطانية: دة انت يبقا عملت فيا جميل عمري ما هنسهولك، لا ، وهيبقا ليك الحلاوة كمان.

عماد: دي هيبقا اسمها عمولة مش حلاوة. اتعلمها بقا.

كمال: يا سيدي اللي هتبقا تؤمر بيه ساعتها هتاخده.

عماد وهو يمد له يده لمصافحته: يبقا اتفقنا.

فاحتضن كمال اليد الممدودة بكفيه بابتسامة عريضة: اتفقنا.

جلس الجميع حول طاولة الطعام، وكانت كل من مريم و حياة تساعدان ام ابراهيم في تقديم الطعام بينما رفضت هدى المشاركة في ذلك الامر تماما، وعندما انتهيا من ذلك جلست مريم في الجانب الايمن لزوجها الذي كان يتأأس المائدة بينما جلست حياة بجوارها وبجانبتها من الناحية الاخرى كان يجلس وليد، وبينما كانت ام ابراهيم تضع آخر صينية بيدها على الطاولة، قال لها وليد: ما تعرفيش يا ام ابراهيم، انا اد ايه وحشني اكلك دة؟

فتبسمت ام ابراهيم لمديحه وقالت: بالهنا والشفا يا باشمهندس. بس الحقيقة بقا مراتك نفسها حلو في الاكل، هي والسبب مريم اللي ساعدوني النهاردة.

فقال يوسف مداعبا: طيب انا بقا مش هاكل غير من الاصناف اللي عملتها مراتي.

قالت حياة مازحة وهي تنظر الى مريم: كدة بقا يبقا حضرتك يا باشمهندس ناوي انك تموت من الجوع.

فنظرت اليها مريم بغيظ: بقا كدة يا حياة، قال يعني انتي اللي المطاعم كلها بتتنافس عليكي.

فرد عليها وليد مشيرا بيده في تحذير: لا عندك بقا يا مريم، انا واثق تمام في أكل مراتي حبييتي، الرك والباقي بقا على جوزك اللي المطاعم شغالة على حسه.

فضحك الجميع على ذلك المزاح اللطيف بينما ظلت حياة تستطعم تلك الطريقة الحميمية التي نطق بها وليد اسمها، للمرة الاولى منذ زواجهما.

وفي الجانب الاخر قال ماهر لهدى التي كانت تجلس بجواره بصوت خافت: وانتي بقا عملي ايه يا انسة هدى؟ ولا انتي لسة صغيرة على دخول المطبخ؟

فشعرت هدى بالغضب يشعل وجنتيها، ولكنها حاولت السيطرة على انفعالها حتى لا يلاحظ أحد ذلك، فردت عليه وهي تصر على اسناتها من شدة غضبها الذي تحاول كتمانها: انا مش صغيرة، انا داخلة اولى اعلام السنادي.

ماهر: طب خلاص خلاص، وزعلانة كدة ليه؟ انا اسف يا ستي. انتي كبيرة وكبيرة اوي كمان.

ثم نظر الي امه التي كانت تجلس على الجانب الاخر له وقال بصوت سمعه الجميع: ماما! ان شاء الله بقا بعد ما نتغدى، هتروحي معايا.

وردة: لا يا ماهر، انا مش هرجع معاك بعد اللي عملته باباك، انا مليش عيشة معاه بعد كدة. انا هقعده مع بابا هنا لحد ما يقدر يتحرك و بعدها نرجع سوا على فيلتنا.

حاول ماهر الاعتراض: بس يا ماما.....

فقاطعه يوسف قائلا: لو سمحت يا ماهر سيب مامتك على راحتها، وسواء هنا او في فيللا عمي عبدالرءوف فهي مش هتبقا قاعدة مع حد غريب ع الاقل لحد الامور ما تهدى.

وكالعادة لم يستطع ان يعترض أحد على كلامه، فامتثل ماهر لامره المبطن في صيغة طلب.

وتناول الجميع وجبة الغداء ثم القهوة الى ان حان الوقت لمغادرة ماهر، فودع ماهر الحاضرين ثم خرج وفي اثره يوسف الذي قام بتوصيله حتى باب الفيلا فصافحه ماهر وقال له بامتنان حقيقي: انا متشكر اوي يا يوسف ع اللي عملته مع ماما وبتعمله دلوقت مع جدي.

يوسف: انا ما عملتش اي حاجة تستاهل الشكر.

ماهر: ازاي بقا؟ الموقف بتاع امبارح دة لوحده يخليني مدينلك بجياتي كلها، واحد غيرك كان بعد اللي عملته بابا معاك وانا كمان كان ممكن يطرد ماما من بيته والله اعلم كان هيبقا مصيرها ايه دلوقت؟

يوسف: اديك قولت بنفسك، واحد غيري يعني مش انا. يا ماهر انا لو باباك نفسه رغم عداوتي معاه واللي انت عارفها كويس، فلو جه يوم ودخل بيتي يتحامى فيه انا مش هقدر اتخلى عنه.

ماهر بخجل شديد: عشان كدة انا بجد اسف للفكرة اللي كنت واخدها عنك، وياريت تسامحني على كل خطأ ارتكبته في حقك.

يوسف وهو يربت على كتفه بابتسامة صادقة: عيب تقول كدة، دة احنا في الاول وفي الاخر اهل.

ماهر: وانا لأول مرة هقولك اني بجد سعيد جدا بالنسب دة، عن اذنك.

يوسف: مع السلامة.

ماهر: الله يسلمك.

ورحل ماهر ونظرات يوسف الباسمة تشيعه وقد كان يشعر بالرضا التام لانه اليوم فقط قد كسب في صفه حليفا جديد ، ولكنه كان يجهل انه في نفس اليوم قد تحالف ضده عدوا آخر.

الفصل الثاني والعشرون :

لم أعد طفلة!

ماهر بصوت حاد: يعني اللي سمعته كويس يا علياء، انا مش هشترك معاكم في اللعبة دي.

فقال علياء ساخرة وقد كانت تجلس على الارىكة بكل استرخاء: ودة من امتى بقا يا سي ماهر؟ مانت كنت أول واحد نفسك تزيح يوسف جلال دة من ادامك عشان يجلالك الجو مع حبيبة القلب.

ماهر: اولاً مريم لا هي حبيبة القلب ولا حاجة، وثانياً بقا انا فعلاً كان نفسي اخلص من يوسف جلال بأي طريقة، لكن دلوقت لا.

علياء: وممكن اعرف بقا ايه اللي جد خلاك تغير رأيك بالسرعة دي؟

فقال ماهر بنبرة صادقة: لاني لحد امبارح بس ما كنتش اعرفه على حقيقته، بس لما قربت منه اكرت واتعاملت معاه وجها لوجه عرفت هو اد ايه انسان يستحق كل تقدير واعجاب وما يستاهلش اننا نأذيه.

علياء بلهجة غاضبة: يعني دة اخر كلام عندك يا ماهر؟

ماهر: ايوة يا علياء دة اخر كلام عندي. مش بس كدة، دة انا كمان لو عرفت انكم نفذتوا اي حاجة من اللي بتفكروا فيها ساعتها بقا ههد المعبد ع اللي فيه وهعترف بكل حاجة.

اثارت جملته الاخيرة حنق علياء التي نهضت لتقف بجانبه وتضع يدها على كتفه وتقول له بصوت يشبه الفحيح: وماله يا بابا، بس احب اقولك ان اللي ممكن يشيل الليلة دي كلها في الاول وفي الاخر هو حضرتك يعني أول طوبة هنتقع من المعبد اللي ناوي تهده هتنزل على راسك انت. فاعقل كدة بقا يا امور، وخلينا ماشيين زي ما حنا.

ساد الصمت الثقيل بعد ذلك التهديد الصريح من علياء، اما ماهر فقد أصبحت ملامحه واجمة وفي حيرة من أمره بين أن يحافظ على نفسه من السجن وربما القتل وبين ان يشارك في أذية يوسف جلال ذلك الرجل الذي أصبح مدينا له بالكثير.

بعد أن وضعت حياة كوبا من النسكافيه كان قد طلبه منها وليد منذ قليل أمامه على المكتب وسمعتة يوجه اليها كلمة شكر مقتطبة، ولكنها وقفت مرتبكة تنظر اليه في حيرة من امرها لا تدري اترحل أم تفتاحه في ذلك الموضوع الان؟ ولكن عندما لاحظت انه مشغول كثيرا بتدوين بعض الملاحظات الخاصة بمشروعه حتى بدا انه لم يلاحظ بقائها معه في غرفة المكتب قررت أخيرا ان الوقت غير مناسب ، لذا همت بالمغادرة إلا ان صوته أوقفها: حياة!

تجمدت حياة في مكانها ونظرت اليه لتقول بلهفة: خير يا وليد؟ عايز حاجة؟

وليد وقد رفع عينيه اليها بتساؤل: انتي اللي عايزة حاجة؟ اديلك خمس دقائق واقفة مكانك زي ما تكوني عاوزه تقولي حاجة بس مترددة.

حياة وقد شعرت بحرج شديد: انا اسفة، شكلي عطلتك، انا همشي بقا واسيبك تكمل شغلك.

استوقفها صوته مرة أخرج قبل ان تندفع خارج الحجره: لسة ما قولتليش كنتي عاوزه ايه؟

حياة وقد زاد توترها: لا خلاص بقا، الموضوع مش مستاهل.

وقف وليد وتقدم نحوها وهو يقول بصوت حاسم: انا اللي اقدر اقرر اذا كان الموضوع يستاهل ولا لا.

وقد اصبح قريبا منها لدرجة جعلتها تشعر بأنها اصبحت محاصرة تماما وأسيرة لنظراته الملاحقة فقالت بصوت مرتعش: انا كنت عاوزه اقولك ان البروفات بتاع المسرحية تقريبا خلصت والمفروض ان العرض هيكون اول يوم في الدراسة، وكل واحدة فينا معاها خمس تذاكر عشان تقدر تعزم قرايها، وكنت بفكر لو انك يعني....قصدي لو كنت فاضي.....

ولكنها لم تجد الشجاعة الكافية لتكمل جملتها او بالاحرى دعوتها، فأكمل هو بالنيابة عنها: اني احضر العرض.

فأسرعت حياة تقول: بس مفيش مشكلة، لو كنت مشغول عادي يعني، مش لازم تحضر.

فقطع وليد السننيمترات القليلة التي كانت تفصل بينهما، ولأول مرة منذ فترة طويلة ترى ذلك الدفء في عينيه وهو يلمس شعرها ويلف خصلة صغيرة منه على أصابعه وهو يقول بصوت حنون ومزاح رقيق يخلو من أي سخرية جعلها تتجمد في مكانها من شدة اندهاشها: وعاوزاني افوت على نفسي فرصة زي دي وانا بشوف مراتي نجمة اد الدنيا؟

لم تعلم ان كان ذلك يحدث في الحقيقة ام انه عقلها هو الذي يخيل لها ذلك؟ ولكن سواء اكان هذا ام ذاك فلم تكن تبالي بالأمر كثيرا فكل ما كان يهمها ان تستمتع بتلك اللحظات من السلام والمشاعر الصافية التي لم تحسها منذ زواجهما، ولكن بدا ان القدر يعاندها كثيرا ويأبى ان تستمر تلك السعادة لفترة أطول من ذلك فقاطعهما رنين هاتف المكتب، وقد لمحت في عينيه نظرات حانقة فو سماعه صوت رنين الهاتف.

وتوجه الى مكتبه ورفع سماعة الهاتف، وسمعته يتحدث الى أحد العاملين معه وقد كان صوته غاضبا، وبدت لها ان المكالمة ستطول، لذا قررت ان تتركه يكمل عمله وغادرت المكتب وأغلقت الباب خلفها.

أمام طاولة الطعام، اجتمعت العائلة المكونة من الاب والام والابن وزوجته يتناولون طعام الافطار، فسأل عماد وهو يرفع فنجان القهوة الى شفثيه: ما قولتليش يا بابا انت تعرف يوسف جلال صاحب شركة المعمار للمقاولات؟ فقال شاكر وهو يفرد قطعة من الجبنة على رغيف من الخبز المحمص: ومين من رجال الاعمال ما يعرفش الباشمهندس يوسف؟

عماد: لا انا قصدي تعرفه معرفة شخصية؟

شاكر نافيا: للأسف لا، صحيح انا يمكن اكون شفثه مرة او اتنين في حفلات عامة بس مش أكثر من كدة. لكن انت بتسأل ليه؟

عماد: اصلي كنت عاوز شركته هي اللي تتولى المشروع السكني دة اللي ناويين نعمله.

فقال شاكر مؤيدا وهو يقول بلهجة مليئة بالاطراء: يا ريت والله، لان سمعة شركته وسمعته هو شخصيا في المجال دة هتبقا مكسب كبير لينا.

عماد: يبقا خلاص انا هتصل بيه في مكتبه النهاردة وهحاول اخد معاه ميعاد عشان اقبله في اقرب وقت واتفق معاه.
شاكر: مفيش مانع.

فقال نبال بصوت حانق: يوووووووه، هو كل يوم شغل شغل؟ هو أنا بقا جيت مصر ولا ايه عشان اتجس بالشكل دة؟

فحاول عماد ان يطيب خاطرها وهو يحتضن أصابع يدها بكفه: معلش بقا يا حبيبي مانتي شايفة بنفسك، وكمان مانتي تقدري تخرجي وتنفسحي، يعني عندك النوادي والمحلات، وممكن تنزلي تعملي shopping وتضيعي فيه وقتك.
نبال محتجة: بس بردو هبقا لوحدي.

فرجع عماد اصابعها نحو شفثيه وقبلها بكل رقة، وقال لها محاولا القضاء على القلة الباقية من اعتراضاتها: خلاص يا حبيبي كلها اسبوع او اتنين بالكثير اظبط فيهم شغلي وبعدين هبقا فاضيلك ع الاخر وساعتها بقا يبقا نخرج ونتفسح زي ما تحبي.

نبال باستياء: لما نشوف.

كان يوسف يقف امام المرأة يعدل من رباطة عنقه مستعدا للخروج في حين استيقظت مريم من نومها، وقالت له وهي تتشاءب: صباح الخير.

اجابها يوسف دون ان ينظر اليها: صباح النور.

مريم وهي تغادر السرير: انت ماشي دلوقت؟

يوسف بابتسامة مازحا: الساعة عشرة يا مريم، صحيح انا صاحب الشركة لكن ما ينفعش اتأخر أكثر من كدة.

مریم: طیب ہترجع امتی؟

نظر إليها متشككا وسألها: لیه؟ کنتی عاوزة حاجة؟

مریم وهي تفرك يديها بتوتر شديد وهي تحاول ان تختار كلماتها بعناية فائقة وهي تقول: بصراحة بقا، اه كنت عاوزة، شوف يا يوسف انت طلبت مني اني ما اروحش الجامعة تاني عشان المسرحية، وانا نزلت عند رغبتك وكملت باقي الشغل المطلوب مني في البيت هنا وكنت ببعته مع السواق. بس سلمى جاتلي امبارح وقالتي انهم خلصوا بروفات و العرض هيكون اول يوم دراسة يعني بكرة وكمان عطيتني خمس تذاكر عشان اديهم لقرايبي، لكن كان عندها طلب صغير كانت عاوزاني اروح النهاردة عشان اتم ع الديكور قبل العرض صحيح انا كنت بتابعهم بالتليفون بس بردو لازم اكون موجودة واشوف كل حاجة بنفسي.

انتهت كلامها لتنظر اليه منتظرة رده، وعندما طال الصمت، قالت له برجاء: يوسف عشان خاطري.

مقابل رجاءها ذلك ونظرات التوسل تلك التي يراها في عينيها كان مستعدا ان يوافق على أي شيء تطلبه منه، ولكنه لم يرد ان يظهر لها شعوره ذلك فقال لها بصوت جامد: اوك يا مریم، تقدري تروحي النهاردة بس ما تأخريش.

مریم بسعادة وهفة وهي تطمع فيما اكثر من ذلك: وبكرة؟ اصل مش معقول يعني بعد كل التعب دة مش هحضر يوم العرض.

ظنت في البداية انه سيرفض الى ان قال والابتسامة تداعب شفثيه: انتي مش قولتي انك معاكي خمس تذاكر.

فأومأت مریم برأسها ان نعم، فقال لها والابتسامة تزداد على شفثيه: خلاص بيقا احجزيلي منهم واحدة.

فسألته مریم وهي لا تصدق اذنيها: احجزلك واحدة؟ يعني ايه؟ قصدك يعني انك عاوز.....

فهز رأسه موافقا: هو فيه مانع لو حضرت العرض معاكي؟

مریم وهي تسارع بالنفي و علامات الفرحة تظهر بوضوح على وجهها: أكيد لا طبعا مفيش مانع خالص، بالعكس.

والتقط يوسف كلمتها الاخيرة لينصب لها فخا: بالعكس ايه؟

بحثت مريم عن الكلمات المناسبة لتخرج من هذا المأزق بسلام: قصدي يعني بالعكس ان انا ما كنتش لاقية حد اديله التذاكر اللي معايا، يعني ما كنتش فيه غير عمتمو وجدو زي مانت شايف مش هيقدر يبجي عشان كدة كنت عاوزة استأذنك في حاجة.

تظاهر يوسف بالافتناع بمبرراتها الواهية وسألها: حاجة ايه؟

مريم: كنت عاوزة اعزم هدى، اصل زي مانت شايف على طول قاعدة لوحدها كأنها حاسة بالغربة وكمان دي هتبقا فرصة كويسة كأول يوم ليها في الجامعة عشان تتعرف على زميلها.

يوسف موافقا: عندك حق.

وساد الصمت من جديد ومريم لاتزال تشعر بالتردد وقد لاحظ يوسف ذلك فسألها متشككا: مش دة هو فعلا اللي كنتي عاوزاه. فيه ايه يا مريم؟

مريم: بصراحة بقا انا كنت عاوزة اعزم ماهر ابن عمتمو وردة كمان، اصله زي مانت شايف من يوم ما جه عشان يطمن على مامته وهو مش بيحاول يبجي تاني كأنه مكسوف يعني واهي هتبقا فرصة برودو يطمن عليها وهي كمان قلقانة اوي عليه ونفسها تشوفه.

كانت دائما تبهره بمراعاتها لشعور غيرها وحرصها الشديد على اسعاد كل من حولها رغم حداثة سنها، فوافق على الفور طامعا في الحصول على تلك الابتسامة الساحرة التي دائما ما توجهها اليه كلما وافقا على أمر ما، وهي ايضا لم تبخل عليه بها.

استقبل يوسف عماد شاكر في مكتبه بكل ود وترحاب، فلقد كان لاسم شاكر عز الدين وزنه في سوق المال والاعمال، وبعد ان طلب القهوة لكليهما، قال يوسف بنبرة ودودة: الحقيقة يا استاذ عماد انت شرفتنا النهاردة وزى ما بيقلوا بقا خطوة عزيزة.

عماد مازحا: وزى ما بيردوا بردو، الله يعز مقدارك، الحقيقة يا باشمهندس انا كان نفسي اقابلك من زمان من كتر الكلام اللي سمعته عنك.

يوسف: يارب يكون اللي سمعته خير.

عماد: اكيد خير طبعا، هو مفيش اصلا حد يعرف حضرتك غير لما يشكر فيك وفي شغلك.

يوسف: دة بفضل الله اولاً ثم والدي الله يرحمه وعمي عبدالرءوف الكامل من بعده.

تصنع عماد الدهشة وهو يقول: عبدالرءوف الكامل! معقول؟! هو عبدالرءوف بيه الكامل يبقى عمك يا باشمهندس؟ انا اول مرة اعرف المعلومة دي.

يوسف مصححا: مش عمي بالظبط بس هو بيتقا جد مراتي.

عماد: اه، ع العموم ونعم النسب بردو. المهم بقا خيلنا نتكلم في الشغل.

يوسف: انا تحت امرك.

عماد: شوف يا باشمهندس، انا وبابا قررنا اننا نبني مشروع سكني في مدينة ستة اكتوبر، بس عاوزينه بمواصفات خاصة شوية.

يوسف: اه، بس ايه العلاقة ما بين مشروع زي دة وبين عربيات النقل اللي شركتكم شغالة فيها؟

عماد: لا. ما هو احنا قررنا اننا نجرب حظنا في المقاولات ولو الموضوع نجح معنا ممكن نتوسع فيه. وطبعا حضرتك هيكون ليك الفضل الاول في دة وبردو حقك محفوظ. واكيد مش هنختلف يعني.

يوسف بلهجة حازمة: انا اخر حاجة ممكن اختلف مع العملا بتوعي عليها بتكون الفلوس يا استاذ عماد، لان كل الناس عافة شغلي كويس.

فقال عماد سريعا في محاولة منه ليصحح الخطأ الذي بدا انه قد وقع فيه دون ان يقصد مما جعله يدرك مدى قوة وذكاء الشخص الذي يتعامل معه: اكيد طبعا، سمعتك سابقا يا باشمهندس، وانا ما كنتش اقصد اي حاجة غلط ممكن تكون فهمتها.

يوسف: ع العموم حصل خير، وانا اسف لاني مضطر ارفض عرض حضرتك، الحقيقة انا حاليا شغال في مشاريع ارتبطت خلاص بيها ومش هقدر اخلصها قبل فترة طويلة ومش هينفع اني اقبل شغل تاني دلوقت وخصوصا اني بحب دايم ادي لكل حاجة حقها.

شعر عماد بخيبة الامل تتسرب اليه وبأنه على وشك ان يخسر الجولة الاولى امام خصمه العنيد، ولكنه قرر الا يبأس فقرر ان يحاول معه مرة اخرى لاقتناعه فحاول ان يتحدث مجددا ولكنه منعه صوت طرقات خفيفة على الباب فقال يوسف بصوت هادىء: ادخل.

دخل وليد المكتب والقى التحية فرد عليه الاثنان، ودعاه يوسف ليقترب منهما حين لمح التردد باديا عليه وسمعه يتمتم بكلمات اعتذار خشية من انه قاطع حديثهما: انا اسف، شكلك مشغول يا يوسف. هبقا اجيلك بعدين.

يوسف: تعالى يا وليد، اكيد مفيش اسرار في الشغل عليك.

تقدم وليد منهما وعرف يوسف كل منهما على الاخر وقد بدأ بعماد: استاذ عماد شاكر ابن راجل الاعمال المعروف شاكر عز الدين.

فمد وليد يده لمصافحة عماد: اهلا وسهلا يا فندم.

فابتسم له عماد بتلقائية وهو يبادل له المصافحة ويستمتع الى يوسف وهو يقول: ودة بقا الباشمهندس وليد جلال اخوية وشريك وفي نفس الوقت هو اللي ماسك قسم التصميمات بالشركة بس للأسف بقا ناوي يسيبنا قريب.

وليد: تشرفنا يا باشمهندس.

وليد: الشرف ليا يا استاذ عماد.

وبعد ان جلس الاثنان امام مكتب يوسف سأل وليد: بس خير يعني؟ الباشمهندس هيسيب الشركة ليه؟ هو الشغل هنا مش عاجبه؟

يوسف مازحا: لا يا سيدي، بس تقدر تقول كدة انه خلاص كبر علينا وقرر انه يفتح شركة لوحده.

عماد: كدة؟ الف الف مبروك يا باشمهندس، وناوي بقا تفتح شركة ايه؟

وليد: ان شاء الله شركة مقاولات بردو.

عماد مداعبا: ايه دة؟ يعني ناوي تنافس الباشمهندس يوسف ولا ايه؟

وليد: لا طبعا، انا مقدرش، بس انا حبيت ابدأ شغل جديد بنفسي بس طبعا مش هبقا مستقل تماما عن هنا.

ثم لمعت الفكرة فجأة في عقله ليقول شارعا في تنفيذها: طب والله فكرة، ايه رأيك يا باشمهندس ان المشروع اللي كلمتك عنه يمسه الباشمهندس وليد باسم شركته الجديدة.

فنظر وليد ناحية يوسف ليخبره بذلك الامر الذي يجمله، وبدا ان يوسف يفكر قليلا في الامر الى ان قال اخيرا: والله فكرة، وانا اضمنك بنفسي الشغل دة.

عماد: وانا مش عاوز اكرر من كدة يا باشمهندس.

لم يستطع وليد ان يصبر اكثر من ذلك فسألها: طب ما تفهموني يا جماعة انتو بتتكلموا عن ايه بالظبط؟

فنظر يوسف الى ساعته وهو يتأهب للمغادرة معتذرا: انا هسيب بقا استاذ عماد يشرحلك الموضوع بالتفصيل، خدوا راحتكم خالص وانا عندي مشوار مهم هروح اعمله، وليد انا ممكن ما اجيش تاني النهاردة، استاذ عماد، طبعا المكتب مكتبك وسامحني بقا لاني مش هقدر اقعد معاك اكثر من كدة.

عماد متفهما: لا براحتك خالص يا باشمهندس، الله يكون في العون.

واستأذن يوسف، ثم رحل فشغل وليد الكرسي الخاص به خلف المكتب، و بدأ يتحدث بلهجة عملية: اتفضل يا استاذ عماد، انا تحت امرك.

دخل يوسف محل الصائغ الذي كان معتادا على التعامل معه، وكما يحدث دائما استقبله صاحب المحل ورحب به أشد الترحاب، وسأله بابتسامة واسعة: تحت امرك يا يوسف بيه، ايه طلباتك المرادي؟

يوسف: عاوز هدية حلوة على ذوقك وتكون قيمة للمدام.

الصائغ: وياترى فيه مناسبة معينة؟

يوسف: وهو لازم يكون فيه مناسبة عشان الواحد يقدم هدية لمراته؟

الصائغ بلهجة مرحة: والله حتى لو في مناسبة، اكيد الهدية هتبقا خسارة.

فتبسم يوسف وهو يقول: مش كل الجوازات بقا.

الصائغ مؤيدا: في دي بقا معاك حق يا يوسف بيه. وخصوصا لو كانت المدام بتاع حضرتك ، حقيقي تستاهل انك تتاقلها بالماظ.

واقفه يوسف على مضض حيث لم يعد يتحمل ان يسمع كلمة مدح اخرى من رجل غريب في حق زوجته، فلقد بدأت بالفعل تشتعل في قلبه نيران الغيرة.

وبينما كان الصائغ يعرض عليه بعض قطع المجوهرات ذات الذوق الرفيع و الثمن الباهظ، فهو يعلم ان عميلا كيوسف جلال لن يهتمه المبلغ الذي سيدفعه في الشيء الذي سيرغب في شرائه، سمع يوسف من خلفه صوتا انثويا رنانا يقول له مبديا الدهشة في نبرته: معقول؟ يوسف بيه جلال بنفسه؟ انا مش مصدقة نفسي.

لم يحتج يوسف الى الالتفات خلفه ليعلم من تكون صاحبة هذا الصوت، فهو لا يزال يتذكره جيدا، ولكنه كان مضطرا الى ان يواجهها ويقول بصوته الرزين: ازيك يا علياء، عاملة ايه؟

فصافحته علياء بدلال وهي تقول بغنج: ايه دة؟ الحقيقة مش مصدقة انك لسة فاكر اسمي لحد دلوقت.

فقال لها يوسف محاولا تحاشي نظرات الصائغ الفضولية المتجهة اليهما: ازاى بقا؟ انا طول عمري فاكرك بكل خير؟ بس اظاهر ان انتي بقا اللي نسيتي ان فيه شغل بيننا.

علياء وقد ابت ان تسحب يدها من يده: اظاهر انت اللي نسيت يا باشمهندس، وبقيت بتبعك اخوك الباشمهندس وليد بدالك عشان يشرف على المشروع.

يوسف معتذرا بتهذيب: انا بجدا اسف، بس فعلا عندي شغل كثير، دة غير بقا ان وليد بقا احسن مني في الموضوع دة لدرجة انه خلاص بيفتح حاليا شركة لوحده.

فقلت علياء وهي تغمز له بعينها بنظرة فهمها يوسف جيدا: بس انا والباشمهندس وليد مش عارفين نتفاهم خالص عكسنا انا وانت.

تنحى يوسف قليلا بحرج بالغ، وقال محاولا التملص منها: معلش يا علياء انا هبقا اتكلم مع وليد وهشوف بنفسى الموضوع دة.

علياء محبطة كل محاولاته للهروب: طيب ماهو الاسهل انك تتكلم معايا انا، ماهو انا اداك اهو. ولا انت كمان بقيت مش عاوز تتكلم معايا؟

يوسف: لا طبعا، بس اكيد المكان مش مناسب.

علياء وقد سجلت اعتراضه الواهن ذلك كنقطة انتصار لصالحها، وانتهزت الفرصة لتقول له: طيب ايه رأيك نروح في مكان مناسب ينفع نتكلم فيه.

وجدته يحاول ان يبحث عن اى سبب يخول له حق الاعتراض فقررت ان تقطع عليه الطريق لتقول: جرى ايه يا يوسف؟ هو انت اتعلمت البخل بعد الجواز ولا ايه؟ يعني حتى مش عاوز تعزمني ع الغدا النهاردة.

لقد حاصرته من كل جانب فلم يبق امامه اى مجال للرفض، فوافق راضحا: زي ما تحبي، شوفي المطعم اللي يعجبك ونروح نتغدى فيه.

وبالفعل جلس الاثنان امام طاولة صغير في مطعم هادىء انيق بدا شاعريا الى حد كبير بموسيقاه الهادئة الحاملة، وذلك بعد ان اشترى اسورة انيقة من الالماس ومطعمة بالزمرد قد ساعدته عليا انتقائها بعد ان اقترحت ذلك فوافق على الفور حيث كان دائما يشهد لها بالاناقة والرقي في اختيار جميع مقتنياتها من المجوهرات.

وبعد ان اختارا من قائمة الطعام ما يرغبان بتناوله وقد ابلغا النادل به، انتظرت علياء الى ان ابتعد ثم وجهت اهتمامها الى يوسف لتلقي بسؤال مباغت: يوسف! انت ليه بتتهرب مني؟

من شدة المفاجأة لم يستطع الرد في البداية ، ولكنه استعاد هدوئه سريعا وابتسم وهو يجيب: ومين بس اللي قال اني بتتهرب منك؟

علياء بجديفة: انا مش محتاجة حد يقولي يا يوسف، انا ست ومش صغيرة واقدر احس كويس اوي بمشاعر اي راجل من ناحيتي.

يوسف: علياء انا.....

لم تنتظر ان ينطق بالمزيد فاشرت بيدها ناحية فمه وكأنها تمنعه من الكلام لتقول له بابتسامة حزينة: ارجوك ما تكملش، انا عارفة كويس ان مشاعرك من ناحيتي ما بقتش زي زمان، وانا مش هقدر الومك لانك كنت صريح معايا من البداية، يعني انت ما وعدتنيش باي حاجة وما نفذتاش، وكون ان مشاعرك اتحركت في اتجاه تاني فدة ما يبقاش ذنبك، وانا مش زعلانة بالعكس، يا يوسف انا بجبك بجد وبتمنالك السعادة من كل قلبي سواء كانت معايا او مع غيري. وبتمنى ان غيري دي تكون تستاهل حبك ليها وتحبك زي مانا بجبك واكثر كمان لانك بجد انسان تستاهل كل خير.

ومن ذلك الرجل الذي يمكنه ان يشك في تلك النبرة الصادقة؟ حتى يوسف جلال نفسه لا يمكنه ذلك فشكرها بصوت مليء بالامتنان: انا متشكر اوي يا علياء على شعورك الصادق دة.

علياء وهي تكافح لتمنع دموعها من السقوط محاولة اخفائها خلف ابتسامة واسعة: بس انا بقا ليا عندك طلب اتمنى انك مش ترفضه.

يوسف: تحت امرك.

علياء برجاء: اوعديني اننا نفضل اصدقاء على طول، اصدقاء يا يوسف بجد.

ومدت يدها ليوسف تستحثه للرد على طلبها، ولم يتردد كثيرا فاحتضن يدها بكفيه وهو يقول بابتسامته الجذابة:
اوعدك يا علياء.

فشعت عينيها ببريق الامل من جديد، ولكنه حذرنا قائلا: لكن مش اكثر من كدة.

علياء موافقة على الفور: عارفة، وعشان كدة بقا ايه رأيك نبدأ من النهاردة؟

يوسف بعدم فهم: ازاي يعني؟

علياء: ايه رأيك اعزمك النهاردة على العشا انت والمدام؟ واهو بالمرّة تعرفني عليها اكثر وانا حاسة اننا هنبقا اصحاب
ويمكن اكثر كمان.

يوسف: انا معنديش مانع، بس مش هينفع النهاردة، هي عندها حفلة في الكلية، وبعدها انا ناوي اخدها ونخرج برة في
مكان لوحدها عشان مناسبة خاصة.

علياء بنظرة مأكرة: المناسبة اللي انت اشتريت عشائها الخاتم؟

فاكتفى يوسف بايماءة بسيطة من رأسه موافقا، فتقبلت علياء الامر ببساطة، ثم قالت مقترحة: ع العموم ربنا يسعدكم،
طب ايه رأيك بقا نخليها بكرة وعندي في الشقة؟ انا كنت عاملة بارتني صغير كدة بتمنى انكم تشرفوني فيه.

يوسف مازحا: بمناسبة عيد ميلادك بردو؟

فابتسمت علياء لمزاحه وقالت: لا، المرادي بقا بمناسبة ابي فتحت فرح جديد للبوتيك بتاعي وعاملة الحفلة دي يعني
كدعاية.

يوسف: الف مبروك يا علياء، وبالتوفيق ان شاء الله.

علياء: يعني هتيجي؟

يوسف: ان شاء الله هكون موجود انا ومريم.

وجاء النادل حاملا معه اطباق الطعام ويضع كل في مكانه وقد انشغل يوسف بالحديث معه ، فبدأت ابتسامة خاصة تداعب شفتي علياء بسبب الانتصار الجديد الذي سجلته اليوم.

وقفت كل من حياة ومريم وسلمى وكل من ساهم في المسرحية تقريبا خلف الكواليس وقد كانت فرحتهم لا توصف وهم يستمعون الى صوت تصفيق الجماهير الحاد بالخارج الذي لم ينقطع حتى الان منذ ان انتهى العرض، فقالت نورا بطريقة طفولية: شفتوني يابنات وانا بمثل، انا ما كنتش مصدقة نفسي بصراحة، لدرجة اني بدأت اقتنع فعلا ان انا بنت حياة.

فدفعتها حياة بعيدا عنها وهي تمزح: بنت! انتي صدقتي نفسك ولا ايه؟ دة انا من دور عيالك.

فضحك الجميع، بينما قالت لهم سلمى بصوت رزين وجاد: مبروك عليكم يا بنات، بجد كنتو هايلين.

فاحتضنتها مريم وهي تقول لها: مبروك عليكى انتي يا سلمى، انتي اللي عملتي للمسرحية روح، واحنا كما كناش هنقدر نعمل حاجة من غيرك.

فابتسمت سلمى بخجل، في حين اتاهم صوت ذكوري رخميق يقول: الف مبروك يا بنات، عقبال حفلة التخرج بقا.

وبالطبع كان ذلك صوت خالد صلاح بطل المسرحية، فقالت له سلمى ردا على تهنئته: الله يبارك فيك يا استاذ خالد، وبجد انا بجيبي حضرتك ع الجهود الرائع دة، انت فعلا قدرت بصوتك انك تدخل الناس في جو المسرحية.

لم يستطع خالد الرد عليها بكلمات مناسبة لذا اكتفى بكلمة: متشكر

مع ابتسامة عبر بها عن مدى ما يشعر به من سعادة وهو يشاركهم فرحتهم. ثم نظر الى مريم ليقول لها: حمدالله على سلامتک يا مريم.

فردت مريم وهي تتحاشى نظراته حيث شعرت بالضيق لسبب تجهله: الله يسلم حضرتك.

خالد معاتبا برقة: بردو حضرتك؟! احنا مش كنا اتفقنا خلاص انا نرفع الالقاب.

ثم نظر الى سلمى وكأنه يطلب منها ان تؤيد رأيه وسألها: مش كدة ولا ايه سلمى؟

فردت سلمى مازحة: اه، بس دة كان ايام البروفات، لما كانت الادوار بتختلف، لكن دلوقت.....

وأكملت بطريقة مسرحية وهي تتصنع الحزن: رجعت ربما لعادتها القديمة، وبقينا تاني احنا طلبة سنة رابعة وحضرتك المعيد بتاعنا اللي بيطلع عنينا.

فضربتها حياة بقدمها موبخة: يا بنتي لمي لسانك دة بقا.

فاحتجت سلمى: فيه ايه؟ مش هي دي الحقيقة؟ مش هو بيطلع عنينا في السكاشن؟

فتبسم خالد رغما عنه من تلقائيتها، وجرأتها، حيث ان رغم تبسطه مع معظم الطلبة إلا أنه لم يتمكن أي طالب حتى تلك اللحظة من ان يتحدث اليه بتلك الطريقة، لذا قال مدعيا الحزن بسبب كلامها: ياااااااه! هو انا كنت وحش اوي كدة وانا معرفش؟

فعالجت سلمى الامر سريعا: لا، حضرتك ما كنش قصدي كدة، انا بس كان نفسي تعلمونا بالراحة شوية، وتسمعونا زي ما احنا بنسمعكم وعلى رأي المدرس القدير مُجَّد فؤاد لما قال يا عم حمزة حلمك علينا، احنا التلامذة وبكرة لينا.

بالطبع لم يستطع أحد منهم ان يخفي ضحكته او ابتسامته اثر تفوها بتلك الكلمات الى ان قال خالد اخيرا: ع العموم، خلاص يا سلمى انا هبقا اقعد مع استاذنا مُجَّد فؤاد وافهم منه المبادئ الاساسية للتدريس عشان احسن من اسلوبي شوية، وياريت يا بنات بعد كدة تبقا تعتبروني اخوكم الكبير، واي واحدة فيكم عاوزه اي حاجة ياريت ما تترددش انها تيجي وتطلبها مني وانا هحاول اعمل اللي عليا ان شاء الله، والكلام دة موجه كمان لمريم.

انتبهت مريم على ذكر اسمها بعد ان كانت تنظر الى الارض شاردة بفكرها بعيدا عنهم تماما، وسمعتة يكمل: ياريت يا مريم اي صعوبة تواجهك في الكلية تيجي تبلغيني بيها وانا ان شاء الله هحاول احلها.

فأرغمت مريم نفسها على الابتسام وهي تقول: متشكرة اوي.

ولم تعلم لم كان ذلك الشعور الذي يراودها بأن هناك من كان يراقبها؟ الى ان أدارت بالفعل وجهها الى الناحية الأخرى لتراه متقدما نحوهم وعلامات الاستهجان بادية على وجهه.

: انا سبق وحذرتك يا مريم.

كان مريم تتوقع الكثير من كلمات التأنيب والتوبيخ ولكنها لم تكن تتوقع ذلك الغضب الشديد الذي تواجهه الان، وهي من وجهة نظرها لم ترتكب اي خطأ يستدعي غضبه لذلك الحد، وقد عبرت عن ذلك بالكلمات وهي تحاول ضبط انفعالها ولكن يبدو انها لم تفلح: انا ما عملتشي اي حاجة تستاهل كل دة.

فقال يوسف بصوت كالجليد: لا عملي يا مريم، انا سبق وطلبت منك انك ما تتعامليش مع البني ادم اللي اسمه خالد دة وانتي عصيتي اوامري ووقفتي واتكلمتي معاه.

مريم بلهجة دفاعية: اولاً انا كنت واقفة مع صاحباتي وهو اللي جه وقف معانا عشان يباركلنا على نجاح المسرحية، وثانياً احنا مش كنا واقفين لوحدينا، وثالثاً بقا انا كنت مجرد برد على كلامه مش اكرر.

فقال لها يوسف متوعداً: دي اول واخر مرة يا مريم هسمحلك فيها انك تخالفي اوامري.

مريم وقد وصلت حدة انفعالها الى الذروة: انا مش جارية عندك يا يوسف عشان انفذ اوامرك وبس.

يوسف بصوت كالرعد: مريم!

بدا انها لم تشعر بمقدار الغضب الذي حملته طريقة نطقه لاسمها فاستمرت تقول وهي غير واعية تماماً بما تتفوه به وقد كانت على وشك الانهيار وهي تقول بطريقة تشبه الاطفال في غضبهم: لا يا يوسف انا مش هسمحلك انك تتحكم في حياتي اكرر من كدة وكأني طفلة صغيرة مش عارفة الصبح من الغلط، انت لازم تعرف يا يوسف اني خلاص كبرت وطريقة الترهيب والثواب والعقاب دي مش هتنفع معايا.

وكأنها لمست وترا حساسا لديه مما جعل مزاجه يتغير فجأة ويتلاشى الغضب من ملامحه لتحل مكانه نظرات مليئة بالتساؤل والحيرة، وكان سؤاله المباغت لها: انتي متأكدة انك كبيرتي يا مريم؟!

الفصل الثالث والعشرون :

عشيقة أخرى

زارت علياء مكتب يوسف في شركته، وقالت له وهي تجلس على الكرسي امام المكتب وقد بدت على وجهها تعبيرات القلق والاهتمام الحقيقي وهي تقول: ولا يهمك يا يوسف، انت لما اتصلت بيا واعتذرتلي وقولت انك مش هتيجي الحفلة، حسيت ان صوتك متغير وكأنك زعلان، عشان كدة جيت اطمن عليك، وشكلي كدة اللي حسبته لقيته، مالك يا يوسف؟

فقال يوسف بابتسامة بسيطة محاولا بها اخفاء الحزن الذي يعتمر قلبه: مفيش يا علياء، كل الحكاية ان عندي شغل كثير اليومين دول مخليني متوتر شوية.

وبالطبع لم تصدق علياء ما يقول فشككت في كلامه وهي ترمقه بنظرات متفحصة: شغل ايه يا يوسف اللي يعمل فيك كدة؟ انت مش شايف انت اتغيرت ازاي؟ مش انت خالص يوسف اللي كان معايا من يومين والسعادة بتطل من عينيه.

ثم امالت نحوه قليلا واستطردت: هو فيه حاجة حصلت بينك وبين مراتك؟ زعلتوا مع بعض يعني؟

يوسف: انتي ليه بتقولي كدة؟

علياء: لان بخبرتي بالناس عموما وبيك انت شخصيا اقدر اقول ان السبب اللي كان مخليك فرحان من يومين هو نفس السبب اللي مزعلك دلوقت.

ارتسمت على شفتي يوسف ابتسامة مندهشة من فطنة صديقتة.

علياء: افهم من ابتسامتك دي ان انا كلامي مطبوط، وان فعلا فيه مشكلة بينك وبين مراتك، شوف يا يوسف انا مش عاوزه اتدخل في حياتك الشخصية، بس في نفس الوقت مش مستحيلة اشوفك كدة وافضل ساكتة، يا يوسف انا

ست واقدر افهم مريم ومشاعرها اكثر منك، فمممكن تقولي ايه اللي حصل؟ ومين عارف؟ مش جايز تلاقي عندي الحل؟

خدعه كلامها الذي لا يستطيع ان يشك أحد في صدقه، وبما انه بالفعل كان في حاجة للتحدث الى شخص ما اي كانت هويته، لذا فقد أخبرها بما حدث بينه وبين مريم، وبعد ان انتهى رأى ابتسامة تعلقو وجهها وسمعها تقول وفي صوتها نبرة سخرية: معقول! انت بتغير يا يوسف؟

يوسف: وليه لا؟ هي مش مراقي بردو ومن حقي اني اغير عليها؟

علياء: اه طبعا من حقتك، بس مش يوسف جلال يعني هو اللي يدخل في منافسة مع حد.

فقال يوسف نائرا: منافسة ايه يا علياء؟ ومين دة اللي ممكن ينافسني؟ كل الموضوع اني متضايق شوية لانها دايم بتحب تخالف اوامري.

علياء: مانت لازم كمان تراعي انها مش واخدة ع الكلام دة، ومش لازم يكون كلامك ليها على طول كله اوامر، جرى ايه يا يوسف؟ هو انا بردو اللي هقولك تعامل مراتك ازاى؟

يوسف: مش عارف يا علياء، هي دايم بتستفذي وتخليني اخرج عن شعوري.

علياء: لا يا يوسف، دة انت لازم تبقا اهدى من كدة معاها، ما تنساش انها لسة صغيرة واكيد مندفعة شوية، ودورك انت بقا تمتص غضبها واندفاعها دة بالمسايسة يا يوسف.

يوسف: يعني المفروض اني اعمل ايه؟

علياء: شوف، الستات في السن دة بيعحبوا الفسح والخروجات والهدايا والكلمة الحلوة. الا قولي انت اديتها الاسورة ولا لسة؟

يوسف: لا لسة، اللي حصل دة بوظ كل حاجة.

علياء: خلاص يبقىا تصلحها انت، انت لما تروح تقولها كلمتين حلوين كدة يخليها تنسى اللي حصل دة وبعدين تعزمها ع العشا برة في مكان رومانسي وسيب اختيار المكان دة عليا، وهناك بقا تديلهها الهدية. واكيد هي هتنسى كل حاجة وتبدأوا مع بعض صفحة جديدة.

كانت نظرات يوسف متشككة فسألته علياء: ايه يا يوسف؟ انت بتبصلي كدة ليه؟

يوسف: اصلي عاوز اعرف انتي بتعملي كدة ليه؟ معقولة انتي فعلا عاوزة علاقتي بمريم تتصلح.

علياء: وايه الغريب في كدة؟ يا يوسف اللي بيحب بجد بيتمنى انه يشوف الانسان اللي بيحبه دة سعيد حتى لو كان مع حد غيره. وكمان احنا اتفقنا اننا هنكون اصحاب، مش كدة؟

فأوما يوسف برأسه موافقا في حين نهضت علياء وهي تستأذن للرحيل: طيب همشي انا بقا واسيبك تشوف شغللك، بس ما تنساش اللي اتفقنا عليه وانا هحجزلكم ترابيزة في مطعم شيك وابلغك باسمه في التليفون، اتفقنا؟

فقال يوسف وهو يصافح اليد الممدودة له: اتفقنا.

جلست حياة بجوار مريم في كافتيريا الجامعة كعادتهما دائما، وكانت حياة تقول بجديفة معاتبة: لا، انتي فعلا غلطانة يا مريم في اللي عملتيه، وما كنش لازم تقولي كدة.

مريم وهي لا تزال تشعر بالغضب: انتي ما شوفتيش هو كان بيتكلم معايا ازاى، ولا كأني تلميذة بيأنبها على انها ما عملتش الواجب. وهو قاهالي كدة بنفسه، قال ان انا لسة طفلة. بقا انا طفلة يا حياة؟

فابتسمت حياة من طريقة صديقتها في التعبير، فهي حقا لاتزال طفلة مشاكسة، ولكن لحرصها الشديد على الا تجرحها، لم تشأ أن تقر بذلك الواقع، واتخذت اسلوب الحيلة: مش جايز طريقتك في التعامل معاه هي اللي بتخليه يصدق انك لسة طفلة؟

فقال مريم وهي تمط شفيتها بتكشيرة: وانا كنت بعمل ايه يعني؟

حياة: كفاية انك بتخالفني اوامر علي طول يا مريم، يعني طالما هو طلب منك انك ما تتعامليش مع استاذ خالد فانتى كان لازم تتجنبي اي موقف ممكن يجمعك بيه.

وعندما لاحظت ان صديقتها علي وشك الاحتجاج تابعت كلامها باسلوب اقناع جديد: يا حبيبتي انتى لازم تفهمي ان جوزك مش طلب منك كدة الا لانه بيغير عليكى، ومش عاوزك تكلمي راجل تاني غيره، ودة حقه.

مريم بعصبية: يوووووه، انتى كمان هتقولي حقه؟ طيب فين حقي انا بقا؟

حياة: قبل ما تطالي بحقك يا مريم فانتى لازم تقومي بواجبك الاول، يا بنتى الرجالة دول زي الاطفال اللي ممكن تزعلهم كلمة و تفرحهم مصاصة، والمصاصة دي بقا هي الحنية والرقعة بتوع الستات، صدقيني يا مريم دول سلاحين مفيش اي راجل يقدر يقاومهم.

فاندفعت مريم كعادتها وكان سؤالها المباغت: وياترى الاسلحة دي نفعت مع وليد؟

فقال حياة بصوت ملبئى بالالم وهي تتلع ريقها بصعوبة: يا مرم انا حياتى مع وليد مختلفة، وانتى عارفة كدة كويس، وليد مش قادر ينسى لحد دلوقت، وشكله كدة مش هينسى ابدا مهما عملت معاه، وليد بقا بيحس بنفور ناحيتى، وبقا واضح جدا انه صعب اوي يغير فكرته عني.

وضعت مريم كفها لتحتضن اصابع يد صديقتها وهي تشعر بالشفقة على حالها: انا اسفة يا حياة، ما كنتش اقصد.

فتبسمت حياة لتخفي مسحة الحزن التي سادت الموقف: يا ستي ولا يهملك، انا خلاص بدأت اتعود على حياتى معاه بالشكل دة، اما انتى بقا يا مريم فلازم تلحقي نفسك وحاوولي تحافظي على جوزك.

مريم بنبرة حزينة ساخرة: جوزي؟! جوزي ايه يا حياة؟ مانتى عارفة احنا تجوزنا ازاي؟ ولا انا ولا هو قادرين ننسى دة لحد دلوقت.

حياة: لسة اداك وقت تصلحي اللي حصل وتسدي الشرخ اللي بينكم، وخصوصا انى لاحظت ان يوسف بقا مهتم بيكي بشكل كبير، ودة مش معناه غير حاجة واحدة، انه بدأ يحبك يا مريم، وانتى بقا عليكى انك تكبري الحب دة وتحسسيه انه اد ايه هو مهم بالنسبالك وانك انتى كمان بتحببيه.

"بحبه" رددت مريم هذه الكلمة في عقلها وأخذت تتساءل هل هي بالفعل تحب يوسف؟ والاهم من ذلك هل هو ايضا يبادلها نفس الشعور؟

لم تكن تعلم سبب بكائها في تلك اللحظة بالذات، ولكنها فجأة شعرت بحاجة الى البكاء ووجدت عينيها تَهطل بالدموع وهي تجلس بمفردها على السرير في غرفة نومها وتدفن وجهها بين رجليها ولا تعلم مالذي دهاها؟ فكل ما كانت تفكر فيه الان هو حديثها مع مريم و نصائحها لها في حين انها هي التي كانت بحاجة الى النصائح. فهي رغم كل ما كان يفعله او يقوله لها لم تستطع ان تكرهه مع انها حاولت ان تفعل ذلك كثيرا، وحينما رأت ان قلبها لم يرضخ لرغباتها علمت في ذلك الوقت انها تحبه، بل تعشقه رغم علمها باستحالة ان يبادلها نفس الشعور او ع الاقل ان يتقبل وجودها في حياته، فهي ما زالت حتى الان تجهل سبب زواجه بها، ولكن كل تصرفاته معها تثبت انه لم يفعل ذلك الا بغرض الانتقام لقلبه الجريح. وهي الآن تتساءل الى متى سيستمر انتقامه؟ وماذا سيحدث بعدها؟ اسيقرر انها لم تعد جديرة بقربها منه فيطلقها؟ لا، فانها لن تتحمل بعدها عنه، فهي على استعداد لتحمل قسوته وسخريته الى مالا نهاية ولكن لتبقى بجانبه فقط.

سمعت طرقا خفيفا على الباب وبالطبع فلم يكن ذلك الطارق غيره، جففت دموعها بيديها في عجلة ولكنها بالطبع لم تستطع ان تخفي احمرارا عينيها، وبما انه لايجب ان تدعه ينتظر طويلا بالخارج حتى تغسل وجهها فدعته للدخول، وكان اول ما لاحظته فور دخوله هو عينيها الباكية ولكنه لم يعلق على الامر، بل قال بلهجة باردة: انا كنت هعمل لنفسي نسكافيه تشربي معايا؟

فاسرعت حياة تقول: مفيش داعي تعطل نفسك، روح انت كمل شغل وانا هعملنا احنا الاتنين.

فوافق وليد قبل ان يغادر الحجرة سريعا فانه لم يعتد ان يطيل البقاء في تلك الحجرة اكثر من اللازم.

دخلت حياة الحمام لتغسل وجهها اولاً وتداري اثار الدموع بعينيها ثم توجهت الى المطبخ لتعد النسكافيه ثم وضعت الكوبين على الصينية التي حملتها وخرجت بها اليه لتجده جالسا على كرسيه الدوار امام طاولة الرسم الخاصة به، وكان

منهما في احد الرسوم الهندسية، فوضعت حياة الصينية على طاولة صغيرة من الزجاج امام أريكة بالمكتب وأخذت احد الكوبين وقدمته لوليد: اتفضل.

فأخذ منها وليد الكوب وشكرها، ثم عادت حياة الى الطاولة مرة اخرى وحملت الكوب الخاص بها وهمت بالخروج الا انها سمعت صوته يناديها: حياة!
توقفت حياة ونظرت اليه: نعم؟

فأدار وليد كرسيه ليصبح مواجهها لها وهو يسأل: انتي رايجة فين؟

تعجبت حياة قليلا من سؤاله: راجعة اوضتي. ليه؟

وليد: يعني لو مش وراكي حاجة تعملها فمممكن تشربي النسكافيه بتاعك هنا معايا.

فقالت حياة وقد زادت دهشتها، فتلك هي المرة الاولى التي يبدي لها رغبته بصحبتها: اصلي مش عاوزة اعطلك.

وليد وقد نهض من مكانه وهو يرتشف من الكوب قليلا: لا مفيش عطلة ولا حاجة، انا اصلا محتاج راحة بعد اربع ساعات شغل متواصلة، اقعدني يا حياة.

فجلست حياة على الاريكة الوحيدة بالمكتب، وكانت تتوقع منه ان يجلس على كرسيه خلف المكتب ولكن لدهشتها الشديدة وجدته يجلس بجوارها على الاريكة، وساد الصمت المكان لدقائق، وقررت حياة ان تفتتح الحديث، فقالت وهي تحاول ان تبدي اهتمامها: هو ايه اللي انت كنت بت رسمه دة؟ معلى اصلي ما بفهمش خالص في الشغل الهندسي.

توقعت حياة انه اما ان يتجاهل الرد على سؤالها او انه سيحييها بسخريته اللاذعة التي تجعلها دائما تتجنب الحديث معه، ولكنها تشتاق كثيرا لصوته مهما كانت الكلمات الجارحة التي ينطق بها.

وفوجئت حياة بأنه قد أمسك يدها وأوقفها على قدميها وهو يقول بصوت ودود كانت قد افتقرت اليه معه: تعالي معايا.

وقادها وليد الى طاولة الرسم وقد انتابها الذهول عندما وجدته يشرح لها بصوت هادىء بعيدا عن الغضب او السخرية: دة مشروع سكاني ضخم، وهو اول مشروع تمسكه الشركة بتاعتي.

فسألته حياة وهي تحاول ان تتناسى رهبتها منه او من اثاره انفعاله: هو انت خلاص افتتحت الشركة وبدأت الشغل فيها؟

فرد وليد بابتسامة واسعة: وتفتكري انا كان ممكن افتتح الشركة من غير ما تعرفي؟ مش المفروض انك مراتي بردو؟

تجاهلت حياة سخريته في نطقه للجمله الاخيره، فقط لانها لا تريد ان تفسد الود السائد بينهما في تلك اللحظه، فسألته: امال مشروع ايه اللي بتتكلم عنه دة؟

وليد: دة مشروع يوسف رفضه لانه مشغول في مشاريع كتيرة ومش هتخلص دلوقت وصعب انه يقبل اي شغل تاني في الوقت الحاضر، فاقترح على صاحب المشروع ان شركتي هي اللي تاخده ودي بالنسبالي هتكون بداية ما كنتش احلم بيها بصراحة، دة غير ان خلاص مقر الشركة كلها يومين ويتشطب وبالكثير اوي على نهاية الاسبوع ان شاء الله هكون اخترت ال staff اللي هبشتغل معايا، والشركة هتكون جاهزة للافتتاح وساعتها هبكون الرسم خلص ونبدأ شغل على طول بعد موافقة صاحب المشروع. اه وعلى فكرة يوسف اقترح عليا ان حفلة افتتاح الشركة تتعمل في الفيلا توفيرا للمصاريف يعني وانا وافقت.

حياة: ربنا يوفقك.

وسادت لحظات صمت فيها اللسان لتتحدث العيون الى ان وليد قرر ان ينهي سحر تلك اللحظات وهو يوجه نظرها ناحية الرسم ويقول: شوفي بقا يا ستي هحاول اشركك الرسم دة وخلي بالك معايا.

حياة: ايوة بس انا مش بفهم اي حاجة في الهندسة.

وليد: يعني انتي كنتي اتولدتى اعلامية؟ كله بييجي بالتعليم، ركزي معايا بقا وانا هفهمك بالراحة.

لم تشأ حياة ان تعترض اكثر وتفقد لذة تلك اللحظات الممتعة برفقته، فأخذت تستمع اليه دون ان تستوعب كلمة مما يقول فانها لم تنتبه لشرحه حيث كان تفكيرها يتجه الى امر اخر، فقد كانت تتأمل ملامحه بكل تفاصيلها، وجهه، شعره،

عينيه، كل ذلك يزيد من جاذبيته ورجولته، انها بالفعل تحبه ولكن لا تجرؤ بالاعتراف بذلك أمامه فبالطبع يمكنها ان تتوقع اعتراضه ورفضه لها، وقد اكتفت فقط بتريد جملة واحدة بصمت: ليتني قابلتك قبل ان يحدث ما يفرقنا الان!

كانت وردة تجلس في فيلا عبد الرؤوف بعد ان سمح له الاطباء بالانتقال، فاستأذن من يوسف وعاد هو وابنته الى فيلته، وكان ماهر دائم التردد عليهما تقريبا بشكل يومي، وفي احدى زيارته اليهما وقد كان يجلس برفقة والدته بالاسفل بينما كان عبد الرؤوف يستريح في غرفته بالدور العلوي، كانت وردة تحمل في يدها فنجانا من القهوة وقالت له: طيب وانت عامل ايه يا حبيبي دلوقت.

ماهر: الحمد لله يا ماما بس ناقصني وجودك في حياتي.

ثم اكمل مازحا: بجد بقا وحشتني اوي المحكمة اللي كنتي بتنصيهالي كل يوم لما برجع متأخر، دة غير الاكل اللي كنتي بتغصيني عليه مع انك عارفة اني مش بحب الاكل البيتي نهائي اللي في حالات الطوارئ.

فتصنعت وردة الغضب وهي تقول: بقا كدة يا ماهر؟ ماشي اديني يا سيدي سيبنتك البيت عشان تعمل اللي عاجبك.

فأسرع ماهر، وقبل يديها: بجد وحشتيني اوي يا ماما، وانا مش قادر اتعود على بعدي عنك.

وردة ونظرات الحنان تطل من عينيها: وانت كمان يا ماهر وحشتني اوي، وبقيت بقلق عليك أكثر من الاول ولولا اني متأكدة ان باباك مش هيوافق وممكن كمان يعملها مشكلة انا كنت طلبت منك انك تيجي تعيش معايا هنا انا وجدك.

ماهر: مش هينفع يا ماما، وخصوصا دلوقت. بس ع العموم اطمني ابنك خلاص عقل وبقا ما يتخافش عليه.

وردة: بردو قلبي هيفضل واكلمي عليك لحد ما تريخي بقا وتختار بنت الحلال اللي تكمل حياتك معاها وتاخذ بالها منك وساعتها بقا هكون اطمنت فعلا.

ماهر بنبرة خاصة: قريب اوي يا ست الكل ان شاء الله.

وردة: ودة معناه ايه بقا؟ انت خلاص حطيت عنك على حد؟

ماهر: يعني، حاجة زي كدة.

وردة: طيب ممكن اعرف هي مين؟

ماهر: مش دلوقت يا ماما، ع الاقل لما اتأكد من مشاعرها ناحيتي.

وكانت وردة كأى ام ترى ابنها أفضل مخلوق في الوجود مهما كانت عيوبه، فهو بالنسبة لها خاليا من اي عيوب، فقالت: ودة اسمه كلام بردو؟ وهو فيه واحدة عاقلة في الدنيا تقدر ترفض واحد زيك شاب زي الورد معاه المال والحسب والنسب؟ دي تبقا اكيد اتجننت.

ماهر مبتسما: دة عشان بس انا ابنك يا ست الكل فلازم تقولي كدة، لكن مش لازم ان دة يكون رأي كل اللي يعرفوني.

فربتت وردة على كتفه بحنان: ربنا يسعدك يا ابني، و يقربلك البعيد.

فأمن ماهر على دعائها وهو يمضي النفس بتحقيقها، فلأول مرة قلبه يتعلق بفتاة ويخشى من ان يكون قد تعلق بسراب، فهو يرى الكثير من الحواجز التي تحول بينهما.

دخل يوسف حجرة مريم ليجدها تقرأ في احد الكتب فبعد ان ألقى عليها تحية المساء وردت عليه بالمثل سأها باهتمام: ايه اللي انتي بتقريه دة؟

مريم: دي رواية.

يوسف: عن ايه؟

شعرت مريم بالاحراج وهي تجيب: دي رواية رومانسية.

يوسف وقد زاد اهتمامه للأمر: رومانسية؟! غريبة يعني!

مريم: وهو ايه الغريب في كدة؟

يوسف: اصلي ما كنتش فاكر انك بتتهمي بالحاجات دي.

مريم بنيرة حزينة لائمة: حقيقي انا ما كنتش بهتم في الاول، بس بدأت اهتم دلوقت عشان اكبر وما افضلش طفلة زي

مانا، مش دة كان كلامك؟

جلس يوسف بجوارها على السرير وسألها: وانتي شايقة بقا ان قرابتك للروايات دي هي اللي هتكبرك؟

مريم: معرفش، اديني مجاول.

يوسف: طيب ممكن بقا تسيي الرواية اللي في ايدك دي وتقومي تلبسي؟

مريم وهي تسأله ببلاهة: ليه؟

يوسف: عشان هنخرج، انا عازمك النهاردة ع العشا برة، واعتبريه يا ستي عربون صلح وتكفير عن الكلام اللي قولته

في لحظة غضب.

ف نظرت مريم اليه باهتمام تحاول ان تستشف من تعابير وجهه ما اذا كان بالفعل صادقا في اعتذاره، ولكنها كالعادة

تعترف بجزيمتها امامه، فهي لا تستطيع فهمه مهما حاولت ، فلقد بدأت تشعر وكأنها بالفعل طفلة كما وصفها.

أخرجها يوسف من شرودها وهو يداعب شعرها الأحمر الطويل وسألها: ايه يا مريم؟ انتي مش عاوزة تخرجي معايا ولا

ايه؟

انها في المواقف العادية لا يمكنها ان ترفض له طلبا، فما بالك وهو يتحدث اليها بذلك الصوت الجذاب ذات النبرة

الرقية الساحرة؟

اجتمعت علياء بعماد في شقتها، وقد كانا يتناولان أحد المسكرات، فقالت علياء وهي تميل بدلال ناحيته: والله

ووحشتنا ايامك يا عمدة.

عماد: انتي اللي وحشتيني بجد يا لولا، عاملة ايه بقا في الشغل؟

علياء بتأفف: يوووووه، ودة وقت مناسب بردو نتكلم فيه عن الشغل؟ ع العموم يا سيدي اطمن خالص كله ماشي تمام وعال العال.

عماد: طيب نتكلم بقا عن اللي غير الشغل. قوليلي عملي ايه مع يوسف جلال؟

علياء بنظرة خبيثة: ودة سؤال تسأله للولا بردو؟ مانت عارفي ما فيش حاجة تصعب عليا حتى يوسف جلال نفسه تقدر تقول اني خلاص طويته تحت جناحي، وزمانه دلوقت واخذ المدام بتاعته وبيتعشوا في المطعم اللي انا حجزتله فيه.

عماد باعجاب: تمام اوي كدة. وجهزتي كل اللي اتفقنا عليه؟ وكلمتي صاحبتك؟

علياء: طبعاً، وهو انا بردو تفوتني حاجة زي دي؟

عماد: شاطرة يا لولا.

علياء: تلميذتك يا عمدة، وزى ما اتفقنا كلها شهر بالكثير وتلاقيه مطلق الست هانم بتاعته اللي فضلها عليا.

عماد: اللا بقولك ايه يا علياء، هي فعلاً مراته دي حلوة كدة زي ما بيقولوا عليها؟

فهمت علياء المغزى من سؤاله فقالت محذرة: لا، بقولك ايه يا عماد، احنا مش فاضيين للحاجات دي، خيلنا نشوف شغلنا احسن.

عماد: ماهي دي حلاوتها، ان احنا نعرف ازاى نستفيد من شغلنا دة بكل الطرق الممكنة.

علياء: ماشي يا سيدي، وانت بقا عملت ايه مع وليد؟ الواد دة رخم اوي وانا بصراحة مش بطيقه، اصل واخدها جد اوي ومحبكها اكر من اللازم، وممكن تتعب معاه.

فقال عماد بغرور: بس مش عليا يا ماما، هو خلاص بلع الطعم وقبل المشروع بتاعي دة غير انه كمان عازمني على حفلة الافتتاح بتاعة شركته يوم الجامعة الجاية، يعني تقدرني تقولي ان كلها شهر بالكثير وهطويه تحت جناحي بالظبط زي

مانتي عملي مع أخوه، وما تنسيش ان كل انسان ليه نقطة ضعف تقدري تدخوليله منها، ووليد دة بقا نقطة ضعفه شغله.

فقلت علياء بنبرة مليئة بالكراهة: ياللا، خليه يشربو بقا، وعشان احنا كمان نقدر نشوف شغلنا كويس.

فنهض وليد وهو يقول: اوك يا حبيبي، سلام بقا.

علياء: بدري كدة؟

عماد: مانت عارفة بقا يا حبيبي، انا بقيت راجل متجوز ولازم ارجع بدري عشان اتجنب السين والجيم.

علياء ساخرة: يا عيني عليك يا عمدة. وانت كان مالك ومال الجواز بس؟ مانت كنت عايش حياتك بالطول والعرض زي، ليه تكتف نفسك التكتيفة دي؟

عماد: اعمل ايه بقا؟ مانت عارفة انا راجل صاحب مزاج، و نهال دي من يوم ما عرفتها وانا مشدودها جامد وعاوز اوصلها بأي شكل، لكن بالرغم من كل عيوبها الا انا ما قدرتش اطولها من غير جواز.

علياء: طيب وانت ايه جابرك انك تفضل عايش معاها لحد دلوقت؟ ما تطلقها وتخلص.

عماد: للأسف مش هينفع. نهال بقت عارفة معظم اسرار شغلنا دة غير انا ساعات بحتاجها في الشغل الثاني بس من غير ما تعرف وكمان اهي واجهة ليا في الوسط الاجتماعي، مانت عارفة بقا، عماد بيه وحرمة. ياللا، سلام بقا يا قمر، وخلينا دائما على اتصال لو حصل اي جديد.

علياء: اوامرك يا برنس.

دخل عماد حجرة نومه على أطراف اصابعه حتى لا يزعج زوجته التي كانت تغط في النوم العميق، فهو يخشى ان تستيقظ فتلقي على اذنيه نفس الاسطوانة التي أصبح يحفظها عن ظهر قلب.

وجد عماد الحجرة غارقة في ظلام دامس، فلم يحاول ان يضغط زر الاضاءة وهو يخلع سترته، ولكنه أغمض عينيه فجأة حين سطع ضوء الحجرة في عينيه فجأة ووجد زوجته تجلس على السرير وهي تنظر اليه بغضب: ماهو بدري يا سي عماد.

عماد: نّمال! انا مش في مزاج يسمح اني اسمع منك اي كلمة تأنيب.

نّمال: طبعا، ماهو اكيد بعد السهرة اللي الله اعلم انت قضيتها مع مين، مش هتبقى طابق تبصلي حتى.

عماد وهو يحاول ان يسيطر على انفعاله: مفيش داعي للكلام دة يا علياء، انتي عارفاني كويس اوي قبل ما نتجوز، ووافقتي عليا وانا كدة، بيقا مش من حقك انك تشتكي.

نّمال: كنت فاكرة انك ممكن تتغير.

عماد: بيقا دي مشكلتك انتي، لان انا صعب اتغير، ودة اللي لازم تفهميه كويس اوي. ولازم تتعودي على الحياة معايا بالشكل دة.

نّمال: وانا ايه اللي يجبرني على كدة؟

عماد: حاجات كتير اوي، زي مثلا الشهرة اللي بقيتي بتتمتعني بيها وكلمة نّمال هانم اللي بتتقالك في كل مكان، والفلوس اللي من غير عدد وعمالة تصرفي فيها من غير حساب، والرحلات اللي بتعملها في اشهر اماكن في العالم، اعتقد ان كل دة يا نّمال يستاهل منك التضحية البسيطة دي.

لم تعلق نّمال بشيء، واكتفت بمشاهدته وهو يستلقي على السرير بجوارها قبل ان يقول: تصبحي على خير، وياريت تظفي النور عشان أعرف انام.

وأطفأت علياء الاضاءة لتغرق الغرفة في الظلام من جديد.

وأخذت مريم منه العلبة وأخرجت الاسورة و ظلت تتأملها وهي في اصابعها للحظات وقد زاد لمعانها في ضوء المطعم ذات الالوان المتعددة.

فمد يوسف يده ناحيتها وهويقول: تسمحيلي!؟

فهتمت مريم بالضبط ماذا يريد؟ فاعطته الاسورة، ومدت ذراعها الأيسر اليه، فقام يوسف بتثبيت الاسورة فيه، وكأي طفل يحصل على لعبة جديدة، أخذت مريم تتلمس الاسورة بيدها الاخرى وهي سعيدة باقتنائها فقط لأنها منه هو وحده.

أما يوسف فكان يتابعها في صمت وهو معجب بتلك الطريقة الطفولية التي تزيد من جاذبيتها و كذلك من انجذابه اليها.ولكنه قرر ان يشاكسها قليلا: واضح جدا انها عجبك، لدرجة انك نسيتيني انا شخصيا وانا قاعد ادامك. مريم بصراحتها المعهودة: حقيقي يا يوسف جميلة اوي.

يوسف بفخر: طبعا لازم تكون جميلة، مش انا اللي اشتريتها؟

فنظرت له مريم بغيظ، فقال يوسف: لالا بلاش التكشيرة دي ، النهاردة بقا انا مش عاوز اشوف غير الابتسامة وبس.مفهوم؟

مريم بانفعال: ماهو انت اللي بتستفذي.

يوسف بعيون ضاحكة: خلاص يا ستي مش هستفذك تاني، فين بقا الابتسامة الحلوة؟

فابتسمت مريم رغما عنها، فمن الواضح انه لا يزال يعتبرها كالطفلة وهذا يتضح حتى في طريقة مداعبته لها، ولكنها تفضل ذلك عن غضبه الذي يصعب التعامل معه.

وبينما وهما في غمرة سعادتهما جاءهما من الخلف صوت انثوي يقول: ايه دة معقولة؟ يوسف! انا مش قادرة اصدق! فينك من زمان وفين ايامك؟

استطاعت مريم ان تفهم من كلام تلك المرأة ونبرة صوتها وكذلك من ارتباك يوسف، بأنها كانت احدى عشيقاته القديمات، ولكنها حاولت ان تخفي ضيقها الشديد وخصوصا في حضور تلك السيدة، واكتفت بمراقبة زوجها الذي قد نهض ليسلم عليها بكل ود: ازيك يا سمر، عاملة ايه؟

سمر بدلال: يعني هو انت كنت بتسأل؟

حاول يوسف ان يتجاهل كلامها وقال وهو يشير الى مريم: اسمحيلي اقدمك مريم مراتي.

ثم اشار الى المرأة الاخرى وهو يكمل التعارف: ودي يا مريم سمر وهيب.

لاحظت مريم وهي تصافح تلك السيدة ذات اليد الباردة بأنه قد اكتفى بذكر اسمها فقط وتجنب ان يذكر مدى علاقته بها، فعلمت انه في حيرة من أمره، فماذا يمكنه ان يقول؟ هل يقول صديقتي ام عشيقتي؟

وعندها شعرت بالدموع الحارة تملأ عينيها ولكنها حاولت ان تخفيها خلف ابتسامتها الباهتة وهي تستمع الى تعليقات سمر ذات النبرة الساخرة التي بدا على يوسف بأنه لم يلاحظها: الف مبروك يا مدام، بجد برافو عليك انك عرفتي توقعيه، احنا عمرنا ما كنا نتوقع ان يوسف جلال ممكن يدخل القفص أبدا.

وكان يوسف هو من تولى الرد عليها محيطا كتف زوجته بذراعه: وليه بقا ما تقوليش ان انا اللي عرفت اوقعها؟ مريم دي جوهره، وانا فعلا محظوظ انها بقت ملكي أنا.

فأكدت سمر على كلامه بنفس سخريتها المبطنة: معاك حق يا يوسف، مراتك زي القمر، ربنا يسعدكم، اسمحولي بقا استأذن، شكلي كدة قطعت عليكم الجو الرومانسي الحلوة.

يوسف: طيب ما تقعدني تتعشي معانا.

سمر: لا يا سيدي، انا مستتية ناس عازميني هنا هروح استناهم على تراييزتنا، بتمنالكم سهرة سعيدة بقا.

وقبل ان تغادر قالت: يوسف ما تنساش تبقا تكلمني، اكيد انت لسة معاك رقمي، وانتي كمان يا مدام مريم.

فهزت مريم رأسها موافقة بينما قال لها يوسف: ان شاء الله.

وابتعدت سمير فجلس يوسف على كرسيه مرة أخرى وعندما لاحظ مسحة الحزن التي تكسو وجهها حاول تدارك الأمر واستعادة الجو الشعري الذي كان يسودهما قبل مجيء سمير، فقال بابتسامة ساحرة، ولكنها لم تؤثر على مريم هذه المرة:

قوليلي بقا يا مريم احنا كنا بنقول ايه قبل ما سمير تيجي؟

فقال مريم بنظرات حادة وصوت قاطع: يوسف! انا عاوزه اروح.

الفصل الرابع والعشرون :

مزيذا من الآلام

لم تعلم على من يمكنها أن تلقي باللوم؟ فهل ستلوم الظروف التي دائما ما تعترض طريق سعادتها معه وتبعدها أميالا كلما حاولا الاقتراب خطوة؟ أم تلوم هؤلاء الاشخاص الذين يظهرون غالبا من العدم ليعكرون صفو حياتهما؟ أم تلومه هو ذلك الشخص ذو الماضي الذي لا تستطيع أن تتقبله بكل مساوئه؟ أم انها توجه اللوم الى نفسها لأنها تعلقت بالشخص غير المناسب، رجل لا يمكنه ان يسلم قلبه بسهولة لأي امرأة حتى وإن كانت زوجته؟ هكذا قضت مريم ليلتها يجافيه النوم وهي تفكر في حل مناسب لمشاكلها التي تبدو معقدة جدا عندما يكون يوسف جلال طرفا فيها وتتساءل ما إذا كان هو الآخر يشغل نفسه بتلك الأمور؟ ويريد لعلاقتها النجاح أم أنها هي البلهاء الوحيدة التي تسعى وراء السراب؟

أقيم حفل افتتاح شركة **My Life** للمعمار الخاصة بوليد جلال في الفيلا كما كان متفقا عليه من قبل، وقد أعدت كل من مريم وحياء لهذا الحفل بكل دقة وترتيب حيث أخرجتاه في أكمل صورة. كان كل من وليد ويوسف يقومان بدور المضيف وقد تلقى وليد الكثير من التهاني والمباركات، ويوسف كذلك حيث كان البعض يعتقد ان تلك الشركة ما هي الا فرعا جديدا لشركة المعمار الأم وهذا باضبط ما كان يريده يوسف لأن اسم شركة المعمار سيضيف الكثير لأخيه في بداية طريقه. وكان الضيوف يتجمعون في حلقات حول بركة السباحة وكل منهم يتناقش مع الاخر فيما يتعلق بالعمل والصفقات المختلفة، فكعادة رجال الأعمال دائما يتصيدون كل فرصة مهما كانت صغيرة في القيام ببعض الأعمال التي تعود عليهم بالمزيد من الأرباح حتى في المناسبات الاجتماعية، فما بالك باحتفال أقيم خصيصا لهذا الغرض؟

كان الاخوان هما نجمي الحفل بوسامتهم وجاذبيتهم وكذلك ذكائهم في التعامل ولباقتهم في الحديث ينتقلان من حلقة إلى أخرى، ويقوم يوسف بتقديم أخيه إلى جميع رجال الأعمال والمهندسين مع كلمات المدح والإطراء التي لم يجد صعوبة في العثور عليها ليذكي بها شقيقه بل لنقل ابنه الكبير كما كان يعتبره.

ورغم غرابة الأجواء بالنسبة لكل من مريم وحياء الا انهما قد استطاعتا اثبات كفايتهما في ذلك المجال وقد تعرفنا خلال وقت قصير جدا على معظم الزوجات اللاتي حضرن الحفل وقد كانت النساء تعجبين من لباقتيهما وحسن ضيافتهما رغم صغر سنهما ويجذبهن حجابهما الجميل والأنيق والذي كانت تفتقر اليه الباقيات.

وفي الوقت الذي كانت تقف فيه حياة ومريم مع بعض النساء يتحدثون في بعض أمور ربوات البيوت التي لم تكن تشغل فكر تلك الأخيرة كثيرا لانهما كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصفة، جذب انتباه مريم تلك المرأة التي اقتحمت فجأة الفصل التي كان بها زوجها، هذه المرأة التي تتذكر جيدا مدى أنوثتها وجاذبيتها فإنها بالطبع لم تكن سوى علياء! لاحظت مريم من بعيد رغم انها لم تسمع حديثها معهم إلا أن جميع الرجال قد تقبلنها في حلقتهم بكل بساطة وكان ذلك واضحا تماما من تلك الضحكات التي استطاعت سماعها جيدا من مكانها ذلك، لاحظت حياة انشغال صديقتها بأمر ما كما شعرت بتغيير تعابير وجهها فوجهت عينها إلى حيث كانت تنظر مريم لتعلم السبب وراء تجهمها ذلك، فهمست اليها دون أن يلاحظ أحد بذكائها المعهود: أكيد دي علياء.

هزت مريم رأسها بشكل تلقائي مؤكدة تخمين صديقتها التي استمرت تقول: شكلها كدة مش سهل خالص.

ومرة أخرى تهمز مريم رأسها بعفوية مؤكدة على كلام حياة وهي تشعر بنيران تتأجج في صدرها كما انها شعرت أيضا برغبة ملحة في الذهاب الى علياء وطردها من المكان أمام الجميع ولكن منعها من ذلك حرصها الشديد ان تبدو بمظهر الضيفة الودودة أمام الجميع عامة وأن تبدو بمظهر الزوجة الذكية الحريصة على مصلحة زوجها أمام يوسف خاصة، سمعت حياة تقول لها مشجعة: يمكن صحيح تكون منافسة قوية لكن انتي بردو لسة أدامك الفرصة انك تحافظي على جوزك وتحميه.

حادت مريم بنظرها بعيدا عن المكان الذي كانت تقف فيه علياء وهي تميل إلى زوجها وتهمس له ببضعة كلمات تجعله يضحك بصوت عال أما هي فتبتسم ناظرة اليها بتحد واضح دون أن يراها أحد، ولأول مرة استطاعت مريم أن تعترف لنفسها على الأقل بأنها كانت تشعر بالغيرة من علياء ومن سحر ومن أي امرأة أخرى تقترب من زوجها ولكنها حاولت جاهدة أن تبدو هادئة وهي ترد على حياة قبل أن تنسحب من بين تلك المجموعة بثبات وهي ترسم على شفثيها ابتسامة زائفة وكأن الأمر لا يعينها: ومين قالك ان انا عاوزه أعمل كدة؟ الموضوع مش فارق معايا أصلا، يعملوا اللي هما عاوزينه.

تغيبت مريم لفترة عن الحفل، حيث دخلت الفيلا وجلست وحدها على أحد الكراسي في الصالون لتنفرد بنفسها قليلا بعيدا عن يوسف وبعيدا عن علياء وعن كل من يمكنه أن يزعجها. فلقد اكتشفت لتوها أنها تغير عليه وقد شعرت بأن تلك الغيرة تقتلها في أكثر من موقف. فهل الغيرة هي دليل الحب كما يقول البعض!؟

: أنصحك بلاش.

انها هي نفس نبرة الصوت التي أصبحت تزعجها كثيرا، لذلك لم تفاجيء مريم كثيرا عندما نظرت خلفها لتجد علياء ترمقها بنظرات متكبرة أغطتها كثيرا ولكنها قررت ألا تسمح لتلك المرأة باستفزازها فنهضت وهي تقول بابتسامة حاولت أن تحمل بها الكثير من الود الذي لا تشعر به تجاه هذه المرأة وتقول: اهلا مدام علياء، أي خدمة ممكن أقدمها لحضرتك؟

بدأ أن كلامها لم يرق لعلياء، فقالت وهي تتقدم لتجلس على أحد الكراسي واضعة قدما فوق الاخرى بكل تعالي وكبرياء: بصراحة أنا اللي جاية أقدملك خدمة عمرك يا مريم، تسمحي أقولك مريم كدة من غير ألقاب؟

تجاهلت مريم السؤال الأخير لأنها بداخلها لا تريد رفع الألقاب بينها وبين تلك المرأة، فذلك لا يحدث سوى بين الأصدقاء وعلاقتها بعلياء بعيدة كل البعد عن الصداقة، وحاولت أن تتحلى بالهدوء وهي تجلس قبالتها وتسألها: الحقيقة مش فاهمة، ياترى ايه هي الخدمة اللي ممكن تقدميها لي؟

علياء: أنا جاية عشان أجابك ع السؤال اللي محيرك لحد دلوقت وانتي مش لاقية له أي إجابة مناسبة.

مريم بدهشة: سؤال ايه؟

علياء: هو يوسف اتجوزك ليه؟ مش دة هو السؤال اللي مطير النوم من عينك؟

حاولت مريم أن تحافظ على هدوءها قدر المستطاع رغم البركان الذي كان تفجر بداخلها بسبب تدخل تلك السيدة في حياتها بهذا الشكل الغير لائق، ولكنها لم ترد أن تكون فظة في حديثها معها وهي تقول لها: والله أعتقد ان دي حاجة ما تخصص حضرتك.

لاحظت مريم أن كلامها قد أغضب علياء بعض الشيء وظهر ذلك جليا في نبرة صوتها التي ارتفعت قليلا وهي تقول بحدة: انتي غلطانة يا مريم، لان الموضوع دة يخصني زي ما هو يخصك.

مريم: ودة يخص حضرتك في ايه بقا؟

علياء: يخصني لأن يوسف دة بتاعي، ملكي انا يا مريم، ومش هسمح لأي واحدة تاني انها تاخده مني، انتي فاهمة؟

لم تندهش مريم من معنى كلامها بقدر ما اندهشت من جرأتها وهي تتفوه به، ولكن ما زالت مريم تحافظ على هدوءها وهي تقول: المرادي بقا انتي اللي غلطانة يا مدام علياء، لانك واضح جدا انك نسييتي ان يوسف دة بقا جوزي انا.

وبعكس توقعاتها سمعتها مريم تضحك بصوت عال يكاد يصم أذنيها، ثم قالت ساخرة: أي جواز دة اللي بتتكلمي عنه؟ قصدك يعني ع العقد دة اللي بينك وبينه واللي سهل أوي انه يتلغي في أي وقت؟

إذن فهي تعلم كل شيء! ومن الواضح أن يوسف هو من أخبرها به، وقد كانت تلك الحقيقة هي ما صدمتها كثيرا، ولكنها لم تعلق بشيء، مما سمح لعلياء بالاستمرار في حديثها بطريقتها المستفزة التي أصبحت لا تطاق مؤكدة شكوكها: ما تستغريش أوي كدة، انا يوسف عمره ما بيخبي عليا حاجة، احنا أصدقاء من زمان وفاهمين بعض أوي عشان كدة بقولك ان انا كنت أكثر واحدة جديرة بيه.

استطاعت مريم بصعوبة أن تداري نبرة الحزن في صوتها ليبدو ثابتا وهي تقول: لو كان صحيح اللي انتي بتقوليه دة، يبقا ليه ما فكرش انه يتجوزك؟

اكتسب صوت علياء الكثير من الحقد وهي تجيب: عشان جيتي انتي وجدك ووقفنوا بيني وبينه.

مريم: ازاي؟

علياء: صحيح انا صاحبة سلسلة بوتيكات مشهورة، بس مهما كان بردو اللي عندي أقل بكثير من ثروة جدك عبدالرءوف دة غير الشراكة اللي بتجمع بين شركة يوسف وشركة جدك، واللي ممكن بكل سهولة تتحل لو بعد الشر يعني جدك مات، ودة طبعا هيسبب خسارة كبيرة ليوسف، عشان كدة كان محتاج نوع معين من الضمان يضمن بيه مستقبل شركته، وانتي بقا يا مريم كنتي الضمان دة.

مريم: انا!

علياء: طبعاً، مش انتي أحد الورثا، دة غير كمان ان ليكي النصيب الكبير في ثروة جدك، ويوسف بجوازة منك هيبقا من السهل عليه انه يتحكم في نصيبك وبكدة تفضل الشراكة مستمرة او على الأقل حتى لو اتفكت مش هيكون خسر كثير، بالعكس طبعاً ميراثك لوحده هيبقا أكبر مكسب ليه في صفقة جوازكم.

بمتت مريم لسماعها هذا الكلام عن حقيقة جوازها بيوسف، أيمن لهذا الشخص الذي اعتقدت بأنها أصبحت تعرفه جيداً يكون بتلك الوضاعة والانتهازية التي تصورها لها علياء؟ لكن ما زال هناك جزء من عقلها يرفض تصديق ذلك فمهما كانت عيوب يوسف كثيرة الا انها لا يمكنها أن تتخيله أبداً ذلك الشخص الذي لا يحركه سوى الطمع، وبدا أن علياء قد شعرت بمدى الحيرة التي قد استولت عليها، فأصبح صوتها يحمل بعض الود وهي تقول: أنا عارفة يا مريم ان صعب أوي تصدقيني، وانك يمكن كمان تكووني اتعلقتي بيوسف لدرجة انه بقا مستحيل عليك تصدقني عنه حاجة زي كدة، بس أنا بقا عندي الدليل على كل كلمة قولتها لك.

فانتبهت مريم اليها بكل حواسها وعينيها مليئة بالتساؤل، ولم تجعلها علياء تنتظر كثيراً، فأخرجت هاتفها من حقيبة يدها وضغطت على بعض أزراره ومريم تنظر اليها بعيون جامدة وأعصاب مشدودة وسمعتها تقول: اللي هسمعهولك دلوقت تسجيل صغير لكلام يوسف بنفسه.

وفجأة سمعت مريم صوت زوجها الذي لا يمكن أن تخطئه أبداً يتردد عبر الهاتف وهو يقول: علياء . كل اللي انا عاوزك تفهميه كويس ان الجوازة دي كانت جوازة مصلحة، يعني تقدرني تسميها صفقة مش أكثر.

علياء بعدم تصديق: صفقة! وعاوزني انا اصدق الكلام دة!

يوسف: تصدقني أو لا دي مشكلتك مش مشكلتي ، بس انا اللي عندي قلته.

علياء: بس يا يوسف انا اللي اعرفه بقا ان كل صفقة بيبقا ليها ميعاد محدد تنتهي فيه، يا ترى انت بقا جوازك من النوع دة ولا من نوع الى الابد الى الابد؟!

يوسف: انتي كدة بدأتي تفهميني، انا فعلاً ناوي انهي جوازي بعد فترة، بس لما يحصل اللي انا عاوزه الأول.

وأغلقت علياء التسجيل وهي تعلق بنبرة حزينة مصطنعة: للأسف موبايلى جه لحد هنا وفصل شحن، بس طبعا انتي تقدرى تستنتجى الباقي، ومش محتاجة أقولك هو ايه اللي يوسف كان مستنيه يحصل عشان يطلقك، طبعا كان يقصد انه لما يحط ايده الأول على كل ممتلكاتك وميراثك.

بدت مريم عاجزة عن الكلام وهي تنظر الى الفراغ والدموع تتجمع في عينيها اثر الكلام الذي سمعته، فأكملت علياء وهي تقترب من مريم بخطوات ثابتة مواسية: انا اسفة يا مريم، انا عارفة ان الكلام اللي انتي سمعته جرحك اوي بس أعتقد ان دة أفضل بكثير من انك تفضلي مخدوعة على طول، وكمان عشان تقدرى بعد كدة انك تتحكمي في مشاعرك من ناحيته، لأن يوسف دة لا بتاع حب ولا جواز، يوسف الحاجة الوحيدة اللي ممكن تحركه هي المصلحة، و أنا عارفة كويس انه بعد ما يطلقك هيلقي مصلحته معايا، وهترجع علاقتنا زي ما كانت في الأول.

مريم وهي تحاول أن تخفي نبرة الاحتقار التي تخللت صوتها: وانتي ازاي هتقبلي ترجعيله تاني وانتي عارفة كل الكلام دة؟ فابتسمت علياء بشيطانية وهي تجيب: أولا يوسف مش هيرجعلي ولا حاجة، لأنه وبكل بساطة هو أصلا ما سابنيش، وعلاقتنا زي الأول ويمكن أحسن كمان، ثانيا بقا أن كل الكلام دة مش هيفرق معايا كثير لأن زي ما يوسف مصلحته معايا أنا كمان مصلحتي معاه، يعني الصفقة اللي هتبقا بينا هيبقا فيها مكسب للطرفين بعكسك انتي تماما.

أحست مريم بأنها قد تلقت طعنة قاتلة في قلبها ولكنها استطاعت أن تتغلب على دموعها الحارقة وبعد مجهود كبير استطاعت أن تخرج صوتها من جديد بعد أن كانت ظنت أنها ستعجز عن الكلام ومع أنه كان صوتا ضعيفا مرهقا ولكن استطاعت أن توقف به علياء في مكانها بعد أن كانت تستعد للرحيل: لو سمحتي سؤال أخير.

أكتفت علياء بنظرات الترقب ناحية مريم التي قالت: انتي ايه اللي خلاكي تيجي دلوقت وتقوليلي كل الكلام دة؟ يعني بمعنى أصح ليه ما استنتيش لما يوسف ينفذ خطته وبعدين تتجوزوا زي ما كنتم متفقين؟

وكأها كانت تتوقع السؤال، فأجابت بكل بساطة وتلقائية: لأن زي ما قولتي، دي كانت خطة يوسف مش خطتي وأنا وافقته بس عليها عشان أرضيه على أمل، سوري يعني، ان جدك لا قدر الله يموت في العملية اللي كان هيعملها، لكن دة ما حصلش ولما حسيت ان الفترة اللي كنا متفقين عليها ممكن تطول أو ان يوسف ممكن يغير رأيه.....

وقبل أن تكمل جملتها سألتها مريم بقلق: يغير رأيه ازاي يعني؟ قصدك انه يخطط انه يقتل جدو عبدالرءوف بنفسه؟

فابتسمت علياء ابتسامتها الكريهة وهي تنفي بكل تأكيد: لا طبعاً، يوسف مهما كان يبحب مصلحته الا ان عمره ما هيفكر في القتل، بس كان ممكن يعمل تغيير بسيط في الخطة بتاعته، يعني بدل ما كان جوازكم مزيف ولفترة محدودة فممكن يخليه جواز حقيقي و اهو كدة كدة كسبان من كل ناحية يعني بما ان عبدالرءوف بيه بقا بيتق فيه أكثر من أي حد فسهل أوي انه يخليه المتحكم الاساسي في كل أملاكه زي ماهو تقريبا عامله دلوقت وأهو بالمره يبقا واخذ عروسة فوق البيعة.

وعندما رأت نظرات مريم الغاضبة التي تشتعل نارا متجهة ناحيتها علمت أنها قد تمادت في استفذاها، فقررت أن تصحح هذا الخطأ فوراً فاستطردت حديثها قائلة باعتذار: انا اسفة ما كنتش أقصد، بس يوسف جلال انتي ممكن تتوقعي منه أي حاجة، لأن محدش يقدر يعرف اللي في دماغه.

فهزت مريم رأسها وكأنها تؤكد على كلامها فابتسمت علياء ابتسامه انتصار لم تلحظها مريم، وأكملت علياء وهي تم بمغادرة المكان بنبرة مستكينة هادئة وكأنها تتوسلها: مريم! انا كل اللي بطلبه منك هو يوسف.

وعندما رأت نظرات الشك في عينيها أكملت: ما تستغريش، انا للأسف برغم كل عيوبه الا اني فعلا بجه وهو دة اللي خلاني جيتلك هنا واعترفلك بكل اللي حصل، انا بجد لو يوسف ضاع مني مش عارفة ممكن يحصلي ايه؟ سيبه يا مريم لأنك بكل بساطة مش هتقدري تتعاملي معاه ولا هتقدري تعيشه في دينته اللي هو عملها لنفسه، انتي مهما حاولتي تقربي منه هتفضلني بردو بعيدة وغريبة عن حياته، وقبل ما امشي ليا طلب أخير، ياريت يوسف ما يعرفش اني كلمتك في أي حاجة ولا يعرف كمان انك اكتشفتي حقيقته لأن لا أنا ولا انتي هنقدر نستحمل عقابه. عن اذنك.

وغادرت علياء بعد أن فجرت قنبلتها لتحرق كل من حولها وأولهم مريم تلك الصغيرة التي أصبحت تشعر بالضياح ومدى سذاجتها عندما تخيلت في بعض الأوقات بأنها استطاعت أن تجذب إليها يوسف أو تقربه منها ولو قليلاً، بل كان كل ذلك مجرد خدعة كان هدفه الوحيد من ورائها هو ثروة جدها. لم تعلم مريم كيف يمكنها أن تتصرف معه بعد الآن؟ بل كيف يمكنها أن تلتقي به دون أن تلقي في وجهه سلسلة من الاتهامات بناء على ما اكتشفته وسمعته بأذنيها؟

وظلت هكذا واجمة لبعض الوقت حتى أتها بعض الأصوات من الخارج، فتذكرت الحفل الذي كانت قد تغيبت عنه كثيراً، وبعد أن كانت قد قررت أن تصعد الى غرفتها حيث لم يعد لديها الرغبة في رؤية أحد أو الدخول في أي نقاش الا

أنها عدلت عن رأيها أخيرا لأنها لا تريد أن يلحظ أحد تغييرها حيث أعتزمت أن تخفي الأمر عن الجميع وخصوصا هو الى أن تكشفه أمام جدها أولا ثم باقي الناس ممن يكون له كل احترام وتقدير.

نعود مرة أخرى الى الحفل لنجد هدى تقف بعيدا منبهرة بكل ما تراه من أجواء و ثياب لم ترى مثيلا لها الا على شاشات التلفاز أو اغلفة المجلات.

وبالطبع لم يبد أحد أي اهتمام بتلك الطفلة الصغيرة ذات الشعر العجري الطويل التي تبدو لكل من يراها للمرة الأولى حادة الطباع كما لم يعلم عنها أحد سوى أنها قريبة صاحب الحفل، لذا فنجد أن الجميع قد تجنب الاحتكاك بها وقد ساعدتهم هي في ذلك حيث تجنبت هي أيضا الاشتراك في أي حديث فهي تجهل هوية الجميع، واكتفت بالمشاهدة من بعيد.

: مساء الخير .

فاجأها الصوت في البداية الى أن علمت صاحبه فابتسمت مرحبة: مساء النور، بس انت مش ملاحظ ان دي تاني مرة تخضني فيها؟

ماهر بابتسامه مشاكسة: اعملك ايه بقا؟ مانتي السبب. على طول مش مركزة، بس ممكن أسألك يا ترى المرادي مشغولة بايه؟

هدى بدون اهتمام: ابدأ، بتفرج.

ماهر: ويا ترى عجبك السيرك؟

شعرت هدى بالاهانة لسخريته فاحمرت وجنتاها غضبا وقد لاحظ هو ذلك فازدادت ابتسامته اتساعا مما جعلها تقرر أن ترد له الصاع صاعين فردت مراوغة: أكثر حاجة عجبتي هي القروود اللي فيه.

وبالطبع كان ماهر من الذكاء ليعلم بأنها تقصده هو بهذه الكلمة ولكنه لم يبد عليه الضيق الشديد بل كانت مجرد تقطيع بسيطة على جبينه وقرر بعدها تغيير موضوع حديثهما فسألها: قوليلي بقا، عاملة ايه في دراستك؟

فردت هدى بارتياح بعد أن قد سجلت نقطة في صالحها حيث نجحت في استفذاذه هي أيضا: عادي. كلها دراسة.

ماهر: أفهم من كدة انك مش حابة دراستك في كلية الاعلام؟

هدى: مش بالظبط، بس مش فارقة معايا كتير. انا كان هدفي اني ادخل الجامعة وأكمل تعليمي وخلص، ومش شرط بقا في كلية معينة.

ماهر متعجبا: ازاي يعني؟! يعني انتي مش ناوية تشتغلي بعد ما تتخرجي؟

هدى بسخرية: لا طبعا، انا ناوية اتجوز وأقعد في البيت أربي العيال.

ماهر: انتي بتتريقي؟

هدى: أكيد طبعا بتريقي؟ أنا يمكن صحيح دخلت الكلية دي كتحتدي ومش عن اقتناع أوي الا اني مش بحب أفشل في أي حاجة بعملها وأكيد بعد ما اتخرج ناوية أشتغل. هو انت مش مؤمن بعمل المرأة ولا ايه؟

لم يعلم ماهر بم يمكنه أن يجيب سؤالها؟ فقد كان حريصا كل الحرص على ألا يثير غضبها ففكر قليلا في أحد الحلول الوسطية ولكنه في النهاية قرر أن يقول الصدق: في الحقيقة لا، انا عن نفسي شايف ان عمل المرأة الحقيقي في بيتها مع جوزها و اولادها.

هدى باستياء: بقا موضه قديمة أوي الكلام دة.

ماهر مداعبا: طيب مانا ممكن أجدد نفسي، اعملي انتي بس أب تو ديت كدة وأنتي هتلاقيني أحدث موديل.

فابتسمت هدى وكان الخجل يشوب ابتسامتها الصافية، ثم قال لها ماهر بكلمات مترددة: هدى! هو أنا ممكن أسألك

سؤال؟

أجابتة هدى بجزة خفيفة من رأسها، فكان سؤاله المفاجيء: أنا على حسب علمي انك انتي ووليد كنتم شبه مخطوبين، فياترى انتي لسة بتفكري فيه دلوقت؟

رأى ملامحها قد تبدلت لتعبر عن الامتعاض الشديد وقد انتظر أن تخبره بأن ذلك ليس من شأنه ولا يحق له التدخل في هذا الأمر ولكنه سمعها تقول بعفوية وكأنها كانت بحاجة إلى من تتحدث إليه بتلك الحرية، شخص ليس من حقه انتقادها أيا كان ما ستقوله له: ما اكذبش عليك و أقولك اني نسيت اللي حصل وإن بجوازه من حياة أهني إهانة كبيرة، لكن مش حاسة أوي اني خسرت كثير لما خسرتة.

فظهر شبح ابتسامة على محياه وهو يقول: دة معناه انك ما كنتيش بتحبيه أصلا.

هدى: الحقيقة مش عارفة، أنا كل اللي أعرفه اني من يوم ما وعيت ع الدنيا وأنا بسمعهم يقولوا ان وليد وهدى مخطوبين واننا من نصيب بعض لحد مانا خلاص بقيت بتعامل ع الأساس دة بالرغم من ان وليد نفسه عمره ما حسسني ان الموضوع مهم أوي بالنسباله زي ما كنت بعتبره مهم بالنسبالي.

ماهر: يعني لو اتقدملك دلوقت واحد مناسب شايف انه هيقدر يسعدك ممكن توافقي عليه؟

شعرت هدى بالاحمرار يغزو وجهها عندما فهمت أنه يعني نفسه وحاولت الهروب من نظرات عينيه التي تطالبها بالاجابة على سؤاله، ولم تجد هدى من ينقذها من هذا الموقف المخرج غير صوت حياة التي ظهرت فجأة أمامهما تقول لهما برفق: السلام عليكم.

وانتظرت حتى رد الاثنان السلام ، وقال لها ماهر بينما أشاحت هدى بوجهها عنها: اهلا مدام حياة، الحقيقة أنا بجبي حضرتك على التنظيم الرائع دة للحفلة.

حياة: متشكرة ليك جدا يا استاذ ماهر بس الحقيقة انا جيت عشان أقولكم ان وقفتم كدة بعيد لوحكم مش كويسة أوي دة حتى وليد لاحظ كدة وهو اللي بعنتي.

وقبل أن يرد ماهر كانت هدى أسرع منه بنبرة حادة غاضبة: وانتم بقا مالكم ومالي؟ انا اعمل اللي انا عاوزاه، وما افتكرش ان حد عينكم أوصيا عليا سواء انتي أو جوزك.

شعر ماهر بخرج حياة فحاول أن يتدخل لمعالجة الأمر بصوت هادىء معذرا: أنا آسف يا مدام حياة، حضرتك معاكي حق بس احنا مش بنتكلم في أسرار يعني دة غير اننا مش بعيد أوي للدرجة.

فاتجهت هدى بغضبها اليه: انت كمان بتعتذرلها؟ هي مش ليها حق تتدخل في حياتي، انتي فاهم، مفيش أي حد من حقه انه يتدخل في حياتي مش كفاية انك أخذتي وليد؟ عاوزه تاخدي مين تاني؟

ثم ركضت إلى داخل الفيلا وهي في قمة غضبها تتبعها نظرات حياة المليئة بالشفقة، وتابع ماهر اعتذاره لها: ياريت حضرتك ما تاخديش على كلامها، هي أكيد ما كانتش تقصد.

بالطبع لم تكن حياة بهذا الغباء لتلوم هدى على ما تفوهت به في لحظة غضب بل إنها أعطتها كل الحق فيما قالت وتمنت لو تستطيع في تلك اللحظة أن تخبرها بحقيقة زواجها من وليد وتخبرها أيضا بأنها تتعذب في قريها منه كما تتعذب هي في بعدها عنه.

وفي مكان آخر، كان يوسف يسمح المكان كله بعينيه وكأنه يبحث عن شخص ما، حتى فوجيء بعلياء تقف أمامه وتقول له بابتسامة ودلال: يا ترى بتدور على مين؟

يوسف: بدور على مريم، اديلي فترة مش شايفها، متعرفيش هي فين؟

فكذبت علياء وقالت: لا يا سيدي ما شفتهاش، وتسمحلي بقا أمشي وأسيبك تدور براحتك؟

يوسف: بدري كدة!؟

علياء: تقول ايه بقا، أصلي بقيت بنام بدري تقدر تقول كدة اني بحاول أتعود على حياة الزوجية.

فضحك يوسف وهو يقول: مفتكرش انك هتنجحي.

فمطت علياء شفيتها باستياء وهي تقول: أديني بحاول يا سيدي، وما تنساش بقا انت معزوم عندي يوم الخميس زي ما اتفقنا، وعلى فكرة انا عزمت مريم بس هي قالتلي ان ملهاش في نوع الحفلات بتاعتي، شكلها كدة واخدة على الحفلات الأوردجي اللي زي دي.

يوسف: طيب ما تعفيني أنا كمان.

تظاهرت علياء بالحزن الشديد وهي تقول: أخص عليك يا يوسف، بجد هزعل أوي لو اعتذرت انت كمان، مش كفاية مراتك يعني؟

ولأنه كان من غير اللائق أن يرفض دعوة كهذه لذا قال بدون حماس يذكر: خلاص، ان شاء الله هاجي.

علياء بسعادة بالغة دفعتها إلى أن تمسك يديه وتضغط عليها بامتنان: أنا كنت متأكدة بانك مش ممكن تكسفيني يا يوسف، وخصوصا انك عارف ان أد ايه حضورك مهم بالنسبالي، هستناك بقا ما تنساش، ياللا سلام.

ثم غادرت علياء المكان ويوسف يشيعها بعينيه ولم يعلم أن هناك عينان أخريان تتابعاه من بعيد، وبالطبع لم تكن سوى عيني مريم التي لم يعد لديها أدنى شك في صحة ما قالته علياء.

انتهى الحفل وعادت كل من حياة و وليد إلى شقتهم بعد أن رفض هذا الأخير دعوة أخيه لقضاء تلك الليلة في الفيلا، كان كل منهما يشعر بارهاق شديد بعد هذا اليوم الطويل المليء بالعمل المتواصل والمجاملات التي لم تنقطع، وقد شعرت حياة بحاجة شديدة إلى أخذ قسطا من الراحة فقالت وهي تتوجه الى حجرة نومها: تصبح على خير.

ولكن أوقفها صوت وليد الهادىء: حياة!

وعندما التقت عيناهما تابع قائلا بكل صدق: أنا متشكر أوي.

حياة: على إيه؟

وليد: على الحفلة، الحقيقة كانت بجد هايلة، وكل المعازيم مشيوا وهم بيشكروا في التنظيم والجو الجميل اللي كنتي عاملاه انتي ومريم.

وعندما لمحت نظرات الاعجاب في عينيه التي أثبتت لها كم كان هو صادقا في شعوره بالامتنان لها وردت وهي تشعر بالارتباك: انا ما عملتش غير واجبي.

فرأته يتسم وهو يقول لها بلهجة غامضة: ويا ترى بقا أنا ممكن أطمع في انك تكلمي واجبك دة؟

أسأت حياة فهمه في البداية لذلك شعرت بوجنتيها تحمران خجلا وهي تدعي عدم الفهم: قصدك ايه؟

وجدته يتحدث بجدية مطلقة وبأسلوب عملي: الحقيقة أنا بفكر أعمل حفلة صغيرة هنا في الشقة هعزم فيها طبعاً يوسف ومريم وهدى وكام واحد كدة من رجال الأعمال اللي ظروفهم ما سمحتش انهم يحضروا حفلة النهاردة. انتي ايه رأيك؟

حاولت حياة أن تخفي خيبة أملها وهي تبتسم وتقول: اوك، مفيش مانع، تحب تكون امتي؟

وليد: انا بقول خير البر عاجله ونعملها بعد بكرة، دة مناسب بالنسبالك؟

حياة: اه، مناسب ان شاء الله، بس يبقا قولي ع العدد كله اللي هيبجي أول ما تحدد.

وليد: اوك، روحي نامي بقا عشان شكلك تعبانة أوي، تصبحي على خير.

مازال يعاملها بنفس الجفاء ذاته، ولكنها التمتست فيه بعض اللين عن ذي قبل لعل ذلك يشير إلى أن هناك أمل ولو ضئيل في استجابته لنداء قلبها الصامت في يوم ما.

اختلفت ضحكاتهما معا وهي تتعالى شيئاً فشيئاً وهما يجلسان معا في شقة علياء حيث قال لها عماد بنظرات مليئة بالاعجاب: دة انتي مش ليكي حل، دة الشيطان نفسه يقولك يا أستاذة.

علياء بدلال: تلميذتك يا أستاذ.

عماد: بس تلميذة متفوقة، صحيح واضح أوي انك اخترتي الوقت المناسب اللي تضربي فيه ضربتك.

علياء: لا بصراحة بقا الفضل في الموضوع دة يرجع لماهر هو اللي خلاني أستنى لحد ما يبجي الوقت المناسب، انا كنت هستعجل وأبين التسجيل قبل دلوقت بكتير بس هو قالي انه ما كنش هيبقا ليه مفعول جامد طالما لسة بينهم عداوة،

لكن لما شفت نظرات الغيرة النهاردة في عين مريم وهي بتبصلي وأنا بكلمه عرفت ان دة هو الوقت المناسب، وفعلا كلامي ليها مع التسجيل اللي بصوت يوسف كان ليهم مفعول السحر عليها ولسة.

عماد: انا خلاص بقيت معتمد عليك في الموضوع دة.

علياء: اطمئن، انا زيك بالظبط عاوزاهم يتطلقوا النهاردة قبل بكرة عشان ع الأقل أشفي غليلي، بس انت ليه ما جيتش الحفلة؟

عماد بنظرة خبيثة: أنا زيك بالظبط مستني الوقت المناسب عشان أظهر فيه، لأن واضح جدا ان وليد دة مش سهل خالص، وان التعامل معاه لازم يكون بحرص شديد.

علياء: ماشي يا عمدة بس ما تتأخرش احنا عاوزين نخلص بقا من الموضوع دة بسرعة .

عماد: اطميني، الضربة القاضية لأولاد جلال سليم الاتنين هتكون قريب أوي.

يُعاد المشهد مجددا، حيث نرى حياة تقف في المطبخ وبرفقتها مريم تساعد في إعداد الطعام ولكن تلك المرة في شقة حياة نفسها، كانت مريم تفعل ما تطلبه منها حياة بصمت وهي منشغلة البال وقد لاحظت حياة ذلك فسألته فجأة: مالك يا مريم، مسهمة كدة ليه؟ انتي تعبانة؟

حاولت مريم إخفاء نبرة الألم في صوتها وهي تجيب: لا أبدا، أنا كويسة ما تشغيلش بالك.

ثم أرادت إلهاء صديقته بأمر آخر فسألته: هو وليد قالك مين اللي هيجي النهاردة؟

حياة وقد بلعت الطعم الذي ألقته مريم: لا، يمكن عشان هو متأكد اني أكيد مش هكون عارفة أي حد من الوسط دة، بس هو قالي انه زيادة علينا هيكون فيه اتنين من رجال الأعمال المهمين.

وسمعت كل منهما صوت الهاتف تتعالى رناته في الخارج إلى أن انقطع فجأة كما ظهر فجأة حيث بدا أن أحدهم قد تولى الرد عليه، وبعد دقائق قليلة دخل وليد المطبخ وهو يقول لحياة وقد بدا عليه الانزعاج: حياة! فيه واحد من الضيوف اعتذر لأنه حصل عنده ظرف طارئ، خلاه يسافر فجأة.

حياة: طيب والتاني؟

وليد: مادام لسة ما اعتذرش يبقى اكيد هيبجي. انتوا خلصتوا ولا لسة.

فردت حياة وهي تضع إحدى الأواني في الفرن: تقدر تقول خلاص، يعني كلها ان شاء الله نص ساعة بالكثير وتكون كل حاجة جاهزة.

وبعد مرور نصف الساعة تقريبا أحاط الجميع بطاولة الطعام وكانوا وليد و يوسف وهدى وكذلك عماد شاكر، وكانت هدى تتحدث بتلقائية منقطعة النظر والأخرون يشجعونها مرة بالمديح وأخرى بنظرات الاعجاب، أما مريم وحياة فكانتا لا تزالان في المطبخ لوضع اللمسات الأخيرة، إلا أن سمعتا نداء وليد العالي الذي يستحثهما على الإسراع: هو احنا مش هناكل النهاردة ولا ايه؟ ولا أقول للضيف يفوت علينا بكرة.

ثم أعقبت دعابته ضحكات الآخرين، فابتسمت مريم وهي تقول لحياة: جوزك دة فضيحة. بس ابن حلال.

فنهزتها حياة وهي تحمل طبقا كبيرا محملا بالطعام وتخرج به من المطبخ: طب بطلي غلبة وحصليني بالباقي.

وخرجت حياة متوجهة إلى حجرة الطعام وتزين وجهها ابتسامة حلوة تسحر القلوب، وتقدمت منهم لتضع الطبق الذي في يدها في المنتصف من الطاولة وهي لا ترفع عينها عنه، فقال وليد مداعبا: يااااااه، كل دة عشان حنة ديك رومي، دة خلاص عماد كان قرب ياكلنا احنا، شكل كدة مراته مجموعاه في البيت زي مانتي ما بتعملي فينا دلوقت.

فرفعت حياة عينها لأول مرة وهي تتمتم بكلمات الاعتذار المعهودة: أنا آسفة، الديك كان لسة.....

ثم ماتت باقي الجملة على شفيتها فور أن تعرفت على الضيف، نعم هو!، انها لم تستطع نسيانه طوال هاتين السنتين الماضيتين، فكيف للضحية أن تنسى وجه الجاني مهما طالت السنوات. ولكن أيعقل أن يكون هو من بين كل رجال الأعمال في الدولة صديق زوجها؟! والتقت عينهما وقد ظهرت على وجهه علامات الحيرة وكأنه يحاول أن يتذكر أين

رأى ذلك الوجه سابقا؟ بالطبع فكيف له أن يتذكر ضحية واحدة من بين ضحاياه التي لا تعلم لمن عددا؟ ماذا تقول؟
بل ماذا تفعل وكيف تتصرف في هذا الموقف الذي لا تحسد عليه؟

وبدأت حياة بالفعل تشعر بالخدر يتسلل إلى كل مكان في جسمها حتى أخذت الدنيا تغميم في عينيها فلم تعد ترى أو
تسمع شيئا مما حولها إلى أن أغمى عليها وكان وليد أسرع في ردة فعله حيث تمكن من الإمساك بها قبل أن تسقط على
الأرض.

الفصل الخامس والعشرون :

آسف

كانت حياة مستلقية على السرير و هي لا تزال غائبة عن الوعي وشعرها مبعثرا بشكل عشوائي على الوسادة ومريم تجلس بجانبها وفي يدها زجاجة عطر صغيرة وقطعة قطن تحاول أن تقربها من أنف حياة التي بدأت تحرك رأسها يمينا وشمالا وهي تستعيد وعيها تدريجيا إلى أن فتحت عينيها، فابتسمت مريم وهي تحمد ربها ووضعت ما بيدها على المنضدة الصغير التي بجوار السرير وقالت لحياة وهي تمسح على رأسها بحنان: حمدالله على سلامتكم يا حياة، قلقتنا عليكم.

فحاولت حياة النهوض وهي تشعر بالوهن وساعدتها مريم إلى أن استطاعت الجلوس وهي تستند برأسها على الوسادة بالخلف، وضغطت على يد مريم والدموع تتجمع بعينيها وتسألها بتوسل: أنا كنت بحلم يا مريم، مش كدة؟ بالله عليكم لنقوليلي ان كل دة كان مجرد كابوس.

كانت مريم تتمنى أن تؤكد كلامها إلا أنها لم تستطع فنظرت إليها بعيون مليئة بالشفقة وهي تقول: للأسف يا حياة كان حقيقة، عماد شاكر عزالدين كان موجود هنا ولسة ماشي دلوقت وجوزك نزل يوصله بعد ما اتأكد انك بخير وكمان عشان يجيب حاجة من الصيدلية نفوقك بيها.

وما ان سمعت حياة ذلك حتى انهارت تماما وأخذت تلطم وجهها بيديها وتبكي بحرقة وتنفوه بكلام غير مفهوم استطاعت مريم أن تتبين منه القليل بصعوبة حيث كانت تندب حظها: ليه بس كدة يا ربي؟ بعد ما كنت بدأت أنسى؟ بعد ما كنت بدأت أعيش حياتي؟ هو أنا مش مكتوبلي أفرح بقا؟

فجذبتها مريم إلى حضنها وهي تبكي لبكائها و تقول لها مواسية: اهدي يا حياة واستغفري ربنا.

وبالفعل بدأت حياة تردد الاستغفار إلى أن شعرت بما مريم تهدأ قليلا فأبعدتها عنها برفق وأخذت تحفف لها دموعها وهي تقول لها محاولة التفكير بعقلانية: حبيبي احنا لازم نشوف دلوقت احنا هنعمل ايه في المصيبة دي؟

وكأثما بسؤالها ذلك أثارت دموعها من جديد، فقالت وهي تنتحب: مش عارفة، مش عارفة يا مريم، ياربي بقا من بين كل الناس يطلع دة صاحب جوزي، الانسان اللي دبحني؟

فحذرتها مريم وهي تضع اصبعها على فمها: هسسسس، وطي صوتك عشان يوسف برة وممكن يسمعنا.

حياة: طب قوليلي انتي يا مريم، اعمل ايه؟ وأتصرف ازاى؟

مريم: مفيش غير حل واحد. انتي لازم تقولي لوليد لآن هو الوحيد اللي هيقدر يتصرف في الموضوع دة، واهو كدة كدة عارف كل الحقيقة ومش فاضل غير انه يعرف اسم الشخص دة ويس.

فقالت حياة ترجوها وهي تحتضن يدها بتوسل: لا يا مريم، بالله عليكى بلاش وليد، عشان خاطري يا مريم وليد لا، وليد عصبي ودمه حامي ولو عرف ممكن يقتله، ومحدث عارف الزفت اللي اسمه عماد دة ممكن يعمل ايه؟ دة واطي وندل وممكن يأذيه، وفي الحالتين هخسر وليد.

مريم وهي تبدي تعاطفا معها: امال هتعملي ايه بس؟ ومش جايز كمان عماد هو اللي يقوله؟

حياة: لا، مفتكرش، اللي زي عماد دة جبان ومش ممكن يعترف على نفسه بجريمة زي دي.

فامتثلت مريم لطلبها: خلاص، اللي تشوفيه يا حياة، بس قومي دلوقت ادخلي الحمام واغسلي وشك، عشان وليد مش لازم يشوف الدموع اللي في عينيكي دي.

وساعدتها مريم على النهوض وظلت معها حتى غسلت وجهها، وما ان خرجتا من باب الحمام حتى وجدتا وليد قد لحق بهما، فأسرع يأخذ بيد زوجته يسألها باهتمام بالغ: عاملة ايه دلوقت يا حياة؟ مش أحسن؟ ولا تحبي اتصل بالدكتور؟

فنظرت اليه تمسح تعابير وجهه بعينيهما لترى فيه قلق ولهفة كانت تمنى أن تجدهما قبل الآن مما زاد من شعورها بالألم وهي تحاول أن تطمئنة بابتسامة واهنة: مفيش داعي، انا الحمد لله كويسة، كانوا بس شوية ارهاق.

فقال لها وليد لائما نفسه وهو يساعدها على الاستلقاء مجددا على السرير: انا آسف يا حياة، كل دة كان بسببي، ما كنش لازم أتعبك معايا اوي كدة.

فنظرت اليه حياة مطولا دون أن تعلق، فبالطبع لم يكن لديها ما يمكن ان تخفف عنه به، فتولت مريم الأمر وقالت بلهجة مرحة: يا سيدي دي مراتك بس بتدلح علينا شوية.

وليد دون ان يرفع عينيه عن حياة: تدلح براحتها بس ما تقلقناش عليها بالشكل دة.

تساءلت حياة بداخلها ان كان كل هذا القلق والاهتمام الذي يحاول أن يظهرهما لها هما بالفعل ما يشعر بهما بداخله أم أن ذلك ليس الا ستارا يضعه بسبب وجود مريم معهما بنفس الحجر؟ ويبدو أن مريم شعرت بما يدور بخلدتها فقالت وهي تتجه ناحية الباب: طب بعد اذنكم أنا بقا.

وليد: على فين يا مريم؟

مريم: هنروح بقا، انا خلاص اطمنت على حياة، ويوسف قاعد لوحده من بدري.

فنظر وليد الى حياة يقول لها: طيب انا هروح أوصلهم وأرجعك على طول.

فمنعته مريم باشارة من يدها: لا مفيش داعي يا وليد، خليك انت جنب مراتك، احنا عارفين يا سيدي الطريق كويس ومش هنتوه، وكمان احنا مش أغراب يعني للرسميات دي.

ثم وجهت حديثها الى حياة: مش عاوزة أي حاجة يا حياة قبل ما امشي؟

فشكرتها حياة: تسلميلي يا مريم، وربنا ما يجرمني منك.

مريم: طيب ان شاء الله هشوفك في الكلية بكرة؟

فهزت حياة رأسها قائلة: ان شاء الله.

فقالت مريم قبل أن تفتح باب الحجره ثم تغلقه خلفها: تصبحوا على خير بقا.

حياة و وليد: وانتي من أهله.

وبعد أن غادرت مريم ثم سمعا صوت الباب الرئيسي للشقة ينغلق هو الآخر نظر وليد لحياة وهو يسألها: فيه ايه يا حياة؟ ايه سبب اللي حصلك دة؟ وما تحاوليش تقنعيني انه كان بسبب الارهاق زي ما قولتي قبل كدة.

فقلت حياة وهي تغتصب ابتسامة على شفيتها: امل يعني هيكون ايه بس غير كدة؟

وليد بنظرة صارمة: هو دة اللي انا عاوز أعرفه منك.

فابتلعت حياة ريقها بصعوبة وهي تتساءل بداخلها ان كان زوجها قد لاحظ أي شيء جعله يشك بسابق معرفتها بعماد أم أن عماد قد خالف كل توقعاتها و ألمح له بهذا الأمر؟ ولكنها مع ذلك قررت أن تتمادى في كذبها وهي تدعو ربها ألا تكون لشكوكها أي أساس من الصحة: صدقني يا وليد، مفيش حاجة تانية.

رأت حياة نظرة غريبة في عينيه عجزت عن ترجمتها وسمعتة يقول لها وهو ينهض تاركا الحجر: براحتك يا حياة، انا مش هضغط عليكى أكثر من كدة.

وعقب خروجه وبعد أن أغلق الباب خلفه بعنف غطت حياة وجهها بيديها وهي تجهش بالبكاء عاجزة عن تصور ما يمكنه أن يكون في انتظارها في الأيام المقبلة.

أوقف يوسف سيارته في حديقة الفيلا، ولكنه لم يوقف المحرك فنظرت إليه مريم متسائلة فرد على سؤالها الصامت: انا وعدت علياء اني هروح الحفلة اللي عاملها النهاردة، بس مش هتأخر.

فردت مريم بهدوء وكأن الأمر لا يعينها: براحتك.

ثم اندفعت خارج السيارة وهي تركض تقريبا الى الفيلا تاركة يوسف يتساءل عما أزعجها بهذا الشكل، فهل كانت تفضل الذهاب معه؟ ولكن قد أخبرته علياء بأنها رفضت دعوتها، أم أنها كانت تفضل أن يرفض هو الآخر تلك الدعوة ويقضي الليلة برفقتها؟ حقا لقد بدأ يختار يوسف جلال في أمر تلك الفتاة ولم يعلم كيف يمكنه أن يرضيها؟ ولكنه قرر في النهاية أن يذهب إلى ذلك الحفل أولا ثم يعود سريعا ليتحدث معها، و انطلق بسيارته عاقدا العزم على ذلك.

في حين صعدت مريم إلى حجرتها وهي تكاد لا ترى الطريق أمامها من كثرة الدموع التي انهمرت من عينيها حتى ألقت بنفسها على السرير وصوت بكائها يعلو بشدة بمقدار الألم الذي تشعر به وهي تفكر في موقفه ذلك حيث لم يعد يهمه

أن يخفي عنها علاقته بعلياء. أيجال أن يفهمها بكل بساطة بأنه لا يهتم بأمرها ولا يجب عليها أن تعلق أمالا على
علاقتها به؟ ان كان كذلك بالفعل فليطمئن فهي قد استوعبت الرسالة بكل ما تحمله من معاني.

أما في شقة علياء والتي كانت تحتوي على عدد قليل من المدعوين للحفل المزعوم، فاتجهت صاحبة الحفل ناحية يوسف
وهي تحمل في يدها كأسا من الخمر و تسحب في يدها الأخرى أحد الرجال وتقدمه إلى يوسف: دة بقا يا سيدي يوسف
محمود خطيبي.

فصافحه يوسف بجرارة وود: ألف مبروك، وربنا يتمم بخير.

فرد الأخر: الله يبارك فيك، وأنا سعيد جدا بمعرفة حضرتك.

يوسف: انا أسعد.

ثم نادى أحدهم عليه فاستأذن من يوسف واتجه إلى صديقه، فقال يوسف لعلياء باسمها: مبروك يا علياء، واضح انه
انسان كويس.

فردت علياء هامسة بدلال: أحسن حاجة فيه ان اسمه على اسمك.

شعر يوسف بالاحراج من فهمه للمعنى الخفي لكلامها فقال وهو يحاول التملص من أي رد يمكنه أن يشجعها على
التمادي: طيب أستأذن أنا بقا؟

فتشبثت علياء بذارعه دون أن تخشى من أن يلاحظهما أحد وهي تقول له برجاء: ايه دة؟ بسرعة كدة؟

فحاول يوسف أن يخلص ذراعاه منها برفق دون أن ينجح في ذلك وهو يقول معتذرا: معلش بقا تنعوض في الفرح ان
شاء الله.

علياء وهي ترفض رفضا تاما أن تدعه يرحل: مش ممكن، دة الحفلة لسة في أولها، وكمان انت لحد دلوقت لسة ما
شربتش حاجة.

يوسف: معلى، اعفني المرادي.

علياء وهي تقدم له الكأس الذي بيدها: ليه بقا؟ انت مش عاجباك الشمبانيا بتاعتي ولا ايه؟ طيب حتى دوقها الأول.

فقال يوسف رافضا عرضها: لا مش كدة، انا فعلا مش ليا مزاج النهاردة.

علياء وهي تمط شفيتها بغير رضا: مش ليك مزاج ولا المدام هي اللي حرجت عليك؟

فهز يوسف رأسه نافيا: مريم ملهاش دعوة، كل الموضوع ان بالي مشغول شوية، ومش هقدر أشرب النهاردة.

فقلت علياء بدلال مستخدمة كل أسلحتها الأنتوية في هذا الرجاء وهي تقرب الكأس من فمه: طيب ولو قولتلك عشان خاطري بردو هتقول لا؟

لم يستطع يوسف أن يجرها أكثر فأخذ منها الكأس وبدأ يتجرع محتوياته ببطء وعلياء تعلو وجهها نظرة شيطانية تثبت أنها قد حققت انتصارا كبيرا في هذه الجولة أيضا.

صعد يوسف الدرج في فيلته متجها إلى حجرة نومه بخطوات بطيئة وثقيلة حيث بدا عليه أنه قد تناول كمية ليست بالقليلة من المسكرات، ثم فتح باب الحجرة بحذر شديد خوفا من ازعاج مريم التي خمن بأنها الآن تغط في نوم عميق وقد صدق حدسه عندما وجد أن الغرفة غارقة في ظلام دامس، فأغلق الباب بنفس الحذر وتوجه ناحية الباب الصغير الذي يصل بين الحجرتين إلى أن أوقفه صوتها الذي لا يدل على أنها قد ذاقت طعم النوم: حمدالله ع السلامة.

فتحسس يوسف طريقه إلى أزرار الإضاءة التي كانت قريبة منه وضغط على أحدها فأضيئت الحجرة ليرى مريم جالسة على سريرها وكأنها كانت بانتظاره، فقال يوسف بابتسامة هادئة: مريم! أنا آسف كنت فاكرك نائمة، مساء الخير.

فأشارت مريم باتجاه الساعة الكبيرة المعلقة بالحائط وهي تقول: قصدك صباح الخير، بتهيئي دة اللي المفروض يتقال الساعة اتنين الصبح.

تجاهل يوسف سخريتها الواضحة، وقال محاولاً أن يبدو صوته مرحاً بقدر الامكان: ولما انتي عارفة ان الساعة اتنين ايه اللي مصحكي لحد دلوقت؟ انا على حسب علمي انك ما بتحبيش السهر.

فنهضت مريم من على السرير وهي تقترب منه قليلاً: أنا فعلاً ما بحبش السهر، بس شكلي هتعلمه على ايدك قريب.

لم يتحمل يوسف تلك المراوغة في كلامها، فقال بنفاذ صبر واضح من لهجته: انتي عاوزة ايه بالظبط يا مريم؟

مريم بصوت قاطع: عاوزاك تطلقني يا يوسف.

نزل كلامها على يوسف كالعاصفة وردد خلفها وكأنه لم يستوعب ما قالته جيداً: أطلقك؟! ليه يعني؟ ايه اللي جد

عشان تطلبي طلب زي دة؟

مريم وصوتها يحتد كثيراً: اللي جد اني ما بقتش قادرة أستحمل الحياة دي خلاص، تقدر تقولي انت كنت فين دلوقت؟

يوسف ببساطة: مانا قولتلك اني كنت عند علياء.

مريم وقد أغاظها رده الغير مبالي كما وصفته: بتعملوا ايه؟

يوسف مستوضحاً سؤالها المبهم: يعني ايه بنعمل ايه؟ وايه لزوم الاستجواب دة كله؟

مريم بتحد: ايه؟ مش من حقي؟

يوسف: وانتي شايفة انه من حقك؟

مريم وهي تستعيد رشدها تدريجياً ولكن قد ازداد عنادها أكثر: لا يا يوسف، مش من حقي، ولا عمره هيكون من حقي

عشان كدة انا بطلب منك انك تطلقني.

يوسف وقد ضاق ذرعاً من هذا الجدل العقيم: طب روحي نامي دلوقت يا مريم، وبكرة بيقا نتكلم في الموضوع دة.

مريم باصرار: ما بقاش فيه بكرة خلاص يا يوسف، انا مش ناوية أقعد هنا دقيقة واحدة بعد كدة، طلقني وانا هرجع

فيللة جدو دلوقت.

وبالفعل كان صبره قد نفذ وهو يصرخ فيها قائلاً: انا نفسي أعرف هو كان حصل ايه لكل دة؟

مريم بعد أن فلت من يدها الزمام ولم تعد تستطيع التحكم في أعصابها بعد الآن، فقالت بصوت وصل الى حد الصراخ: كل دة وبتسألني حصل ايه؟ أبدا يا يوسف ما حصلش حاجة، كل الحكاية ان الانسان اللي المفروض انه جوزي مش عامل لكرامتي اي اعتبار وهو راجع سكران بعد ما قضى طول الليل مع واحدة تانية والله أعلم كانوا بيعملو ايه طول الوقت دة؟

: مريم!

خرج صوته محملاً بكل ما يشعر به من غضب فعلمت مريم أنها ربما قد أصابت الهدف فقررت أن تزيد من اسفذاها له عليها تصل لغرضها: انا ميهمنيش انت تعرف كام واحدة أو بتقضي لياليك فين يا يوسف لأننا متفقين من الأول اننا هنتطلق بعد فترة معينة، وبتهيئلي ان جدو خلاص صحته اتحسنن وهيقدر يستحمل الخبر وأنا هكتبلك تنازل عن كل حقوقي.

فقال يوسف ساخراً: وانتي شايقة بقا انا مش هقدر أدفعلك المبلغ الهايف دة يعني وافقت انا أطلقك؟

فتداركت مريم خطأها سريعاً وهي تقول: دة ما كنش قصدي، انا كنت أقصد ان أنا مش من حقي أخذ منك أي حاجة. ع العموم الموضوع دة بيقا اتفاهم فيه مع جدو. المهم عندي دلوقت انك تطلقني.

يوسف: وان رفضت؟

مريم: مفيش أي سبب يخليك ترفض، لأن الطلاق هو أفضل حل لمشاكلنا دي، احنا لازم نتطلق يا يوسف عشان كل واحد فينا يقدر يعيش حياته بقا بالطريقة اللي هترجحه.

يوسف بنظرة شك: تعيش حياتك ازاى يعني؟ قصدك انك تتجوزي حد تاني؟

وبالرغم من أن هذا الأمر لم يخطر ببالها قط إلا أنها قد قررت أن تثيرا الشك في نفسه كما يحدث بداخلها الآن: وليه لا؟ مفتكرش ان فيه حاجة ممكن تمنعني.

فقال يوسف وقد لاحظت أنه يكتنم غضبه: اللي هيمنعك حاجة واحدة يا مريم وهو انك لسة مراقي وأنا مش ناوي اني أطلق ع الأقل دلوقت.

مريم: أمال امتي يعني؟

يوسف: لما يجيلي مزاجي.

مريم: بس أنا بقا مش هستنى لما يجيلك مزاجك دة، أنا هطلق يا يوسف سواء برضاك أو غضب عنك.

فاقترب منها يوسف وهو يوجه إليها نظرة خطيرة: قصدك ايه؟ وازاي ممكن إنك تتطلقي مني غضب عني؟

علمت مريم بأنها قد تمادت كثيرا في استفزازه ولكنها لم ترد أن تتراجع عما بدأت فاسترسلت في حديثها وهي تحاول أن تخفي مقدار الرعب الذي بدأت تشعر به: هرفع قضية طلاق وهكسبها.

فاتسعت عيناه من شدة الصدمة وكأن عقربة لسعته، ولكن كعادته فقد تدارك الأمر سريعا وقال لها بصوت بارد كالثلج: وتضميني منين بقا انك هتكسييها؟

ارتعش صوتها قليلا وهي تجيب: المحامي قالي ان طالما جوازنا لسة ع الورق ويس فيبقا سهل أوي إن أي قاضي يحكم لصالحني في القضية.

يوسف بصوت لاذع وهو يقترب منها أكثر: وكمان سألتني محامي! دة واضح انك خلاص جهزتي لكل حاجة، بس اسمحيلي بقا يا مريم اني أبوظلك كل خططك دي لأن مش الانسان اللي ممكن يعمل حاجة غضب عنه عشان كدة لازم اضمن إني ما اسمعش كلمة الطلاق دي تاني على لسانك.

ثم جذبها من ذراعها إلى حضنه بكل قوة وقد ظهر الذعر بعينيها وهي تسأل: انت هتعمل ايه؟

يوسف بكل هدوء: ناوي اني أحطم السبب اللي ممكن يخلي القاضي يحكم لصالحك في القضية.

وعندما استوعبت مريم كلامه جيدا شعرت برعب حقيقي يغزو كل كيائها وحاولت أن تثنيه عن قراره بالتوسل وبجمل عشوائية كالطفل الذي يحاول أن يتهرب من العقاب: لا يا يوسف أرجوك، انا اسفة ما كنتش أقصد، وهستنى لما انت تطلقني. مش هرفع قضية.

ولكن بدا أنه لم يتأثر بكل توسلاتها وهو يقول لها بكل تصميم مقربا وجهه منها: بس أنا بقا يا مريم مش ناوي أطلقك لا دلوقت ولا بعدين ومن النهاردة هتبقى مراتي فعلا مش بس ع الورق.

وحاولت مريم أن تقاومه بكل ما لديها من قوة وهي تهدد حيناً وتتوسله حيناً ولكن بدأ أنه قد أصم أذنيه عن كل ذلك، وقد علمت مريم أنها لن تستطيع ردهه ليس لتفوقه الجسماني وحسب بل لأنها شعرت وكأنها تقاوم نفسها أيضا فقد كان هناك شيئا بداخلها يتمناه زوجها لها تكمل معه الباقي من حياتها رغم كل ما سمعته من علياء وهو ما لا تستطيع تصديقه بالكامل وتحاول نسيانه الآن فمهما كان يوسف ذلك الوحش المستغل الذي وصفته لها علياء إلا أنه هو أيضا نفس الشخص الوحيد الذي تحركت له مشاعرها، وفي النهاية استسلمت له بل لنقل أنها استسلمت أخيرا لنداء القلب.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظت مريم من نومها لتبحث عن يوسف في كل مكان حولها فلم تجد له أثرا حتى كادت تشك بأنه لم يعد إلى الفيلا بالأمس وكل ما حدث كان مجرد حلما عاشته وانتهى، ولكنه بالطبع لم يكن كذلك، إذن فأين ذهب؟ ثم ألقت نظرة خاطفة إلى ساعة الحائط لتكتشف أنها لم تتجاوز التاسعة صباحا، ويوسف في المعتاد لا يذهب إلى شركته قبل الساعة العاشرة، فما بالك اليوم؟

ثم تساءلت بداخلها إذا ما كانت بالفعل ترغب في رفقته بعد كل ما حدث؟ وكان الجواب نعم.

وحينها أدركت مريم لدرجة اليقين بأنها تحبه، بل تعشقه، ومستعدة أيضا لأن تغفر له كل ما حدث بالسابق ليبدأ معا حياة جديدة أساسها الحب والتفاهم، كما أنها أدركت أن ما كان يمنعها من الاعتراف بحبه هو كبريائها الذي أصبحت على استعداد للتخلي عنه الآن لتبوح له بكل مشاعرها، ولكن ياترى أين هو الآن؟ ثم التقطت هاتفها وهي عازمة على الاتصال به ولكنها تراجع في اللحظة الأخيرة وقررت أن تنتظر حتى يعود فهو حتما لن يتأخر وهي ستكون في انتظاره.

كانت حياة تتجه ناحية باب الجامعة الرئيسي وهي تضع هاتفها الجوال بالقرب من أذنيها وتقول: المهم يا حبيبي انك بخير انا بس قلقت عليكى لاننا كنا متفقين اننا هنتقابل النهاردة، بس ياللا خير ان شاء الله.....اشوفك بكرة بقا؟.....ايه؟...كمان مش هتيجي بكرة؟..... يا مريم طيب فهميني هو فيه حاجة؟..... طيب انتي تعبانة لا قدر الله؟.....طيب تحي اجيلك؟..... اوك يا حبيبي يارب دايما تكوني بخير..... مع السلامة ويبقا طمئيني عليكى.

وأتمت حياة المكاملة وقد خرجت من الجامعة في انتظار أن تعبر الطريق، ولكن لفت انتباهها ما لم يكن في الحسبان، فقد رأت هدى تتجه مسرعة ناحية إحدى السيارات الملاكي وهي تبتمس وفي غاية السعادة ثم فتحت الباب الجاور للسائق و انطلقت بها السيارة إلى حيث لا تعلم، ولكن قبل أن تتحرك السيارة استطاعت حياة أن تتبين صاحبها والذي يمتاز بملامح يصعب على حياة نسيانها فهو بالتأكيد عماد شاكر عزالدين.

تسمرت حياة مكانها للحظات وهي تحاول أن تستوعب ما رآته منذ لحظات ولا يخطر في بالها سوى أمر واحد ألا وهو أن هدى أصبحت في خطر وهي لا يمكنها أن تقف هكذا مكتوفة اليدين لا تقدر على عمل شيء، فيجب أن تحاول انقاذها بشتى الطرق، ولكن بما أن هدى لم تلتق بعماد سوى بالأمس فهو لا يزال أمامه بضعة أيام ليستطيع أن يستدرجها إلى شقته هكذا كانت تسمع عنه وهو ما جعلها تحذر من التعامل معه لذا استخدم إحدى طرقه الملتوية معها، ولكن هذا لا يمنع أن عليها التفكير سريعا في حل لتلك المشكلة الجديدة والتي أضيفت لمشاكلها المتعددة.

عبرت حياة الطريق شاردة تقريبا ولكن ذلك لم يمنعها من ملاحظة تلك السيارة التي كانت تقف قريبة من سيارة عماد التي رحلت منذ قليل وعندما مرت بها أثبتت صحة شكوكها وهي أنها قد رأت تلك السيارة من قبل وتأكدت من ذلك حين رأت ماهر يستند بمرفقه عليها وبدا أنه قد رأى ما رآته منذ قليل، ولكن ما الذي أتى به في ذلك الوقت بالذات؟ وأرادت أن تتحقق من الأمر وأن تكتشف منه ما ينوي على فعله، فاقتربت منه قليلا وهي تقول باسمه محاولة إخفاء توترها: السلام عليكم، ازيك يا أستاذ ماهر، عامل ايه وياه أخبار طنط وردة؟

فأجاب ماهر بوجوم: الحمد لله بخير.

بدا أنه ليس في حالته الطبيعية ولكن ذلك لم يثنىها عن الاستمرار في المحاولة وقررت أن يكون سؤالها مباشرا: هو انت ايه جابك النهاردة هنا؟ انت ليك حد في الجامعة مستنيه؟

فرد ماهر بسخرية مريرة وهو يتطلع الى الطريق الذي انطلقت فيه سيارة عماد: كنت مستنيه، بس اظاهر كدة اني وصلت متأخر.

وقد صدق حدسها عندما توقعت أن ماهر يكن عاطفة من نوع ما ناحية هدى وقررت أن تستغل ذلك لصالحها فقالت بنبرة تشبه التوسل: ارجوك ياريت لا يوسف ولا وليد يعرفوا أي حاجة.

بالطبع لم يكن ماهر بحاجة إلى التوضيح حيث بدا أنها تقصد ما حدث منذ قليل على مرأى منهما فهز ماهر رأسه موافقا وهو يقول: اطمني يا مدام حياة، محدش فيهم هيعرف، بس بيقا قولي لهدى تاخذ بالها من نفسها.

تعمدت حياة أن تبدي جهلها بتحذيره المبطن فقالت له مبتسمة: هدى لسة عيلة صغيرة، وزى كل البنات بتحلم انها تخرج وتتفسح وتعيش حياتها يعني.

ماهر ساخرا: وهي فاكرة بقا ان عماد دة آخره فسحة وخروجه؟ بيقا مجنونة وتلعب بالنار اللي مش هتتحرق أي حد غيرها.

ثم غير الموضوع سريعا وهو يفتح باب سيارته ويقول لها بود: لو حضرتك مروحة اتفضلي أوصلك.

فاعتذرت حياة سريعا: لا معلش، انا اسفة. انا بحب اتمشى وكمان البيت مش بعيد، عن اذنك.

وتركته حياة وكلماته كانت لا تزال تتردد في عقلها حين قال: و هي فاكرة بقا ان عماد دة آخره فسحة وخروجه؟

نعم، فهي أعلم الناس بنوايا هذا الشخص الوضيع ولكن هيئات أن تعترف أمام أحد بتلك الحقيقة.

ارتدت مريم أفضل ثيابها المناسبة للخروج، ثم جلست أمام التسيريحة لتستخدم بعض أدوات الزينة التي لم تكن تبالي بأي منهم حتى الآن، ولكن اليوم هو مميز بالنسبة لها وتريد أن تظهر في أبهى صورة ممكنة، وقامت بتثبيت الطرحة فوق رأسها

بشكل رائع، فقد كان كل شيء بها يوحى بالكمال، ثم أسرعتنزل درجات السلم ونادت بصوتها الناعم على الخادمة، فجاءتها تلك السيدة العجوز وسألتهامريم والسعادة تشع من عينيها: ام ابراهيم، هي هدى نامت؟

أم ابراهيم: من بدري يا بنتي، هي جات من كليتها تعبانة فكلت ونامت على طول، تحبي أجهزلك العشا؟

مريم: لا، انا هستنى يوسف، والا أقولك؟ روجي انتي كمان نامي شكلك تعبانة.

أم إبراهيم: ازاي بس يا بنتي انام قبل ما الباشمهندس يبجي وأجهزلكم العشا؟

مريم: لا، ماهو احنا احتمال نخرج ونتعشا برة. ما تشغيل نفسك انتي.

أم إبراهيم مستسلمة: اللي تشوفيه يا بنتي، ع العموم لو احتجتوا أي حاجة صحيني، تصبحي على خير.

مريم: وانتي من أهله.

وعندما أدرات الخادمة وجهها مستعدة للذهاب إلى حجرتها نادتها مريم: ام ابراهيم!

فتوقفت السيدة ونظرت اليها متسائلة: خير يا بنتي؟

مريم متردد: هو أنا كدة حلوة؟

تعجبت الخادمة من السؤال في البداية ولكن سرعان ما قالت بابتسامة واسعة وبلهجة مليئة بالصدق: زي البدر في ليلة تمامه، الله أكبر عليكى، ربنا يجرسك من العين ويهديلك الباشمهندس.

فقالتمريم وهي تؤمن على دعائها: الله يا أم إبراهيم، ما تعرفيش أنا أد ايه كنت محتاجة للدعوة الأخيرة دي، ياللا بقا تصبحي على خير.

وذهبت السيدة، فجلست مريم على الأريكة في انتظار زوجها الذي قد تأخر قليلا عن مواعده، ولكن مهما تأخر فستنتظره، وعدى ما يقرب من الساعة قبل أن تسمع مريم صوت باب الفيلا يفتح ثم يغلق مرة أخرى. وكادت تقفز من مكانها لتستقبله، ولكن قد تغلب صوت العقل بداخلها فقررت أن تنتظره في مكانها بكل ثبات، وماهي هي إلا لحظات حتى أصبح يوسف أمامها وبدا أنه لم يلاحظ التغيير الذي قد أحدثته بنفسها حيث قال لها بوجوم: مساء الخير.

فردت مريم بحبيبة أمل ظهرت بوضوح في نبرة صوتها: مساء النور .

سألها يوسف وهي يتفحص ثيابها بنظرة سريعة: انتي خارجة؟

وكانت تلك الصدمة الثانية التي تتلقاها منه منذ وصوله، فهل هذا فقط هو ما لاحظته؟ فأين تلك الكلمات الرقيقة والحنونة التي منت نفسها بسماعها طوال اليوم وهي تختار تلك الثياب بعناية فائقة بعد أن أخرجت كل الثياب تقريبا من خزانها، ولكنها لم تفقد كل الأمل فردت عليه: يعني على حسب .

فقال يوسف وهو يحاول تجنب النظر اليها وهي لم تكن المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك منذ عودته كما لاحظت مريم أيضا مدى التوتر الذي يتخلل صوته على غير المعتاد كما انه ما زال واقفا مكانه لم يبد أي رغبة للجلوس: مش فاهم يعني ايه؟

مريم: يعني على حسب الكلام اللي هنقوله دلوقت .

ونفضت من مكانها كي تستجمع القليل من شجاعتها وهي تقول: يوسف احنا لازم نتكلم مع بعض شوية .

يوسف موافقا دون أن يبدي أي حماس لذلك بعكس ما كانت تشعر هي: عندك حق، احنا فعلا لازم نتكلم مع بعض، انا حقيقي في كلام كثير عاوز اقولهولك بس لأول مرة في حياتي أحس إني مش عارف أبدأ أزاى؟

هل ما تسمعه الآن هو حقيقي؟ فهل في نيته أن يبدأ هو ويعترف بحبه لها؟ ليتها تكون الحقيقة، فهذا بالفعل ما تتمناه فهو بذلك سيوفر عليها الكثير من الحجل الذي بدأ يورد خديها .

: مريم! أنا آسف!

لم تدر مريم إن كانت كلمة الاعتذار تلك قد خرجت عن يوسف أو عن أي شخص آخر؟ مما جعلها تتلفت حولها لتحقق من ذلك، وحين لم تجد أحد غيرهما بالمكان أيقنت بأنه هو من تفوه بتلك الكلمة فرددت بدون وعي: آسف!

بالطبع لم يمكنها استيعاب الأمر، فلقد أهبت نفسها لسماع الكثير من الكلمات منه ولكن لم يكن من ضمنها تلك الكلمة، وبينما ظلت واقفة في مكانها لا تقو على الحراك أو حتى التفوه بأي كلمة أخرى، سمعته يسترسل في كلامه قائلا: انا فعلا اتسرعت امبارح، كنت شارب كثير وتقريبا ما كنتش في وعيي بالكامل علاوة على ان كلامك استفذني

لدرجة خليتي اتهورت وما قدرتش اتحكم في تصرفاتي، مريم كل اللي بطلبه منك انك تقدري تسامحيني، وأنا مستعد لأي تعويض.

و كالعادة رددت مريم خلفه دون وعي: تعويض!

وبدا انه قد لاحظ أخيرا أنه قد استخدم كلمة غير مناسبة تماما، لذا حاول معالجة الأمر سريعا فقال: آسف، انا قصدي ابي مستعد أنفدلك أي طلب تطلبه مهما كان في سبيل انك تغفيري الغلطة دي.

ما به؟ فهل سيستمر في إهانتها هكذا بينما هي تقف جامدة لا تستطيع الرد عليه أو ايذاؤه بأي كلمة؟ وبدا أنه ينتظر قرارها، أو بالأحرى ينتظر طلبها الذي يرى بأنه سيكون التعويض المناسب عن خطأه كما يسميه: طلقني يا يوسف.

خرجت الكلمة من فمها كالطلقة النارية بعد أن ظنت بأنها عاجزة عن إخراج صوتها، فنظر اليها يوسف وبدا ان طلبها ذلك لم يدهشه كثيرا، وعلى عكس ما توقع من أنه سيصر على رفضه إلا أنها وجدته يقول بإذعان: حاضر، لو هو دة اللي انتي عاوزاه ، انا هعمله. بس ممكن تأجله شوية؟

مريم باصرار: النهاردة يا يوسف، انا مش هقدر أعيش معاك ولا لحظة تانية وأنا في عصمتك. انا هطلع ألم هدومي عشان خلاص ما بقاليش مكان هنا.

وانطلقت مريم صاعدة الدرج وهي تجر أذيال الخيبة، فلم تكن هذه هي النهاية التي تتوقعها لتلك الليلة، بل لم يكن في حساباتها على الإطلاق بأنها ستكون الليلة الأخيرة لزواجهما.

الفصل السادس والعشرون :

* بين برائن الثعلب *

كانت تلك هي إحدى المرات القلائل التي يخرج فيها عبدالرءوف الكامل عن هدوئه وهو يقول والغضب يتأجج في عينيه و يقف مستندا على عكازه: وهو احنا من امتي يا يوسف وعندنا بنات بتتطلق؟

كان يوسف يجلس أمامه في حالة من السكينة والاستسلام كما لم يره عبدالرءوف من قبل وهو يرد بصوت يسمعه بالكاد كل من عبدالرءوف و ابنته وردة التي كانت تجلس على كرسي في مواجهة يوسف حزينة على مصير ابنة أخيها من جهة ووقلقة على والدها من الانفعال الزائد الذي حذره منه الأطباء من جهة أخرى: مريم مصرة وما مش هينفع اني أجبرها انها تعيش معايا غصب عنها أكثر من كدة.

فانفعل عبدالرءوف أكثر وهو يقول: يعني ايه مصرة؟ وانت اصلا من امتي وانت بيهمك رأي حد تاني؟ جرى ايه يا يوسف؟ هو اي ست بتطلب الطلاق من جوزها بيطلقها؟ بالشكل دة ما كنش فيه أي جواز استمر لحد دلوقت.

يوسف: بس المرادي مختلفة، وصعب اوي ان مريم تتراجع عن قرارها.

عبدالرءوف بشك: ليه يعني؟ وهو حصل ايه بينكم لكل دة؟

وعندما لم يتلق أي رد من يوسف لم يصر على سؤاله بل قال وقد خرج صوته رزينا: ع العموم خلاص، وكويس انك ما اتسرعتش وطلقتها قبل ما تيجو، فسيبها قاعدة معانا شوية لحد ما تهدى وبعدين هيبقا لينا كلام تاني.

يوسف: اللي تشوفه.

ثم نهض مستعدا للرحيل: طيب عن اذنكم.

عبدالرءوف: مع السلامة

وبالفعل رحل يوسف، فنظر عبدالرءوف الى ابنته يسألها باهتمام: هي مريم لسة صاحبة؟

وردة بنبرة حزينة: انا سيبتها كانت لسة صاحية ويا حبة عيني وشها بقا زي الليمونة من كتر العياط ورافضة انها تتكلم مع أي حد.

عبدالرءوف: طيب انا طالعلها.

فنهضت وردة عارضة مساعدتها: طيب تحب أطلع معاك يا بابا؟

عبدالرءوف رافضا: لا ، خليكى انتي، انا عاوز اتكلم ماعها لوحدنا، ولما نشوف أخرة العناد دة ايه؟

جلست وهي تضع وجهها بين ركبتيها وقد جفت دموعها من كثرت البكاء، كانت مريم في حجرتها القديمة بفيللا عبدالرءوف الكامل التي لم تكن تتخيل أنها ستعود إليها بتلك السرعة بعد ثلاثة شهور فقط من زواجها الذي رغم تنبؤها بفشله منذ البداية إلا أنها لم تكن تتوقع له تلك النهاية، كانت مريم تستعيد في ذاكرتها كل ما سمعته من يوسف في لقائهما الأخير وكلمة آسف التي ردها على مسامعها وقد جرحتها أكثر من أن تداويها على عكس ما كان يظن، ثم أخذت تفكر ما الذي جعله يتغير إلى هذا الحد بين ليلة وضحاها؟ وكان الجواب في كلمات علياء التي كانت قد حذرتها منه، فهل ما حدث يعني بأنها كانت على حق؟ وأن يوسف قد اعتذر منها فقط لأنه لم يرد لعلاقتهما أن تتطور إلى تلك الدرجة التي يصعب عندها الانفصال؟ هل كان هذا سبب اعتذاره لها؟

سمعت مريم طرقا على الباب فمسحت وجهها بيديها سريعا من أثر الدموع وهي تسأل: مين؟

فرد الطارق: أنا جدك يا مريم.

مريم: اتفضل يا جدو.

فدخل عبدالرءوف وأغلق الباب خلفه، ثم اقترب من حفيدته وجلس بجوارها وهو يتأمل وجهها الحزين بدقة وقلبه يتفطر من الألم بسببها، ولكنه لم يدعها تشعر بذلك فسألها وهو يبتسم: عاملة ايه دلوقت يا مريم؟ مش أحسن؟

فقالت مريم دون أن تشعر بأي تحسن فعلي بداخلها: اه، الحمد لله. خلصتوا إجراءات الطلاق؟

عبدالرءوف مشككا: انتي لسة مصرة ع الموضوع دة؟

مريم: طبعا يا جدو، انا مش هقدر أعيش يوم تاني بعد النهاردة مع البني آدم دة.

عبدالرءوف بحكمة و لطف: شوفي يا مريم، انا مش هتدخل في خصوصياتكم واسألك ايه اللي حصل؟ بس كل اللي أحب اقولهولك يا بنتي ان الطلاق دة مش حاجة سهلة كدة زي مانتي متصورة، دة بيت بحاله بيتخرب يا بنتي، وكمان انتو لسة ما كملتوش ثلاث شهور ويمكن تكونوا لسة معرفتوش بعض كويس واللي حصل بينكم دة أيا كان يعني يمكن يكون مجرد سوء تفاهم، عشان كدة لازم تدي نفسك فرصة توزني الامور بعقلك قبل عواطفك وأنا واثق انك هتغيري رأيك.

نظرت مريم إلى جدها وهي في حيرة من أمرها، أستخبره بما اكتشفته وسمعتة من علياء الآن؟ وهل سيصدقها؟ أم أن ثقته بيوسف ستحول من أن يصدق أي كلمة سيئة عن هذا الرجل الذي يضعه في منزلة ولده؟

ثم انتبهت مجددا على صوت جدها وهو يقول: قولتي ايه يا مريم؟

لم ترد مريم أن ترى نظرة الأمل التي تملأ عينيه تتحطم فجأة بكلمة منها، ولكنها لا تستطيع أن تتعلق بمزيدا من الأوهام، أو أن تسمح لرجل كيوسف أن يخدعها مجددا، لذا خرجت كلمتها الفاصلة تقول: لا يا جدو، انا عاوزة أطلق و النهاردة مش بكرة.

بدا أن عبدالرءوف قد استنفذ كل أسلحته لاقناعها، لذلك قرر استخدام سلاحا جديدا قلما يستخدمه مع مريم، فقال لها بصوت قاطع ونبرة لا تقبل النقاش وهو ينهض من على السرير: وانا هخليه يطلقك يا مريم، بس مش دلوقت، لان لو خير طلاقك وصل للبلد الايام دي هتبقا فضيحة احنا مش أدها.

ثم تركها دون ان يسمع منها اي كلمة اعتراض واحدة على قراره.

دخل يوسف فيلنته بوجه مهموم جعله يبدو أكبر كثيرا من عمره الحقيقي، وقد كان كل من وليد ومريم وهدى والتي كانت قد استيقظت مؤخرا بانتظاره، وفور أن رآه وليد علم بأن الأمر خطير كما توقع تماما فنهض سريعا واتجه إلى أخيه

وهو يسأله باهتمام شديد: يوسف! فيه ايه؟ مالك؟ من ساعة ما اتصلت بيا وقولتلي هات مراتك وتعالى وانا قلقان وحاسس ان فيه حاجة ما تطمنش؟ هي فين مريم؟

يوسف بصوت ثابت بعيدا كل البعد عن النزاع الدائر بداخله: مريم عند جدها.

وهنا سألت حياة بصوت قلق: ليه؟ خير! هو حصل حاجة؟

وعندما لم يرد يوسف على سؤالها قررت صياغته بشكل آخر فسألت: طب هي بخير؟

فهز يوسف رأسه موافقا مما أراح حياة قليلا، وقال يوسف محدثا وليد: المهم، انا اتصلت ببيكم دلوقت لأني مسافر بكرة الصبح لبنان، وطبعاً مش هينفع أسيب هدى لوحدها، و أم إبراهيم بحكم السن طبعاً مش هتعرف تاخذ بالها منها، وانا معتمد عليكي يا حياة في الموضوع دة وتقدرنا تستخدموا العربية بتاع مريم توديكم وتجييكم سوا من الكلية.

فاندفعت هدى تقول محتجة: انا مش صغيرة ومش محتاجة حد ياخذ باله مني.

فأشار إليها يوسف بإصبعه محذرا وعينيه تنذر بالخطر وهو يقول مشددا على كل كلمة: اللي أنا قولته هيتنفذ بالحرف الواحد، ومش عاوز أي كلمة زيادة، واتفضلي ياللا روحي اطلعي اوضتك.

وعندها رأى أنها لم تحرك ساكنا ارتفع صوته قليلا وهو يقول: حالا.

وتنفيدا لأمره سعدت هدى الدرج دون أن تنفوه بأي كلمة، وأشار وليد بعينيه إلى زوجته ففهمت الإشارة وقالت لهما قبل أن تحذو حذو هدى: تصبحوا على خير.

وظل وليد ويوسف وحدهما بالمكان، فقال وليد بعد أن تأكد من خلو المكان تماما ومن أنه ليس بمقدور أحد سماعهما: أدينا بقينا لوحدينا يا سيدي، قولي بقا، زعلت مراتك ليه؟

فقال يوسف وهو يلقي بنفسه على أقرب كرسي له: تقدر تقول كدة اني حسيت اني ما استاهلهاش.

وليدها ساخرا: ياراجل! انت جاي تقول كدة دلوقت!

يوسف: تقول ايه بقا؟ اهو اللي حصل.

شعر وليد بحجم المرارة التي يتحدث به أخيه فقال وهو يجلس على كرسي آخر بالقرب من يوسف وهو يدقق النظر إلى عينيه: بس انت بتحبها بجد يا صاحبي ودة يخليك جدير بيها.

يوسف بألم: مش كفاية، انا ليا حياتي ومريم ليها حياة تانية مختلفة تماما عني. عاملين بالظبط زي الخطين المتوازيين اللي عمرهم ما هيتقابلوا.

وليد: بس دة في الهندسة يا صاحبي، لكن الحياة ليها حسابات تانية، يعني ببعض التنازلات هتتقابلوا بشرط انكم انتو الاتنين تكونوا عاوزين كدة.

يوسف ساخرا: طيب مانت بتعرف تنصح غيرك كويس اهو ، ما بالمره بقا تنقي لنفسك نصيحة كويسة كدة يمكن تنفع معاك وتقدر تصلح علاقتك بمراتك.

وليد: لسة يا يوسف، لسة فيه حاجز بيني وبينها لما يتشال ساعتها بقا هنقدر نعيش صح. المهم، ايه موضوع سفرك الجديد دة؟

يوسف: هو بردو كان جديد عليا، انا اصلا لسة واصلا لي الأوامر النهاردة.

وليد: ع العموم بيقا خلي بالك من نفسك يا صاحبي.

يوسف: سيبها على الله، ياللا بقا اطلع اوضتك عشان تنام وتبقا فايق بكرة في الشغل يا وليد بيه.

استطاع وليد أن يتبين نبرة المرح في صوت أخيه، فرد عليه بمثلها وهو ينهض: ماشي يا يوسف بيه، تصبح على خير.

يوسف: وانت من أهله.

كانت حياة قد أبدلت ثيابها ببيجاما تخص وليد حيث لم تكن قد أحضرت ثيابا لها، فهي لم تأت اليوم بغرض المبيت، وبما أن تلك البيجاما كانت تبدو طويلة عليها فقامت بثني رجليها وكذلك الكمين أما بالنسبة لاتساعها فلم تجد أي وسيلة لتداريه، وقفت حياة في الحجرة تتأملها بعناية ودقة حيث كانت المرة الأولى لها التي تدخلها بل قد شارته إليها مريم في

إحدى زيارتها القليلة للفيلا ولكن لم تحاول أن تدخلها من قبل، فكانت غرفة واسعة تشمل خزانة ثياب كبيرة وكذلك تسريحة عريضة وكرسين وأريكة مريحة وباب صغير يؤدي إلى حجرة حمام خاصة بها، ثم اتجهت عينها إلى ذلك السرير العريض الذي يتسع لأكثر من شخص وبالرغم من ذلك الاتساع إلا أنه لا يزال سريرا واحدا وحياتها مع وليد حتى الآن لا تسمح لهما بمشاركة نفس السرير، ثم أخذت تفكر في الكيفية التي سيكون عليه وضعهما في ذلك المكان وهل حان الوقت الذي سيدوب فيه أخيرا الجليد الذي بينهما؟

: انا هنام ع الكنبه.

كان ذلك صوت وليد الذي وقف بجسمه الطويل يسد الباب تقريبا، ويلوي شفثيه باسمها بسخرية وكان كمن يقرأ أفكارها فشعرت حياة بالخل جعلها تخفض عينيها هربا من نظراته العابثة، وأدارت وجهها وهي تحاول أن تجمع ثيابها التي كانت قد وضعتها على الأريكة قبل أن تعلم أنه قرر أن ينام عليها، ولم تشعر باقترابه منها إلا عندما أمسك بيدها وأدارها لمواجهته وهو يتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها بنظرات مبهمه، ولأنها كانت تعلم يقينا بأنها تشبه الطفل الذي يرتدي ثياب أخيه الكبير في تلك البيجاما ففسرت نظراته على أنها سخرية من نوع آخر، فقالت مدافعة عن نفسها: ما كنتش عاملة حسابي في أي هدم، فدورت في دولابك وما لقيتش حاجة تنفعلي غير البيجاما دي؟

وعندما لم تتلق منه أي تعليق، قالت معتذرة: انا اسفة لاني أخذتها من غير ما استأذنتك.

لماذا لم ينتهز الفرصة ويلقي بإحدى تعليقاته اللاذعة أو الساخرة كعادته؟ إذن فهو لا يسخر منها كما كانت تعتقد، ولكم ما معنى نظرته تلك؟

وفجأة امتدت يده لتبعد خصلة صغيرة من شعرها ويضعها خلف أذنها، فاتبعت عينها بشدة مندهشة لحركته التي خدرت أطرافها وهي تنظر إليه في ترقب، فوجدته يقترب منها أكثر وبينما وهو يضع يديه حول كتفيه وكأنه على وشك احتضانها رن هاتفه.

فأنزل يده بغضب ووضعه في جيب سترته لإخراج جواله وكأنه يريد تهشيمه ثم نظر إلى شاشته ليتعرف على شخصية المتصل الذي من حسن حظه أنه يتصل هاتفيا حيث لم يكن في استطاعة وليد ايدأوه ، ثم فتح المكالمه ووضعه الهاتف على أذنيه وهو يقول: أبوة يا أستاذ عماد.

وعندما سمعت حياة الاسم ابتعدت عنه لتخفي ارتباكها، وتلتقط ثيابها من جديد التي كانت قد سقطت على الأرض لتضعها على الكرسي بينما سمعته يقول: لا أبدا مفيش ازعاج ولا حاجة.....

ثم صمت للحظات ليستمع إلى عماد الذي يحدثه، وأخيرا قال قبل أن ينهي المكالمة: لا خلاص، انا بكره ان شاء الله هكون في الموقع وأشوف اللي بيحصل.....تمام، مع السلامة

ألقى وليد بالهاتف على الأريكة بلا اهتمام وقال لها بجفاف: أنا هدخل الحمام أغير هدومي، وياريت قبل ما تنامي تحطيلي مخدة وغطا على الكنبه.

ثم توجه إلى الخزانة ليخرج منها ما سيرتديه للنوم وبعدها توجه إلى الحمام دون أن يتفوه بأي كلمة أخرى تاركا حياة تقف مشدوهة من تغير موقفه المفاجيء تجاهها وكأن الجليد الذي ظنت بأنه قد ذاب أخيرا قد عاد مجددا ليبي حاجز آخر بينهما، فبالفعل لقد احتارت حياة في أمره. فهل هو ذلك الشخص المليء بالحنان والمشاعر التي قد رأتها منذ قليل أم أنه ذلك الرجل الجليدي الذي يعاملها بجفاف وسخرية ورغم ذلك لا تستطيع أن تكرهه.

ونذهب مجددا إلى مشهد كثيرا ما يتكرر في شقة علياء التي كانت بصحبة عماد الذي كان يقدم لها خاتم قيم من الألماس وهو يقول: دة تقدير بسيط مني لكالك وبراعتك.

فتناولت علياء الخاتم وهي تنظر له بلا مبارالة وتقول لعماد: مش بطل، بس دة ما كنش اتفارقنا.

عماد: لا يا ماما، اتفارقنا دة لما يطلقوا.

علياء: انت مش بتقول ان الاخبار وصلتك انهم خلاص زعلوا من بعض ومريم راحت بيت جدها، بيقا فاضل ايه تاني؟

عماد: بردو مش كفاية، لما اسمع خبر طلاقهم بودني ساعتها بقا هعملك كل اللي انتي عاوزاه.

علياء: ماشي يا عمدة، بس يا ترى انت واثق في البننت اللي اسمها هدى دي؟

عماد: لا، دي خلاص بقت زي الخاتم في صباعي.

علياء بنظرة خبيثة: وياترى بقا آخرة الخاتم دة ايه معاك؟

فرد عماد بنفس طريقتها بالمراوغة: دة بقا يا حلوة ما يخصكيش.

كانت مريم لا تزال جالسة على السرير تفكر في مصيرها بعد ذلك بعد انفصالها عن يوسف المحتوم، ثم فجأة قفزت

كلمات كان قد قالها يوسف نفسه في السابق حين كان يحدثها عن جدها: : هو انتي دائما كدة؟

مريم: كدة ازاي يعني!؟

يوسف: يعني دائما بتوقفي حياتك على شخص واحد، في الاول كان باباكي وبس ، ودلوقت جدك وبس، دة حتى

ساعة الفرحة حسيت انك موقفة فرحتك على وجود صاحبك اللي اسمها حياة. ليه كدة؟

قال تلك الكلمات وهو لم يخطر في باله حينها بأنه سيأتي اليوم الذي سيكون فيه هو الشخص الذي ستوقف سعادتها

على وجوده، ولكنها علمت بعد ذلك بأنه محق، فما تفعله هو خطأ كبير في حق نفسها، وبالرغم من أنها قد أدركت

تلك الحقيقة مؤخرا إلا أنها قد قررت أن تبدأ في الاعتماد على نفسها بعد ذلك، ولن توقف حياتها على شخص آخر.

كانت حياة تنتهي من تثبيت طرحتها على رأسها حين طرق أحدهم الباب، فقالت وهي لا تزال تنظر إلى المرأة: ادخل.

ففتحت هدى الباب ودخلت بخطف ثقيلة وكأنها مرغمة وهي تقول: أنا جاهزة، انتي لسة ما خلصتيش؟

فقالت حياة وهي تنظر إليها بوجه باسم: انا خلاص يا حبيبتي خلصت.

واقتربت منها حياة لتمسك بيدها وتتوجه إليها ناحية السرير وهي تقول: بس أنا كنت عاوزة أكلّمك في حاجة الأول.

فقالت هدى بتأفف: مش وقته، المحاضرة قربت تبدأ.

حياة مصرة وهي تجلسها بجوارها: هما خمس دقائق بالظبط وهنمشي.

فجلست هدى على مضض وسألت: خير؟

وبالرغم من تردد حياة كثيرا فيما إذا كانت ستحدثها في هذا الأمر أم لا، إلا أن هذا التردد لم يظهر في لهجتها وهي تسألها بطريقة مباشرة: هو انتي فيه ايه بينك وبين عماد شاكر رجل الأعمال اللي كان معزوم عندنا ع العشا؟ ظهر الارتباك على وجه هدى وتلعثمت وهي تقول: مين عماد شاكر دة كمان اللي هيكون بيني وبينه حاجة؟ دة انا هو قبلته مرة واحدة عندكم زي مانتي عارفة.

حياة: بس انا اللي أعرفه كمان اني شفتك امبارح وانتي بتركي معاه العربية أدام الجامعة.

بدا أن قول حياة قد صدمها ولكنها أخفت ذلك وراء غضبها وحدة صوتها وهي تنهض وتقول: انتي بتتجسسي عليا؟ بتراقبيني؟

فنهضت حياة هي الأخرى ولكنها على عكس هدى فقد ظلت تتحلى بالهدوء: لا يا حبيبتي، انا لا بتجسس عليك ولا براقبك، انا شفتك بالصدفة.

هدى بتحدي: طيب وانتي عاوزة ايه بقا دلوقت؟ ايوة أنا أعرفه وخرجت معاه كمان.

حياة: انا عن نفسي مش عاوزة أي حاجة، بس كل اللي بتطلبه منك انك تخلي بالك من نفسك كويس، وما تنقش في اللي اسمه عماد دة لأنه شكله مش سهل، دة غير انه متجوز يعني.

هدى: هو قالي انه هيطلق مراته لأنه مش بيحبها ولا طايق يعيش معاها.

حياة: طب وبعد ما يطلقها؟

هدى بحماس: هنتجوز طبعا.

إذن فهذه هي الطريقة الجديدة التي يستخدمها لخداع الفتيات الصغيرات التي في عمر هدى وبراءتهن وبدا أنه قد نجح تماما في ذلك، ولكن حياة لم تياس في محاولة إقناع هدى بأنه ليس إلا مجرد مخادع ويجب عليها ألا تأمنه وحاولت

استخدام العقل في ذلك وهي تقول: طيب وايه اللي مسكته لحد دلوقت؟ يعني ليه مطلقش مراته من زمان مادام هو مش طايقها للدراجادي زي مانتي بتقولي؟

هدى: لأنه عنده شغل معاها مستني لما يخلص الأول وبعدين هينفذ اللي اتفقنا عليه.

من الواضح أنه قد أجرى لها عملية غسيل مخ كاملة كي تدافع عنه بتلك الطريقة المستميتة، ولكن حياة استمرت في محاولاتها: يا حبيبي دة كلام ما يدخلش العقل، صدقيني دة بيضحك عليك، فكري كويس أرجوكي وهتعرفي ان كلامي صح وأنا والله غرضي مصلحتك.

فقلت هدى بانزعاج ونفاذ صبر: والله بقا أنا حرة، وانتي كمان محدش عينك واصي عليا، و ياريت بقا نخلي الأمور واضحة بينا من دلوقت وكل واحد لازم يعرف وضعه كويس في المكان دة، و ياريت من هنا ورايح ملكيش دعوة بيا خالص، ولا كمان لسانك يبجي على لساني في خير أو في شر.

ثم توجهت ناحية الباب بخطوات سريعة وقبل أن تصل إليه، استدارت مجددا ناحية حياة التي كانت لاتزال تقف في مكانها مبهوتة حائرة لاتدري كيف تتصرف؟ فقلت لها هدى محذرة: اه، ونسيت أقولك ياريت وليد ويوسف مايعرفوش بالموضوع دة لحد ما انا اقولهم بنفسي ولو سمعت انهم عرفوا منك أي حاجة صدقيني هيبكون ليا تصرف تاني معاكي.

واندفعت خارجة من الغرفة بعد أن قالت جملتها الأخيرة وهي لا تدرك أن حياة أحرص منها على ألا تخبر أيا من يوسف أو وليد أي شيء يتعلق بعماد، ولكن يجب أن تكون هناك وسيلة أخرى لإنقاذها من براثن هذا الحيوان المفترس.

دخلت مريم حجرة المكتب لتجد عبدالرؤف جالسا خلف مكتبه يطالع أحد الكتب وقد كانت تلك هوايته المفضلة والتي يبدو أنه قد علمها ليوسف أيضا، وعندما رآها عبدالرؤف أغلق الكتاب الذي في يده ووضعه على المكتب وهو يقول لها بابتسامة حنونة: تعالي يا مريم.

فاقتربت مريم منه بخطوات مترددة وهي تقول: مش هعطلك عن القرابية يا جدو؟

عبدالرءوف: ثلاثة بس مسموح ليهم انهم يعطلوني عن أي حاجة بعملها حتى لو كانت القرابة وهما عمته وانتي ويوسف.

أجفلت مريم لسماع اسمه ولكنها لن تدع ذلك يثنىها عما عزمته على إخبار جدها به، فاقتربت مريم أكثر من المكتب وجلست على أحد الكراسي في مواجهة جدها وهي تفرك يدها محاولة استجماع شجاعته لتخبره بقرارها وقد لاحظ عبدالرءوف ذلك فسألها باهتمام: فيه ايه يا مريم؟ مالك؟

مريم: الحقيقة يا جدو أنا كنت فكرت في اني اعمل حاجة كدة وكنت عاوزاك تساعدني.

عبدالرءوف: أكيد لو شفت انها فيها مصلحة ليكي مش هقول لا، ياترى ايه هي بقا الحاجة دي؟

مريم: فاكرا يا جدو لما قولتلك اني عاوزة أفتح محل ملابس؟

عبدالرءوف بجذر وهو يتوقع ماهي مقدمة على إخباره به: فاكرا انك قولتي انك هتعملي المشروع دة بعد ما تخلصي دراستك.

مريم: صحيح انك كنت ناوية على كدة، بس انا غيرت رأبي و عاوزة أعمل المشروع دة دلوقت.

عبدالرءوف: طيب ممكن أعرف السبب اللي خلاكي تغيري رأبك.

مريم: عاوزة أكبر يا جدو.

تفاجأ عبدالرءوف من ردها وبدا أنه لم يستوعب تماما ما تعنيه بتلك الجملة، فسألها: يعني ايه؟

مريم موضحة: هما مش بيقولوا ان عمر الانسان الحقيقي بيتقاس بالخبرات والتجارب اللي بيعيشها؟ وأكثر حاجة ممكن تكسبني خبرة هو الشغل اللي هيسمحلي اني اتعامل مع كل الناس بمختلف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية، وده هيساعدني اني أفهم الدنيا أكثر.

سرح عبدالرءوف قليلا وهو يفكر في الكلام الذي قالته حفيدته للتو، ثم قال لها: طيب ودراستك هتعملي فيها ايه؟

مریم: هحاول أوفق ما بينهم وبخصوص الكلية فأنا هروح المحاضرات المهمة بس والمحاضرات الثانية هبقا انقلها من أصحاي.

عبدالرءوف وهو ينظر إليها بإعجاب وقد بدا عليه الاقتناع: طيب انتي شايفة ان واحدة في سنك وعديمة الخبرة تقريبا تقدر تدير مشروع زي دة لوحدها؟

مریم بسعادة وحماس زائد جعلها على استعداد لأن ينفذ لها أي طلب شرط أن يراها دائما في تلك الحالة: ماهو أنا الأول هاخذ كورس مكثف في ادارة الأعمال دة غير اني أعرف واحدة صاحبة بوتيك اسمها مدام ناهد ممكن أروحها كذا مرة كدة وأفهم منها بعض الأمور الغامضة بالنسبالي ومفتكرش انها هتمانع، بس دة كله يكون أثناء التجهيز للمحل عشان ما اضيعش وقت.

عبدالرءوف بنبرة إعجاب واضحة: ما شاء الله، دة انتي تقريبا مجهزة لكل حاجة أهو، امال عاوزه مني انا ايه بقا؟

مریم: كنت عاوزاك تشوفلي حد كويس يعمل داسة جدوى للمشروع عشان أعرف التكاليف بالظبط قبل ما أبدأ.

عبدالرءوف: يا ستي ابدأي انتي والتكاليف دي ملكيش دعوة بيها خليها عليا أنا.

حاولت مریم أن يكون في اعتراضها بعض اللطف وهي تقول: لا، معلش بقا يا جدو، انا عاوزه أعمل المشروع دة من مالي الخاص، عشان أحس بقيمة الحاجة اللي بعملها، انت بس شوفلي الشخص اللي انا قولتلك عليه وكتر خيرك على كدة.

وفي تلك اللحظة ظهر ماهر وهو يطرق على باب المكتب الذي لم يكن مغلقا تماما، فقال الله عبدالرءوف مداعبا وبلهجة مرحة: ادخل يا ماهر، دي أول مرة في حياتك تيجي في الوقت المناسب.

كانت حياة تمشي في ذلك الممر الطويل بخطوات تكاد تكون متعثرة، فنتلك هي المرة الأولى التي تدخل فيها هذا المكان، ولكن لم يكن ذلك هو السبب الحقيقي لقلقها الذي كان في الحقيقة أساسه هو خوفها من ردة الفعل التي ستواجهها بسبب تلك الزيارة الغير متوقعة، وصلت حياة بالنهاية إلى باب أحد الغرف المكتوب عليه سكرتيرة المدير

العام، فطرقت الباب ثم دخلت مباشرة، واقتربت من تلك الفتاة التي تجلس خلف المكتب وترمقها بنظرات متفحصة وقد بادرتها بسؤالها: خير يا فندم؟

حياة: لو سمحتي، انا عاوزه أقابل الاستاذ عماد.

السكرتيرة مستوضحة: قصدك عماد بيه المدير العام؟

حياة: ايوة.

السكرتيرة وهي تتفحصها مجددا باستغراب: وياترى فيه ميعاد سابق؟

حياة: لا.

السكرتيرة: يبقى أنا اسفة اني أبلغك ان عماد بيه صعب يقابل حضرتك في الوقت الحالي، تقدرني يافندم تتصل بينا في التليفون واحنا نحدد لك ميعاد مناسب.

شعرت حياة باليأس يتخلل كيانها، ولكنها قالت بلهجة واثقة: انا متأكدة انه لما يعرف اني موجودة هنا مش هيرفض انه يقابلني، ياريت بس لو سمحتي تقويله حياة محمود حرم الباشمهندس وليد جلال.

فنظرت اليها السكرتيرة في شك ولكنها وبعد أن دونت بعض الملحوظات في مفكرتها قامت بتنفيذ ما طلبته منها حيث رفعت سماعة هاتفها الداخي وضغطت أحد أزراره ثم قالت: فيه واحدة عندي هنا يا فندم عاوزه تقابل سيادتك وبتقول ان اسمها حياة محمود وبتقول كمان انها حرم الباشمهندس وليد جلال..... حاضر يا فندم، تحت أمرك.

ثم أعادت السماعة مكانها، ونهضت وهي تقول لحياة وقد زادت لهجة الاحترام في صوتها وهي ترشدها إلى باب آخر بمكتبها: اتفضلي يا مدام.

وتوجهت حياة لتدخل من الباب الذي كانت قد فتحت له تلك الشابة ثم أغلقت خلفها، فجالت حياة بنظرها في ذلك المكتب ليس لتفقد محتوياته بل لتبحث عن ذلك الشخص الذي وجدته يجلس خلف مكتبه بكل تعالي وغرور، وما ان وقعت عينيها عليه حتى رأته ينهض من مكانه وهو يقول لها مرحبا: اهلا أهلا مدام حياة. نورتي المكتب اتفضلي.

وبالفعل تقدمت حياة من المكتب وجلست أمامه حيث أشار لها، ثم جلس على كرسيه و هو يسألها: تحبي تشربي ايه؟

حياة بجمود: انا مش جاية هنا عشان أشرب، انا جيت بس عشان أقولك كلمتين وهمشي على طول.

عماد: خير يا مدام؟

ولأنها كانت تعلم جيدا أن رجلا كعماد هو خبير في أمور التحايل واللف والدوران، لذلك قررت أن تدخل في الموضوع مباشرة: انا جيت هنا عشان أقولك ابعده عن هدى. انا عارفة انكم بتخرجوا مع بعض زي مانا متأكدة اوي انك بتضحك عليها، عشان كدة جاية أحذرك وأقولك مليكش دعوة بيها نهائي.

عماد بمراوغة: طب طالما انتي عارفة كدة كويس، أكيد كمان عارفة اني ما ضربتهاش على ايدها وكل اللي بتعمله دة بمزاجها. يبقى ليه بقا ما قولتيش الكلام دة ليها هي وكنتي وفرتي على نفسك المشوار؟

حياة: هدى مش قابلة أي كلام مني في الموضوع دة.

فقال عماد وكأنه يكمل لها جملتها: ولا في أي موضوع تاني، مش كدة؟ اصلها يا حرام متضايقه منك أوي لانك خطفتي خطيبها منها وختيه يسيبها ويتجوزك انتي، مش هو دة اللي حصل؟

ان كان غرضه مما قاله هو استفذاها فقد نجح مائة بالمائة في ذلك الأمر لدرجة أن حياة لم تعد بمقدورها أن تنفوه بكلمة أخرى مما سمح له أن يستمر ليزيد آلامها أكثر: وأنا بصراحة من ساعة ما عرفت انك مرارة وليد وانا هموت وأعرف انتي قدرتي تضحكي عليه ازاى؟ الحقيقة انا لحد دلوقت مش قادر أصدق ان واحد زي الباشمهندس اللي كل الناس بتتكلم عن رجولته وذكاؤه يطلع مغفل بالشكل دة.

لو كانت في ظروف أخرى لقامت من مكانها وصفعته بكل قوة ردا على اهانتته لزوجها، ولكنها لم تنس هدفها الرئيسي من تلك الزيارة، لذلك تجاهلت كلامه، وقالت له بلهجة قوية مهددة: عماد، ابعده عن هدى أحسنلك وإلا هقول لوليد ويوسف.

لم يبد أن تهددها قد لاقى أي اهتمام من قبل عماد الذي قال لها ساخرا: ياترى بقا هتقوليلهم عن علاقتي بهدى دلوقت ولا علاقتي بيكي زمان؟

وعندما لمح التردد باديا على وجهها أكمل وقد استلم هو دفعة الحديث وأصبح هو من يقوم بتهديدها: اسمعي يا شاطرة، ياريت تخليكي في حالك أحسن، لانك مش أد المشاكل اللي ممكن أعملها لك لو حسيت في لحظة انك واقفة في طريقي، وياللا بقا الزيارة انتهت.

ثم أدار كرسيه ليصبح ظهره هو المواجه لها معبرا عن رغبته في انهاء الحديث، فنهضت حياة وخرجت من المكتب بخطى بطيئة وهي تلوم نفسها على تلك الزيارة وعلى غبائها الذي خيل إليها بأنها قد تجد في عماد بعض اللين، ولكن هيهات للنذل أن يبدي بعض الشهامة!

مر اسبوعان ببطء شديد لم يحدث فيهما أي جديد إلا عودة يوسف من السفر وتجهيز مريم لحل الملابس بمساعدة ماهر الذي استطاع أن يقنعا بأن تقبل مشاركته لها بهذا المشروع والذي قد أوشك على الانتهاء حيث كان العمل به قائم على قدم وساق، ومريم كما أخبرت جدها قد التحقت بأحد الدورات التدريبية الخاصة بإدارة الاعمال وجدها وعمتها يشجعانها على ذلك حيث لاحظا بأن هذا المشروع قد أعادها إلى الحياة من جديد بعد أن فشلت كل وسائلهما في إخراجها من جو الاكتئاب الذي كانت قد سجنّت نفسها فيه، أما حياة وهدى فلم تتغير علاقتهما، حيث كانت هدى تتجنب الحديث مع حياة في مختلف المواقف بينما كانت حياة حريصة على ألا تدع تلك الصغيرة تلاقى نفس مصيرها، وفي إحدى الليالي وقف يوسف يصيح في حضور كل من وليد وحياة : يعني ايه تتأخر لحد دلوقت وما نعرفش مكانها؟ ولا حتى نعرفها أي أصحاب ممكن نكلمهم عشان نضمن عليها؟ دة بيقا اسمه تسبيب واستهتار. البنت دي مسئوليتنا كلنا ولو جralها حاجة هيبقا ذنبها في رقبتنا.

فقال له وليد مهدئا: طيب بالراحة بس يا يوسف عشان نعرف نفكر ممكن نعمل ايه؟

فزاد كلام أخيه من انفعاله: احنا لسة هنفكر؟ الساعة تسعة يا بيه وكل لحظة بتعدي وهي لسة برة فيها خطورة عليها والله أعلم هيبكون نوعها ايه؟

ثم وجه غضبه الى حياة: وانتي يا حياة، ازاي تسيبها وتيجي؟ مش نهت عليك انكم تروحوا مع بعض وتيجوا مع بعض؟

حياة والقلق يمزق فؤادها أكثر منهما: انا ما سيبتهاش، انا بعد ما خلصت محاضراتي روحت ع المكان اللي احنا متفقين انا نتقابل فيه، والمفروض اني كنت الاقيها مستنياني هناك لان محاضراتها النهاردة بتخلص قبلي، بس روحت ما لقيتهاش واستنيتها اكر من ساعة وبردو ما كنتش جات، دة انا حتى دورت عليها في كل مكان بالجامعة ممكن تكون فيه بس ما لقيتهاش ولما اتصلت بيها لقيت تليفونها مقفول.

يوسف: يعني ايه؟ هتكون راحت فين يعني؟

كان هناك صراع بداخلها بين أن تخبرهما بكل ما تعرفه عليهما يستطيعان نجدتها قبل فوات الأوان، وبين قلقها مما سيحدث ان كان قد فات الاوان بالفعل ولن تكون قد رجحت شيئا في النهاية الا كشف السر الذي عملت على إخفائه لمدة طويلة. ودعت ربها بصمت أن يحمي هدى من شر عماد ويرجعها إلى البيت سالمة، كما دعت أن يلهمها الصواب في حسن التصرف في تلك المشكلة، حتى واتتها فكرة لم تكن قد خطرت على بالها من قبل، فاستأذنت منهما لتخرج الى حديقة المنزل بينما كان يوسف يستعد لإبلاغ الشرطة و وليد يبحث في سجل الهاتف عن أسماء بعض المستشفيات ليسأل عن هدى عليها تكون قد أصيبت في حادث ما وتم نقلها إلى المستشفى، لذلك لم يبال أحد بما.

وفور خروج حياة إلى الحديقة ضغطت على بعض أزرار هاتفها، وانتظرت قليلا حتى تلقت ردا فقالت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ابوة يا مريم.....

الفصل السابع والعشرون :

* طرف ثالث *

كانت هدى تجهش بالبكاء وهي تجلس في قاعة الجلوس بفيللا عبدالرءوف الكامل على الأريكة بجوار مريم وتضع رأسها في حضنها ومريم تعمل على طمأننتها وتربت على كتفيها ورأسها وهي تلقي على سمعها بعض الكلمات المواسية على مرأى من ماهر الذي جلس على كرسي آخر بالقرب منهما وهو يتابع المشهد الذي أمامه بعيون جامدة ويبدو عليه السخط الشديد: اهدى يا هدى أرجوكي. خلاص يا حبيبي كل حاجة انتهت وانتي دلوقتي في أمان وسطينا، انا مش عارفة بس ايه اللي كان وداكي عنده؟ كان فين عقلك وقتها؟

فقال هدى وهي تبعد قليلا عن حضن مريم وتقول وقد اختنق صوتها من البكاء: والله يا مريم ما كنت اعرف، والله ماكنت اعرف انه كدة، هو قالي انه عاوز يفرجني على شقته عشان اشوف اللي مش عاجبي فيها ويغيره عشان دي الشقة اللي هنتجوز فيها.

وبنظرة سريعة ناحية ماهر أدركت أنه يحاول بقدر استطاعته أن يحافظ هدوئه حيث قد ضاعفت كلمات هدى من غضبه و أحتضنت مريم بكفيها وجه هدى وهي تقول لها برقة: خلاص يا حبيبي، دي كانت تجربة وعدت ولازم تنسيها.

فقال هدى وقد ازداد نحيبها: انساها ازاي؟ انساها ازاي يا مريم؟ ودي حاجة تنسي؟

هدى مؤكدة: هتنسي يا هدى، صدقيني هتنسي.

وفجأة سمعا جرس الباب بالفيللا وما هي الا لحظات قلائل حتى دخل كل من يوسف و وليد و حياة القاعة كالعاصفة وعلى الفور ألما بالمشهد أمامهما وكان يوسف أول من تحدث وهو لم يفت عليه رؤيته لهدى وهي تكفكف دموعها سريعا وتلك العينين الحمراوين من شدة البكاء فسأل وقد اكتست نبرته بلهجة غاضبة: انا عاوز أعرف ايه اللي بيحصل هنا بالظبط؟

كانت تلك المرة الأولى التي تراه فيها مريم بعد انفصالهما فشعرت بأنها لن تحتمل هذا الموقف وأنها لن تقوى على الكلام، ومع ذلك هي التي تولت الرد على سؤاله بكل ما تستطيع من هدوء: مفيش حاجة بتحصل، كل المسألة اني وحشت هدى فجات عشان تزورني واثأخرت شوية ونسيت انها تتصل بيكم فلما قالتلي اتصلت بحياة عشان ابليها.

بالطبع لم يقتنع يوسف بكلامها فهو يعلم بأن ابنة عمته لم تكن في يوم من الأيام على وفاق مع زوجته، كما أن دموعها تلك قد جعلته يشعر وكأنها تعرضت لكارثة ما، فهو يعلم تمام العلم أن هدى قلما تبكي، لذلك كان سؤاله التالي هدى: بتعطي لي يا هدى؟ ايه اللي حصل؟

بالطبع لم تجد هدى الرد المناسب على سؤاله فأخذت تنظر الى مريم في قلق تطلب منها العون وقد حدث. فقالت مريم على الفور وهي تخلق كذبة جديدة: اصل حصل مشكلة في الكلية بينها وبين دكتور عشان كدة هي خايفة من انه ممكن يستقصدها ودي اول سنة ليها.

يوسف بشك: واسمه ايه الدكتور دة وانا هروحله واحل معاه الموضوع؟

بدت مريم في ذلك الوقت وكأنها لم تبرع في شيء الا الكذب حيث استمرت في اختلاق كذبة جديدة: وعلى ايه تعطل نفسك يعني؟ الموضوع مش مستاهل، انا وحياتة هنروح معاها بكره ان شاء الله وهنكلمه واهي حياة تعرفه لانه كان بيديها.

ثم قالت لتنتقل الى أمر آخر منهية هذا الموضوع الذي وان استمر أكثر من ذلك فلن تستطيع أن تتنبأ بنتائجها، وقد وقفت سريعاً مبتسمة وهي تحاول أن تقوم بدور المضيفة: اتفضلوا اقعدا، انتو واقفين ليه؟

وبعد أن جلس يوسف بالقرب من هدى وهو يرمقها بنظرات مليئة بالشك وعقله يرفض تصديق كل ما قالته مريم، وهدى تحاول ان تتهرب من نظراته وهي تخفض عينيها، وقد احتل وليد كرسي آخر أما حياة فظلت واقفة بجوار مريم التي قالت: سوري لأن جدو وعمتو نايمين، قولولي بقا تحبو تشربوا ايه.

لم يشعر يوسف بأنه في حاجة لتناول أي شيء ولكن رغبته في المكوث بقربها أطول فترة ممكنه جعله يقترح بالنيابة عن الجميع: ياريت قهوة.

مريم: اوك، هروح أعملها.

ولكن قد أشارت لها حياة وهي تمنعها من مغادرة المكان: خليكى انتي يا مريم، انا هروح اعمل القهوة بنفسى.

فهمت مريم من نظرات صديقتها بأنها تريد مغادرة المكان وقد تأكدت من ذلك حين لمحت نظرتها المريية الى ماهر والذي قد فهمها جيدا، وبعد أن خرجت حياة، نُفض ماهر وهو يقول معندرا: طب انا اسف يا جماعة لاني مضطر اني امشي دلوقت.

ثم أكمل مازحا: معلىش بقا الواحد خلاص بقا متعود ع الالتزام انام بدري واصحى بدري، سلام عليكم.

فردوا عليه السلام ، ورحل فجلست مريم مكانه وهي تتجنب نظرات يوسف اليها ليس لقلقها كما كان الحال مع هدى، بل لأنها كانت تشعر بانقباض في قلبها كلما وقع نظرها عليه فهي لا تريد أن تحبه ولا تستطيع أن تكرهه،

خرج ماهر من الفيلا ليجد حياة في انتظاره بالحديقة، ولم تنتظر حين يصل اليها بل أسرعت هي اليه وقد لمح السؤال في عينيها القلقة قبل أن تنفوه به: طمني يا استاذ ماهر، هدى جراها ايه؟

فظهرت شبح ابتسامة على ثغره أدخلت الطمأنينة على قلبها وهو يقول: اطمني يا مدام حياة، هدى بخير، تقدرى تقولي اني لحقتها، فجبته هنا ومريم فوقتها.

ولكن لم تكتف حياة بهذا الرد فأرادت مزيدا من التفاصيل: يعني هي فعلا كانت عنده في شقته؟

ماهر: ايوة، انا لقيتها في الصالون كانت تقريبا مغمى عليها.

حياة بخضة: وانت ايه عرفك انه ما لمسهاش؟

ماهر: اولاً لاني عارف عماد كويس، يعني اقدر اعرف هو بيفكر في ايه حتى قبل ما يقوله لانه كان صاحبي من زمان وتقريبا كنت زيه، دة غير ان اي انسان مهما كان ما يقدرش يكذب وهو على وشك الموت.

حياة: ايه؟ انت قتلتته؟

فقال ماهر بنبرة حانقة: كنت على وشك اني اعمل كدة، وكنت فعلا ناوي أقتله لو عرفت انه لمس شعرة واحدة منها.

حياة وقد ارتاحت كثيرا لكلامه: الحمد لله.

ثم قفز سؤالاً الى ذهنها فلم تستطع أن تتركه يذهب قبل أن تسمع رده عليه: استاذ ماهر تسمحي أسألك سؤالاً؟

ومع أنها كانت مترددة بعض الشيء في طرح هذا السؤال الا أن ابتسامته المشجعة قد محت أي تردد كان يخامرها وكذلك موافقته السريعة ذات النبذة الدافئة: تحت أمرك.

حياة: انا من فترة لاحظت اهتمامك بهدي وحسيت ان مشاعرك بدأت تتحرك ناحيتها، فيا ترى اللي حصل دة غير أي حاجة؟

صمت ماهر قليلا فاستتجت حياة الرد ولكنها فوجئت بقوله: شوفي يا مدام حياة، انا مش هقدر أقولك ان اللي حصل دة ما كنش ليه أي تأثير عليا واني مش هلوم هدى لأنها فعلا تستحق اللوم. بس دة مش معناه اني أحط كل الذنب عليها. لأني زي ما قولتلك انا عارف عماد كويس وعارف كل ألعيبه، واذا كان هو بيقدر يغوي ستات أكثر خبرة فما بالك بقا بواحدة زي هدى لسة ما تعرفش حاجة في الدنيا؟

انشرحت أساربرها من كلامه و أرادت أن تطمئن أكثر فسألته: طب معلش، سؤال تاني واعذري علي تطفلي، يعني ممكن تتقدملها دلوقت؟

ماهر على غير توقع منها وبصوت قاطع: لا.

فساد الحزن وجهها وهي تقول في نفسها بأن الرجال كلهم يفكرون بنفس الطريقة، ولكنها فوجئت به يقول: مش هينفع الا لو اتأكدت انها بتبادلني نفس الشعور ودة مش ممكن يحصل دلوقت وخصوصا بعد التجربة اللي مرت بيها النهاردة واللي صعب انها تنساها بسهولة، يا مدام حياة انا لو اتقدمتلها دلوقت ممكن توافق صحيح بس مش علشان هي عاوزاني ، لا دة هيكون لأنها عاوزة تنسى بيا اللي حصلها وانا مش ممكن أقبل بكدة.

فهزت حياة رأسها في تفهم وقد كبر ماهر في نظرها أكثر بعد موقفه الشهم تجاه هدى كما أنه لم يستغل الفرصة ليحبرها على الارتباط به كما يمكن أن يفعل أي شخص في مكانه أو كما فعل وليد معها هي من قبل.

لاحظ وليد شرودها وكان يريد أن ينصرف في حينه دون أن يقطع عليها تفكيرها ولكن غلبه فضوله فسألها: مدام حياة، تسمحي لي أنا بقا أسألك سؤال؟ هو انتي ليه ما حاولتيش تبليغي وليد أو يوسف بكل اللي تعرفيه عن علاقة ماهر بهدي؟ يعني أعتقد ان دة كان أفضل و أسرع من كل اللفة دي؟

كان هذا أكثر سؤال تخشاه حياة ولكنها كانت قد أعدت له الاجابة المناسبة مسبقا حيث كانت تتوقعه، فأجابت: انت أكيد عارف يوسف ووليد كويس وأد ايه هما عصبيين جدا وحاجة زي دي عمرهم ما كانوا هيسكتوا عليها، واذا كنت انت قدرت تمسك نفسك في الموقف دة فمفتكرش انهم كانوا هيقدرروا وكان لازم هتتحصل جريمة عشان كدة أول ما شكيت ان احتمال هدى تكون مع عماد النهاردة اول انسان خطر على بالي اني اطلب مساعدته كنت انت لانك الوحيد اللي على علم بالموضوع دة وانت بردو اللي ممكن تعرف مكان عماد وتتصرف بشكل مش ممكن يأذي حد فاتصلت بمريم عشان اخذ رقمك منها والحمد لله انك كنت في الوقت دة معاها.

ثم انتهت فجأة الى أنها قد قضت معه الكثير من الوقت وربما يقلق عليها أحد في الداخل لذا اعتذرت وهي على عجلة من أمرها: ع العموم انا متشكرة جدا ليك ع اللي عملته مع هدى واللي بيثبت انت أد ايه فعلا انسان شهم، بس عن اذنك بقا عشان زمانهم قلقوا عليا جوة.

ماهر: اتفضلي.

واتبعها بعينيه وهي تدخل الفيلا، اما هو فانصرف خارجا بخطى ثابتة واثقة لم يبدأ يشعر بها الا منذ فترة قصيرة عندما أصبح يعتمد على نفسه في كل أموره وأصبح للحياة طعم آخر.

كان كل من يوسف ووليد وحياة ومريم يتناولون قهوتهم في صمت يتبادلون النظرات ذات المعاني المختلفة، وبعد ان انتقل وليد بنظره بين يوسف الذي لم يرفع عينه عن زوجته ومريم التي قررت أن تغض الطرف عن ذلك، قرر أن يقطع هو الصمت وقد وجد موضوعا مناسباً للحديث فسألها: قوليلي بقا يا مريم انتي عاملة ايه في مشروعك؟ سمعت ان الافتتاح هيبقا قريب ان شاء الله.

لا تعلم لم شعرت بالتوتر عندما نظرت إلى يوسف؟ ولكنها أعرضت بوجهها عنه سريعا وأجابت وليد وقد نجحت في رسم ابتسامة واسعة على شفيتها كانت هي نفسها في أمس الحاجة إليها لتعطيها مزيدا من الثقة: ان شاء الله بعد أسبوعين بالكثير.

وليد: بالتوفيق ان شاء الله، واحنا بقا معزومين على حفل الافتتاح ولا ما عملتيش حسابنا؟

مريم: والله يا وليد انا ما كنتش عاوزة أعمل حفلة لانها هتكلفنا كثير أصلا بس ماهر أصر وقال انها نوع من الدعاية لازم تتم وطبعاً انتو مش محتاجين عزومة.

وليد مازحا وهو يغمز ليوسف: الله الله يا عم يوسف، مراتك طلعت سيدة أعمال اقتصادية من الدرجة الأولى هنيالك يا عم.

لم يعلم أنه بمزاحه ذلك قد ضغط على الجرح وجعله ينزف من جديد، ولكن هل كان قد اندمل بالفعل؟! ونظر إلى زوجته ليجد حياة تنظر إليه وهي تضغط على شفيتها وكأنها تحذره من التمادي في هذا الأمر، ولكن قرر وليد أن يضرب بكل تحذيراتها عرض الحائط، فهو يشفق على حال أخيه منذ أن تركته زوجته دون سبب معلن، انه بالطبع لا يريد أن يتدخل في حياتهما الشخصية ولكن كان من وجهة نظره أنه مهما كانت هناك مشاكل بين الرجل وزوجته فلا يجب عليهما مطلقا التفكير في الانفصال إلا إذا استحالت المعيشة بينهما بالفعل ومما يراه أمام عينيه قد أكد له أن كل منهما لا يزال يكن للآخر مشاعر خاصة فاستمر يقول وهو يتعمد تجاهل علامات الاستهجان على وجهيهما: وانتي بقا يا مريم ناوية ترجعي بيتك امتي ولا عجبتيك العيشة في بيت جدك خلاص؟ وبصراحة بقا انا كمان عاوز ارجع بيتي انا ومرايتي. وطبعاً دة مش هينفع يحصل بوجود هدى لوحدها، واللي هيقدر يمللنا المشكدة دي هي رجوعك تاني يا مريم.

عجزت مريم عن الكلام واكتفت بنظرات السخط البادية على وجهها والتي خصت بها يوسف الذي انتفض فجأة من الغضب ونهض يقول في عجل ناظرا إلى ساعة يده: طيب ياللا بينا بقا يا جماعة، انا شايف اننا اتأخرنا أكثر من اللازم، ولازم نسيب مريم ترتاح بعد الازعاج اللي احنا سببنا هو لها دة.

ثم وجه حديثه الى مريم معتذرا: احنا اسفين جدا يا مريم، وكمان متشكرين ع اللي عملتية مع هدى.

فنهضت مريم وهي تشعر وكأن يوسف يقصد من وراء كلامه شيئا آخر غير ما بيديه، فهي تعلم أن أكذوبة كالتى أطلقتها بسبب هدى لم تنطلي تماما على زوجها، فقالت وابتسامة باهتة تعلو شفثتها: انا ما عملتش حاجة تستوجب الشكر.

وقال يوسف موجها لكلامه الى حياة: لو سمحتي يا حياة روعي شوفي هدى فين عشان نمشي.

وعندما همت حياة بالمغادرة فأوقفها صوت مريم التي قالت في شبه رجاء: يوسف! لو سمحت ممكن هدى تقعد معايا يومين هنا؟ وصدقني انا هاخذ بالي منها كويس.

أخذ يوسف يتفرس في وجهها الطفولي ببطء وهو يدرس طلبها بعقلانية مندهشا من طريقة كلامها بل وطلبها أيضا ففارق السن بينها وبين هدى لا يتعدى السنين تقريبا ومع ذلك تطلب منه أن يترك هدى في رعايتها! هو يعلم بأن أمرا خطيرا يحدث وابنة عمته طرفا فيه، ولكنه على يقين بأن لا أحد يمكنه أن ييوح بهذا السر على الأقل في الوقت الحالي، فأبدى موافقته بفتور: مفيش مانع، واضح فعلا ان هدى محتاجة تغير جو، بس اسمحيلي اني ابقا اطمئن عليها من وقت للثاني.

مريم: في أي وقت.

ثم قالت لحياة: وانتي يا حياة يا ريت تلمي شوية هدوم لهدى وتجيهم بكرة أو لو كنتي مش فاضية فممكن تبعيهم مع السواق.

حياة: حاضر

وتبادلت مع صديقتها نظرات ذات معان كثيرة ولكنها مليئة بعلامات الرضا والارتياح، فلقد انتهت احدى مشاكلهما على خير.

فور أن أصبحت حياة بمفردها مع وليد عبرت له عن رأيها الصريح في تصرفه تلك الليلة ولكن برفق: بس اللي انت عملته دة يا وليد غلط، ما كنش لازم تخرجهم بالشكل دة.

وليد وهو يجلس على الأريكة استعدادا للنوم: كان لازم حد يفوقهم شوية، كتر البعد بيعلم الجفا زي ما بيقولوا وانا مش عاوز علاقتهم توصل لكدة. وعشان نفس السبب انا قولت اللي قولته. فمهما كان حجم المشكة اللي حصلت بينهم فأنا متأكد انهم لو رجعوا يقربوا من بعض من جديد هترجع المية لمجاريها من تاني وينسوا كل اللي حصل.

حياة بتمني وصوت حالم وكأن تلك الأمنية لنفسها قبل ان تكون لصديقتها: ياريت يا وليد.

وفي شقة عماد نجده ممدا على الأريكة يئن من الألم وعلياء تجلس بجواره تحاول أن تمسح الدم عن جروحه التي نتجت من شجاره مع ماهر أو بالأدق نتيجة ضرب ماهر المبرح له والذي لم يستطع صده لأنه كان في حالة من السكر لم تسمح له بمقاومته. فسألته علياء وهي تضع قطعة قطن صغيرة على جبينه: انا بس اللي عاوزة أعرفه هو ماهر عرف ان هدى عندك ازاي؟

فقال عماد على الفور: وهي دي محتاجة كلام؟ مفيش غير حياة طبعا هي اللي تعرف علاقتي بهدى.

علياء بحيرة والدهشة: حياة! مش حياة دي تبقا بردو مرارة وليد؟

عماد ويبدو عليه الضجر: ابوة هي يا ستي.

علياء: طب ودي عرفت منين؟

عماد: شافتها معايا مرة واكيد استنتجت الباقي دة غير انها جاتلي الشركة عشان تطلب مني ابي ابعدها عنها.

علياء وهي تشعر بمزيدا من الفضول: لا، استنا عليا شوية بقا عشان اقدر استوعب اللي انت بتقوله، اولاً ايه اللي يخلي حياة تحاول تنقذ هدى وهما اصلا مفيش بينهم اي عمار زي ما قولتلي؟ وثانيا بقا والاهم هي ايه اللي خلاها اصلا تشك في نواياك ناحية اللي اسمها هدى دي وانت بتقولي ان علاقتك بوليد تمام وانه بيتق فيك؟

عماد وهو لم يحاول حتى ان يخفي مدى سأمه من الأمر: لانها معرفة قديمة، ومن الاخر كدة وعشان ما تسألش كثير انا اتعرفت عليها لما كنت لسة طالب في الكلية وزارت شقتي مرة.

علياء وهي تضع يدها على فمها لتكتم شهقتها من المفاجأة: حياة! ازاي يعني؟ دة انا حتى كنت بسميها في سري الشيخة حياة وكنت بحاول اني ما احتكش بيها بأي شكل، اتاربيها في الاخر تطلع كدة.

فاعترف عماد على مضض: الحقيقة هي لما جات ما كنتش تعرف انها شقتي و كل اللي حصل بينا بعد كدة تقدري تقولي انه كان غصب عنها.

علياء بنظرات شيطانية: ووليد لبس المقلب دة؟ مع ان اللي يشوفه يقول عليه راجل مفتوح وصعب ان حد يضحك عليه، ازاي واحدة زي دي قدرت تعمل كدة؟

عماد: دة بقا السر اللي انا مش قادر اعرفه لحد دلوقت.

علياء: طيب مانت تقدر تستغل دة كنقطة في صالحك ومادام الكارت اللي كان في ايدك خلاص اتحرق وهدى طبعاً صعب انها ترجعلك تاني، فانت ممكن تعوضها بحياة وتضغط عليها باللي حصل بينكم وتهددها بانك ممكن تفضحها.

فقال عماد رافضاً اقتراحها: مش هينفع، حياة ما بقتش البنت الساذجة اللي بقا ينفع يضحك عليها او حتى تتهدد لانها خلاص ما بقتش باقية على حاجة تاني، وكمان اللي يخليها قدرت تضحك على وليد بالشكل دة يخليها تقدر تخليه ما يصدقنيش في أي حاجة ممكن أقولها عنها وخصوصاً ان مش معايا أي دليل على كلامي.

علياء: طب وبتعمل ايه بعد كدة؟

عماد بنظرات شرسة: الاول اخلى من اللي اسمه ماهر دة لان شكله كدة هيقفلنا زي اللقمة في الزور. بس وديني لأخليه يندم ع اللي عمله دة.

وقبل أن تتمكن علياء من الرد عليه، دق جرس الباب فنظرت اليه باستغراب: هو انت مستني حد؟

فرد عماد مستخفياً بسؤالها: تفتكري هستنا حد ازاي وانا في حالي كدة؟ دة انا اتصلت بيكي بالعافية.

ولم يتوقف صوت جرس الباب عن اصدار رنينه فقالت علياء والقلق باديا على وجهها: امال تفتكر مين اللي ع الباب دلوقت؟

عماد وهو يحاول ان يضبط انفعاله حتى لا يثور في وجهها: لو فتحتي الباب اكيد هتعرفي.

وبالفعل توجهت علياء ناحية الباب بخطوات مترددة وفتحته بيد مرتعشة وما ان وقعت عينها على الزائر حتى أصابتها صدمة شديدة جعلتها تتبیس مكانها وهي تحاول ان تستوعب تلك المفاجأة، ولأنها كانت تسد الفجوة الصغيرة التي فتحتها من الباب، فلم يجد ماهر بدا من أن ينحیها جانبا وهو يقول مازحا: ايه يا لولا؟ مش عاوزة تدخليني ولا ايه؟ امال لو كانت دي شقتك كنتي عمليتي معايا ايه؟

ثم دخل وقد أغلقت علياء الباب بركة تلقائية، وعندما تقدم الى الداخل ورأى عماد ممدا كما هو على الأريكة فتح ذراعيه كمن يستعد لاحتضان أحدهم وهو يقول: حبيب قلبي يا عمدة.

لم تقل دهشة عماد عن علياء حيث كان ماهر هو آخر من يتوقع ان يزوره بعد ما فعله معه منذ ساعات، ونهض عماد وهو يتحامل على نفسه متحملا كل الآلام وهو ينظر الى ماهر بغضب ويقول: انتي ايه اللي جابك هنا؟ انت ليك عين توربني وشك تاني بعد اللي عملته؟

وتفحص ماهر بعينه الكدمات التي خلفها في وجه عماد بدقة ونظرة عابثة، ثم قال بلهجة مرحة: ياااااا، انا عملت فيك كل دة؟ دة انا طلعت جامد بقا على كدة وانا معرفش.

واقترب اكثر من عماد وهو يقول معتذرا بنبرة لاهية: معلش يا صاحبي بقا، كان لازم اسبك الدور كويس.

فتعجب كل من عماد وعلياء من كلامه وقد عبرت علياء عن عدم فهمها بسؤالها الصريح: دور ايه؟

ماهر مبتسما: طب اقعدوا بس وانا افهمكم.

ولم ينتظر ردة فعلهم بل بادر هو بالجلوس على أحد الكراسي بارتياح تام، وقال لعلياء: جرى ايه يا لولا؟ انتي بقيتي بخيلة بجد ولا ايه؟ مش ناوية تعزمي عليا بكاس.

وبعد أن تبادلت علياء النظرات مع عماد الذي أوما لها برأسه موافقا، ذهبت الى طاولة صغيرة كانت تحمل زجاجة خمر وسكبت منها القليل في أحد الكؤوس وقدمته لماهر، ثم جلست على الأريكة بجوار عماد الذي بادر بسؤال ماهر بنفاذ صبر واضح وكان الأخير يرتشف من الكأس بعض القطرات على مهل: قولي بقا انت ايه اللي جابك؟

ماهر: جاي عشان نتفق على باقي الخطة.

عماد بضيق وقد سأم من مراوغته: خطة ايه؟ ما تقول كلام مفهوم يا جدع انت.

ماهر: ماشي انا هحاول انزل لمستواكم وافهمكم. انا كل اللي عملته دة كان جزء من خطة انا بنفذاها عشان اخلي اخوانا البعدا يثقوا فيه ويأتمنوني على كل أسرارهم وساعتها بقا اقدر اضرب ضربتي.

عماد بغير تصديق: يا سلام! يعني عاوز تفهمني ان كل اللي حصل دة النهاردة عشان تخليهم يثقوا فيك؟ مش مصدقك يا ماهر.

ماهر موافقا: معاك حق، دة ما كنش السبب الوحيد للي انا عملته، فيه سبب تاني كنت بفضل انا احتفظ بيه لنفسني بس طالما بقا بقينا بنلعب ع المكشوف فانا ممكن اقولهولكم. السبب هو الغيرة.

فقال كل من علياء وعماد بصوت واحد في ذهول: الغيرة!

ماهر موضحا: ايوه الغيرة، الحقيقة انا اول ما عرفت ان هدى مع عماد واحتمال كبير تكون في شقته اتجننت، وما حسنتش بنفسني انا بعمل ايه ساعتها.

فسأل عماد وقد بدأت الصورة تتضح أمام عينيه: يعني انت عاوز تفهمني انك بتحب هدى وتغير عليها؟

ماهر: بغير عليها اه، لكن بجبها ممممممممم مش عارف. المهم انا مش قادر اتخيل انها ممكن تكون لحد غيري.

ثم اشار باصبعه في الى وجه عماد وهو يقول محذرا: حتى لو كنت انت يا عماد.

عماد ضاحكا بسخرية: وااااا، دة خبر الموسم، بقا ماهر بجلالة قدره يقع الوقعة دي!

تجاهل ماهر سخريته وقال بنبرة جادة: المهم دلوقت انا بقيت بالنسبة ليهم الرجل المناسب في المكان المناسب، وقريب اوي هنقدر نوقعهم.

ثم وجه كلامه الى علياء: على فكرة يا لولا حفل الافتتاح الخاص بالبوتيك اللي المفروض انا شريك فيه مع مريم هيتم قريب وانتي لازم تبقي موجودة فيه.

علياء : ليه لازم؟ وكمان هروح بأي صفة؟

ماهر: تبقي موجودة عشان تقطعي الخيط اللي باقي بين مريم ويوسف، اما بقا بالنسبة لصفتك فالمفروض انك صاحبة سلسلة بوتيكات والطبيعي ان واحدة زيك تحضر الحفلة، دة غير ان انا اللي هبقا مسئول عن الدعوات، ولايني المفروض اني معرفش حقيقة اللي بينك وبين يوسف ومريم فعادي جدا اني اعزمك. المهم ان قبل الحفلة دي ما تخلص يكون يوسف ومريم متفقين على الطلاق، وساعتها بقا مريم تقدر تزن على جدها عشان يسحب كل الامتيازات اللي عطاها ليوسف في شركته، وطبعاً بعد كدة مش هيبقا قدامه غيري يمسه زمام الامور خصوصاً بعد ما بدأ يشهدلي بالالتزام والكفاءة.

لم يستطع عماد أن يخفي مدى اعجابه بخطة ماهر فصفق له عالياً، ثم قال: ايه دة يا عم؟ دة انت دماغك دي طلعت متكلفة.

ماهر: امال عاوزني اسيب كل أملاك جدي تروح للي اسمه يوسف جلال دة ولا ايه؟ دة انا كنت بعد الشر أموت فيها. عماد: بعد الشر يا كبير.

ماهر: المهم بقا، انتوا عملتوا ايه في شغلكم الثاني؟

وعندما لم يأتيه أي رد، قال لهما لائماً: ايه يا جماعة، انتوا مش مآمنيني ولا ايه؟ بقا انا اكشفلكم كل اوراقى وانتوا في الاخر تبقوا مش واثقين فيا؟

علياء: طيب ما تسأل باباك، ماهو شريك معانا بردو.

ماهر بأسى: بابا مقاطعني من ساعة اللي حصل بينه وبين ماما وانا خالفت كلامه وروحت فيللا يوسف عشان اطمئن عليها، ع العموم لو ما كنتوش عاوزين تقولوا حاجة فدة براحتكم، بس لو احتجتولي بعد كدة فياريت تبقا تعبروني مش موجود.

وبعد نظرة سريعة ألقاها عماد إلى علياء، جذب ماهر الذي كان قد نهض استعدادا للرحيل من ذراعه وأجلسه مجددا ولكن هذه المرة بجواره على الأريكة من الجانب الأخر وأحاط كتفه بذراعه ليطيب خاطره: ودة اسمه كلام بردو يا ماهر؟ ما طول عمرنا سرنا واحد، شوف بقا يا سيدي. احنا اتفقنا مع عدنان على صفقة جديدة.....

وأخذ عماد يشرح له بالتفصيل كل المعلومات الخاصة بهذا العمل المحاط بالسرية التامة وماهر يستمع إليه بانتباه.

: انتي مجنونة؟ ازاي تروحيه لحد عنده؟

كان ذلك الصوت اللاتم هو صوت مريم التي كانت تحاول أن تجعله منخفضا بقدر المستطاع وهي تتحدث مع حياة في مكان ما بالجامعة

فقال حياة بصوت ضعيف وهي تشعر بقلّة الحيلة: انا نفسي معرفش انا عملت كدة ازاي؟

مريم: انا بس عاوزة أعرف، كانت ايه وجهة نظرك من كدة؟ يعني لما فكرتي انك تروحيه كان ايه هو هدفك من الزيارة دي؟

حياة: معرفش يا مريم، انا لما لقيته ما قالش لوليد ع الحقيقة افكرت انه ممكن يكون اتغير او ع الاقل اتعدل شوية عشان كدة روحته اطلب منه يبعد عن هدى.

مريم: يا سلام يا فالحه، وانتي شايقة بقا ان واحد زي الزفت اللي اسمه عماد دة ممكن يتعدل؟ دة زي العنكبوت بيخدر فريسته الاول قبل ما يتغذى عليها، وانتي كان المفروض تجربتك معاه كانت علمتك خلاص.

حياة: اهو اللي حصل بقا. المهم طميني هدى عاملة ايه دلوقت؟

مريم: الحمد لله تمام، يعني تقدرتي تقولي انها بدأت تفوق من الصدمة اللي اتعرضت لها، وكمان طنط وردة معاها وواحدة بالها منها.

حياة بارتياح: الحمد لله، متعرفيش انا كانت سعادتي أد ايه لما عرفت ان ماهر قدر يلحقها.

مریم: ماهر دة فعلا طلع شهم، اول ما سمع انها ممكن تكون في شقة الزفت دة خد عربيته وطار بيها، دة تقريبا كان سايق على سرعة ١٢٠ كيلو.

حياة: هو انتي كنتي معاه؟

مریم: طبعا بس اول ما وصلنا للعمارة حاولت اني اطلع معاه بس هو اصر اني استناه في العربية لكن لما لقيته اتأخر فوق قلقت فطلعتله لقيت هدى شبه مغمي عليها و هو نازل في عماد ضرب وكان خلاص قرب يقضي عليه.

حياة: فعلا والله، كتر خيره.

مریم: تصدقي بقا انه لما جدو عرض عليا اني اشغله معايا كنت قلقانة شوية وقلقت اكرت لما عرض عليا الشراكة بس دلوقت بقا اتأكدت ان جدو كان معاه حق، دايماء عبدالرءوف الكامل معاه حق.

حياة بنظرة خبيثة: طيب ماهو على فكرة جدك بردو هو اللي اقترح مسألة جوازك من يوسف. يعني معقول بيقا عنده حق في كل حاجة اللا في دي؟

فعقدت مریم ما بين حاجبيها وقد ظهر الضيق على وجهها وهي تقول محذرة: حياة! لو سمحتي مش عاوزة كلام في الموضوع دة تاني.

حياة معتذرة وهي تضع ذراعها على كتفها: خلاص يا ستي ما تزعليش بس انتي عارفة ادايه بجبك وصعبان عليا حالتك دي.

مریم وهي تحاول ان تخفي مسحة المرارة التي بدأت تشوب صوتها: وما لها حياتي يعني؟ مانا كويس اهو، وهبقا احسن ان شاء الله اول ما المشروع يبدأ.

ثم أكملت بصوت باك: خلاص مش هيبقا في حياتي غير دراستي وشغلي وبس، هحاول اشكل حياتي بنفسي وابطل اعتمد على حد تاني.

: السلام عليكم.

انتبهت الفتاتان الى ذلك الشخص الذي ظهر أمامهما فجأة، ولكنهما تمالكتا نفسيهما سريعا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم خصص كلامه لمريم وهو يقول: ايه يا مدام مريم؟ فينك؟ اديلنا كثير مش بنشوفك يعني؟ لعل المانع خير ان شاء الله مريم محاولة الابتسام: الحمد لله يا استاذ خالد، بس انا كنت مشغولة شوية في المشروع الجديد بتاعي، اصلي هفتح محل ملابس حريمي.

خالد با عجاب: بجد! الف مبروك.

مريم: الله يبارك في حضرتك.

خالد: وياترى الافتتاح هيكون امتي؟ اصل ممكن اختي تبقا زبونة عندك.

مريم: اكيد طبعا دة بيبقا شرف ليا، وان شاء الله حفل الافتتاح هيكون يوم الخميس اللي بعد الجاي وأكيد حضرتك والانسة أختك معزومين.

خالد: ان شاء الله طبعا هنيجي، مش ان شاء الله الحفلة هتكون في فيللا الباشمهندس يوسف؟

مريم وقد شعرت بغصة في حلقها وهي تجيب: لا، في فيلا جدو عبد الرؤوف.

لا تعلم ان كانت النظرة التي رأتها في عيون خالد نظرة مواساة أم انتصار؟ ولكن قد نبأها حدسها بأنها ستقع في مشكلة أخرى قريبا لا محالة.

الفصل الثامن والعشرون :

رصاصة في الصدر

في حفل الافتتاح الذي اقيم بفيللا عبدالرءوف الكامل والذي أشرف على إعدادة كل من ماهر ومريم، وكما أخبر ماهر علياء وعماد فهو بالفعل الذي تولى بدعوة الضيوف لأن علاقته الاجتماعية كثيرة ومنتشعبه بحكم عمله مع عبدالرءوف الكامل من جهة ومع والده من جهة أخرى، وقد كان الحفل شبه مكتمل وقام ماهر بتقديم مريم إلى العديد من سيدات الأعمال وكذلك زوجات رجال الأعمال الكثيرين، كانت مريم تبدو سعيدة بذلك التغيير الذي طرأ على حياتها والذي بدأ ينسيها إلى حد كبير بعض همومها.

أما خارج الفيلا فوجد علياء تجلس في سيارتها التي قد ركنتها أمام الفيلا منذ ما يقرب من ربع الساعة ولكنها لم تبد أي استعدادا لمغادرتها حتى أنها لم تطفئ محركها وكأنها تنتظر شيئا ما، إلى أن جاءت اللحظة التي تنتظرها حيث تراءت لها في مرآة السيارة الخلفية سيارة يوسف القادمة نحوها وقد اختارت ذلك الوقت بالذات لتطفئ المحرك وتخرج من السيارة بكل ثقة وهدوء وكان يوسف قد أوقف سيارته بالقرب منها، ثم ترجل منها وحيها بابتسامته الساحرة، فأبدت علياء بعض الدهشة لرؤيته وسألته: معقول يا يوسف انت لسة جاي؟ دة انا افتكرت انك جوة مع مراتك من بداية الحفلة.

يوسف: لا يا ستي، انتي النهاردة ممكن تعتبريني ضيف عادي زي زيك بالظبط.

علياء وقد رسمت على وجهها علامات الحيرة وعدم استيعاب ما يقول: ازاى دة؟

يوسف وهو يتجنب الدخول في تفاصيل: يعني، اصل حصل بين وبين مريم تاتش كدة فخلاها تسيب البيت وتيجي تقعد عند جدها.

علياء: بقا عشان كدة هي عملت الحفلة هنا؟ انا بردو استغربت لما الدعوة جاتلي ومكتوب عليها فيللا عبدالرءوف الكامل، طيب تحب اتدخل؟

يوسف شاكر اياها بلطف: لا بلاش. المهم هو فين يوسف خطيبك؟

علياء متصنعة الحزن: ما رضيش يبجي يا سيدي وعمل فيها زعلان علشان يعني الدعوة كانت موجهالي انا مش ليه هو. وانا كمان ما كنتش هاجي بس قولت انك ممكن تزعل ما كنتش أعرف ان العلاقة بينك وبين مراتك وصلت للدرجادي.

ثم أكملت بدلال وهي تميل نحوه: تسمحلي بقا ندخل مع بعض وانا ايدي في ذراعك. اصل بصراحة مش عاوزة ادخل لوحدي.

فقدم لها يوسف ذراعه وهو يقول مبتسما: يا سلام! وانا أطول؟ دة يبقا شرف ليا.

ثم وضعت علياء يدها في ذراعه ليبدو لكل من يراها كالعاشقين وهذا بالضبط ما كانت تريده علياء عندما أعربت عن طلبها.

وبالفعل دخلا سويا الفيلا حيث كان الحفل في الداخل بالطابق الأرضي، وكانت مريم تجول بين ضيوفها لتلبية طلبات ضيوفها والرد على أسئلتهم حين وقع نظرها على باب الفيلا لتراها متأبطة ذراعه بتملك ونظرات الرضا بادية على وجهه، اذن لم يعد يخامرها الشك في حجم العلاقة التي تربطهما والتي لم تنقطع حتى بزواجه من مريم تلك الزوجة المغفلة التي كانت في يوم ما تمني النفس بحياة سعيدة ستعيشها معه وإلى الأبد وهي لم يخطر ببالها أن موافقته على الزواج منها لم يكن الا لتيقنه بأن مصلحته هي التي كانت وراء ذلك الزواج الذي لم يدم لأكثر من ثلاثة شهور وها هو الآن يعود لماضيه مرة أخرى، ومن يعلم ما ينويه الآن؟ فهل يرغب في أن يتزوجها؟ أم أنه قد تزوجها بالفعل؟ فدخوله معها في ذلك الوضع الحميمي في حفلة هي التي أقامتها لا يفسر الا بتلك الطريقة، حسنا فلقد اختار طريقه وعليها هي أيضا أن تختار طريقها بعيدا عنه.

لم تكن مريم تعلم أنها خلال تلك الأفكار التي تزاومت في عقلها دفعة واحدة، كانت تحرق فيهما بشكل واضح، إلى أن أدركت ذلك مؤخرا فأعرضت بنظرها عنهما ولكن بعد فوات الأوان حيث قد لاحظاها ولكنها لم تأبه للأمر واتجهت ناحية ماهر الذي كان يقف مع رجل أعمال آخر لم تتذكر مريم اسمه في تلك اللحظة فحيتها في فتور واستأذنت منهما

لنتتحي بماهر جانباً وهي تلومه بصوت مرتفع قليلاً ينم على ما تشعر به من غضب: ايه اللي جاب اللي اسمها علياء دي هنا؟

ماهر ببساطة: انا. ليه؟ فيه أي مشكلة يا مريم؟

مريم: المشكلة اني ما كنتش عاوزاها تحضر.

ماهر: ليه بس؟

وعندما لمح الغضب يتأجج في عينيها، قرر احتوائها سريعاً حتى لا تقوم بأي عمل متهور يفسد الحفل، فقال وهو يعمل على تهدئتها: شوفي يا بنت خالي، اهم حاجة لازم تعرفيها عن عالم المال انك عشان تبقي سيدة أعمال ناجحة لازم تبطلي تخلطي بين حياتك الشخصية وشغلك، وانا واثق ان علياء دي هتفيدنا كتير في شغلنا.

لم يدخل كلامه قلبها ولكنه قد امتلك مفاتيح عقلها الذي اقتنع تماماً بما يقول ماهر ثم تساءلت في نفسها: أليس ذلك هو المبدأ الذي يستخدمه يوسف بالفعل؟ وما هو الآن استطاع أن يثبت نفسه في مجال عمله لتصبح شركته من أكبر شركات المقاولات في البلد، اذا فلتستعمله هي الأخرى، ولكن ظلها جسد بداخلها يرفض التعامل مع يوسف أو تلك السيدة التي تدعى علياء، فقالت لماهر: ماشي يا ماهر انا ممكن أقبل وجودها هنا بس يا ريت ما تطلبش مني اني اتعامل معاها بشكل طبيعي لاني مش هقدر، ومن الاحسن اني ما اتعاملش معاها خالص.

ماهر مبتسماً: خلاص يا ستي ولا يهملك. سيبيلي انا الموضوع دة، وعن اذنك بقا هروح ارحب بيهم، اديلهم فترة طويلة محدش منا راح يستقبلهم.

فنظرت مريم باتجاههما ووجدت يوسف يميل على جدها الذي كان يجلس في أحد الأركان على كرسي مريح، ويهمس في أذنه ببضعة كلمات جعلته يبتسم وعلياء تأكلهما بعينيها وهي تتابع الحوار الدائر بينهما، فحولت مريم نظرها عنهما وهي تقول لماهر ساخرة مما تراه و في نفس الوقت مستنكرة موقف جدها من ذلك الشخص الذي بعد كل ما جرى لم يتغير موقفه منه وكأن يوسف ساحر بارع استطاع بمواجهته أن يسيطر على عقله تلك المهمة التي لم يفلح فيها غيره: لا ما تخافش، واضح ان جدو قايم بالواجب وزيادة.

ماهر: بس الحفلة دي بتاعتنا واحنا المضيفين ودي مهمتنا احنا مش مهمة جدي.

فهزت مريم رأسها تأييدا على كلامه، ثم تركها ماهر وتوجه إلى ضيفيه ورأته يرحب بهما بجرارة، وللحظة قصيرة التقت عيناها بعيني يوسف التي لمحت فيهما نظرات لائمة جعلتها في حيرة من أمرها وتتساءل من فيهما يحق له أن ينظر إلى الآخر بتلك النظرات؟

وبينما هي سارحة في أفكارها جاءها صوت تحبه من الخلف وكانت في أمس الحاجة لسماعه، فقالت لها حياة بصوت مرح وهي تحيط بكتفيها وتحمل في يدها علبة صغيرة قد تم تغليفها بعناية وبشكل أنيق: هو الجميل سايب ضيوفه وسرحان في ايه.

فأدارت مريم وجهها وهي تبتسم وتقول لصديقتها بعتاب: بس يا بت انتي، انا مخصماكي.

وعندما وقع نظرها على وليد الذي كان يقف بجوار زوجته رحبت به مريم وهي تقول: ازيك يا وليد، عامل ايه؟

وليد وقد افتر ثغره عن ابتسامة رقيقة: ازيك انتي يامريم، وألف مبروك، وبالتوفيق دائما يارب.

مريم: متشكرة.

فتدخلت حياة وقد تعمدت أن تبدو علامات الغيظ على ملامحها وهي تقول لمريم: طب بتكلمي جوزي ليه بقا؟ هو مش المفروض انك مخصماني وبما ان وليد جوزي يبقا لازم تخصميه هو كمان.

ثم نظرت بطرف عينيها ناحية وليد لترى وقع كلامها على وليد، وردة فعله على استعمال كلمة زوجي بسهولة مع صديقتها ولكنها لم لم ترى في عينيه سوى الرضا والابتسامة التي أحببتها، فشعرت بالارتياح وهي تسمع مريم تقول لها مغيظة: انا قولت اني زعلانة منك انتي، اما وليد دة بقا فأخوية وما ينفعش ازعل منه.

حياة: يعني هينفع انك تزعلي مني انا؟ وهو انا مش أختك انا كمان ولا ايه؟

فردت مريم نافية: لا طبعا ما ينفعش، ماهو يا انتي ياهو، لكن لو انتو الاتنين اخواتي فيبقا جوازكم دة لا يجوز يا هبله، وانا بقا اخترت وليد، عشان هو اخ جدع، اما انتي بقا فندلة عشان تسيبيني النهاردة طول اليوم لوحدي واديكي اهو تقريبا جاية في نص الحفلة.

حياة معندرة: لا، في دي بقا انتي معاكي حق، بس والله غصب عني يا مريومة. سماح المرادي بقا.

لم ترد مريم على الفور ولكن وقع نظرها على اللعبة التي كانت في يد صديقتها فاختمتها كالطفلة سريعا من بين يديها قبل أن تستطيع حياة منعها من ذلك، وقالت مريم وهي تم بفك الشريط من عليها: الهدية دي عشاني مش كدة؟

حياة وهي تضرب كفا فوق كف متعجبة من طريقتها الطفولية: يا بنتي بطلي هبل بقا. المفروض انك بقيتي خلاص سيدة اعمال محترمة. الا صحيح فين هدى؟

مريم بعد أن قامت بفتح الهدية وهي تبدي إعجابها بالأسورة الجميلة التي أخرجتها من اللعبة: مش رضيت تنزل، وقالت انها ما تعرفش حد وفتحس انها غريبة في وسط الضيوف وانا مش رضيت اضغط عليها وقولت اسببها براحتها.

حياة: طيب انا هروح اطعلها.

مريم: تحبي أجي معاكي؟

حياة: لا خليك انتي شوفي ضيوفك.

وقبل أن تتحرك خطوة واحدة نظرت تلقائيا إلى وليد وكأنها تطلب منه الإذن، فقال لها مبديا موافقته: يبقا سلميلي عليها.

فهزت حياة رأسها في صمت ثم تركتهما وابتعدت متوجهة ناحية الدرج، وسأل وليد، وهو يجول بعينه في أنحاء المكان: امال هو يوسف لسة ما جاش ولا ايه؟

فقالت مريم ساخرة وهي تنظر ناحية يوسف والذي كان لا يزال يقف بجوار جدها برفقة كل من ماهر وعلياء: هناك اهو، وواضح جدا انه مستمتع بصحبته.

التفت وليد حيث أشارت بعينها وفهم ما ترمي إليه ولكنه لم يعلق عليه وقد ران الصمت لبعض الوقت وهما يراقبان المشهد من بعيد حيث كان يمسك ماهر بدفة الحديث وبدا انه يشرح لهم محتويات الخل الذي كانت مريم قد اشترطت أن يضم جزءا خاص بالمحجبات وقد وافق ماهر على الفور، و لاحظت مريم أن يوسف لا ينتبه لحديث ماهر بل كان يتطلع إليها هي بنظرات مبهمه ولكنها بعد لحظات تحولت إلى استهجان لم تفهم مريم سببه إلى أن سمعت ذلك الصوت

الذي أصبح مألوفاً لديها وهو يلقي بالتحية إليها وإلى وليد، فردت مريم على خالد الذي فوجئت برؤيته أمامها وبرفقته أخته التي تعرفت عليها سريعا حيث قد رأتها معه من قبل في المطعم الذي ذهبت إليه بصحبة يوسف وكان سببا للشجار بينهما، وحيثها مريم بود. فقدمت تلك الشابة لها هدية صغيرة وهي تقول بابتسامة واسعة: الف مبروك يا مدام مريم، وان شاء الله تبقا فتحة خير عليكى.

فقبلت منها مريم الهدية شاكرة وبدأت بتقديمهما إلى وليد والعكس فصافحه وليد بود وهو يقول: اهلا استاذ خالد. وبالرغم من انها جات متأخرة شوية الا انى احب أحييك على تمثيلك في مسرحية الجامعة.

خالد بدبلوماسية: متشكر لحضرتك. الحقيقة كل واحد في المسرحية قام بدوره على أكمل وجه وعشان كدة المسرحية خرجت بالشكل اللي حضرتك شوفته.

ثم أكمل وعيناه تنظران إلى مريم وتحملان الكثير من المعاني وهو يقول: ولو كان في حد فينا يستاهل الشكر فعلا فيبقا مدام مريم اللي برغم من ظروفها وظروف جدها في الوقت دة الا انها ما فكرتش تعتذر وكملت شغلها زي ما كان مطلوب ويمكن أحسن كمان والديكور طلع روعة.

وعندما أرادت مريم أن ترد على ثنائيه ببعض الكلمات المهذبة وجدت غيرها قد سبقها إلى ذلك وقد أحاط خصرها بذراعه وهو يجذبها برفق إليه وكأنه يثبت بالبرهان لكل من حوله أنها ملكه هو، ومع ذلك خرج صوته طبيعيا وهو يرد على خالد: مراتي طول عمرها عنيدة وطالما أصرت انها هتعمل حاجة فبتعملها مهما كانت الظروف، مش كدة يا حبيبتي؟

لا تعلم إن كانت كلامته تمتدحها أم تدمها؟ ولكنها قررت أن اعتراضها سيثير الكثير من المشاكل التي هي في غنى عنها، فأومات برأسها بصمت وهي ترى علامات الاستياء على وجه خالد صلاح وتساءلت لم اختار يوسف تلك اللحظة بالذات ليقترب منهم؟ وكيف لم تره قادمًا نحوهم وهو لم يرغب عن نظرها سوى بعض اللحظات؟ كما انها لا تعلم الدافع لتصرفه على هذا النحو. فهل هي لعبة جديدة يهدف بها الى مكسب آخر سيجنه من وراءها؟ حقا لا تعلم، ولكن ما تعلمه جيدا أنها لن تسمح لأي شخص مهما كان أن يتلاعب بها مجددا حتى وان كان يوسف جلال نفسه.

عاد وليد و حياة إلى شقتيهما تقريبا عند منتصف الليل ، فقالت حياة والابتسامة لا تزال على وجهها: الحفلة كانت روعة بصراحة، ومريم قدرت تكسب كم زبونة كويسة كدة منها، حقيقي هي تستاهل كل خير وربنا يباركلها.

فخرج صوت وليد ليعلن عما يشغل باله في تلك اللحظة ويفصح عن القلق الذي يشعر به: بس الجو اتكهرب في الآخر.

فقالت حياة وكانت تجهل ما حدث غيابها: ليه بقا؟ دة انا حتى لما نزلت ولقيت يوسف واقف معاكم حمدت ربنا وقولت ان الامور خلاص بدأت تتصلح بينه وبين مريم.

وليد وهو ينزع عنه سترته: طول ما الحراية اللي اسمها علياء دي لسة في حياة يوسف يبقى مفيش حاجة هتتصلح واللي عقد الموضوع أكثر ظهور اللي اسمه خالد صلاح دة، انا مش عارف هو ايه بس اللي كان جابه الحفلة؟

حياة مندفعة: اصله لما سأل مريم عن سبب تغييبها من الجامعة وقالته انها بتستعد لافتتاح مشروعها، فأخرجت وعزمته.

وليد بعصبية: وانتي عرفتي الكلام دة منين؟

حياة: ماهو انا كنت واقفة مع مريم لما شافنا وكلمنا.

بدأت عيناه تلتمعان من الغضب وهو يسألها وفي صوته رنة معينة لم تفهمها في البداية: وياترى بقا هو متعود ان كل ما يشوف واحدة فيكم في الكلية يقف معاها ويكلمها؟

حياة بحذر وقد ملأ الخوف قلبها وهي تحاول أن تخفي الارتعاش في صوتها: قصدك ايه يعني؟

وليد وقد بدأ يفقد أعصابه: قصدي كان واضح يا هانم. وان كنتي مش قادرة تفهميه فاسمحي لي أفهمك كويس.

حياة: تفهمني ايه؟

وليد بتهديد لم تجد حياة صعوبة من اكتشافه بنبرة صوته: افهمك انك بقيتي مراقي وشايلة اسمي وسمعتي واللي مش هسمحلك انك تئينيهم طول مانا عايش.

حياة وقد أوشكت على البكاء: وانا كنت عملت ايه يعني عشان تقولي الكلام دة؟ مش هو اللي جه ووقف معنا؟
كنت هعمل ايه يعني، اسبيهم وامشي؟

وليد: ايوة يا حياة، كنتي تاخدي صاحبتك وتستأذنوا وتمشوا هو دة الصح واللي كان المفروض انه يحصل، لكن انتي بقا
تلقاكي ما صدقتي وقعدتي تتكلمي وتهزري وانتي ولا على بالك انك واقفة مع واحد غريب مشكوك اصلا في سلامة
نواياه ودة اللي كان واضح اوي وهو بيص لمريم النهاردة والله اعلم كان بيصلك انتي ساعتها ازاى؟

لم تجب حياة بلسانها بل تولت الدموع تلك المهمة التي قد أدتها وبإخلاص شديد وهو ما لم يكن بالجديد عليها، فلطالما
ذرفت الدموع بسبب اهاناته وجرحه لها في أغلب المناسبات ولكنها لم تعد تحتمل، لذلك كفكفت دموعها بكفيها سريع
وقالت له بوجه جامد وصوت قوي مناقضا لذلك الوهن الذي أصابها: طلقني يا وليد.

لم يبد على وليد بأنه قد تأثر ولو قليلا بطلبها وكأنه لم يسمعها فحاولت أن تعيده وبنبرة أعلى ولكنه سبقه وهو يشير
إليها بالرحيل ولم يبد على وجهه أي تعبير: ادخلي اوضتك ونامي يا حياة.

أبتلك البساطة يتعامل مع طلبها؟ أهذه الدرجة يستخف برأيها ورغباتها؟ ولكنها لن تستسلم هذه المرة، فلقد اتخذت
قرارا وتنوي تنفيذه مهما كلفها الأمر لذلك قالت بتحدي: انا لو دخلت اوضتي دلوقت، فهدخل بس عشان ألم
هدومي.

وليد ساخرا: دة انتي مصممة بقا!

فردت حياة وقد أصاب الوهن عزيمتها ولكنها حاولت أن تبقي صوتها قويا كما هو عندما قالت: ايوة مصممة، ومفيش
أي حاجة ممكن تخليبي أتراجع.

وليد بتحدي مماثل: بس انا مش هطلقك يا حياة لا دلوقت ولا بعدين.

فقالت حياة وقد أثارها تحديه كثيرا فلم تفلح في ضبط انفعالها: طب ليه؟ ايه اللي محليك متمسك بيا للدرجة دي؟

وليد: افكر انا فتحنا الموضوع دة أكثر من مرة، والكلام فيه خلاص انتهى.

حياة باصرار: لا يا وليد، ما انتهاش، لاني مش مصدقة ولا كلمة من اللي انت قولتها.

وليد بهدوء ونبرة عادية وكأنها تحدثه في أمر لا يعنيهما: وهو ايه بقا اللي انتي مش قادرة تصدقيه؟

حياة: عاوزة اعرف السبب الحقيقي اللي خلاك تتجوزني واللي هو بردو اكيد نفس السبب اللي مخليك متمسك بيا لحد دلوقت وبلاش تقولي زي كل مرة انك عملت كدة عشان انت عاوزني لانك لحد دلوقت ما عملتش اي حاجة تثبت ان كلامك دة حقيقي.

لم تكن تعي بأنها قد تمادت كثيرا في غضبها الذي جعلها تنفوه بكلام كانت تعلم بأنها ستندم عليها فيما بعد، وقد أدركت ذلك فقط عندما جذبها نحوه بشدة لتلتصق به ثم ركز نظراته الالهية على عينيها المدعوة وهو يسألها: أفهم من كلامك دة ان دي دعوة صريحة ليا عشان أطالب بحقوقتي؟ بس يا ترى بقا انتي مستعدة لدة فعلا؟

فتلعثت حياة وهي تقول وقد سلبت منها المفاجأة كل قواها ووسائلها في الدفاع أو المقاومة: انا ما كنتش أقصد، انا بس كنت.....

وقبل ان تتم جملتها وجدت نفسها طليقة مرة أخرى بعد أن أفلتها وليد وقد أشاح بوجهه عنها وهو يقول لها بلهجة تحذيرية: ادخلي نامي يا حياة وياريت ما تقوليش أي كلمة تاني غير لما تكوني مستعدة كويس اوي انك تتحملي نتايجها. لم تعارضه حياة كما فعلت منذ قليل، بل انها كانت تنتظر طلبه هذا لتبتعد عنه بسرعة قبل أن تخونها قدماها كي تنفرد بنفسها قليلا وتفكر في ذلك التغير الطفيف الذي قد طرأ على علاقتها بوليد، فالأول مرة منذ زواجها يبدي رغبته في اتمام زواجهما.

مر أسبوع على حفل الافتتاح وقد بدأ الجميع في محل الملابس يعملون بجد، وكانت مريم تبدي حماسا شديدا في إدارة المكان بمساعدة ماهر، حيث كان عملها بالمحل هو سلواها الوحيدة تمكن من شغل عقلها وإبعاد تفكيرها عن يوسف وما فعله بها، ولكنها كانت صريحة مع نفسها ولم تتمكن من الادعاء بأنها قد نسيتته تماما وكان شاهدا على ذلك تلك الليالي التي لم تستطع فيها النوم بسببه وهي تفكر في مدى العلاقة التي أصبحت تربطه بعلياء.

اقترحت عليها هدى أن تعمل معها بالحل في فترة ما بعد الظهر بعد أن تعود من الجامعة وقد وافقت مريم على الفور لاكتشافها حقيقة أن العمل هو العلاج الوحيد لبعض المشاكل والضغط النفسية كالتى تعاني منها هدى، وبالفعل لقد أثبتت هدى قدرات متميزة في التعامل مع العملاء وكذلك كانت بارعة في المسائل المالية مما جعلها تعيد التفكير في نوعية دراستها إلى أن توصلت لقرار نهائي وهو أن تتجه لدراسة التجارة بدلا من الاعلام، وعندما اقترحت ذلك الأمر على يوسف و وليد قد وافقها وشجعها على ذلك ، وبالفعل سحبت ورقها وقدمته لكلية التجارة، وفي أحد الأيام حيث كانت تقف في قسم المحجبات وقد جذبتها طرحة جميلة ولامعة من الشيفون كانت تتناسب مع كثيرا مع التنورة التي ترتديها، فأخذتها هدى ووقفت أمام المرأة تنظر إلى وجهها به بتردد ثم عقدت العزم وقامت بلف الطرحة حول وجهها، وقد حاولت تعديلا بكافة الطرق ولكن بدا لها الأمر في غاية الصعوبة حيث كانت المرة الأولى التي تحاول فيها ارتداء الحجاب وقد اختارت مريم تلك اللحظة بالذات لتدخل المكان ، فابتسمت وهي تراقب تعثر هدى في محاولة تثبيت الطرحة بلا جدوى فاقتربت منها قليلا وهي تقول: مش هتثبت بالشكل دة.

أجفلت هدى لدى سماعها صوت مريم حيث قد فاجأها ظهورها وقالت متلعثمة وهي تحاول الاعتذار وتنتزع الطرحة من فوق رأسها وهم بوضعها مكانها: انا اسفة، انا بس كنت عاوزة.....

وتاهت بقية الكلمات من عقلها فلم تعد تعلم ما السبب الذي يمكنها اختلاقه في ذلك الموقف، ولكن أخذت مريم الطرحة من يدها وجذبت هدى ناحية المرأة برفق وهي تقول لها: تعالي بس كدة، شوفي يا قمر الطرح الشيفون صعب انها تثبت لوحدها على الشعر عشان كدة هي محتاجة الأول بطانة قطن تحتها عشان تقدر تثبتها

ولم تنتظر مريم تعليق هدى حيث أسرع وأحضرت البطانة التي تحدثت عنها والتي تتناسب مع الطرحة وبالفعل بدأت تساعد في ارتداء الطرحة بعد أن عقدت شعرها الطويل إلى الخلف وعقصته على شكل كعكة كبيرة وعندما حاولت هدى أن تعترض وهي تقول: بس انا مش عاوزة البسها.

مريم مبتسمة: جربها الأول وبعدين يبقا قرري.

وانتهت مريم من ذلك سريعا وأدارت وجه هدى ناحية المرأة وهي تقول لها بكلمات إطراء قد أكسبت هدى المزيد من الثقة بنفسها: شوفي لايقة عليكى ازاي؟ بجد بقا بقيتي زي القمر فيها.

فدقت هدى النظر إلى شكلها الجديد في المرأة وقد اعترفت بصحة كلام مريم ولكنها مازالت مترددة قليلا وهنا ظهر ماهر وهو يطرق الباب المفتوح للقسم، فانتهزت مريم الفرصة للقضاء على آخر اعتراضات هدى و قالت وهي تأذن لماهر بالدخول: تعالى يا ماهر وقولي بقا ايه رأيك في المفجأة دي؟

فدخل ماهر وهو يفحص وجه هدى الذي قد ازداد براءة بالحجاب وزادته جاذبية حمرة الخجل التي علت وجهها وهو ينظر إليها ونظرات مريم تنتقل بينهما في صمت الذي وجدته قد طال أكثر من اللازم فقالت مداعبة ماهر: جرى ايه يا عم روميو؟ ما تتكلم ولا انت شغال **silent** النهاردة؟

فانتبه ماهر إلى كلام ابنة خاله وسألها: هه! كنتي بتقولي ايه يا مريم؟

مريم: كنت بقول ايه رأيك في الحجاب بتاع هدى.

ماهر دون أن يحول نظره عن هدى وهو يقول بصوت حالم: حلو، حلو أوي.

وعلمت مريم أن قصة جديدة بين عائلة الكامل وعائلة سليم على وشك أن تبدأ ولكن السؤال هنا هل يا ترى سيكون مصير تلك العلاقة هو الفشل كسابقتيها؟

وفي إحدى الأمسيات التي غاب عنها القمر لتبدو الليلة حالكة الظلام في تلك الصحراء الشاسعة والتي لا يضيئها سوى مصابيح تلك السيارات التي كانت تقف على جانب الطريق بشكل يدعو للريبة ووقف بجانب السيارات كل من عماد وعلياء وكمال و رجل آخر طويل وذات جسم ممتلىء يبدو وكأنه أحد التجار بما يرتديه من عباءة واسعة يظهر من تحتها جلبابا فضفاضا، ويحيط بهم بعض الرجال المسلحين . بدأ كمال الحديث وهو يقول لذلك الرجل الغريب: أهلا يا معلم حمدان. ياترى فلوسك جاهزة؟

حمدان: جاهزة يا كمال بيه بس انت مش شايف ان عشرة مليون كتيرة اوي.

وهنا تدخل عماد وقال: احنا هنعيده تاني يا معلم حمدان؟ مانت شوفت البضاعة بنفسك وعارف انها تستاهل.

حمدان: هي من جهة تستاهل فتستاهل، بس بردو احنا كنا عشانين فيكم حبتين، وخصوصا ان دة مش اول تعامل بيننا.

عماد: ماهو عشان دة مش اول تعامل بينا فانت طبعا عارف ان كلمتنا واحدة، دة غير ان الصنف دة جامد ومدام علياء ممكن تقولك بنفسها هو أد ايه مطلوب يعني ممكن تغلي زي مانت عاوز حمدان: طب لما نشوف.

عماد: ياللا بقا ورينا فلوسك يا معلم.

فأشار حمدان بيده لبعض الرجال الذين يقفون خلفه، وقد أسرع اثنان منهم إليه وفي يد كل واحد منهما حقيبة صغيرة وضعاها على مقدمة سيارة عماد كما أمرهما حمدان ثم تنحنا جانبا مفسحين المجال له لتقدم من الحقيبتين وفتحهما وهو يقول لعماد: وادي الفلوس يا عماد بيه عشرة مليون بالتمام والكمال ولو تحب تعدهم مفيش مانع.

عماد مبتسما: عيب يا معلم، وهو احنا من امتي بنخون بعض؟

حمدان بامتنان: عشت يا عماد بيه، فين البضاعة بقا؟

فنظر عماد إلى كمان نظرة ذات معنى جعلت كمان يتجه إلى سيارته ليعود ومعه حقيبة متوسطة وضعها على فتحها أمام حمدان وقد كانت مليئة بأكياس من السم الأبيض المسمى هروين، فتقدم حمدان من كمال ليدقق النظر إلى البضاعة ثم قال باستحسان بعد أن حمل أحد الأكياس بيده وقربه إلى أنفه: كله ألسطة.

وقبل أن يتمكن حمدان من إعادة الكيس إلى الحقيبة أضيء المكان حولهم بمصابيح كبيرة وقد أحاط بهم العديد من رجال الشرطة شاهرين أسلحتهم، واقترب أحد الضباط من كمال و حمدان الذين قد سمرتهما المفاجأة كما كان الحال مع الجميع، فقال الضابط ساخرا: أهلا أهلا بالمعلم حمدان. كنت فين يا راجل من زمان؟ دوختنا وراك يا انت وكمال وعماد بيه، وكمال مدام علياء؟ يا محاسن الصدف، متجمعين في أراميدان إن شاء الله.

فقال حمدان وهو ينظر إلى الحقيبة التي كانت لاتزال في يد كمال: الحاجة دي مش بتاعتي يا سعادة البيه.

الضابط: الكلام دة بقا بيقا قوله في التحقيق، ياللا قدامي ع البوكس.

وقبل أن يتحرك أحدهم سمع الجميع صوت طلقات نارية تأتي من مكان مجهول جعلتهم جميعا ينبطحون على الأرض وبدأ تبادل إطلاق النار بين رجال الأمن ورجال العصابة الذين استغلوا الفرصة وحاولو الهرب وبعد فترة ليست بقليلة استطاع رجال الشرطة السيطرة على الوضع وقاموا بالقبض على كل رجال العصابة بما فيهم المعلم حمدان وكمال، ولكن لسوء الحظ قد تمكن عماد وعلياء من الهرب.

وفي إحدى السيارات نجد عماد وعلياء يجلسان في المقعد الخلفي بها، بينما يتولى القيادة شخصا آخر ضخم الجسمان وبجانبه رجل بنفس حجمه تقريبا إلى أن توقفا أمام في مكان ناء أمام إحدى الفيللات التي بدا من هيكلها الخارجي وكأنها مهجورة ولكنها لم تكن كذلك بالفعل حيث فتح أحدهم الباب الرئيسي فور سماع صوت منبه السيارة، فقادها السائق إلى الداخل، وعلى الفور أغلق خلفهما الباب لنرى الحديقة بها بعض الرجال المسلحين الذين قد تم توزيعهم بحذر في جميع أنحاء الفيلا، وقبل أن يترجل عماد من السيارة قال لقائدها: كدة بقا يا ابو السباع انت عملت اللي عليك النهاردة.

فقال له الرجل بصوته الخشن: احنا دائما في الخدمة يا عماد بيه.

عماد: طب ماتنساش بقا معادنا بكرة

الرجل: عيب يا عماد بيه، انت عمرك طلبت مني حاجة وانا خذلتك؟

عماد: بصراحة لا، بس المرادي بقا لو نفذت المهمة دي صحة حلاوتك عندي هتبقا كبيرة اوي، اكبر مما تتصور.

الرجل: يا عماد بيه انت على طول خيرك مغرقنا، طب ايه رأيك بقا ان المرادي هتبقا مجاملة مني ليك.

فربت عماد على كتفه من الخلف وهو يقول: ادها وأدود يا ابو السباع، وانا مستني منك خبر بكرة.

الرجل: بكرة قبل الشمس ما تغيب هيجيلك خبره.

كان وليد يجلس مع أخيه يوسف في مكتبه بشركة المعمار ووليد يقول بضيق: فلت منها ابن اللذين.

يوسف: ما تقلقش، الجايات أكثر.

وليد: طب البوليس لحد دلوقت لسة ما عرفش مكانه لا هو ولا علياء؟

يوسف: لسة بيحققوا.

وليد ونبرة صوته محملة بالكره الشديد: امتي بقا نخلص منهم كلهم ونرتاح.

يوسف بهدوء: قريب جدا ان شاء الله.

ثم نهض يوسف استعدادا للانصراف وهو يقول لأخيه: ياللا بقا انت مش مروح ولا ايه؟

فنهض وليد بدوره وأمسك بيد أخيه وقد تردد قليلا قبل أن يقول له: طيب انت مش ناوي بقا تقول لمريم الحقيقة؟

بتهيئلي كفاية زعل لحد كدة.

يوسف بنبرة ألم: حتى لو عرفت دة مش هيغير أي حاجة.

وليد: طب ما تجرب.

يوسف: مش دلوقت يا وليد، ياللا بقا عشان انا ما نمتش من امبارح وتقريبا جعان نوم.

وليد: تنام ايه يا عم؟ والغدا اللي مستنيك في البيت، دي حياة غابت من الكلية مخصوص عشان تحضر للعضومة دي.

يوسف معتذرا: معلش اعفيني انا بقا يا وليد، وباهنا والشفنا ليكم.

وليد مصرا: لا يمكن. انت النهاردة هتتغدى معانا يعني هتتغدى معانا، دة خلاص قرار غير قابل للنقاش.

يوسف مستسلما: أمري لله ياللا بينا.

وخرج الأخوان جنبا إلى جنب يجذبان كل الأنظار برجولتيهما ووسامتهما التي يحسدهما عليها الكثيرون. ثم خرجا من

الباب الرئيسي للشركة ليتوجها إلى سيارتيهما، وفي خلال ذلك نجد سباعوي أو الملقب بأبو السباع يجلس في الكرسي

الأمامي لسيارته وفي يده سلاحا وبجانبه نفس الشخص الذي كان برفقته أمس والذي يتولى هو قيادة السيارة اليوم، وعندما رأى سباعوي وليد ويوسف يغادران الشركة قال لرفيقه: هو دة يا نمر ياللا اتحرك.

وبالفعل انطلق المدعو نمر بالسيارة باتجاه وليد ويوسف، وقد أعد سباعوي سلاحه لإطلاق النار وأخرجه من نافذة السيارة، وعندما أصبحا على مسافة قريبة منهما ضغط سباعوي على الزناد لتخرج منه رصاصة ذات صوت مدوي، ثم هرب الاثنان في لمح البصر دون أن يتسنى لأحد التحقق من السيارة أو صاحبها. أو أن يصيبها أحد الأعيرة النارية التي انطلقت من أسلحة رجال الأمن بالشركة الذين كانوا يقفون خارج البوابة.

بالطبع لقد كان سباعوي أحد القتلة المرتزقين المعروفين بدقة التصويب لذلك قد أصابت الرصاصة هدفها لتستقر في صدر يوسف من الناحية اليسرى، ورغم ذهول وليد إلا أنه قد استطاع أن يمسك بأخيه وهو يصرخ بصوت عال: يوسف.

ولكن لصدمته لم يستطع أن يحمله بل جلس به في الأرض ووضع رأسه على فخذه وهو يقول وقد أبت دموعه أن تبقى في محجرها فتساقطت من عينيه كالشلال: يوسف! رد عليا، رد عليا أرجوك.

واستطاع يوسف أن يفتح عينيه قليلا وهو يقول بصوت واهن وشبح ابتسامة يظهر على وجهه متحملا في سبيل ذلك الألم الفظيع الذي يشعر به: فإكر لما قولتلك وانت صغير لما أبونا مات ابي مش عاوز أشوف دموعك دي تاني؟ ولا حتى عشاني يا وليد.

وبدل من أن تكون كلماته سببا لإيقاف دموعه فقد كانت السبب لزيادتها وهو يقول بصوت يخنقه الحزن: أنا ما عشتش مع أبويا أد ما عشت معاك يا يوسف، انت بالنسبالي الأب والأخ والصديق، انا مقدرش أعيش من غيرك.

يوسف وهو يجاهد ليخرج الكلمات: الحياة ما بتقفش على حد يا صاحبي، بس انت ما تتصورش سعادي أد ايه عشان انت كنت آخر حد أشوفه قبل ما أموت.

فأسرع وليد يقول: لا يا يوسف، مش ممكن تموت دلوقت، انت فيه حاجات كتيرة لازم تعملها قبل ما تموت. نسيت مريم يا يوسف؟ انت لازم تعيش عشانها لو ما كنش عشاني أنا.

يوسف: مريم! يبقا ما تنساش تقولها تسامحي.

وليد: انت اللي هتقولها بنفسك يا يوسف، انت اللي لازم تعيش حياتك معاها. حياتك اللي انت مقدرتش تعيشها من غيرها.

ولم يستطع يوسف أن يرد على أخيه وقد ازداد ألمه ولم يتمكن من أن يمنع تلك الآهة التي خرجت من بين شفثيه والتي شعر وليد بأن روحه تخرج معها، فلقد كان يشعر بأن تلك الرصاصة قد اخترقت صدره هو وليس صدر أخيه، فصرخ في كل المحيطين به وكان أغلبهم من العاملين بالشركة حيث انتقل إليهم الخبر بسرعة البرق: اسعاف، اتصلوا بالاسعاف حالا.

الفصل الأخير :

معك وللأبد

إذا فارقك حبيب باختياره، عندها تشعر بالمعنى الحقيقي لمفارقة الروح للجسد وعندها تفعل كل ما بوسعك حتى تلغي هذا القرار أو على الأقل تعمل على تأجيل لحظة الفراق، ولكن ماذا إن كان هذا الفراق ليس إختياراً؟ ماذا إن فرض عليكم هذا الفراق ماهو أقوى منك ومنه؟

الموت هو عدو كل المحبين ومحب كل الأعداء، فماذا إن كان الموت هو الذي فرض عليكم الفراق؟ هل يمكنك أن تتحداه كما تتحدى أقصى الظروف قسوة وصعوبة؟ حتى وإن كنت تمتلك القوة الكافية لحوض هذا التحدي فما الفائدة وأنت على يقين بأنك ستكون الخاسر لا محالة!؟

إذن أيها الحبيب فهذه رسالتي إليك أدعوك فيها إلى الاستسلام لقلبك ولو لمرة واحدة دعه يحركك، فلم يعد لدينا المزيد من الوقت لذلك الجفاء الذي أصبح يقتلني، و أنا أمامك الآن أتنازل عن كبريائي وأعترف لك بجبي وبأنه لا يمكنني أن أعيش بدونك لحظات إضافية، حقاً لا يمكنني ذلك. وسأكررها دائماً وأمام العالم أجمع الذي لم يعد يهمني فيه أحد سواك. وها أنا أقف في انتظار اعترافك.

كانت مريم تقف في المحل تعلق بعض الثياب على الحاملة عندما جاءها صوت من الخلف يقول: مساء الخير.

فالتفتت مريم لترى خالد صلاح يقف أمامها وبجانبه أخته ليلي تلك الفتاة الهادئة والابتسامة التي لا تغادر وجهها فقالت مريم مرحبة: اهلاً أستاذ خالد.

ثم صافحت ليلي بجرارة وهي تقول وقد اتفقتا على رفع الألقاب بينهما: عاملة ايه يا ليلي؟ وحشتيني.

ليلى بصدق: انتي أكثر والله يا مريم، المحل جميل جدا، ربنا يباركلك فيه. حقيقي خالد كان عنده حق لما وصاني أشترى فستان خطوبتي من هنا.

مريم: تسلمي يارب كلك ذوق، بس ايه دة؟ انتي اتخطبتي ولا ايه؟

ليلى: اه يا حبيبتي، قرينا الفاتحة، وان شاء الله الخطوبة الاسبوع الجاي.

مريم: ايه دة بجد؟

ثم حضنتها بسعادة وهي تقول: ألف مبروك يا حبيبتي ، وربنا يتمملك بخير.

ليلى: الله يبارك فيكي يا قمر.

ثم أكملت بمزاح وهي تغمز لأخيها: مانا قولت بقا كفاية كدة. خالد هيعنس بسببي، اصله ما كنش راضي يتجوز الا لما يطمن على مستقبلي الأول، فأنا قولت بقا أكسب فيه ثواب وأوافق.

فردت مريم على مزاحها بالمثل: والله فيكي الخير، هو فعلا ابن حلال ويستاهل التضحية الكبيرة دي.

وبدا أن ليلى كانت تنتظر تلك الفرصة فاستغلت ما قالته مريم لتؤكد على كلامها وتقول بنبرة خاصة: اه والله يا مريم. هو ابن حلال أوي، ويا بخت اللي تكون من نصيبه.

شعرت مريم بالانزعاج بسبب الاتجاه الخطر الذي قد أل إليه الحديث وقررت أنه قد حان الوقت لاستبداله بموضوع آخر فقالت وهي تجذب ليلى من يدها: طب تعالي بقا انا افرجك على أحسن تشكيلة عندي.

فسحبت ليلى يدها برفق وهي تعتذر بتردد بعد أن تبادلت نظرة سريعة مع أخيها: لا يا حبيبتي خليك في انتي، انا عاوزه أخذ جولة كدة لوحدي في المحل، اصلي ليا مواصفات خاصة في الفستان اللي هختاره ويمكن لوشفت حاجة أحسن اغير رأيي، وكمان مش عاوزه خالد يقعد لوحده اصل مش ليه في الحاجات الحريمي دي بس هو جه معايا عشان ما يسينيش لوحدي.

مريم مصرّة حيث كانت تخشى أن تبقى مع خالد بمفردها لسبب تجهله رغم وجود العاملات في كل مكان بالحل: ماهو يا حبيبي عقبال ما استاذ خالد يشرب قهوته اللي هطلبها له هنكون احنا خلصنا.

ولكن كانت ليلي أعدد منها ولكن بطريقة خاصة لم تستطع مريم الاعتراض عليها: ايه دة يا مريم؟ انتي كدة هتقليني وتخليني أفكر انك مش عاوزة تقعدني مع خالد. طب دة حتى أبيه خالد طيب أوي وما بيأذيش.

فقلت مريم وهي تحتوي الموقف سريعا: يا خبر، مين قال كدة؟ انا بس كنت بعرض مساعدتي، دة واجبي كصاحبة المحل.

ليلى وهي تمم بتركهما: مانا عارفة والله يا قمر، بس انا زبونة متعبة شوية عشان كدة بفضل اني اروح لوحدي، ياللا بقا اسيبكم وأبدأ مهمتي الصعبة وما تخافوش مش هأخر عليكم.

ثم رحلت ولكن لم يخف على مريم تلك الغمزة التي أرسلتها لأخيها قبل أن تتركهما، ولكنها تجاهلت ذلك واتجهت إلى مكتبها ودعت خالد إلى الجلوس أمامها، ثم قالت له بابتسمة متوترة: يا ترى قهوته ايه بقا يا أستاذ خالد؟

خالد: لا، مفيش داعي.

مريم: مفيش داعي ازاي بقا؟ انت عاوز ليلي ترجع ما تلاقش القهوة تنهمني بالبخل.

خالد ضاحكا: لا وعلى ايه؟ لو ضروري يعني يبقا خليها مطبوط.

فقلت مريم لتلك الفتاة العاملة التي كانت بالقرب منهما: لو سمحتي يا حنان اطلبي واحد قهوة مطبوط.

حنان: أمرك يا مدام مريم.

وذهبت حنان لإحضار القهوة، وبدا الجو متوترا من الصمت الذي طال، مما دعا مريم إلى أن تقول مجرد فتح مجالا للحديث ليخفف من حدة التوتر: واضح ان العلاقة بين حضرتك وليلي قوية أوي لدرجة انك وافقت تيجي معاها مشوار زي دة مع ان كل الرجالة تقريبا ما بيكرهوش أد ان هما يلفوا مع بنت في المحلات.

خالد: ليلي دي هي الوحيدة الي ليا في الدنيا بعد وفاة ماما وبابا، وانا اللي شلت مسئوليتها بعدهم وبقت هي بتعتمد عليا في كل حاجة تقريبا.

مريم: ربنا يخليكم لبعض.

خالد: يارب.

ثم أكمل بنبرة خاصة جعلت مريم تشعر بمدى خطورتها: بس هي خلاص هتتجوز ويبقا ليها بيت وزوج وتبدأ بقا تستغنى عني، الحقيقة أنا لحد دلوقت مش عارف أقلم نفسي على ايني أعيش لوحدي.

مريم: ما حضرتك كمان مسيرك تلاقي الانسانة المناسبة اللي تشاركك حياتك وما تبقاش مضطر انك تعيش لوحدا.

ودون أن تقصد مريم فقد أعطته الفرصة لأن يحدثها بتلقائية ويخبرها بما حاول أن يخفيه طوال تلك المدة منذ رآها لأول مرة، فبدأ يقول وقد شعر أخيرا بأن عقدة لسانه قد انحلت فانساب الكلام من فمه دون تفكير أو تردد: بصراحة بقا يا مريم، هو دة الموضوع اللي أنا كنت عاوز أكلمك فيه. انا من أول يوم شفتك فيه في الجامعة و أنا حسيت ان انتي فعلا الانسانة اللي عاوز اقضي معاها بقية حياتي، بس لما فكرت اعترفلك بدة كان فات الاوان وعرفت انك اتخطبتي ليوسف جلال، وكنت خلاص فقدت الأمل بس بعد ما عرضتوا عليا ايني أكون معاكم في المسرحية اللي هتقدموها ومن خلال قربي منك أكثر حسيت أد ايه ان انتي مش سعيدة في جوازك وخصوصا إني كنت بسمع كتير عن ماضي يوسف وان اللي زيه مش بتاع جواز واستقرار، وفي الفترة الأخيرة اتأكدت ان شكوكي كانت في محلها واللي أكدي دة فعلا يوم الحفلة لما شفت هو أد ايه كان بيحاول يتجاهلك في الوقت اللي كانت فيه واحدة تانية مستحوذة على كل اهتمامه واللي سمعت بعد كدة انه ناوي يخطبها.

كانت مريم على علم بهذا الأمر فلقد وصلها هذا الخبر في اليوم التالي من الحفلة حيث كتبت الجرائد عن مدى العلاقة التي تربط يوسف بعلياء واستنتجت بأنهما على وشك الزواج، كما تذكرت أيضا ذلك الشجار الذي حدث بعد ذلك بينها وبين جدها وإصرارها على التعجيل بالطلاق، ولكن كالعادة كان لدى جدها الأسباب التي جعلتها تعدل عن رأيها وترضخ للرجته وإن لم تكن مقتنعة.

أفاقت مجددا على كلام خالد الذي استمر يقول: انتي لازم كمان يا مريم تشوفي حياتك زي ماهو شاف حياته، لان مش من العدل ابدا انك توقفي حياتك على كدة في حين ان هو ولا على باله.

لم تحتمل مريم مزيدا من الألم الذي سببه كلام خالد والذي كانت تقرر بصحته في داخلها ولكنها اعترضت وقد ارتفعت نبرة صوتها: أرجوك كفاية.

فأدرك خالد بأنه قد تمادى كثيرا لذا قال معتذرا: انا اسف يا مريم، بس انا مش قادر أشوفك بتتعذيبي كدة أدامي وانا مش قادر أخفف عنك.

مريم راجية: أستاذ خالد أرجوك ما تنساش اني ست متجوزة وان الشخص اللي انت بتتكلم عليه دة لسة لحد دلوقت جوزي.

خالد: لحد امتي يا مريم؟

فاجأها سؤاله الغير متوقع ولكنها تعمدت وكأنها لم تفهم ما يعنيه: قصدك ايه؟

خالد بالحاح: قصدي لحد امتي هيستمر جوازكم؟ لحد امتي هتقدري تستحملي الحياة بالشكل دة؟

ثم تغيرت نبرته إلى الرقة: مريم! انا مستعد اني استناكي وتأكدي ان سعادتك هتكون معايا بس اديني أي أمل يخليني أستنى.

وبالرغم من أن مريم كانت بحاجة ماسة إلى أن تسمع مثل هذا الكلام إلا أن خالد لم يكن الشخص الذي تتمنى أن يسمعها إياه، ولكنها لم تشأ أن تجرحه، فما الحل إذن؟ وكيف يمكنها أن تخبره بأنه رغم أنه على حق فيما يقول إلا أنها ليس باستطاعتها أن تتخيل نفسها امرأة رجل آخر سوى يوسف ذلك الشخص الذي لم تذق معه حتى الآن سوى العذاب.

ولكن جاءت النجدة من السماء حيث ظهر ماهر في تلك اللحظة فوفر عليها عناء الرد، وبسبب ارتباكها لم ترى آثار الحزن البادية على وجهه، بل نهضت مسرعة وهي تقول له: ماهر! كنت فين كل دة؟ انت ناسي ان عندنا شغل كثير النهاردة؟

وعندما لم تجد منه ردا بدأت تدقق النظر إليه، فقالت له وقد اجتاحتها قلق عارم: فيه ايه يا ماهر؟ جدو حصله حاجة؟

فقال ماهر بكلمات متقطعة: جدي بخير.

لما تطمئننا كلماته بل قفزت سريعا إلى استنتاج آخر: بيقا عمتو، طمني هي ماها؟ انا سايبها الصبح كانت كويسة.

ماهر: ماما بخير يا مريم.

مريم بنفاد صبر: أمال ايه اللي حصل؟

ماهر: يوسف يا مريم.

مريم بلهفة: ماله يوسف؟

ماهر: في المستشفى بتعمله عملية وهو دلوقت بين الحياة والموت.

لم يكن في استطاعتها أن تتحمل مثل هذا الخبر، بل إنها لم تتمالك نفسها كي يمكنها أولا التحقق من الأمر، وفي لحظة واحدة سقطت على الأرض مغشيا عليها.

ننتقل إلى المستشفى أمام حجرة العمليات لنجد الجميع يتشاركون مشاعر واحدة وهي القلق على حياة يوسف فمنهم وليد الذي يبكي بحرقة خوفا من فقدان أعز الناس على قلبه وبجواره زوجته التي تحاول أن تواسيه وهي التي كانت بحاجة إلى من يواسيها فهي تتعذب لعذابه، ومنهم عبدالرءوف الذي كان يجلس بالقرب منهما على أحد المقاعد بالمستشفى وهو يدعو الله أن يجنبهم تلك المصيبة فهو لن يتحمل فراق ولده الثاني وهو لا يزال على قيد الحياة وبجواره ابنته التي كانت تقرأ في مصحف صغير بيدها بصوت منخفض عل السكينة تنزل على قلوبهم جميعا و يأتيهم خبر نجاته بعد قليل، وفي المقابل نرى هدى والتي كانت تبكي بصمت حتى احمرت عيناها من شدة البكاء.

وهنا ظهرت مريم التي كانت تقريبا تركض نحوهم والدموع تسبقها، وكان ماهر خلفها ويحث الخطى كي يمكنه اللحاق بها، وعندما اقتربت منهم أسرع إلى جدها وهي تسأله بلهفة وصوت باك: فين يوسف يا جدو؟ ايه اللي حصله؟

فربت عبدالرءوف على كتفها وقال محاولا التماسك: ادعيله ربنا ينجيه يا بنتي.

فقالت مريم بقلب يكاد أن ينفطر: يارب يا جدو. يوسف مش ممكن يموت.

وهنا تحامل وليد على نفسه واقترب من مريم وهو يقول محاولا أن يبدو صوته ثابتا: لو سمحتي يا مريم عاوزك في كلمتين.

ف نظرت إليه مريم بعينين تائهتين ثم سارت في إثره كالمغيبة.

: معقول اللي بتقوله دة يا وليد؟

لم يستطع عقلها أن يستوعب كل تلك المفاجآت دفعة واحدة فأرادت أن تتأكد أكثر لذلك سألت وليد الذي قد اختار غرفة الاستراحة ليخبرها بكل الأسرار التي كانت تخفى عليها: يعني انت عاوز تفهمني ان ما كنش فيه أي علاقة بتربط بين يوسف وعلياء؟

بالفعل كان هذا هو كل ما يهمها من كل ما سمعته منه، فقال وليد مؤكدا كلامه السابق: يا مريم يوسف بعد ما اتجوزك وهو معرفش ست غيرك، فبالرغم من كل عيوبه الا ان عمره ما كان خاين.

مريم: طب ليه ما حاولش يقولي؟

وليد: ما كنش ينفع، المهمة دي كانت سرية لأقصى حد ولولا انهم احتاجوني فيها انا كمان ما كنتش هعرف.

مريم: وياترى دة حصل امتي بالظبط يعني قبل جوازنا ولا بعده؟

وليد: يوسف قالي ان جدك كان شاكك من زمان في سلوك جوز عمته، وكانت فيه شبهات كتير بتدور حوالين شغله وحس انه لفه ودوارانه عشان يمسه ادارة شركة الكامل كان مجرد انه عايزها تبقا ستارة لشغله المشبوه دة عشان كدة جدك اوكل بادارة شركته ليوسف وهو اللي قدر يكشف اللعبة وخصوصا بعد ما جند اللي اسمه محمد جمال دة اللي جوز عمته كان مخليه جاسوس في شركة الكامل وهو بردو كان الشخص اللي حط أجهزة التسجيل في مكتب كمال وهدان واللي من خلاله احنا قدرنا نتوصل لكل الدلائل اللي ممكن تدينه وكان ما فاضلش غير انه يتمسك متلبس.

مريم: وعماد و علياء كانوا بيشتغلوا معاه؟

وليد: عماد هو اللي كان بيوردله المخدرات من برة وعلياء هي اللي كانت بتجييلهم الزباين.

ثم أكمل ساخرا: وطبعا البركة كانت في شغلها اللي خلاها على علاقة بصفوة المجتمع من زوجات رجال الأعمال الفاضلين ومش لاقيين حاجة يعملوها فيضيعوا وقتهم في تناول المخدرات.

مريم: وهما دلوقت اتقبض عليهم؟

عماد: للأسف يوسف قالي انهم قدروا يهربوا، وأكد اللي حصله دة هما اللي وراه، بس اللي مجنني وهموت وأعرفه هما ازاي قدروا يكتشفوا ان يوسف هو السبب في القبض عليهم؟

لم تكن مريم بحاجة إلى سماع المزيد، فكل ما كان يشغل بالها الآن هو أنها قد ظلمت يوسف باتهامه بالخيانة من جهة و الجشع من جهة أخرى، يوسف الذي قد خاطر بحياته لإنقاذ جدها من خطر زوج عمته، يوسف الذي أصبح الآن بين الحياة والموت، وقد تضاعف ألمها، فإن كانت قد ساحتها فور علمها بخبر إصابته وهي على يقين بسوء نواياه، فكيف هو شعورها الآن بعد أن اكتشفت براءته من كل التهم المنسوبة إليه؟

علم وليد بأنها بحاجة لبعض الوقت كي تخلو بنفسها حتى يمكنها استيعاب كل تلك الصدمات التي انهالت عليها واحدة تلو الأخرى، فقرر الانسحاب من الغرفة بهدوء وقبل أن يصل إلى الباب وجد حياة وكانت تلهث من الجري وهي تقول بلهفة: وليد! مريم! يوسف خرج من العمليات.

وعلى الفور ركض وليد خارج الحجر ومريم وحياة تحاولان اللحاق به.

في فيللا شاكرا عزالدين وقد كان يسود الحزن أيضا ولكن من نوع آخر، وقالت الأم التي قد جفت عينيها من كثرة الدموع: انا مش قادرة أصدق، بقا عماد ابني اللي متربي على ايديا يتاجر في المخدرات؟

شاكرا بنبرة عتاب كانت لنفسه أولا قبل أن تكون لزوجته: للأسف يا مديحة احنا اهتمينا بارضاء رغباته وبس أكثر من اننا نعلمه الحلال والحرام والصح والغلط، ولأنه كان ابننا الوحيد فكنا مش عاوزين نرفضه أي طلب ونتجاهل كل أخطائه ونعمل اننا مش شايفينها، ودة اللي خلاه يتمادى أكثر وأكثر لحد ما وصل للي وصله دة. يعني قبل ما نلومه هو احنا لازم نلوم نفسنا في الأول.

مديحة: طب وهو فين دلوقت؟

شاكر: معرفش، محدش عارف طريقه لحد دلوقت، والبوليس عمال يدور عليه ومش لاقية.

مديحة: طب واحنا هنفضل ساكتين كدة؟ ماهو بردو ابننا يا شاكر واحنا لازم ندور عليه ونقومله أحسن محامي.

ثم نظرت إلى نهال والتي كانت تجلس في كرسيها ملتزمة الصمت: طب انتي يا بنتي ما تعرفيش هو ممكن يكون فين دلوقت؟ انتي مراته وأكد عندك أي فكرة عن المكان اللي ممكن يكون مستخبي فيه.

وقبل أن تجيب نهال بلهجتها الجافة التي قد اعتادت عليها مديحة، فقد سمعوا صوت جرس الباب الذي تصاعد رنينه بشكل يكاد يصم الآذان، مما جعل شاكر يفعل كثيرا وهو يصرخ في أحد الخدم الذي كان يتجه إلى الباب ليفتحه: ما بسرعة شوية يا عبدالجليل، وتشوف البني آدم اللي مش جايله صبر دة.

فأسرع عبد الجليل في سيره، وفتح الباب ليجد أحد الضباط أمامه وعلى مقربة منه وقف مجموعة من العساكر، ولم ينتظر الضابط الاذن بالدخول بل اقتحم المكان على الفور وأخذ يوزع العساكر الذين كانوا تحت رئاسته في جميع أنحاء الدور الأرضي بالفيلا، فاقترب منه شاكر يسأله وهو يستعد لتلقي صدمة جديدة: هو فيه ايه يا حضرة الطابط؟ انا شاكر عزالدين صاحب الفيلا.

الضابط: انا معايا أمر بتفتيش الفيلا.

شاكر بألم: الفيلا تحت أمركم، بس لو كنت بتدور على عماد ابني، فلأأسف مش هتلاقيه.

الضابط: احنا بتدور على حاجة تانية يا استاذ شاكر، اما موضوع ابنك فدي مهمة ناس غيرنا.

وبعد فترة من التفتيش عاد العساكر يقولون: مفيش حاجة يا فندم.

فقال الضابط لشاكر وهو يشير إلى الدور العلوي: بتهيئي ان أوض النوم هي اللي فوق؟

شاكر: ايوة يا فندم.

ودون كلمة أخرى اتجه الضابط إلى الدرج وصعد السلم مشيراً إلى العساكر بتتبعه، وصعد خلفهم كل من شاكر ونهال ومديحة اللتان قد استوعبتا الصدمة أخيراً، وبعد أن سألم الضابط عن غرفة نوم ابنهم، توجه إليها على الفور ويتبعه الآخرون، ثم أعطى أوامره بتفتيش الغرفة، أما هو فأخذ يجول بعينيه في مختلف محتوياتها حتى وقعت عيناه على حقيبة سفر صغيرة بجوار السرير سأل عنها نهال بعد أن علم بأنها زوجة عماد: بتاع مين الشنطة دي يا مدام؟

نهال: بتاعتي و فيها شوية تحف كنت اشتريتهم عشان أخدهم معايا لبنان كنتذكار يعني.

الضابط: طب لو سمحتي افتحيها.

فحملت نهال الحقيبة ووضعتها على السرير، ثم فتحتها لتظهر بداخلها بعض التماثيل الصغيرة، فاقترب منها الضابط وأخذ يتفحص التماثيل بعناية واحدا تلو الآخر حتى توقف عند أحدهم وقد كان أحد التماثيل التي قد أهداها لها عماد ذات يوم لعلمه بعشقها لذلك النوع من الفنون وفوجئت نهال بأنه ينزع رأسه ليبدو التمثال مجوفاً من الداخل وفوجئت أكثر عندما وجدته يفرغ ما بداخله في يده لتظهر العديد من حبات الألماس اللامعة، فقال الضابط لنهال: تقدري تقولي لي ايه دة بقا يا مدام؟

نهال متلعثمة وقد أصابها الذعر: معرفش.

فأوماً الضابط برأسه وهو يقول لها: طب تسمحي بقا تيجي معانا؟

نهال: على فين:

الضابط: على مكان اللي انا وانتي هنقدر نعرف فيه بيقا ايه دة.

ومر ما يقرب من الأسبوعين ويوسف لا يزال في المستشفى بعد أن تمكن الأطباء من إخراج الرصاصة من صدره بصعوبة وقد ظل في العناية المركزة لعدة أيام، ثم بعد أن اطمئن الأطباء على استقرار حالته أمروا بنقله إلى إحدى الغرف العادية والتي كان قد اجتمع فيها الآن وليد وحملة ومامر وهدى الذين كانوا يتناوبون على زيارته ومريم التي أبت أن تغادر

المستشفى إلا وهي برفقة يوسف، وقد عملت هي على خدمته طوال هذه المدة، إلى أن أصبح الآن في حالة تسمح له بالجلوس وكذلك الحديث، فقال لوليد: طمني يا وليد مفيش أخبار عن عماد وعليا؟

وليد: لا لسة بس وديني مانا سايبهم.

يوسف مبتسما: يعني انت بايدك ايه تعمله؟

وليد: بايدي كثير يا يوسف. وهتشوف.

يوسف مازحا وهو يشير إلى الضمادة التي تحيط بكتفه: لا ورحمة أبوك، كفاية اللي أنا شفته لحد دلوقت. احنا مش ناقصين مصيبة تانية.

وليد: ما تقلقش يا يوسف، ان شاء الله خير.

فنظرت إليه حياة بقلق، فقد كانت بالفعل قلقة عليه من شر عماد ذلك الشخص الذي يمكنه أن يفعل أي شيء بغرض الوصول لهدفه، ولكنها لا تستطيع أن تبوح له بذلك، مازالت لا تستطيع.

ثم سمعوا طرقا على الباب، وبعدها دخل الطبيب وبصحبه احدى الممرضات وقال ليوسف: عامل ايه دلوقت يا باشمهندس؟

يوسف: الحمد لله يا دكتور.

ثم وجه الطبيب حديثه للآخرين وهو يقول: طب لو سمحتوا يا جماعة تطلعوا برة عشان نغير للمريض.

فقال وليد لأخيه مستنذنا: طب عن اذنك بقا يا يوسف وان شاء الله هجيلك بكرة ومعايا أخبار كويسة.

يوسف بقلق لم يرد أن يبيديه: خلي بالك من نفسك يا صاحبي.

ثم غادر الجميع الحجرة ولم يبق سوى مريم، وبعد أن أنهى الطبيب مهمته وقد استعد أن يغادر الغرفة سأله يوسف: أنا امتي هسيب المستشفى يا دكتور؟

الطبيب مازحا: ايه دة؟ خلاص زهقت مننا أوام كدة يا باشمهندس؟ وع العموم يا سيدي اطمن كلها أسبوع تاني بالكثير وهكتبلك على خروج.

يوسف: متشكر أوي.

وخرج الطبيب وخلفه الممرضة، فحاول يوسف أن يستلقي مجددا على السرير وأسرعت مريم لتعدل من وضع الوسادة تحت رأسه وساعدته في أن يعدل وضعه فقال لها يوسف بامتنان: متشكر أوي يا مريم.

مريم مبتسمة: انا اللي المفروض اني أشكرك يا يوسف.

يوسف: بس.....

فوضعت مريم كفها على فمه وهي تقاطعه قائلة: ما تقولش أي حاجة، المهم دلوقت انك تقوم بالسلامة وساعتها يبقا نتكلم.

كان عماد في قمة غضبه وهو يقف في بهو الفيلا التي كان يختبئ بها والتي تضم أيضا علياء وهي تجلس على كرسيها بكل هدوء تقلم أظافرها، وسبعواوي يقف مطرقا رأسه لتحمل كل إهانات عماد الذي كان يقول: واضح انك خلاص كبرت وايدك ثقلت وما بقتش قادر تشيل السلاح.

سبعواوي وهو يحاول أن يدافع عن نفسه: ما تقولش كدة يا وليد بيه، هو بس اللي كان حظه نار وقدروا يلحقوه، أعمل ايه؟ لسة ليه عمر بقا؟

لم يخفف هذا الكلام من ثورته: ماهو لو كانت رصاصتك دي جات في مقتل او كانت اكثر من رصاصة ما كانوش هيلحقوه يا فالخ.

سبعواوي: ع العموم حقا عليا يا عماد بيه. وان كانت خيبت المرادي فانا أضمنلك بجياتي انما مش هتخيب المرة الجاية.

عماد باستهزاء: المرة الجاية! وانت فاكر ان هيقا فيها مرة جاية؟ ما خلاص يا فالخ، زمانهم دلوقت خدوا احتياطاتهم وأمنوا أنفسهم.

سعاوي بثقة وتحدي: بردو هجيبه، ولو كان في فيلته ووسط أهله والمديرية كلها بتحرسه فأنا مش هسيبه، دة بقا خلاص تار شخصي يا عماد بيه.

عماد: لا دي بقا محتاجها ترتيب تاني خالص، مانا مش هسيب البلد غير لما اخلص منهم كلهم دفعة واحدة.

وهنا رن هاتفه الجوال فأمسكه وليد ثم وضعه على أذنه وقال: ايوة يا أسامة، فيه ايه؟..... مين؟..... ماهر؟

فانتفضت علياء فور سماعها الاسم ولكنها انتظرت إلى أن ينهي المكالمة حيث سمعته يقول: ودة ايه اللي جابه؟..... طب هو لوحده ولا معاه حد؟..... لا طبعا دة جاه لقضاه..... فتشه الأول وبعدين دخله بس لوحده وخلوا بالكم من اللي معاه، وخليكم مستعدين في اي لحظة.

ثم أنهى المكالمة فأسرعت علياء نحوه وهي تكاد تحترق من القلق والشك: تفتكر ايه اللي جاب البني آدم دة هنا؟ وايه اللي عرفه مكانا أصلا؟

عماد: كلها ثواني ونعرف

وبالفعل ماهي إلا ثواني قليلة حتى حضر ماهر وبصحبته حارسا مدججا بالسلاح، وفور أن رأى عماد فتح ذراعيه وأسرع إلى عماد يحتضنه وهو يقول: حبيب قلبي يا عمدة، فينكم يا راجل؟ قلقتوني عليكم.

لم يبد عماد أي استجابة لتلك الحرارة التي أظهرها ماهر نحوه بل ظلت ملامحه جامدة، ولكن ماهر لم يبال بالأمر كثيرا بل استمر يقول بعتاب: بقا ياراجل تعمل معايا انا كدة؟ تخلي رجالتك يفتشوني على باب الفيلا؟ بس ياللا هسامحك المرادي لأني مقدر ظروفك.

ثم ضغط على ذقن علياء وهز وجهها بيده بلطف: ازيك يا لولا، عاملة ايه يا قمر؟

وقد حذت علياء حذو عماد فلم تجب، أما عماد فقد تخلى عن صمته وهو يسأله: انت ايه اللي جابك يا ماهر؟ وعرفت مكانا هنا ازاي؟

ماهر متصنعا الحزن: بقا هي دي أهلا وسهلا بردو اللي بتقولها لضيوفك؟

فكرر عماد سؤاله ولكن بنبرة أعلى: جاوب على سؤالي يا ماهر، وقولي عرفت مكاني منين؟

فقال ماهر وهو يجلس على الأريكة بارتياح دون أن يأخذ الإذن من أحد: لا يا صاحبي، انت سألتني سؤاليين. انا عرفت مكانك ازاي؟ وجيت هنا ليه؟ وانا بقا مش هكون بخيل زيكم وهجاوبك ع الاتنين.

ووقف عماد وعلياء يرمقانه بنظرات شك في انتظار أن ينهي حديثه، فاستمر ماهر يقول: اولاً كان سهل عليا اوي اني أوصل لمكانكم وخصوصاً اني أعرف كل أسراركم واللي كان منها الفيلا دي واللي انت اشتريتها من سنة وكتبتها باسم مراتك وهي ما تعرفش، ولا نسيت ان انا اللي عرفتك على السمسار؟

لم يستطع عماد أن ينكر ذلك لأنه كان حقيقة ولكنه لم يطمئن تماماً لماهر فسأله: طب وانت عاوز ايه دلوقت؟

ماهر: جينا بقا للسؤال الثاني أنا جيت هنا ليه؟ انا جيت عشان نشوفلنا حل للمصيبة اللي حصلت دي.

علياء: وانت يهملك ايه في اللي حصل؟ اهو كله وقع على دماغنا.

فنهض ماهر مرة أخرى وهو يقول بغضب: يهمني ايه ازاي؟ انتو نسيتموا ان بابا محبوس دلوقت على ذمة القضية؟ يعني المصيبة دي ضربتني زي ماهي ضربتكم، والله أعلم بقا القضية دي هترسي على ايه؟ ومش جايز كمان الحكومة تحط ايدها على كل الأملاك باعتبار انها جاية من طريق غير مشروع، وساعتها بقا هبقا يا مولاي كما خلقتني.

عماد: طب واحنا ممكن نعملك ايه دلوقت؟

ماهر: خدمة قصاد خدمة.

عماد: ازاي يعني؟

ماهر: انا مش طالب كتير، هو اتنين مليون دولار يا صاحبي أخذهم وأسافر أعيش بيهم حياتي برة.

فشهقت علياء وقالت: ايه؟ اتنين مليون ايه؟

ولكن لم يبد على عماد أي تأثير بل سأله بهدوء: وانت بقا هتقدملنا ايه في المقابل؟

ماهر: انا عرفت انك عاوز راس يوسف وأخوه لأنهم كانوا السبب في اللي انتوا بقيتوا فيه دلوقت مع ابي بصراحة هتجنن وأعرف انتوا اكتشفتموا دة ازاى؟

فاندفعت علينا تقول: واحنا بنهرب أنا وعماد لمحت عربية يوسف واقفة قريب من عربيات البوليس فأتأكدت ان هو اللي بلغ عننا وان كل اللي كان بيعمله دة كان مجرد لعبة علينا.

عماد: بس انت يا ماهر لسة ما قولتلناش انت هتقدملنا ايه مقابل المبلغ دة ؟

ماهر: هدية يا صاحبي هتفرحك أوي وتخليك تضرب عصفورين بحجر واحد.

عماد: هدية ايه؟

ماهر بغموض: هتعرفها حالا بس خلي الرجالة بتوعك يدخلوا الناس اللي برة.

وعلى الرغم من أن عماد لم يرتح للأمر تماما إلا أنه أمسك بهاتفه واتصل بحارس البوابة الخارجية، وقال له: دخل الناس اللي عندك، أيوة اللي كانوا مع ماهر. وانت كمان تعالى معاهم وهات معاك حسام ومجدي ومعتز.

ثم انتظروا قليلا حتى جاء اربعة من الحراس مما يعملون مع عماد وبرفقتهم ثلاثة رجال آخرين، من ضمنهم رجلا مقيدا بالحبال وتغطي وجهه طاقية سوداء فنظر عماد وعلياء إلى ماهر بتساؤل مما جعل ماهر يقترب من الرجل المقيد وهو يدور حوله بعينين عابثتين و يقول، اسمحولي أرفع الستار عن هديتي المدهشة.

ثم نزع الغطاء عن وجه ذلك الرجل ليكتشفا أنه وليد جلال وقد كان ينظر إليهما بغضب، لذلك علت الدهشة وجهيهما معا، فقال لهما ماهر: ايه رأيكم بقا في المفاجأة دي، أدي وليد أدامكم بشحمه ولحمه، تقدروا تعملوا فيه اللي انتوا عاوزينه، وطبعاً مش محتاج أقولكم موت وليد ممكن يعمل ايه في أخوه؟ ماهو حاجة من الاتنين يا اما يحطمه تماما لدرجة تخليه ما يقدرش بعدها انه يأذي حد فينا، يا إما يخليه يغضب ويثور و يحاول ينتقم ليه بسرعة وساعتها بقا يخرج من جحره وتقدروا تصطادوه براحتكم.

ولأول مرة تظهر الابتسامة على وجه عماد وإن كانت ابتسامة شيطانية، أما وليد فقد وجه غضبه إلى ماهر وهو يقول: كنت شاكك فيك من البداية بس كنت بمحاول أكذب نفسي، صحيح البني آدم اللي زيك عمره ما هيتعدل أبدا.

ماهر: معلى بقا يا عم وليد، المصلحة تحكم بردو.

وليد: ماشي يا ماهر ليك يوم.

وهنا رد عماد ساخرا وهو يقترب من وليد بعد أن أخرج سلاحه ليشهره في وجهه: جرى ايه يا باشمهندس؟ انت مش شايف نفسك ولا ايه؟ مش حاسس انك في موقف ما يسمحش لواحد في حالتك انه يهدد بأي حاجة.

وليد: لو كنت فاكرا ان عشان اللي انا فيه دة هررع تحت رجلك وأترجاك انك تطلق سراحي تبقا غلطان، مش وليد جلال هو اللي يعمل حاجة زي دي. انا أهون عليا أموت ولا ابي أتذلل لواحد زيك.

ماهر: لا راجل بصحيح.

ثم قرب فمه أكثر من أذنه وهو يقول بصوت أشبه إلى الهمس: وياترى بقا كنت راجل أوي كدة مع المدام اللي قدرت تضحك عليك وتفهمك انك أول راجل في حياتها؟

وعندما لاحظ عماد احمرار وجهه من الغضب ولكن لم يكن بيده القيام بما هو أكثر من ذلك فأطلق عماد ضحكة عالية تردد صداها في أرجاء المكان، ولكن قاطعه ماهر وهو يقول له وقد بدأ نفاذ الصبر يبدو على ملامحه: بقول ايه يا عماد؟ انا كدة عملت اللي عليا، اديني بقا نصيبي، وخلي رجالتك يرجعولنا السلاح.

فنظر عماد لأحد رجاله وقال له وقد اطمئن تماما من ناحية ماهر: رجعلهم سلاحهم يا أسامة.

وبالفعل أعاد أسامة السلاح لماهر والرجلين الذين كانا يرافقان وليد، وسأل ماهر عماد: طب ونصيبي؟

عماد: ومستعجل على ايه يا سيدي؟ انت مش عاوز تحضر حفل التآبين اللي هنعمله للباشمهندس ولا ايه؟ ولا انت قلبك خفيف وما بتحبش تشوف الحاجات دي؟

ماهر بسخرية: لا ازاي؟ دة وليد دة حبيبي، وواجب عليا أحضر جنازته. بس ياريت تخلصنا بسرعة.

عماد: حبيبيك ازاي وانت عاوز تخلص منه بسرعة؟ يا عم خلىنا نتسلى شوية.

ثم فتح مسدسه وقال وهو يخرج منه الرصاصات واحدة تلو الأخرى: كان فيه لعبة زمان بيحب يلعبها الأغنياء لما بيعدموا واحد من أعدائهم وكان اسمها رصاصة الرحمة، واللعبة دي أساسها انهم يخلو رصاصة واحدة بس في المسدس ويبدأوا ينشونوا على الهدف وهو وحظه بقا ممكن تكون الرصاصة دي رقم واحد او اتنين أو ثلاثة، لكن في كل ضغطة على الزناد بيموت فيها الهدف مليون مرة، انا بقا يا ماهر نفسي ألعب اللعبة دي دلوقت.

ثم لف بكرة المسدس بيده بعد أن تأكد بأن ليس بها سوى رصاصة واحدة فقط، ثم قال لماهر: تعالي يا ماهر عشان تلعب معايا وانتي كمان يا علياء وهنعمل رهان اللي الرصاصة تطلع من نصيبه ياخذ من كل واحد فينا جنيه صحيح المبلغ تافه، بس اللعبة مسلية، وكمان الهدف ما يستاهلش أكثر من كدة.

وبالفعل اصطف الاثنان بجانبه، ماهر على يمينه و علياء على يساره بعيدا عن وليد بما يقرب من ثلاثة أمتار، بينما تنحى باقي الرجال جانبا تاركين وليد واقفا وحده في المنتصف، فتبادل عماد النظرات مع كل من ماهر وعلياء وسألهم: تحبوا مين يبدأ الأول؟

وعندما لم يلق جوابا قال مقررا: خلاص بيقا أبد أنا باعتباري صاحب الفكرة وبعدين ماهر لان هو صاحب الهدف وعلياء في الآخر.

ولم ينتظر موافقة أي منهما أو اعتراضه بل انه أشهر مسدسه ناحية وليد، في حين ألقى ماهر بنظرة سريعة ناحية رجليه حملت نوعا من التفاهم بينهم لم يلاحظه أحد، وعندما استعد عماد ليضغط على الزناد، وجد ماهر مصوبا سلاحه إلى رأسه وهو يقول مهددا: انت أعقل من انك تعملها يا عمدة.

صعقت المفاجأة كل من علياء وعماد الذي قال: ايه دة يا ماهر؟ انت اتجننت؟

ماهر: قصدك عقلت ومن زمان أوي يا عماد.

عماد: يعني انت كنت كل دة.....

ثم توقف عندما وجد أن الرجلين التابعين لماهر قد نزعوا السلاح عن رجاله ثم توجه أحدهما وفك قيود وليد الذي أخرج سلاحا كان تحت سترته ، وسمع ماهر يفسر له الأمر وهو يأخذ من يده السلاح: أحب أقدملك الرائد خالد والنقيب عمر.

وبعد لحظات اقتحم العديد من رجال الشرطة المكان وكانت علياء وعماد لا يزالان مبهوتين بسبب ما يحدث، وقد ألقى القبض عليهما وكذلك جميع الحرس الذين يعملون بالفيلا حيث بدأ أنهم جميعا مطاردون من قبل رجال الشرطة.

وفي الخارج وقف وليد و ماهر مستندين على سيارة ماهر، فقال وليد: متشكر أوي يا ماهر بجد انا مش عارف أقولك ايه؟

ماهر: ما تقولش يا باشمهندس، دة كان واجبي ولازم أعمله.

وليد بتردد: طب بخصوص والدك.....

فقاطعه ماهر بجزن: بابا اعترف على نفسه بكل حاجة وخرجني انا من القضية كلها بالرغم من ان انا كنت مستعد اعترف بكل الجرائم اللي اشتريت فيها معاه. بس هو ما رضيش يحملني أي مسئولية وعزائي الوحيد اني حاولت أحذره قبل كدة أكثر من مرة بس هو كان بيرفض يسمعلي ويمكن يكون دة السبب اللي مخليه حاسس بالندم دلوقت. ومستعد انه يتحمل أي عقوبة.

فربت يوسف على كتفه مواسيا: احنا بردو مش هنسيبه، هنقومله أكبر محامين وان شاء الله ياخذ حكم مخفف.

فابتسم ماهر بامتنان واكتفى بإيماءة صغيرة من رأسه، في حين قد ظهر رجال الشرطة محيطين بكل من علياء وعماد الذي لمح من وليد وماهر من بعيد فنادى على ماهر: استاذ ماهر! كلمة واحدة لو سمحت.

فانتصب ماهر واقفا واتجه ناحية عماد بخطوات بطيئة بينما ظل وليد مكانه، وعندما أصبح ماهر على بعد خطوتين فقط من عماد الذي كان يمسكه اثنان من رجال الشرطة وقال له هذا الأخير: انت النهاردة كنت الشخص الوحيد اللي قدر يثبتلي أنا أد ايه كنت غبي، عشان كدة بجد أقدملك تحياتي..

وعندما أراد أن ينحني قليلا وجد أن رجال الشرطة من حوله يتأهبون فقال لهم وهو يشير بعينه إلى حذائه ذات الرباط المفكوك: ايه؟ انا بس كنت عاوز أربط الجزمة.

فأرخی العسكران قبضتيهما من على ذراعه، ثم أفلتاه، وأكمل قائلا ماهر وهو ينحني نحو حذائه: دلوقت بقا صعب أوي ان انا وانت نعيش على أرض واحدة.

وقد شدد على الكلمة الأخيرة وهو ينزع خنجرا صغيرا من تحت شرابه واندفع به ناحية ماهر ناويا قتله، وماهر لا يزال واقفا قد صدمته المفاجأة في انتظار الطعنه تأتيه في مقتله، ورجال الشرطة كل يقف في مكانه لم يتمكن أي منهم منعه حيث قد حدث كل شيء سريعا، ولم يتمكنوا إلا من انتظار النتيجة، ولكن لدهشة الجميع وقبل أن ينغرز الخنجر في قلب ماهر خر عماد على الأرض صريعا نتيجة لطلقة نارية أصابت جبهته فاتجهت الأنظار ناحية المصدر ليجدوا وليدا ممسكا بمسدسه وقد كان في وضع إطلاق النار، وعندما نظر ماهر إليه رأى شبح ابتسامة تتراقص في عينيه.

وبعد عدة أيام عاد يوسف إلى فيلنته وقد أصرت مريم على البقاء بجانبه حتى يتم شفاؤه نهائيا، أما وليد فقد ظل فترة طويلة متغيبا عن المنزل ما بين عمله في الثلاث شركات، شركته وشركة أخيه وكذلك شركة عبدالرؤف الكامل والتي كان يساعده في إدارتهم ماهر وعبدالرؤف نفسه بعد أن استرد صحته كاملة، وبين سرايا النيابة يدلي بشهادته، وكانت حياة التي تجهل كل ما حدث حيث لم يخبرها وليد بأي شيء فكانت لا تراه إلا لماما وربما أوقات النوم فقط، وفي أحد الأيام ذات مساء، كانت حياة تتصفح أحد الجرائد، بعد أن شعرت بالملل يتسرب إليها، فلقد افتقدت وليد ، افتقدت حتى سخريته فمهما كانت لاذعة فهي أهون من ذلك الفراغ الذي أصبح رفيقها في الأيام السابقة، وبينما وهي تقلب صفحات الجريدة وقع نظرها على صورة عماد وهو يرقد على الأرض صريعا، فكتمت شهقتها وهي لا تصدق ما تراه أمامها، ثم بدأت تقرأ ما تحت الصورة بصمت والتي قد أوضحت بأنه تم قتله وهو في طريقه إلى سيارة الشرطة على يد رجل أعمال آخر أغفلت ذكر اسمه، وقد أوضحت سبب مقتله بأنه حاول التعدي على هذا الشخص المجهول فكان الآخر أسرع منه وقد أدى ذلك إلى مصرع عماد والذي كان هاربا من العدالة ومنهما بالالتجار في المخدرات وقد ذكرت

الصحيفة أيضا بأنه تم القبض على زوجته نعال من قبله وجاري التحقيق معها لاثامها بسرقة وتهريب فصوصا من الألباس يصل قيمتها إلى خمسة ملايين من الدولار الأمريكي.

ظلت حياة مصدومة لبعض الوقت حيث لم تسمع صوت وليد وهو الذي قد دخل لتوه، ولم تشعر به إلا عندما رآته أمامها، فشهمت بخفوت لدى رؤيته، ولكنه تجاهل ذلك وقال لها: مساء الخير.
حياة متلعثمة: مساء النور.

ثم نهضت متجهة إلى الداخل بعد أن وضعت الجريدة على المنضدة وهي لا تدري بأنها لاتزال مفتوحة على الصفحة التي بها ذلك الخبر وقالت وهي تحاول أن تخفي ارتباكها: ربع ساعة بالكثير ويكون العشا جاهز.

ولكن منعته يد وليد الذي أمسكت بذراعها وأدارتها نحوه بلطف وهو يسألها بنبرة هادئة مشيرا إلى الجريدة: عرفتي أنا ليه بقا كنت متغيب عن البيت طوال الفترة اللي فاتت؟

ولم ينتظر ردها بل أجاب هوقائلا: لأن وقتي كان متوزع ما بين الشغل و التحقيق معايا بسبب القضية دي.

حياة بتوتر: طب وانت مالك ومال حاجة زي دي؟

وليد بعد أن أخذ نفسا عميقا: انا اللي قتلت عماد، صحيح القصة اللي في الصحف محرفة شوية ودة اللي انا اتفقت عليه مع وكيل النيابة وكنت حريص جدا ان اسمي ما يجيش في الموضوع.

حياة: يعني عماد ما كنش عاوز يقتلك زي ما بيقولوا؟

فنفى وليد كلامها بجزة من رأسه: كان بيحاول يقتل ماهر، بس انا بصراحة ما كنتش محتاج أي سبب عشان أحاول أقتله.

ف نظرت إليه حياة تطالبه بالايضاح، ولم يخجل عليها بذلك الأمر، فقال وهو يتخلل بأصابعه شعرها برقة لم تعتد عليها منه: كفاية الأذى اللي سببهولك، واللي يخليني كنت بتمنى أقتله مليون مرة لو كان دة بايدي.

تصلبت عضلاتها وهي تنظر إليه بشك بدون استيعاب: قصدك ايه؟ وايه هو الأذى اللي بتتكلم عنه دة؟

وليد: حياة! انا عارف ان عماد هو الشخص اللي.....

ثم سكت لبرهة يحاول أن يجد التعبير المناسب لما يريد أن يقوله دون أن يسبب لها مزيدا من الألم إلى أن قال أخيرا: اللي دمر حياتك يوم ما سمح لنفسه انه ياخذ منك حاجة مش من حقه.

كادت حياة أن تنهار فور سماعها لكلماته ولكنها احتفظت برباطة جأشها واكتفت بتلك الدموع التي قد أطلقت لها العنان وسألته وهي لا تخفي دهشتها: انت عرفت؟ من امتي؟

وليد: من زمان أوي، تقريبا بعد جوازنا بكام يوم، خليت يوسف يضغط على مريم لحد ما قالتله على اسم عماد بس يوسف طلب منها انها ما تبيينش ليكي اني عرفت. ومن ساعتها وأنا مش ورايا غيره وانا كمان كنت السبب في المشاكل اللي حصلت في شركته هنا وخليته مضطر انه ينزل.

حياة: طب ليه عملت كدة؟

وليد: مش عاوز مراتي تعيش معايا وأنا عارف انها اتظلمت من حد تاني من غير ما احاول أخذها حقها.

حياة: يعني انت بردو اللي كنت ورا اللي حصل لنهال.

وليد مبتسما باستخفاف: بصراحة في دي بقا وليد هو اللي ساعدني فيها لأنه كان بيستخدمها في تهريب الالماظ بدون علمها. وانا كل اللي عملته اني بلغت عنها.

ثم رفع وجهها بأطراف أصابعه وهو ينظر إلى عينيها: دلوقت خلاص بقيتي تقدري ترفعي راسك قدام الدنيا كلها.

لم تجد حياة كلمات مناسبة تعبر بها عن مقدار سعادتها أو امتنانها لوليد وقد اختلطت لديها دموع الفرح بالحزن.

ولكنها رأت من بين دموعها تلك الابتسامة التي تعلقو وجهه والتي كانت تراها قبل زواجهما فقط، و رأت في عينيه شوقا كانت تصبو إليه ولكنها لسبب تجهله ربما كان خجلها جعلها تحفض عينيها أرضا وتفلت من بين يديه وهي تقول محاول الابتعاد عنه، وتكرر نفس كلامها السابق ولكن هذه المرة بسعادة طاغية: أنا هروح أجهز العشا.

ولكنها مرة أخرى تجد نفسها أسيرة يديه وبعد لحظات من لغة العيون أذابت قلبها، قال وليد على حين غرة: حياة!
تتجوزيني؟

لا تعلم إن كانت سعادتها غلبت دهشتها أم العكس؟ ولكن ما كانت متأكدة منه بأن شعورها في تلك اللحظة كان
مزيجا من الاثنين معا، ولكنها تمالكت نفسها وهي تقول: طب ماهو المفروض اننا.....

ولم يدعها تنهي جملتها حيث قاطعها ليقول: سيبك من المفروض وخلصنا في دلوقت، أنا يا حياة عاوزك تكووني مراتي،
مش بس ع الورق زي ما كنا، فاهماني؟

فهزت حياة رأسها مؤكدة على استيعابها لما يقول ولكنها سألته: بس مش فاهمة، ليه دلوقت بالذات؟ مانا في الأول
كنت بردو مراتك ومقفول علينا باب واحد ومع ذلك ما حاولتش تطالب بحقوقك كزوج ولو مرة واحدة ولا حتى
حسستني انك عاوزني.

وليد: لأنه ما كنش ينفع يا حياة، ما كنش ينفع أطالب بأي حقوق ليا وأنا أصلا مش عارف أردلك حقوقك من اللي
ظلموكي، دة غير اني كنت مش عاوز أفرض نفسي عليكى وانا حسس انك من جواكي رافضاني.

حياة مبررة موقفها: انا ما كنتش رافضاك انت، انا بس كنت رافضة معاملتك الجافة وقسوتك عليا.

فقال وليد وهو يمسح بيده على شعرها وكأنه بذلك يزيل كل الآلام التي سببها لها سواء بقصد أو بدونه، ثم قال
مبتسما: معاملتي دي هي الواقى اللي كنت بتحامى فيه عشان ما استسلمش لأي لحظة تهور وأجبرك على حاجة انتي
مش عاوزاها، بس شكلي كدة زودت العيار حبتين لدرجة اني حسيت ساعات انك بدأتي تكرهيني.

حياة نافية: انا عمري ما كرهتك يا وليد، حتى قبل جوازنا كنت بصد أي مبادرة منك لأني كنت عارفة ان صعب يجمعنا
بيت واحد.

وليد وقد أراد منها إجابة صريحة: أفهم من كدة انك موافقة على طلبي؟

حياة معاتبة: انت لسة ما فهمتش يا باشمهنس؟

وليد مصححا للمرة الأخيرة: وليد، أنا اسمي وليد.

فارتقت حياة في حضنه وقد ازدادت ابتسامتها اتساعا ولكنها فوجئت به يبعتها عنه بلطف ويقول لها: مش دلوقت يا حياة. انتي الأول لازم تدخلي تجهزي الشنط لينا احنا الاتنين.

حياة باستغراب: شنط! ليه؟ احنا مسافرين.

وليد: ايوة، مسافرين شهر غسل كامل هنقضيه في شرم الشيخ ابتداء من بكرة ان شاء الله.

فرددت حياة: شهر غسل!

وليد مازحا: طبعا يا هانم، امال انتي كنت فاكرة ايه؟ انا عمري ما أسيب حقي أبدا وانا ليا عندك شهر غسل انتي ضيعتبه عليا وانا مصمم بقا اني أخذ حقي بالكامل.

حياة وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة سعادة لم تستطع وصفها، وقد بادها وليد الابتسام حيث كانت سعادته لا تضاهي، فلقد تمكن أخيرا من رسم الابتسامة على ذلك الوجه الذي كان دائما ما يراه حزينا منذ اللقاء الأول لهما.

وفي الجانب الآخر نجد يوسف مستلقيا على السرير بحجرة النوم التي كان يتقاسمها مع مريم التي وقفت تراقب الطبيب وقد انتهى من عمله، ثم جمع أدواته داخل حقيبتته وأشار إلى كتف يوسف الذي كان قد استغنى عن الضمادة مما يؤكد شفائه نهائيا من تلك الاصابة، وكان ما قاله الطبيب يؤكد ذلك: خلاص يا باشمهندس، كدة بقا أقدر أقولك مبروك لانك ما بقتش محتاجلي، وتقدر دلوقت تمارس حياتك بشكل طبيعي خالص.

يوسف: متشكر أوي يا دكتور.

الطبيب وهو ينهض مستعدا للرحيل: لا شكر على واجب، استأذن أنا بقا.

وخرج الطبيب وتبعه مريم، ثم عادت بعد دقائق وقد وجدت أن يوسف نهض من سريرته، فقالت له: مبروك يا يوسف، ألف حمدالله على سلامتكم.

يوسف: الله يبارك فيكي يا مريم، انا بجد مش عارف أشكرك على ايه ولا ايه؟

مریم معاتبه بلهجة مرحة: هو احنا مش كنا اتكلمنا في الموضوع دة في المستشفى، وشكرنا بعض وخلص.

يوسف بجديفة: اه، بس كان فيه موضوع أجلناه لحد ما اخف، ودلوقت خلاص انا الحمد لله خفيت، واحنا لازم نتكلم في الموضوع دة دلوقت.

لم تنفوه مریم بكلمة وانتظرت لتستمع إلى ما يريد أن يخبرها بها، فقد شعرت بأن الأمر خطير، ثم وجدته يقول: مریم! انتي كان سبق وطلبتني مني الطلاق وسواء انا أو جدك كنا بنحاول نأجل الموضوع دة لأطول فترة ممكنة، بس بتنهيلي مابقاش يفيد التأجيل أكثر من كدة.

تسمرت مریم مكانها وهي تتوقع بأعصاب مشدودة ماهو على وشك التنفوه به وسمعته بالفعل يقول: انا دلوقت يا مریم مستعد اني أطلقك، عشان أسيبك تعيشي حياتك زي مانتي عاوزه، من غير أي ضغط من حد وصدقيني هكون سعيد اوي لما أشوفك انتي سعيدة حتى لو كان مع شخص غيري.

أهو بالفعل يريد أن يطلقها؟ أيريد أن يتخلص منها بتلك السهولة؟ أهذه الدرجة لا يفرق معه وجودها بجانبه من عدمه؟ أسئلة كادت الاجابة عنها بالاثبات تمزق قلبها، ولكنها لن تستسلم ككل مرة، فلقد آن الأوان لأن تبذل ما في وسعها لحماية حباها وإن أنكره يوسف نفسه، لذا وجدت نفسها تصيح في وجهه وتقول: انت ايه يا أخي؟ ما بتحسش؟ بعد كل دة تقولي انك هتبقا سعيد وانت شايفني مع حد تاني؟ للدرجادي أنا مش فارقة معاك؟ إذا كان دة صحيح يا يوسف فاسمجلي بقا أقولك، ان انت فارق معايا كثير، وان عمري ما هبقا سعيدة لمجرد اني أتخيل انك مع واحدة تانية غيري، صحيح انت سبق وقولتلي اني مش لازم أوقف حياتي على حد بس بجد معرفتش أنفذ نصيحتك دي لاني مش قادرة أتخيل حياتي من غيرك لدرجة اني حسيت اني هموت أول ما عرفت ان ممكن الموت ياخذك مني، لكن براحتك يا يوسف لو انت شايف فعلا انك هترتاح في بعدك عني فأنا موافقة بس يا ترى بقا هتقدر تبعد عن ابنك كمان؟

اخترقت الكلمة أذنيه ولكنه لم يستوعبها جيدا في البداية فقال مرددا في ذهول: ابني! مریم انتي.....

أكملت مریم جملته الناقصة: حامل.

ما الخبر الذي يمكنه أن يسعد قلبه غير ذلك؟ لقد قالت له بأنه سيصبح أبا خلال شهر، فيا لها من فرحة تتراقص في عينيه! جعلته يتقدم نحوها بخطوات سريعة ولكنه وقف على بعد خطوة واحدة وقد اكتسى وجهه بالحزن مرة أخرى وكأنه تذكر ما كدر سعادته فسألها بتردد: مريم! انتي فعلا عاوزه الطفل دة؟ وخصوصا يعني إنه هيكون ابني.

كانت مريم قد استنفذت كل ما لديها من القدرة على احتمال المزيد فقالت وقد نضب صبرها: يوسف أنا لو كنت هتمسك بالطفل دة فعلا فيبقا السبب الرئيسي لكدة انه ابنك، يا يوسف انت ليه مش قادر تصدق اني فعلا بحبك؟ يوسف وهو يشعر بالندم: لاني مش قادر أنسى اللي عملته معاكي واللي يخلي أي ست تكره الراجل اللي أدامها مدى الحياة، صدقيني انا ما كنتش داري فعلا باللي بعمله، وغضبي وصلني لحد التهور، لكن بعد ما فوقت حسيت أنا أد ايه جرحتك.

مريم: انت لو كنت جرحتني فعلا فدة لما جيت واعتذرتلي بعدها، حسستني أد ايه انت ما كنتش عاوز علاقتنا تتطور أكثر من كدة، وانك ندمان انك قربت مني أكثر من اللازم واللي أكدي دة انك كنت مستعد تطلقني وقتها بكل سهولة، ويمكن اللي منعك ساعتها هو جدو عبدالرءوف.

فقال يوسف وقد قطع الخطوة التي كانت تفصلهما وقد بدأت الحقيقة تتجلى أمام عينيه، وقال لها وهو يحتضن كفيها بكفيه ولا يبعد عينيه عن عينيها: أنا قولت اللي قولته ساعتها لما شفتك مستعدة انك تمشي.

مريم: مانت لو كنت ركزت وقتها، كنت شفت أنا أد ايه كنت سعيد ومبسوطة ، وكنت جاهزة أخرج فعلا بس معاك عشان كنت عاملة حسابي اننا نتعشى برة.

يوسف: يعني انتي مستعدة يا مريم انك تعيشي بقية حياتك معايا؟

فاستولى الغضب على مريم وهي تقول: يوووووووووه، يوسف! والله همشي لو كررت السؤال دة تاني.

ثم أكملت مصححة وهي تشير إلى بطنها وهي تقول: اولاً اسمها معانا، وثانيا انا مستعدة أعيش حياتي دي وحياة فوقها كمان معاكم انتو الاتنين.

فابتسم يوسف لزوجته التي لاتزال طفلة بكل انفعالاتها، وقال لها: بحبك يا مريم بكل جنانك دة.

هي الكلمة التي كانت تتمنى سماعها منذ وقت طويل، فأخيرا اعترف يوسف بحبه لها، وأعرب عن رغبته في قضاء بقية حياته معها، أرادت أن تحتضنه بشدة لتعبر عن مدى سعادتها، وبدا أن عينها قد فضحتها فبادر يوسف بذلك ولكن ما إن أخذها بين ذراعيه حتى رن هاتفه ودون انقطاع، فتخلص يوسف من عناقها برفق وهو يقول مصرا على أسنانه: مين الرحم اللي بيتصل دلوقت دة؟

ونظر إلى شاشة الهاتف ليتحقق من هوية المتصل ثم فتح المكالمة وسمعه مريم يقول محاولا كتمان غيظه وهي تراقبه بنظرات مشاكسة: ايوة يا عم الرحم.....مش تبقا تختار الاوقات اللي تتصل فيها يا بايخ انت.

فظهر وليد على الطرف الآخر يضع هاتفه بجوار أذنيه وقد أجفلته طريقة أخيه في الحديث معه ولكنه استطاع تدارك الأمر سريعا وقال معتذرا: معلىش بقا يا يوسف، انا بس كنت بتصل عشان أبلغك اني مسافر لمدة شهر وعاوزك تاخذ بالك من الشركة في غيابي.

يوسف مندهشا: مسافر رايح فين يعني؟ وانت مش شايف ان شهر دة كثير؟

وليد وقد شعر بالخجل قليلا وهو يقول: اصلي انا وحياة اتفقنا اننا نقضي شهر العسل في شرم الشيخ.

يوسف: شهر عسل!

وقد بدأ يوسف يفكر للحظات، ظن فيها وليد بأن أخيه لم يسمعه جيدا أو أن هناك خللا بالشبكة: يوسف! انت معايا؟ قولت ايه بقا؟

يوسف مشاكسا: وهو انا كنت النايب بتاع سعادتك؟ ولا انا كمان مش ليا حق في شهر عسل أنا التاني؟ بقولك يا بني أنا ومريم مسافرين معاكم.

وليد: طيب والشركات؟

يوسف مازحا: جه الوقت بقا اللي ناخذ فيه أجازة وعبدالرءوف بيه وماهر يثبتوا انهم أد المسئولية.

وبعد مرور عامان تقريبا، نجد الجميع بمنزل عبدالرءوف الكامل وهم يتناولون القهوة ويتأرأسهم عبدالرءوف و ابنته وردة بعد وجبة العشاء اللذيذة التي قد أعددتها حياة ومريم و قد أتقنت فن الطبخ وإدارة المنزل مؤخرا، وقال يوسف مثنيا عليها: تسلم اديكي يا حبيبي، وربنا ما يجرمني من أكلك أبدا.

مريم مبتسمة وهي تشعر بنظرات الجميع مسلطة عليهما فقالت بخجل: ولا يجرمني منك يا حبيبي.

ضربت حياة وليد في كتفه بكوعها وهي تقول له بغضب: شايف الناس المتجوزة بصحيح، هو انت ليه يا وليد ما بتقوليش كلام حلو زي دة؟

وليد ضاحكا: لمي الدور يا أم يوسف وكلي عيش أحسنلك، طب دي ناس فاضية اما احنا بقا فخلاص بقا عندنا ابن لازم نربيه.

حياة: يا سلام يا خوية. طب احنا عندنا يوسف بس اما هما بقا فعندهم وليد وحمدي. وشوف عاملين ازاي، الله أكبر عليهم، وكأنهم لسة متجوزين امبارح.

وليد: مش بقولك ناس فاضية. احنا بقا ليه نعمل زيهم؟

حياة مدعية الحزن: بقا كدة يا وليد، ماشي. انا بقا زعلانة منك.

فاحتضن وليد كفها بين كفيه ورفعها إلى شفتيه وهو يقول: وانا مقدرش يا حبيبة قلب وليد من جوة.

وهنا تنحج ماهر وهو يقول بغیظ: يا جماعة ما تراعوا شعورنا بقا، والا احنا عشان مش عارفين نتهيب ونتجوز هتقعدوا تغيظونا بالشكل دة.

وليد : وانت حد كلمك يا عم انت؟ ما تتجوز وهو مين اللي منعك؟

فأشار ماهر ناحية هدى التي كانت تجلس على كرسي آخر بجواره: الهانم، قال ايه مش مكفيها سنتين مخطوبين ومكتوب كتابنا، و بتقول انها مش عاوزة تتجوز غير لما تخلص دراستها، يعني هقعدهم في العذاب دة سنتين كمان.

هدى بدلال: وان كان عاجبك.

فنهض ماهر من كرسيه وجلس على طرف كرسيها وأخذ كفها بيده وهو يقول مستعظفا: وفيها ايه يا روجي لو تكملني
الستتين دول في بيتنا؟ ماهو مريم وحياة عملو كدة، انتي مش شايقة الجواز حلو ازاي؟

ثم قال موجها حديثه لكل من مريم وحياة مستنجدا بهما: ولا ايه يا مدامات، ما تفهموها بقا.

فقال مريم بجدية: انا الحقية رأيت من رأي هدى، أصل صعب أوي انها توفق بين بيتها ودراسنها.

ماهر محتجا وقد ارتفع صوته كثيرا: نعم يا ختي؟

مريم مستمرة في شرح مبرراتها: دي الحقية، فعادة الست بتكون مضطرة انها تحمل دراسنها عشان تهتم ببيتها وجوزها
ودة طبعا بيضايقها جدا.

وشعرت بأصابع يوسف تمتد إلى خدها وهو يسألها برقة: دة بيحصل فعلا؟

فقال مريم وهي تبتسم في خجل وقد ذابت من لمسته: لا طبعا، مش في كل الحالات.

فعلا صوت ماهر وهو يقول معترضا: والله حرام بقا اللي بيحصل دة.

وهنا تعالت ضحكات الجميع يسودهم الألفة والحب وكانت مريم تشارك في الضحك ولكن عينيها لم تفارقا زوجها وهي
تتأمله بصمت، وتتعجب من موقفها الراض له في بداية تعارفهما حين لم تكن تعلم بأنه سيأتي عليها اليوم الذي
ستعشقه فيه إلى هذا الحد وهو ايضا يبادلها نفس الشعور حيث لم تعد غريبة عن عامله.

*** تمت بحمد الله ***